



دولة ليبيا

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

الأكاديمية الليبية - فرع مصراته

قسم الدراسات الإسلامية

رسالة بعنوان:

”البدر المنير المُلْخَص من تفسير ابن كثير“

تأليف:

أبي المحامد عفيف الدين بن سعيد بن مسعود الكازروني (ت 785 هـ)

من سورة الحجرات حتى سورة التحرير

دراسة و تحقيق

مقدمة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الإجازة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب:

عبد الهادي الصديق مصطفى الفيتوري

رقم القيد (15170)

إشراف الأستاذ الدكتور:

مختار بشير عبد السلام العالم

العام الجامعي

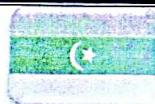
1437 – 1436 هـ

(2015 – 2016 م)



الجامعة الليبية

الأكاديمية الليبية / فرع مصراتة



مصراتة - ليبيا

**قرار لجنة المناقشة للطالب
عبد الهادي الصديق مصطفى علي الفيتوري**

للحصول على درجة الإجازة العالية (الماجستير) في قسم الدراسات الإسلامية

قامت اللجنة المشكّلة بقرار السيد/ رئيس الأكاديمية الليبية / فرع مصراتة رقم (310) الصادر بتاريخ 27/12/2015 م بمناقشة الرسالة المقدمة من الطالب / عبد الهادي الصديق مصطفى علي الفيتوري لنيل درجة الإجازة العالية (الماجستير) في قسم الدراسات الإسلامية وعنوانها:

**(البدر المنير الملاخ من تفسير ابن كثير لأبي الحامد عفيف الدين بن سعيد بن مسعود الكازروني
المتوفى سنة 785 هـ من أول سورة الحجرات إلى نهاية سورة التحرير) دراسة وتحقيق**

وبعد مناقشة الرسالة علنياً على تمام الساعة (11:00 صباحاً) يوم الخميس الموافق 28/01/2016م بقاعة المناقشات بالأكاديمية وتقويم مستوى الرسالة العلمي والمنهج الذي اتبعه الطالب في بحثه قررت اللجنة ما يلي:
قبول الرسالة ومنح الطالب : عبد الهادي الصديق مصطفى علي الفيتوري درجة الإجازة العالية (الماجستير) في قسم الدراسات الإسلامية.

التوقيع	الصفة	أعضاء اللجنة المناقشة
	مشرفاً ومقرراً	السيد/ د. مختار بشير العالم
	عضو	السيد/ د. الهادي المبروك الرياني
	عضو	السيد/ د. عبد الله محمد النقراط

يعتمد

د. محمد المهدى اشتىوى

د. إبراهيم مفتاح الصغير



إقرار الأمانة العلمية

أنا الطالب: عبدالهادي الصديق مصطفى علي الفيتوري المسجل بالأكاديمية الليبية/ فرع مصراةة بقسم الدراسات الإسلامية تحت رقم قيد (15170) أقر بأنني التزرت بكل إخلاص بالأمانة العلمية المتعارف عليها لإنجاز رسالتي المعروفة بـ (البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير) لنيل الدرجة العلمية (الماجستير) وأنني لم أقم بالنقل أو الترجمة من آية أبحاث أو كتب أو وسائل علمية تم نشرها داخل ليبيا أو خارجها إلا بالطريقة القانونية وباتباع الأساليب العلمية في عملية النقل أو الترجمة وإسناد الأعمال لأصحابها، كما أنني أقر بعدم قيامي بنسخ هذا البحث من غيري وتكراره عنواناً أو مضموناً.

وعلى ذلك فإنني أتحمل كامل المسؤولية القانونية المترتبة على مخالفتي لذلك إن حدثت هذه المخالفة حالياً أو مستقبلاً بما في ذلك سحب الدرجة العلمية الممنوحة لي.

والله على ما أقول شهيد

الإسم: عبدالهادي الصديق مصطفى علي الفيتوري

التوقيع:

التاريخ:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

﴿ يَرْفَعُ اللّٰهُ الَّذِينَ إِمَّا مُّنْتَهٰى مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواً

الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴾ ١١ ﴾

الْعَظِيْمُ
الصَّدِقُ

سورة المجادلة الآية (11)

الإهدا

إلى من كان سببافي وجودي وحرص على ..

”أبي وأمي أدخلهما الله الجنة“

إلى من أسمهم في تزويدي بالمعلومات، وأخذ من وقته وجهده من أجلني ..

”أستاذى الفاضل الدكتور: مختار بشير عبد السلام العالم“

إلى أنسى وأصدقائي ورفاق الدرج الذين وقفوا إلى جانبي فجزاهم الله عنّي كل خير.

إلى زوجتي وأولادي الأعزاء ..

أهدى ثواب هذا العمل ..

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه وكرمنا بالعقل دون سائر المخلوقات، وفضلنا بالإسلام دون سائر البشر، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأبرار.

فإن الشكر لله أولاً وآخراً الذي أنعم على بنعمة الصبر والمثابرة حتى أتممت هذا البحث، وبعد.....،

فإن من المروءة أن أعبر في بدء عملي هذاعن جزيل الشكر وعظيم التقدير إلى أستاذي الفاضل الدكتور (مختار بشير عبد السلام العالم) الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة، بالتوجيه والإرشاد فقد كان الأب الحنون والأخ المعين والصديق الوفي، فله الفضل والثناء بعد الله تعالى.

كما أتقدم بخالص الشكر والاحترام إلى الأساتذة الفضلاء أعضاء لجنة المناقشة الذين بذلوا جهداً ووقتاً في مراجعة هذه الرسالة، وأنوّجه بالشكر والتقدير إلى الأكاديمية الليبية فرع مصراته وأخص قسم الدراسات الإسلامية بها.

كما أتقدّم بالشكر والتقدير أيضاً لكل من ساعدني في هذه الرسالة فلهم مني كل احترام وتقدير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب قيماً، ليكون للناس بشيراً ونذيراً، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله بعثه للناس سراجاً منيراً وعلى آله الأطهار، وصحبه الأبرار، ما تعاقب الليل والنهار، ومن تبعهم إلى يوم الدين. أما بعد:

فقد سطع علم التفسير منذ نزول القرآن الكريم؛ إذ بين النبي - صلى الله عليه وسلم - للصحابة - رضي الله عنهم - ما يحتاجون من بيان، ولما كان الصحابة من ذوي اللسان الفصيح والبيان الصريح، فقد غدوا من أعلم الناس بالتفسير، ثم تلاميذهم من التابعين الذين أخذوا هذا العلم عن الصحابة، وكتبوه عنهم فحازوا قصب السبق بكتابه التفسير، وقد انتشر علم التفسير مع انتشار الإسلام في الأرض، وكان التابعون عند فتوحهم للبلدان لدخول الناس في دين الله - تعالى - يرفعون نداء الحق لإقامة الصلاة، وقراءة القرآن الكريم، والبيان لفهمه والعمل به.

إن هذا العلم والعمل أفرز جيلاً من العلماء المفسرين من أتباع التابعين، لعلهم أن أفضل ما اشتغل به المستغلون من العلوم، وأفنيت فيه الأعمار وكد فيه أصحاب القرائح هو كتاب الله - تعالى -، إذ فيه العلم الذي تعقد عليه الخناصر وتقنى في تدوينه الأقلام والمحابر، اشتهر كثير من المفسرين منذ القرون الأولى من الصحابة والتابعين كابن عباس وابن عمر - رضي الله عنهم - ثم قتادة، ومجاهد، والحسن البصري، ثم صار العلماء إلى التصنيف في التفسير، فظهرت كتب التفسير وفي مقدمتها تفسير الطبرى وظهرت مدارس ومناهج متعددة في التفسير، اعتمد بعضهم على التفسير بالأثر من تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وأقوال الصحابة وأقوال التابعين، اعتمد بعضهم على التفسير بالرأي وفق الاجتهاد في معانى الآية، من خلال اللغة وفقيها، ودلالة الألفاظ ومعانيها، واعتمد بعضهم الآخر على الجمع بين المذهبين من التفسير بالأثر والتفسير بالرأي، ففي القرن الثامن ولد الحافظ ابن كثير وحتى حظي بنشأة علمية راقية، أهلته أن يكون أحد مشاهير علماء ذلك القرن،

فألف كتابه الشهير (تفسير القرآن العظيم) ولأهمية هذا التفسير فقد اختصره كثير من العلماء، ومن أوليك الذين اختصروه: عفيف الدين سعيد بن مسعود الكازرونـي - رحمـه الله - (ت 785هـ) في كتابه البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثـير.

أهمية الموضوع:

تتلخص أهمية هذا الموضوع في أمور منها:

1. الأهمية العلمية لتفسير ابن كثـير، وما وقع عليه من مختصرات.
2. العناية بالتراث الإسلامي، وبتراث عفيف الدين بن سعيد الكازرونـي حتى لا يضيع كما ضاع بعض تراث علماء المسلمين.
3. أن هذا المخطوط لم يسبق أن حـقـقـ من قبل فيما أطلعت عليه من مصادر.
4. تحقيق جـزـءـ من المخطوط يعتبر إسـهـاماـً في بنـاءـ المكتـبةـ الإـسـلـامـيـةـ.
5. المخطوط متعلق بـتـفـسـيرـ القرآنـ الـكـرـيمـ وـعـلـمـ التـفـسـيرـ، وـهـوـ مـنـ أـجـلـ الـعـلـومـ وـأـشـرـفـهاـ.
6. معرفة طريقة أسلافنا الأقدمين في البحث والكتابة والتـأـلـيفـ والإـفـادـةـ منهاـ.

أسباب اختيار الموضوع:

أما اختياري لـتحـقيقـ هذاـ الجـزـءـ منـ المـخـطـوـطـ فإـنـهـ رـاجـعـ لـالـأـسـبـابـ الـآـتـيـةـ:

1. رغبـتيـ الشـدـيدةـ فـيـ درـاسـةـ المـخـطـوـطـاتـ وـتـحـقـيقـهاـ.
2. إنـ هـذـاـ المـخـطـوـطـ لمـ يـسـبـقـ أنـ حـقـقـ منـ قـبـلـ.
3. أهمـيـةـ الـكـتـابـ لـمـ فـيـهـ مـنـ تـرـاثـ عـلـمـيـ يـشـمـلـ الفـقـهـ وـتـفـسـيرـ معـانـيـ الـقـرـآنـ، وـعـلـومـ الـحـدـيـثـ، وـعـلـومـ التـارـيخـ، وـتـعـرـيفـ بـعـلـمـاءـ التـفـسـيرـ.
4. التـعـرـفـ عـلـىـ معـانـيـ كـلـمـاتـ الـقـرـآنـ، وـاـخـلـافـ الـعـلـمـاءـ السـاعـينـ فـيـ تـأـوـيلـهـاـ.

فيـيـكـلـيـةـ الرـسـالـةـ:

قام بـتـحـقيقـ هـذـاـ المـخـطـوـطـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الطـلـابـ أـخـذـتـ جـزـءـاـًـ مـنـهـ فـقـسـمـتـ هـذـهـ الرـسـالـةـ إـلـىـ مـقـدـمةـ وـقـسـمـيـنـ وـخـاتـمـةـ تـحـتـويـ عـلـىـ أـهـمـ النـتـائـجـ التـيـ توـصـلـتـ إـلـيـهـاـ فـيـ هـذـاـ الـبـحـثـ وـفـهـارـسـ الـعـامـةـ لـلـرـسـالـةـ، وـقـائـمـةـ بـالـمـصـادـرـ وـالـمـرـاجـعـ التـيـ استـعـنـتـ بـهـاـ،

وخصصت المقدمة إلى الإطار العام للدراسة، وأهمية الموضوع، وسبب اختياره، وهيكليّة الرسالة، وبعد المقدمة أفردت قسمين الأول القسم الدراسي والثاني القسم التحقيقي كما يلي:

- **القسم الدراسي:** نبذة عن حياة مؤلف تفسير ابن كثير الذي حققت جزءاً من مختصره، ودراسة لحياة المؤلف وتشمل، اسمه ، ولادته، وشيوخه، وتلاميذه، ومؤلفاته، وفاته، واسم الكتاب، ونسبته للمؤلف، وسبب تأليف الكتاب، ومنهجه في هذا الكتاب.
- **وأما قسم التحقيق:** فقد قدمت فيه الجزء الخاص به محققاً وفق قواعد التحقيق، الذي يبدأ من سورة الحجرات إلى نهاية سورة التحرير ويشتمل على اللوحات من رقم (477) إلى (527) ويداً يكون عدد اللوحات (51) لوحة.

منهجي في التحقيق:

1. كتبت النص وفق القواعد الإملائية المتّبعة اليوم.
2. قمت بضبط الآيات القرآنية وتخرّيجها مع ذكر السور ورقم الآية، مع مراعاة الرسم القرآني لما يوافق رواية حفص عن عاصم ووضعتها بين قوسين ﴿﴾.
3. حاولت أن أخرج النص في أقرب صورة أرادها المؤلف، والتزمت المنهج العلمي المعتمد في تحقيق النصوص التراثية .
4. وثقت النقول التي صرّح بها المؤلف من الكتب التي نقل عنها، فإذا لم أجده الكتب التي نقل عنها فإنني أوثق النقل من بعض المصادر، فإذا لم أجده أشير إلى عدم الوقوف عليه.
5. نسبت القراءات القرآنية إلى مصادرها وذكرت من قرأ بها.
6. قمت بتخرّيج الأحاديث الواردة في المخطوط، فإذا وجد حدیثاً في الصحّيين أو أحدهما اقتصرت على تخرّيج الحديث منها، أما إذا كان في غير الصحّيين فأخرجه من كتب الحديث الأخرى، مع بيان الحكم عليه من حيث الصحة والضعف.
7. قمت بضبط الكلمات التي تصعب قراءتها أو فيها لبس.
8. شرحت الكلمات التي تحتاج إلى شرح، ووثقت ذلك من المصادر الأصلية.

9. نسبت الأبيات الشعرية إلى قائلها مع عزوها إلى دواوين أصحابها أو من مصادر كتب اللغة والأدب.
10. عرّفت بالكتب الوارد في الكتاب.
11. قمت بترجمة الأعلام عند ورود العلم لأول مرة، سوى الأنبياء - عليهم السلام - وأعلام الصحابة من لا تخفي معرفتهم.
12. أضفت عبارة (صلى الله عليه وسلم) وعبارة (رضي الله عنه) عندما يذكرها المؤلف وأضعها بين شرطتين هكذا - رضي الله عنه - .
13. وضعت الإشارات، وعلامات الترقيم، والأقواس، والرموز، كل في مكانه.
14. جعلت في نهاية التحقيق خاتمة ذكرت فيها ما توصلت إليه من نتائج في هذا البحث.
15. وضعت فهارس؛ ليسهل تناول البحث، وهي على النحو الآتي:
- فهرس الأحاديث النبوية.
فهرس الآثار.
فهرس الأبيات الشعرية
فهرس الكتب الواردة في الكتاب.
فهرس المصادر والمراجع.
فهرس الموضوعات العامة.
- ملاحظة:** الطلاب الذين قاموا ويقومون بدراسة هذا الكتاب المسمى (البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير) لأبي المحامد عفيف الدين بن سعيد بن مسعود الكازروني وتحقيقه. هم كالتالي:
- الطالب محمد شكلاؤون، وقد أخذ جزءاً من المخطوط وهو تفسير سورة الفاتحة والبقرة.
 - الطالب هشام أبو قرين، أخذ جزءاً من المخطوط وهو تفسير سورة آل عمران والنساء والمائدة.
 - الطالب وليد الشاوش، أخذ جزءاً من المخطوط سورة الأنعام، والأعراف، والأنفال والتوبه .
 - خالد الشاوش، أخذ جزءاً من المخطوط من بداية سورة يونس إلى نهاية سورة الإسراء.
 - الطالب سالم ضوء، أخذ جزءاً من المخطوط من بداية سورة الكهف إلى نهاية

- سورة النور.
6. الطالب محمد الشريف، أخذ جزءاً من المخطوط من بداية سورة الفرقان إلى نهاية سورة فاطر.
7. الطالب خالد إسماعيل، أخذ جزءاً من المخطوط من بداية سورة يسن إلى نهاية سورة الفتح.
8. الطالب عبد الهادي الفيتوري، أخذ جزءاً من المخطوط من بداية سورة الحجرات إلى نهاية سورة التحريم.
9. الطالب بشير قليصة، أخذ جزءاً من المخطوط من بداية سورة الملك إلى نهاية سورة الناس.

القسم الأول

نبذة عن ابن كثير

ودراسة لحياة المؤلف

- اسمه ونسبة .
- ولادته .
- شيوخه وتلاميذه .
- مؤلفاته .
- وفاته .

نبذة ابن كثير - رحمة الله -

من هو الحافظ ابن كثير؟

هو فقيه المفسرين، ومفسر المحدثين، وأديب المؤرخين، وخطيب الشاميين، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي⁽¹⁾ وصفه الحافظ ابن حجر فيما نقله الإمام الذهبي بقوله: "الإمام المحدث البارع فقيه متقن محدث متقن مفسر"⁽²⁾.

ولادته ونشأته وعائلته:

ولد الحافظ ابن كثير في مطلع القرن الثامن سنة (701هـ) على الراجح في منطقة بصرى قرب دمشق، وقد نشأ في عائلة علمية، إذ اتسمت عائلة الحافظ ابن كثير بقيادة المنابر، ورفع لواء العلم، فقد تسلم أبوه أحد منابر العلم، إذ كان خطيباً⁽³⁾ ومن عائلته الذين تأثر بهم: أخوه الأكبر عبد الوهاب الذي أخذ عنه الحافظ، وحظي برعايته، والاستفادة من علمه بعد وفاة أبيه، وخصوصاً أن أبوه توفي مبكراً سنة (703هـ) وعمر الحافظ سنتان.

طلب العلم:

قضى الحافظ ابن كثير ست سنوات في بصرى ثم انتقل إلى دمشق سنة (707هـ)، وبدأ الحافظ ابن كثير طلبه للعلم بحفظه للقرآن الكريم، وأتم حفظه ولم يبلغ العاشرة من عمره؛ إذ ختم القرآن الكريم سنة إحدى عشرة وسبعيناً على الشيخ المقرئ المحدث أبي عبد الله محمد بن حسين بن غيلان الحنفي (ت 730هـ)، وقد ذكره ذلك الحافظ ابن كثير في تاريخه، ووصفه بالشيخ الصالح العابد الناسك الخاشع إمام مسجد السلاطين⁽⁴⁾.

(1) ينظر: البداية والنهاية (33/4، 34).

(2) الدرر الكامنة (574/1).

(3) ينظر: البداية والنهاية (31/14، 33).

(4) ينظر: البداية والنهاية (118/14).

وتتجلى جوانب أخرى من شخصية الحافظ ابن كثير بالنظر في إنتاجه العلمي من المصنفات المتميزة في موضوعاتها النافعة، ومنهجيتها البارعة، وموسوعيتها الجامحة وعلى سبيل المثال نرى في تقديره القيمة العلمية العالية، وكذا بقية كتبه فكتابه جامع المسانيد حاول فيه جمع حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكتابه البداية والنهاية أرخ فيه من بدء الخلق إلى زمانه ويعتبر من التواريخ المعتمدة والمعتبرة في منهجه وموسوعيته، وقوته مصادره وسهولة أسلوبه⁽¹⁾.

وإذا تفحصنا مؤلفات الحافظ ابن كثير نراها ذات طابع موسوعي في كثير منها، كالتفسير، والسير النبوية، وجامع المسانيد، والبداية والنهاية، وطبقات فقهاء الشافعية، وغيرها.

أما عن عدد مؤلفات الحافظ ابن كثير فقد أحصاها ووصفها محمد بن عبد الله بن صالح الفالح وقد ذكرأنها بلغت (69) مؤلفاً.

(1) ينظر: البداية والنهاية (294/14).

دراسة لحياة المؤلف

اسمه:

محمد بن محمد سعيد بن مسعود بن محمد بن مسعود بن على بن أحمد بن عمر بن إسماعيل بن الأستاذ أبي علي الدقاد هو الحسن بن علي بن محمد بن إسحاق بن عبد الرحيم بن إسحاق أو أحمد العفيف أبو المحامد بن سعيد الدين أبي محمد بن الضياء البلياني النيسابوري ثم الكازروني الشافعي⁽¹⁾.

نسبة:

نسبة إلى كازرون وهي إحدى بلاد فارس خرج منها جماعة من العلماء والفضلاء وأهل الخير⁽²⁾.

وقد وقع خطأ في اسمه في بعض المصادر، فقيل: سعيد بن محمد بن مسعود، وقيل: سعد بن مسعود، ومحمد بن مسعود، وسعيد الدين، وسبب الخلط يقع بينه وبين ابنه: (سعيد بن محمد بن مسعود، عفيف الدين، أبو سعد)؛ حيث أوردت بعض المصادر في بعض كتب الأدب تحت اسم الابن مما يوقع المراجع في ترجمة الأب في حيرة⁽³⁾ وفي بعض الكتب أن اسمه هو محمد بن سعيد بن مسعود بن محمد بن علي بن أحمد بن عمر بن إسماعيل بن الحسن بن علي بن محمد بن إسحاق بن عبد الرحيم بن أحمد أبو عبد الله نسيم الدين بن سعد الدين النيسابوري الكازروني الفقيه الشافعي نشأ بجازون وأنه من ذرية أبي علي الدقاد⁽⁴⁾.

مولده:

ولد في ثاني عشر ربيع الأول سنة سبع وعشرين وسبعمائة من بلاد فارس بجازون، ونشأ بها، واشتغل فيها على أبيه بالعلم وسمع منه بها⁽⁵⁾.

(1) ينظر: الضوء الالمعنوي لأهل القرن التاسع (21/10)، وهدية العارفين (535/1)، واللوحة 2/ب من المخطوط.

(2) ينظر: الأنساب للسمعاني (14/5).

(3) ينظر: جهود العلماء في تصنيف السيرة النبوية في القرنين الثامن والتاسع (55/1).

(4) ينظر: أنساب الغمر (230/1).

(5) ينظر: الضوء الالمعنوي لأهل القرن التاسع (21/10).

شبوغه:

أجازه بعض مشايخه وهم الحفاظ المزي⁽¹⁾ والبرزالي⁽²⁾ والذهبى⁽³⁾ والعائى⁽⁴⁾ وأبو حيان⁽⁵⁾ وأ ابن الخباز⁽⁶⁾ والميدومي⁽⁷⁾ وأ ابن غالى⁽⁸⁾ وأ بنة الكمال⁽⁹⁾ وأ بن كثير وقرأ على أبيه كتاباً جمة ذكره العفيف الجرهى⁽¹⁰⁾ في مشيخته⁽¹¹⁾.

(1) هو يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن يوسف بن علي بن أبي الزهر الإمام العلامة الحافظ الكبير شيخ المحدثين، الدمشقى المزى ولد في ربيع الآخر سنة 654هـ، من تصانيفه كتاب تهذيب الكمال، والأطراف، طبقات الشافعية (76/74/3).

(2) هو القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد البرزالي علم الدين بن بهاء الدين الدمشقى الحافظ ولد في جمادى الأولى، سنة 665هـ، ومات ذاهباً إلى مكة في رابع ذي الحجة سنة 739هـ ودفن بخلص، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (279/277/4).

(3) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ابن الشيخ عبد الله التركمانى الفارقى الدمشقى الشافعى المقرئ المحدث ولد سنة 673هـ وأجاز له أبو زكريا ابن المصرى، والقاسم الأربلى، وأبن ابى الخير، معجم المحدثين (97/1).

(4) هو خليل العائى صلاح الدين أبو سعيد ولد سنة 694هـ وصنف التصانيف في الفقه والأصول والحديث، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (215/212/2).

(5) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطى أثير الدين أبو حيان الأندلسى ولد في أواخر شوال سنة 654هـ توفي 28 صفر سنة 745هـ، الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (65/58/6).

(6) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن بركات بن سعد الدمشقى الأنصارى العبادى من ولد عبادة بن الصامت المعروف بن الخباز ولد في رجب سنة 667هـ مات في ثالث شهر رمضان سنة 756هـ، الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (119/5 - 120).

(7) محمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم بن عنان الميدومي صدر الدين أبو الفتح، ولد في شعبان سنة 664هـ مات في شهر رمضان سنة 754هـ، الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (419/5).

(8) هو محمد بن غالى بن نجم بن عبد العزيز الدمياطى، شمس الدين أبو عبد الله الفاھرى مولده سنة 650هـ مات ليلة الثالث من شهر ربيع الأول سنة 741هـ. الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (393/5).

(9) هي زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي المعروفة ببنت الكمال، ولدت سنة 646هـ من أهل بيت المقدس شيخة عالمة بالحديث، ماتت في تاسع عشر جمادى الأولى سنة 740هـ، الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (249/248/2).

(10) هو نعمة الله بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الكريم بن نصر الله بن سعد الله بن أبي حامد الشرف، أبو الخير بن العفيف القرشي البكري الجرهى بفتح الجيم والراء الشيرازي الشافعى، ولد في صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة بشيراز، سمع الكثير من أبيه، وجماعة بمكة وحبب إليه الطلب، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (108/5).

(11) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (21/10).

نلاميذه:

سمع منه: إبراهيم بن محمد بن مبارز بن محمد بن أبي الحارت عفيف الدين وتقى الدين بن شمس الدين بن كافي الدين الخنجي الشيرازي مات يوم الجمعة السادس عشر جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وقيل خمس وثلاثين⁽¹⁾ أحمد بن عمر ابن محمد بن عمر بن محمد بن أبي طالب جلال الدين أبو الفتوح ابن فخر الدين الكازروني البليائي⁽²⁾، عبد الرحيم بن عبد الكريم بن نصر الله بن سعد الله بن الخطيب أبو حامد بن أبي الطاهر بن كمال القرشي البكري الجياني ولد ليلة الخميس ثالث صفر سنة أربع وأربعين وسبعمائة بشيراز⁽³⁾.

مصنفاته:

للكازروني تصانيف عديدة؛ منها ماكتب بالعربية، ومنها ماكتب بالفارسية، ثم ترجم بالعربية، ومن مصنفاته بالعربية كتاب ((النجم من كلام سيد العرب والعجم)) لأبي العباس أحمد بن معن بن عيسى بن وكيل التجيبي الأندلسي الإقليشي (ت 550هـ) رتبه على عشرة أبواب، وجعل الباب العاشر مختصاً بأدعية مأثورة عن النبي - صلى الله عليه و سلم - في مجلد⁽⁴⁾، والبدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير.

وله كتاب ((شرح المغارق)) وهو كتاب ((مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية)) للإمام رضي الدين حسن بن محمد الصاغاني (ت 650هـ) وعدد الأحاديث الموجودة فيه تقارب 2246 حديثاً⁽⁵⁾.

ومن مصنفاته بالفارسية كتاب ((مناسك الحج)) و((المنتقى في سير مولد النبي المصطفى))⁽⁶⁾، وقد رتبه على أربعة أقسام وخاتمة، أوله: الحمد لله الذي خلق

(1) ينظر: الضوء الالمعنوي لأهل القرن التاسع (21/10).

(2) ينظر: المرجع نفسه (21/10).

(3) ينظر المرجع نفسه (21/10).

(4) ينظر: كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون (1920/2).

(5) ينظر: المرجع نفسه (1689/2).

(6) ينظر: هدية العارفين في أسماء المؤلفين (161/2).

نور محمد - صلى الله عليه و سلم- قبل الأشياء، القسم الأول فيما كان من أول خلق نوره إلى زمان ولادته وفيه ثمانية أبواب، الثاني: فيما كان من أول ولادته إلى نبوته، وفيه تسعه أبواب، الثالث: فيما كان من نبوته ومدة إقامته بمكة المكرمة، وفيه تسعه أبواب، الرابع: فيما كان من سنة هجرته، وفيه أحد عشر باباً، والختمة في أنواع شتى، وهذا يعود إلى تعظيم النبي - صلى الله عليه و سلم- وقد عربه ولده المسند عفيف الدين، وترجم الأصل عبد العزيز بن قرّه جلبي زاده (ت 1068هـ)⁽¹⁾.

وفاته:

توفي - رحمه الله - في أواخر جمادى الآخرة سنة 785هـ⁽²⁾.

(1) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب الفنون (2/1851).

(2) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (6/7).

دراسة للمؤلف

- اسم الكتاب .
- نسبته للمؤلف .
- سبب تأليف الكتاب .
- منهجه في هذا الكتاب .

اسم الكتاب:

نصَّ المؤلف على تسمية الكتاب في المقدمة فقال: "وسُمِّيَتِهِ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ^{الملخص من تفسير ابن كثير}".

نسبة الكتاب للمؤلف:

لم أقف على نسبة الكتاب لمؤلفه إلاً في مقدمة الكتاب، حين ذُكر اسمه في مقدمة الكتاب "أبو الحامد عفيف الدين سعيد بن مسعود بن محمد بن مسعود الكازروني"، وبعدها قال: سُمِّيَتِهِ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ^{الملخص من تفسير ابن كثير}، وهذا دليل على أن نسبة الكتاب للكازروني مؤكدة⁽¹⁾.

سبب تأليف الكتاب:

أشار المؤلف في المقدمة إلى سبب تأليف هذا الكتاب فقال: "اقترح على بعض إخواني في طريق العلم والدين، وخلانِي من أهل المعاني واليقين أنَّ الخص منه مقاصده، وأميِّز لبَّه من مبانيه، وأبيِّن لهم ما هو المراد من مقاطعه ومعانِيه" فقلت: في تحرير الجواب، ما للتراب ورب الأرباب من أين وكيف لي وأنَّى أن أرشف ريقه المهنيّ، فلم يزدهم إلاَّ المبالغة في الإلحاد، فأجابهم بقوله: "فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لَّيْ بُدُّ^{من تلقיהם بالإجابة، والله الكريم ولِي الإصابة"} فاستخرت الله تعالى واستوقفته ورغبني دواعي الشكر إلى غوص ذلك البحر العميق، فتركَت فيه الأسانيد والمكررات، سُمِّيَتِهِ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ^{الملخص من تفسير ابن كثير}، ومن هذا القول نفهم أن المؤلف أَلَفَ الكتاب بطلب من أَخْلَائِه فقام بتلخيص ابن كثير⁽²⁾.

منهجه في كتابه:

سلَكَ الكازروني منهجاً علمياً دقيقاً في إيراد التفسير فتناول جميع ضروب البيان، ونلاحظ أن منهجه لم يخرج عن منهج شيخه ابن كثير وأذكر منهجه مرتبًا حسب أهميته، وهي كالتالي:

(1) ينظر: اللوحة رقم 5/ب.

(2) ينظر: اللوحة رقم 5/أ/ب.

أولاً- الاستدلال على تفسيره بالقرآن:

1. حرص المؤلف على أن يصدر تفسيره بالبيان القرآني، وهو منهج مثالي قد رسمه الإمام الشافعي في كتابه القيم ((الرسالة)) وجعله البيان الأول من أنواع البيان، وقد أخذ بهذا المنهج في بداية كل تفسيره فكلما وجد آية مبينة للاية التي يريد تفسيرها فإنه يوردها ويصرح بها، بل ويدرك مرادفاتها؛ ليوضح المعنى بالأيات القرآنية، وقد يشير إلى تفسير القرآن بالقرآن كما في تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرٍ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ فهذه إشارة إلى الآيات التي فيها إطلاق، مثل قوله تعالى ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءَ بَعْضٍ كَبَعْضًا﴾⁽¹⁾.
2. حرص المؤلف على تسمية السور على طريقة شيخه ابن كثير وأماكن نزولها مدنية كانت أم مكية باستثناء سورة القمر فقد خالف فيها شيخه ابن كثير وقد سماها (سورة افتريت)⁽²⁾.
3. من منهج المفسر أنه يهتم أحياناً بتفصيل الأحكام الفقهية عند تفسيره لبعض آيات الأحكام ويتسع في بيان تلك المسائل ويورد عليها الأدلة ويسقط القول فيها من ذلك حديثه عن الغيبة والنفي، وبيان الموضع الذي تشريع فيها الغيبة.
4. يتعرض المفسر إلى الجانب العقدي وذكر آراء علماء المسلمين وبيان آراء المذاهب والاختلافات والاحتجاج لأهل السنة يثبت رؤية الله - تعالى - في الجنة ومن الأدلة على ذلك، عن ابن عباس "أنه رأه بفؤاده مرتين" وعن ابن مسعود وغيره أنه رأه مطلقاً، وهو محمول على المقيد بالفؤاد، وقول البغوي في تفسيره وذهب جماعة إلى أنه رأه بعينه، واستدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع؛ لأنه قال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَتِ رَبِّهِ الْكُبَرَى﴾ ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس⁽³⁾.
5. أسلوب الكتابة لبعض الكلمات رسمت بالرسم القرآني، كما في كلمة الزكاة، والملائكة، والتوراة، والصلوة، فكانت ترسم: الزكوة، والملائكة، والتوراة، والصلوة،

(1) ينظر: ص (37) من هذه الرسالة.

(2) ينظر: ص (123) من هذه الرسالة.

(3) ينظر: ص (106) من هذه الرسالة.

ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم: «أرجع فأدعوههم إلى الإسلام وأداء الزكوة فمن استجاب لي جمعت زكاته»⁽¹⁾.

6. ومن منهج المفسر أنه فرق بين الإيمان والإسلام، وذلك من خلال ما ورد من آيات تشير إلى الاختلاف بين حقيقة الإيمان والإسلام، ومنه قوله - تعالى:-
 ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ إِنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ الأحاديث التي استدل بها المؤلف، وفي الآية دليل لأهل السنة أن الإيمان أخص من الإسلام، ويدل عليه حديث جبريل حين سأله عن الإسلام ثم عن الإيمان فرقى من الأعم إلى الأخص ثم الأخص منه. وقد فرق النبي - صلى الله عليه وسلم - بين المؤمن وال المسلم فدل على أن الإيمان أخص من الإسلام، وأن هؤلاء الأعراب المذكورين في الآية ليسوا منافقين بل مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، وذهب الإمام البخاري إلى أن هؤلاء كانوا منافقين يظهرون بالإيمان، وكل وجهة⁽²⁾.

7. يعتمد المؤلف على التفسير بالتأثر ولا يعتمد على الاسرائيليات وأكانبيهم، ومن خرافات بني إسرائيل واختلاف زبادتهم اصلاً للناس، وقد أكثر كثير من المفسرين من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن وليس لنا احتياج لذلك بحمد الله.

8. لا يذكر المؤلف الآية التي يستشهد بها كاملة وإنما يأتي ببعض منها في كثير من الآيات وذلك في مواضع كثيرة كقوله: ﴿الَّتِي أَوَى إِلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾⁽³⁾ وتارة يأتي بها كاملة، وذلك في مواضع كثيرة، قوله - تعالى:-
 ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهُقُ وُجُوهُهُمْ قَتَرُوا لَا ذَلَّةٌ أُوْتِيَكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁽⁴⁾.

9. أحياناً يذكر المؤلف أحاديث وأثار يبين فضل السورة التي يريد أن يفسرها ومن أمثلة ذلك سورة (ق) و (اقریت) و (الصف)⁽⁵⁾، وأحياناً يبدأ بالسورة مباشرة.

(1) ينظر: ص (40) من هذه الرسالة.

(2) ينظر: ص (53) من هذه الرسالة.

(3) ينظر: ص (40) من هذه الرسالة.

(4) ينظر: ص (67) من هذه الرسالة.

(5) ينظر: ص (272، 123، 56) من هذه الرسالة.

- ومن أمثلة ذلك سورة (الحجرات) و (المتحنة) و (المنافقون)⁽¹⁾.
10. يشير المؤلف في بعض الآيات التي سبق تفسيرها، إلى اسم السورة وليس الآية ومثال ذلك قوله سبق في سورة البقرة، وذلك في مواضع كثيرة عند تفسير قوله تعالى - ﴿يُضَعِّفُهُ لَكُم﴾ كما سبق في سورة البقرة، ﴿فَيُضَعِّفُهُ لَهُوَ أَضْعَافًا كَثِيرًا وَاللَّهُ يَقْبِضُ بِصُدُّطٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾⁽²⁾.
11. ينسب المؤلف الأقوال إلى أصحابها من باب الأمانة العلمية التي اعتبرها علماؤنا من بركة العلم فإن كان القول لواحد تارة يصرح به، وتارة لا يصرح به، وكلها كثير في البحث، فأما إن كان لأكثر من واحد فإنه يستعمل عبارة (وغير واحد) كما في قوله: "قال ابن عباس وغير واحد ﴿لَهَا ظُلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ أي: منضود"⁽³⁾ وتارة يستعمل وغيره كما في قوله: "ه هنا أن المراد بحر السماء وبحر الأرض، كما قال مجاهد وغيره؛ لأن اللؤلؤ يتولد من السماء"⁽⁴⁾.
12. عند ذكره للأقوال ينسبها إلى مصادرها، وذلك في مواضع قليلة، كما في قوله: "قال: يقول هل جزء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة" رواه البغوي في تفسيره⁽⁵⁾.
13. كثيراً ما يشير إلى أسماء المؤلفين دون ذكر كتبهم وذلك كقوله: (قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «الولد ثمرة القلب، وإنهم مجبنـة منجلة محزنة» رواه الحافظ البزار⁽⁶⁾ وقوله: ﴿ءَاخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ قال ابن حجر (أي عاملين بما آتاهـم الله من الفرائض)⁽⁷⁾ وقوله: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى» رواه الطبراني⁽⁸⁾.
14. ينقل أقوال أهل العلم في مسائل الفقه والأحكام والمعاملات موثقة بالأدلة وقوله:

(1) ينظر: ص (33، 256، 292) من هذه الرسالة.

(2) ينظر: ص (306) من هذه الرسالة.

(3) ينظر: ص (58) من هذه الرسالة.

(4) ينظر: ص (141) من هذه الرسالة.

(5) ينظر: ص (153) من هذه الرسالة.

(6) ينظر: ص (305) من هذه الرسالة.

(7) ينظر: ص (75) من هذه الرسالة.

(8) ينظر: ص (165) من هذه الرسالة.

﴿يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: هذا الذي أمرناكم به من الإشهاد وإقامة الشهادة إنما يأتمر به من يؤمن بالله، ومن هنا ذهب الشافعي في أحد قوله إلى وجوب الإشهاد في الرجعة، كما يجب عنده في ابتداء النكاح، وبه قال طائفة من العلماء فلا يصح الرجعة إلا بالقول والإشهاد عليها⁽¹⁾.

15. يستشهد المؤلف عند تفسيره لبعض الآيات القرآنية بالأبيات الشعرية في كتابه، وذلك في مواضع كثيرة، كما في تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحُقْقِ﴾ والأبيات هي:

من لا يزال دمعه مقنعا * * فإنه لا بد مرة مدفوق⁽²⁾

ثانياً - الأحاديث الشريفة:

اعتنى المؤلف بالاستدلال بالحديث النبوى من مسند الإمام أحمد والكتب الستة والموطأ وغيرها من الكتب المسندة.

1. الأحاديث التي استدل بها المؤلف في أغلبها صحيحة، وأحياناً يكشف على الروايات الضعيفة، فساق روایات صحيحة متواترة، وروايات ضعيفة متاثرة، وذلك من كتب الصحاحين والسنن والمسانيد⁽³⁾.

2. أحياناً يسوق حديثاً واحداً؛ لبيان الآية قوله - تعالى -: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُم﴾ عن أنس - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «الإسلام علانية، والإيمان في القلب» - قال: ثم يشير إلى صدره ثلاث مرات - ثم يقول: التقوى هنا» رواه أحمد⁽⁴⁾.

وأحياناً يسوق أكثر من حديث؛ لبيان الآية قوله: ﴿وَالَّذِينَ ظَاهَرُوا وَأَتَبَعَتْهُمْ دُرِّيَّتُهُمْ يَأْيَمُنِ الْحَقْنَا بِهِمْ دُرِّيَّتُهُمْ﴾ وعن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا دخل المؤمن الجنة سأله عن أبيه وزوجته وولده. فيقال له لم يبلغوا

(1) ينظر: ص (310) من هذه الرسالة.

(2) البيت لابن الأثير (115/4).

(3) ينظر: ص (77) من هذه الرسالة.

(4) ينظر: ص (41) من هذه الرسالة.

درجتك، فيقول: يارب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالحاقهم به» رواه الطبراني و قوله: «فقد روى أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يارب أنت لي هذه؟» رواه أحمد بإسناد صحيح⁽¹⁾.

3. يذكر المؤلف في بعض الأحاديث كتب الصحيحين، والسنن والمسانيد قبل المتن، قوله: وفي النسائي عن عبد الله بن عمر أن رسول - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن المقطفين في الدنيا على منابر من نور»⁽²⁾ كما جاء في الصحيح: «يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل»⁽³⁾.

4. يذكر المؤلف لفظ (انفرد به أو تقربه) في كثير من الموارد وذلك قوله: - صلى الله عليه وسلم - «أوصيك بنتقوى الله فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبة الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض» تفرد به أحمد⁽⁴⁾ و قوله: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إذا كنتم ثلاثة فلا يتtagي اثنان دون الثالث إلا بإذنه فإن ذلك يحزنه» انفرد به مسلم⁽⁵⁾.

5. المؤلف يشير في بعض الأحاديث إلى الحديث بلفظ (حسنه وصححه) وذلك عندما يكون الحديث قد رواه الترمذى كما في قوله: «قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إن تغفر اللهم يغفر جماً، وأي عبد لك ما ألمًا» رواه الترمذى وصححه⁽⁶⁾. قوله قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «قال الله ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك» رواه أحمد والترمذى وحسنه⁽⁷⁾ وأحيانا لا يشير إلى ذلك قوله: "أن رسول الله

(1) ينظر: ص (81) من هذه الرسالة.

(2) ينظر: ص (44) من هذه الرسالة.

(3) ينظر: ص (88) من هذه الرسالة.

(4) ينظر: ص (211) من هذه الرسالة.

(5) ينظر: ص (223) من هذه الرسالة.

(6) ينظر: ص (115) من هذه الرسالة.

(7) ينظر: ص (84) من هذه الرسالة.

- صلى الله عليه وسلم - رد ابنته زينب إلى أبي العاص وكان اسلامها قبل إسلامه بست سنين على النكاح الأول، ولم يحدث شهادة ولا صداقاً رواه أحمد وأبوداود والترمذى⁽¹⁾.

6. المؤلف في بعض الأحاديث لا يذكر فيها السند ولا الرواة، وإنما يذكر فيها المتن فقط فمثلاً يقول: كما في الحديث (إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى). وفي رواية (ما قطعت من ثمار الجنة إلا أبدل الله مكانها ضعفين).

7. ينسب الحديث لأكثر من راوي بالرواية نفسها فمثلاً يقول كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (يصلّي على أثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلا الفجر والعصر) رواه أحمد وأبوداود والنسائي⁽²⁾.

8. قوله أن النبي - صلى الله عليه وسلم - (كان يقرأ في العيد بقاف واقربت) رواه مسلم وأهل السنن الأربع⁽³⁾.

9. من مصادره في الأحاديث التي اعتمد عليها مسند الإمام أحمد وسنن الترمذى وسنن أبي داود وكثير ما يجتمع بينها وذلك قوله: - صلى الله عليه وسلم - فقال: (اكتب فهو الذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق) رواه أحمد وأبوداود⁽⁴⁾ وقوله: (قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «للسائل حق وإن جاء على فرس» رواه أحمد وأبوداود⁽⁵⁾. وقوله: «أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا يحل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما» رواه أحمد وأبوداود والترمذى⁽⁶⁾.

10. كثيراً ما يأتي بالأحاديث بأكثر من لفظ في نفس سياق الحديث فمثلاً يقول: كما في الحديث «إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى». وفي رواية «ما قطعت من ثمار الجنة إلا أبدل الله مكانها ضعفين»⁽⁷⁾.

(1) ينظر: ص (264) من هذه الرسالة.

(2) ينظر: ص (71) من هذه الرسالة.

(3) ينظر: ص (56) من هذه الرسالة.

(4) ينظر: ص (102) من هذه الرسالة.

(5) ينظر: ص (77) من هذه الرسالة.

(6) ينظر: ص (225) من هذه الرسالة.

(7) ينظر: ص (165) من هذه الرسالة.

11. أحياناً يقدم الصحاحين قبل السنن والمسانيد وذلك قوله: "أن النبي - صلى الله عليه وسلم - «كان يقرأ في العيد بقاف واقتربت» رواه مسلم وأهل السنن الأربعة⁽¹⁾ وأحياناً يقدم غيره على الصحاحين وذلك قوله: "انتهيت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول: «الله أكمل التكاثر، يقول ابن آدم مالي مالي فهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟» رواه أحمد ومسلم⁽²⁾.

12. كثيراً ما يأتي بلفظ (ثبت في الصحيحين أو في الصحيح) وذلك قوله: (وثبت في الصحيح أنه - عليه الصلاة والسلام - قال لجبريل: لما سأله عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك»⁽³⁾ قوله (وقد ثبت في الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة قال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه»⁽⁴⁾، وتارة يقول (هكذا في الصحيحين) وذلك قوله: " قال - عليه الصلاة والسلام -: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم إلى قيام الساعة» وفي لفظ «حتى يأتي أمر الله تعالى وهم على ذلك» هكذا في الصحيحين⁽⁵⁾، وتارة يذكر اسم المؤلف قوله: «كان رجلاً يلت للحجيج فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه» هكذا في البخاري⁽⁶⁾.

13. يقدم روایة الإمام أحمد عن روایة أهل السنن الأربعة في كثير من الأحاديث فمثلاً يقول: " إنه سمع رسول الله - صلی الله علیه وسلم - يقول: «سيكون في هذه الأمة أقوام يكذبون بالقدر» رواه احمد وأبو داود⁽⁷⁾ قوله: إن رسول الله - صلی الله علیه وسلم - « رد ابنته زينب إلى أبي العاص، وكان

(1) ينظر: ص (56) من هذه الرسالة.

(2) ينظر: ص (190) من هذه الرسالة.

(3) ينظر: ص (189) من هذه الرسالة.

(4) ينظر: ص (305) من هذه الرسالة.

(5) ينظر: ص (162) من هذه الرسالة.

(6) ينظر: ص (110) من هذه الرسالة.

(7) ينظر: ص (134) من هذه الرسالة.

إسلامها قبل إسلامه بست سنين على التكاح الأول، ولم يحدث شهادة ولا صداقاً» رواه أحمد وأبوداود والترمذى⁽¹⁾.

14. استخدم المؤلف لفظ محيي السنة عدة مرات وذلك في قوله: "ما روى أبوهيرة مرفوعاً: «تقىروا في خلق الله، ولا تفكروا في الخالق فإنه لا تحيط به الفكرة» رواه محيي السنة في تفسيره⁽²⁾ وقوله: فقال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يا أبا بكر إن الله يقرأ عليك السلام، ويقول لك: أراضٍ أنت عَنِّي في فقرك هذا أم ساخط» قال: أبو بكر - رضي الله عنه - أُسخط على ربي؟ إني عن ربي راض" رواه محيي السنة في المعالم⁽³⁾.

15. المؤلف في بعض الأحاديث لا يذكر السنده كاملاً وإنما يقتصر على بعض من رجال السنده وذلك ك قوله: (عن زر أن رجلاً قال إني أقرأ المفصل، ولم يذكر ابن مسعود⁽⁵⁾).

ثالثاً- تفسير الصحابة - رضي الله عنهم :-

بما أن الصحابة - رضي الله عنهم - هم أعرف الناس بالتفسير بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد اعتمد المؤلف على تقاسيرهم، وأكثر النقل عنهم في الروايات، ومن أوجه أهمية تفسير الصحابي:

1. أن أقوالهم في أسباب النزول لها حكم الرفع، وكذلك أقوالهم في الأمور الغيبية لها حكم الرفع.

2. وقد نزل القرآن بلغتهم، فلهم القدرة على فهم القرآن، واستنباط الأحكام.

3. حجية قول الصحابي في التفسير وخصوصاً إذا لم يعارضه صاحب آخر أعلم منه في التفسير، وهذه الحجية متفاوتة بتفاوت علمهم بالتفسير، ففي المرتبة الأولى الخلفاء الأربع، والمرتبة الثانية: المكترون كابن عباس، وابن مسعود،

(1) ينظر: ص (264) من هذه الرسالة.

(2) ينظر: ص (120) من هذه الرسالة.

(3) ينظر: قوله معالم أي كتاب معالم السنن.

(4) ينظر: ص (193) من هذه الرسالة.

(5) ينظر: ص (137) من هذه الرسالة.

- وأبي هريرة، وعائشة - رضي الله عنهم أجمعين - .
4. بعض الصحابة بل الكثير منهم حظي بكتابه الوحي، وهذا يساعد على بيان النسخ والمنسخ وبيان المشكل، والمكي والمدني، وتخصيص العام.
5. خلو تفاسيرهم من التأويل المذموم.
6. قوة منهجيتهم، ومنها النقد المبكر والثبات من الرواية .

إضافة إلى اهتمام المؤلف وعناته بإيراد تفاسير الصحابة من أقوالهم، فهو تارة يسوق قول الصحابي مسندًا مختصراً بذكر الطريق كطريق الضحاك عن ابن عباس، وطريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وطريق العوفي عن ابن عباس، وذلك لبيان نقد السند، وأحياناً يذكر طريقاً ضعيفاً عن الصحابي ثم يردده بشاهد من الشعر كما في تفسير سورة النجم. عن ابن عباس في قوله ﴿عِنْهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ قال: جنة يأوي إليها جبريل قال الشاعر:

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو * * رأى غيره ما قد رآه لتاتها
وبهذا فقد سلك المؤلف مسلكاً في اختصار السند وذكر الطريق كي يتبيّن درجته من الصحة وهذا من المنهجية التي اتبّعها المؤلف في جانب تفسير الصحابة.

رابعاً - تفسير التابعين:

إن طبقة التابعين من المفسرين أخذت التفسير عن الصحابة - رضي الله عنهم - فمثلاً روى التفسير عكرمة ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وهؤلاء كلهم رووا التفسير عن ابن عباس وغيره من الصحابة، وأيضاً أبو العالية أخذ التفسير عن أبي بن كعب ومنهم من أخذ التفسير عن ابن مسعود - رضي الله عنهم - وقوة تفسيرهم تأتي بعد الصحابة من حيث القوة والتقدم ولهذا اعتمد المؤلف الكازروني على تفاسيرهم وأكثر النقل عنهم، وذلك للقيمة العلمية التي انتهجها المؤلف في تفسيره ومن أوجه هذه القيمة ما يلي:

1. قول النبي - صلى الله عليه وسلم - «خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ...»⁽¹⁾.

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد (2-938)، حديث رقم (5209).

2. أن التابعين لهم روایات في أسباب النزول لها حكم الرفع، وذلك إذا جاءت روایات بأسانيد ثابتة عن أكثر من تابعي، فإنها تقوى بعضها بعضاً، ويكون لها حكم الرفع.
3. إذا وردت الرواية الضعيفة عن الصحابي، فإن الرواية الصحيحة عن التابعي تقويها، وتكون كالشاهد لها إذا كان التابعي قد تلذ على الصحابي.
4. غزارة أقوالهم في التفاسير وخاصة في التفاسير كبيرة الحجم مثل تفسير الطبرى حيث يحتوى على كثرة الروايات من أقوال المفسرين من التابعين.
5. أكثر الأقوال الذين ينقل عنهم ينسبها إلى ابن عباس وقادة ومجاهد والسدى وابن جرير الطبرى، وابن أبي حاتم.
6. عندما يفسر آية يأتي بآية أخرى من القرآن يستشهد بها ثم يأتي بحديث، ثم يأتي بقول صحابي، أو أثر من المفسرين، وهذه الطريقة سائدة في أغلب تفسيره، وهذا مسلك شيخه الحافظ ابن كثير.

خامساً - التفسير اللغوي:

إن الاستفادة من التفسير بالقرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين أغذت المؤلف عن التفسير اللغوي في مجال غريب القرآن، فبعض غريب القرآن يروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وأغلبهم من قبائل عربية فصيحة، ولهذا يظهر أثر البيان اللغوي في تفسير المؤلف واضحًا جليًا مستشهدًا بالشعر العربي نقلًا عن دواوين الشعر، والمؤلف قد سار على طريقة شيوخه فاشتمل تفسيره على كثير من الرأي، والنقل، والسماع، فالمؤلف يهتم بالإعراب واللغة كاهتمامه بالرواية، وقد أخذ بهذه الرواية لأنها هي أساس التفسير، وتحت لوائها ينضوي علم أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ والتفسير النبوى، وتفاسير الصحابة والتابعين.

سادساً - المصادر التي اعتمد عليها:

أ. المصادر التي صرحت بها ذكر منها بعض الأمثلة:

1. تفسير ابن جرير (جامع البيان) وذلك عن تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿قَالَتِ

أَلَا أَعْرَابٌ أَمَّا قُلَّ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴿١٤﴾ وَأَنْ هُؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ الْمُذَكُورِينَ فِي الآيَةِ لَيْسُوا مَنَافِقِينَ، بَلْ مُسْلِمُونَ لَمْ يَسْتَحِكُمُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ، فَادْعُوا لِأَنفُسِهِمْ مَقَامًا أَعْلَى مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ فَأَدْبَوْا فِي ذَلِكَ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَطَائِفَةٌ وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

2. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ومثاله من الحديث: «إنِّي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَيْكُمْ، تَعْلَمُونَ أَنَّ الْمَعَادَ إِلَى اللَّهِ، إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ» رواه ابن أبي حاتم.

3. شرح السنة (البغوي) ومثاله في الحديث «إنِّي عَنِ الدِّينِ الْمُنْجَدِلِ فِي طِينِهِ وَسَبَبِهِ بِأَوَّلِ ذَلِكَ دُعَوَةِ إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةِ عِيسَى وَرَأْيَا أُمِّيَّةِ الْمَسَامِ».

4. كتاب الأم (الشافعي) ومثاله من الحديث «أَتَانِي جَبَرَائِيلُ بِمَرَأَةٍ بِيَضَاءِ فِيهَا نَكَّتٌ، فَقَلَّتْ «مَا هَذِهِ؟» فَقَالَ: هَذِهِ الْجَمْعَةُ فَضَّلْتُ بِهَا أَنْتَ وَأَمْتَكَ، فَالنَّاسُ لَكُمْ فِيهَا تَبَعُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى، وَلَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ، وَفِيهَا سَاعَةٌ لَا يَوْافِقُهَا مُؤْمِنٌ، يَدْعُوا اللَّهَ بِخَيْرٍ إِلَّا اسْتَجِيبُ لَهُ وَهُوَ عَنْنَا يَوْمَ الْمَزِيدِ».

5. شعب الإيمان (البيهقي) ومثاله وعن أبي موسى قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ مَنْ إِجْلَالَ اللَّهَ إِكْرَامُ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرُ الْغَالِي فِيهِ، وَلَا الْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامُ السُّلْطَانِ الْمَقْسُطِ» رواه أبو داود والبيهقي في شعب الإيمان.

بـ. المصادر التي لم يصرح بها:

1. تفسير الإمام مجاهد، ومثاله "لَا تَفْتَأِنُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِشَيْءٍ حَتَّى يَقْضِيهِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِهِ".

2. تفسير السدي، قال السدي "إِنَّ سَلْمَانَ الْفَارَسِيَّ كَانَ مَعَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي سَفَرٍ يَخْدِمُهُمَا وَيَخْفِ لَهُمَا وَيَنْتَلِعُ مِنْ طَعَامِهِمَا، وَأَنَّ سَلْمَانَ لَمَّا سَارَ النَّاسُ ذَاتَ يَوْمٍ، بَقِيَ سَلِيمَانُ نَائِمًا لَمْ يَسْرِ مَعَهُمْ، فَجَعَلَ صَاحِبَاهُ يَكْلِمَاهُ فَلَمْ يَجِدَاهُ، فَضَرِبَا الْخَبَاءَ".

وصف المخطوط

اعتمدت في تحقيق هذا العمل على نسخة واحدة، وهي نسخة مصورة عن مخطوط بمدينة اسطنبول، بمكتبة نور عثمان (تركيا)، وهي تقع في مجلد واحد، مصنفة تحت رقم إهداء عام: (384)، عدد لوحاته (582)، في كل لوحة صفتان، مقاييس كل صفحة 9 سم عرضاً، و14 سم طولاً.

المؤلف:

أبو المحامد عفيف الدين بن سعيد بن مسعود الكازروني (ت 785 هـ).

نوع الخط:

كتبت بالخط المشرقي وهو خط الثالث المائل إلى النسخ أحياناً.

الناسم:

محمد بن الشيخ إبراهيم بن محمود الحافظ الجولي الجهمي.

تاريخ النسخ:

نسخت في واحد وعشرين خلت من ثاني جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وتسعمائة.

عدد الأسطر في كل صفحة والكلمات:

عدد الأسطر ثلاثون سطراً تقريباً، وعدد الكلمات في كل سطر ست عشرة كلمة تقريباً.

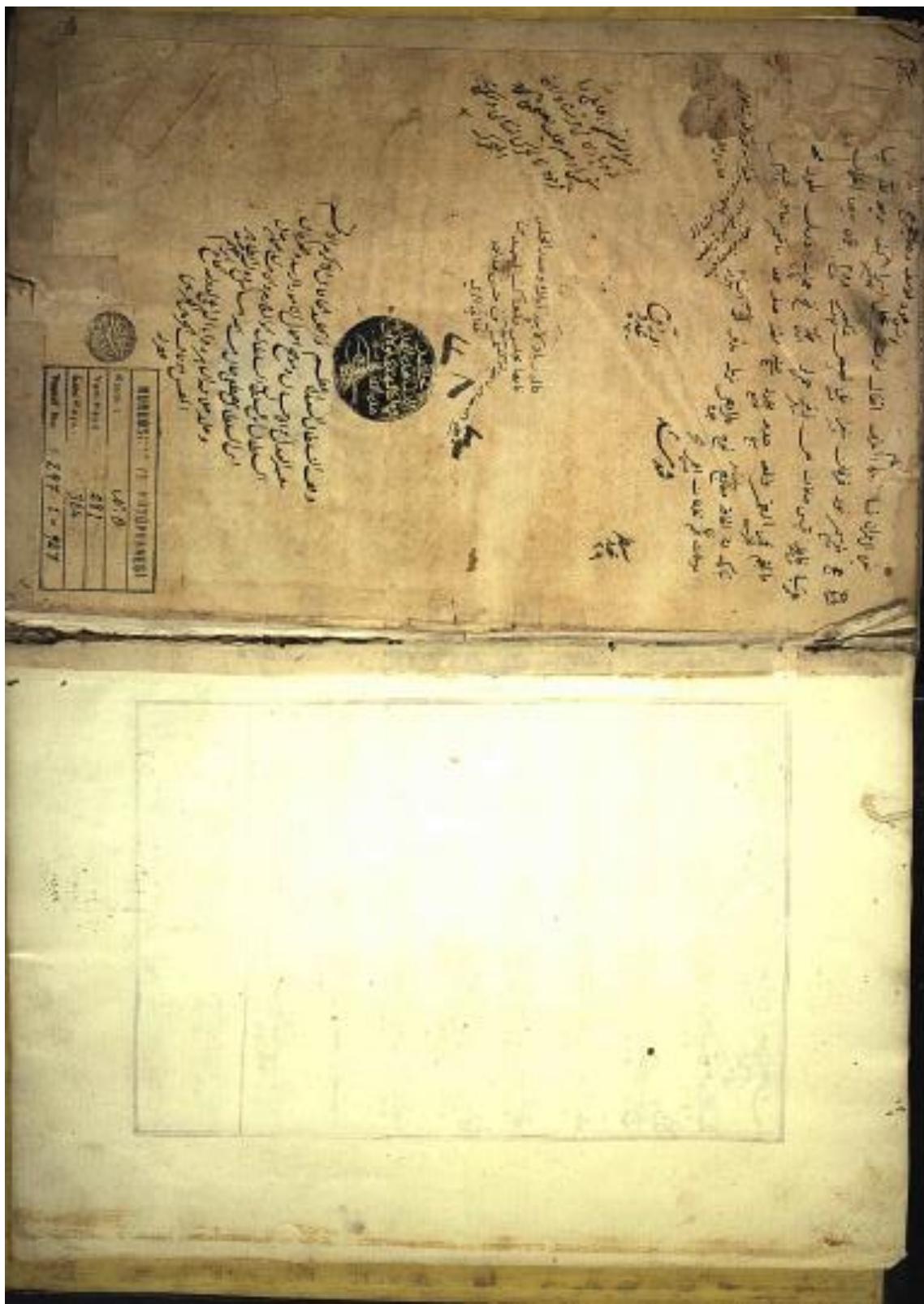
عدد اللوحات المراد تحقيقها:

واحد وخمسون لوحة.

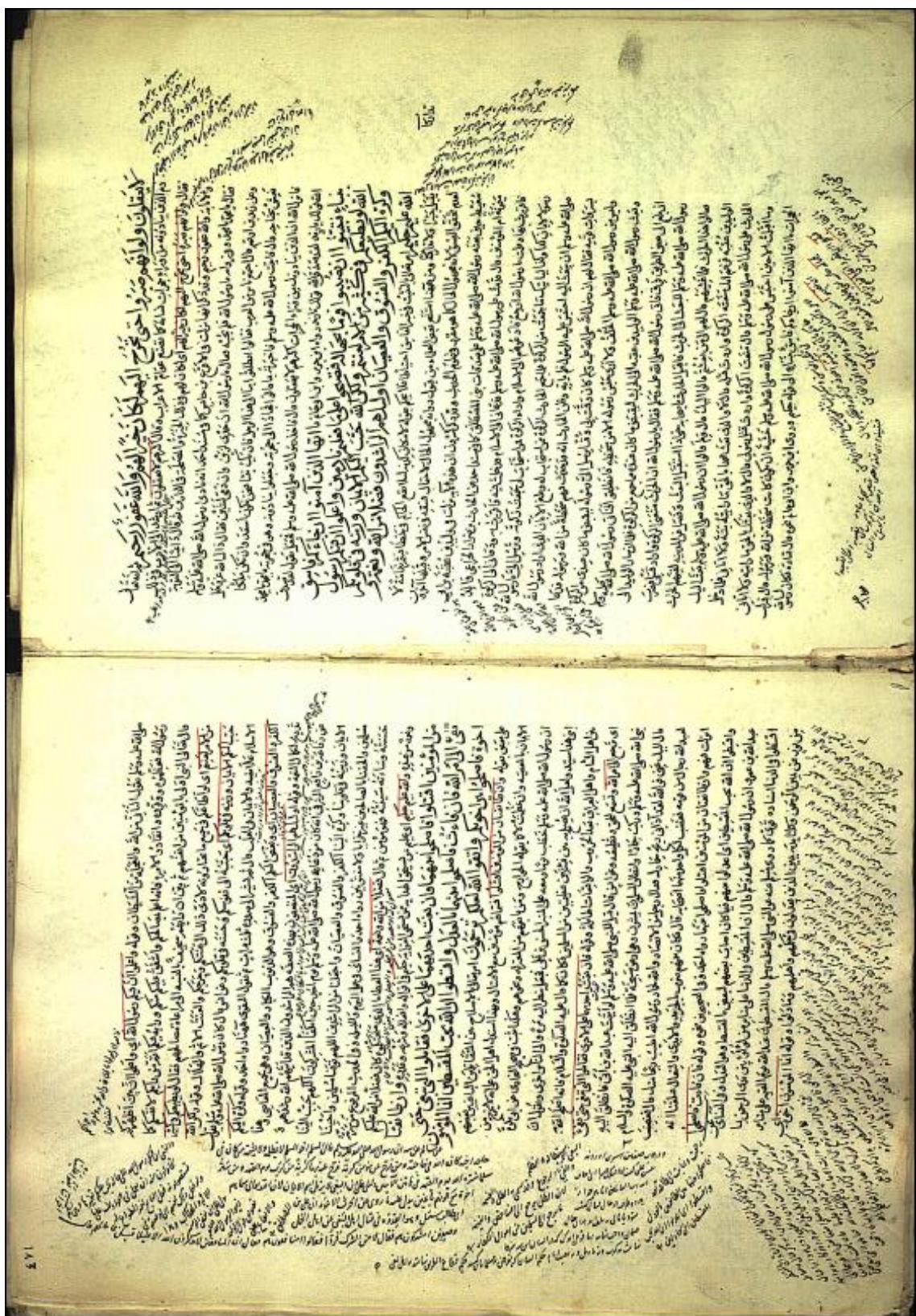
حالة المخطوط:

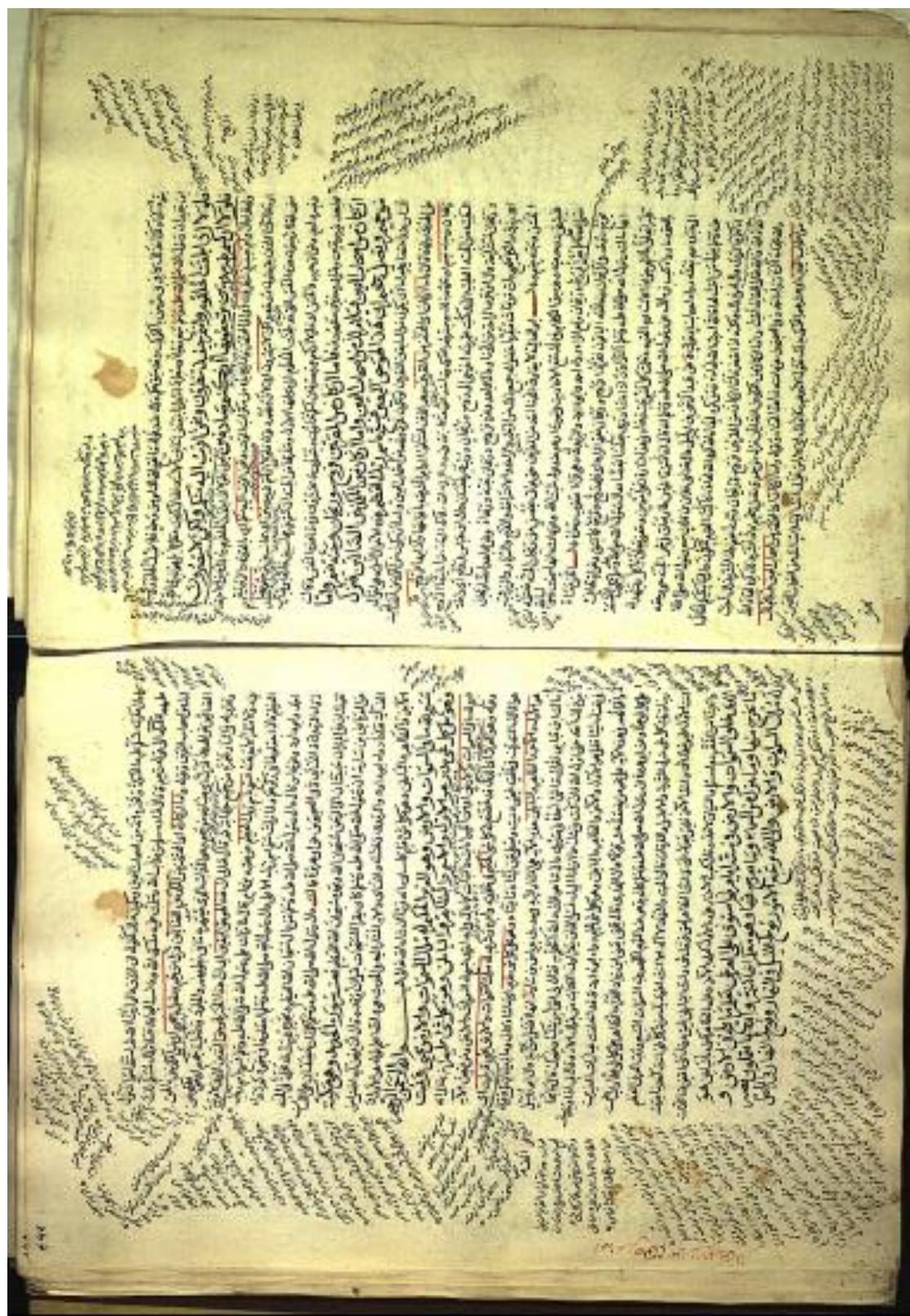
جيدة لا يوجد بها خرم أو ضياع.

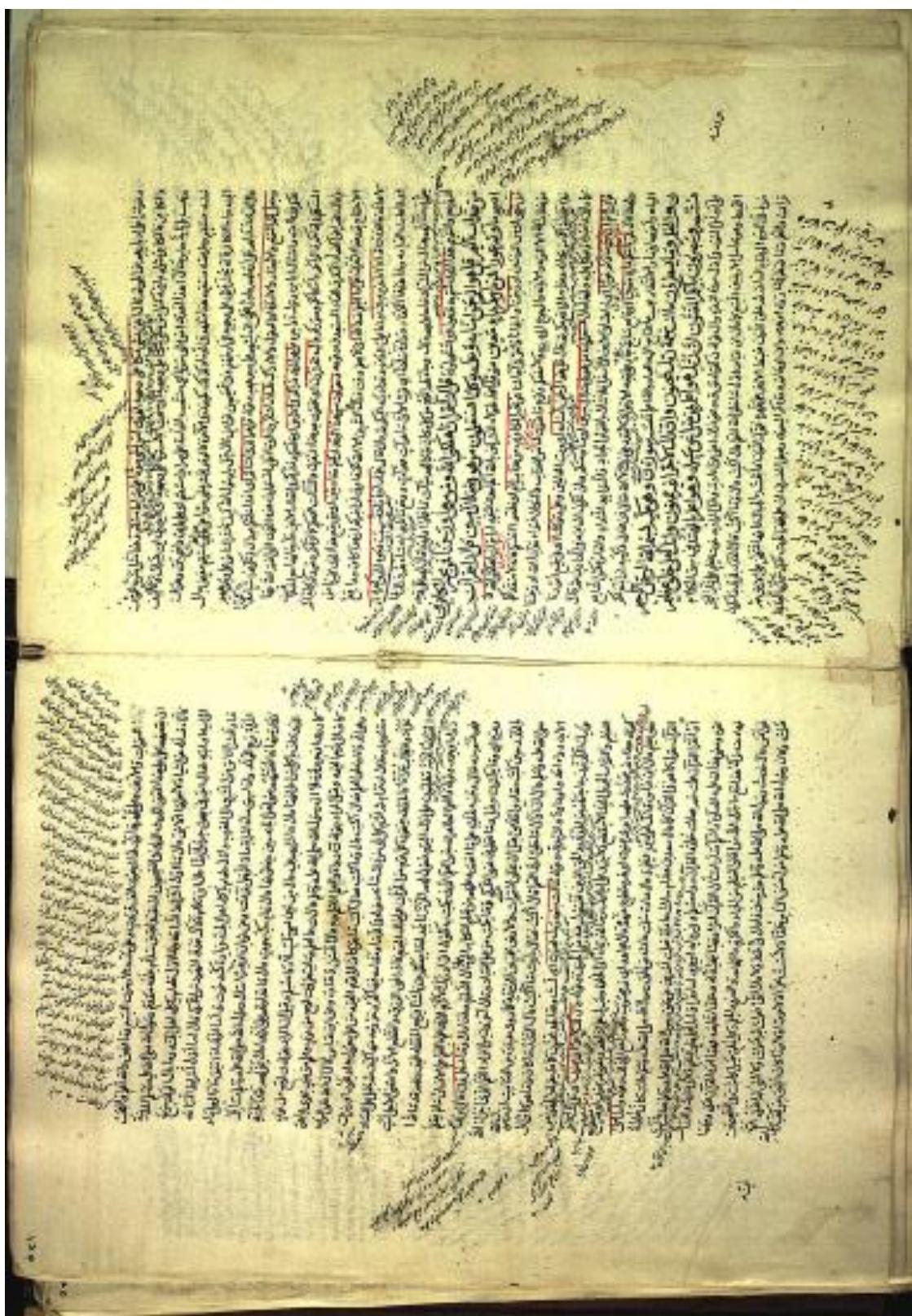
وقد أرفقت مع هذا الوصف عدة صور من المخطوط.

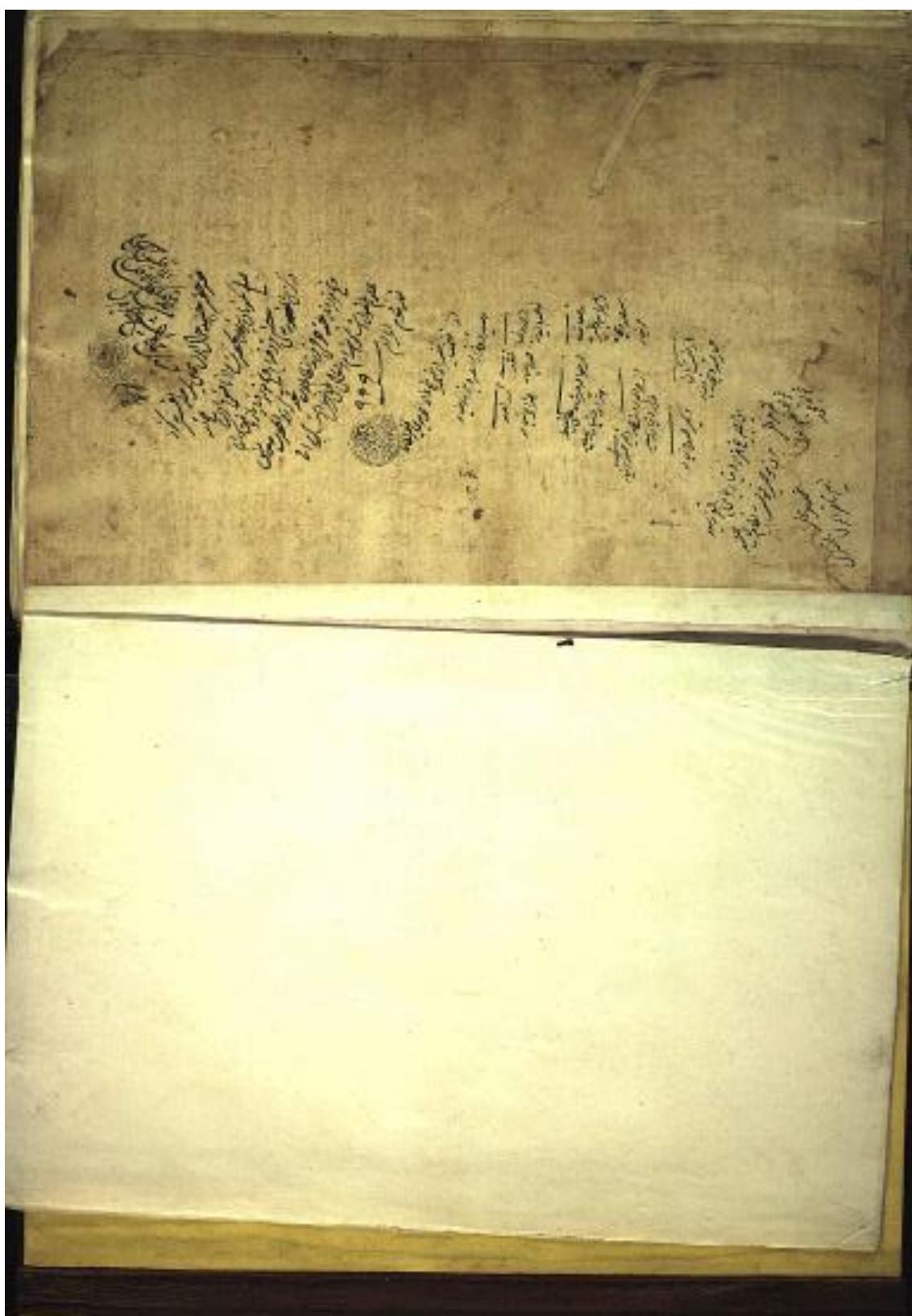


صفحة العنوان من مكتبة إسطنبول









القسم الثاني

تحقيق الجزء المختار من المخطوط

**من بداية سورة الحجرات إلى نهاية سورة التحريم
عدد اللوحات (51) لوحه .**

تفسير سورة الحجرات

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ظَاهَرُوا لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدِيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْمٌ ﴿١﴾
 يَأَيُّهَا الَّذِينَ ظَاهَرُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
 بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ
 رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾.

لقد أدب الله عباده المؤمنين، فيما يعاملون به الرسول - عليه الصلاة والسلام -
 من التوقير والإعظام.

قال: ﴿لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدِيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: لا تسرعوا في الأشياء بين يديه؛ أي أمامه وقادمه، يعني بين يدي أمرهما ونهيهما، بل كونوا تبعا له في جميع الأمور حتى دخل في عموم هذا الأدب حديث معاذ حيث قال له النبي - صلى الله عليه وسلم - حين بعثه إلى اليمن⁽¹⁾ «بم تحكم؟» قال: بكتاب الله قال: «إإن لم تجد؟» قال: بسنة نبيه رسول الله قال: «إإن لم تجد؟» قال: اجتهدرأيي، فضرب في صدره وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله - لما يرضي رسول الله». رواه أحمد وأبو داود⁽²⁾ والترمذى⁽³⁾.

(1) اليمن: وهي إحدى الدول التي انتشر فيها الإسلام في عصر النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن سواحلها عدن وصنعاء والمندب وغيرها من المدن ويوجد فيها كثير من قبائل العرب الذين سكنوا باليمن معجم البلدان (35/1).

(2) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، محدث حافظ فقيه، حدث عن أبي عمر الضرير، ومسلم بن إبراهيم القضبي وغيرهم، حدث عنه الترمذى والنمسائى وابنه أبو بكر وغيرهم، من مصنفاته كتاب السنن، لأحمد بن حنبل عن الرواية والنقائات، (ت 275 هـ)، تهذيب التهذيب (4/149)، وشذرات الذهب (2/166).

(3) أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى، حافظ محدث حدث عن قتيبة بن سعيد، وأبي مصعب، وإبراهيم المهدوى، وغيرهم حدث عنه مكحول بن الفضل محمد بن عنبر، وحامد بن شاكر، وغيرهم، من مصنفاته: الجامع الصحيح، الشمائى فى شمائى النبي - صلى الله عليه وسلم -، والعلل فى الحديث، ت 279 هـ. ميزان الاعتدال (678/3)، وشذرات الذهب (3/327)، وتنكرة الحفاظ (2/634)، ومعجم المؤلفين (3/134).

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (36/333)، حديث رقم (22007)، وأبي داود في سننه، باب اجتهاد الرأي في القضاء (2/3592) حديث رقم (327/2)، والترمذى في سننه، كتاب الأحكام، باب ما جاء في القاضي كيف يقضى (5/301).

حديث رقم (1377) وضعفه، ووافقه الألبانى في السلسلة الضعيفة (2/380) حديث رقم (881).

فآخر معاذ رأيه واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة، ولو قدمه عليهما لكان من باب التقدم بين يدي الله ورسوله.

قال ابن عباس:⁽¹⁾ أي "لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة" وعنـه أيضـاً، نـهـوا أن يتكلـموا بين يـدـيـ كـلـامـه⁽²⁾.

وقـالـ مجـاهـدـ:⁽³⁾ أي لا تـقـنـتـانـواـ عـلـىـ رـسـوـلـ اللهـ -ـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ -ـ بـشـيـءـ حتـىـ يـقـضـيـهـ اللهـ عـلـىـ لـسـانـهـ⁽⁴⁾.

وقـالـ الضـحـاكـ:⁽⁵⁾ لا يـقـضـواـ أـمـرـاـ دـوـنـ اللهـ وـرـسـوـلـهـ مـنـ شـرـائـعـ دـيـنـكـ⁽⁶⁾ وـقـالـ الحـسـنـ:⁽⁷⁾ لا تـدـعـواـ قـبـلـ الإـمـامـ .

﴿وَأَنْقُوا أَلَّهَ﴾ أي: فيما أمركم به، **﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾** أي: لآقوالكم **﴿عَلِيمٌ﴾** بنياتكم.

وقـولـهـ: **﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾** هذا أدـبـ ثـانـ أدـبـهمـ اللهـ أـنـ لا يـرـفـعواـ أـصـواتـهـمـ بـيـنـ يـدـيـ النـبـيـ -ـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ -ـ فـوـقـ صـوـتـهـ . وقد روـيـ أنهاـ نـزـلتـ فـيـ الشـيـخـيـنـ أـبـيـ بـكـرـ،ـ وـعـمـرـ -ـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـماـ -ـ كـمـ قالـ

(1) عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس ابن عم الرسول، أمـهـ أمـ الفـضـلـ بـنـتـ الحـارـثـ، ولـدـ وـبـنـوـ هـاشـمـ بـالـشـعـبـ قـبـلـ الـهـجـرـةـ، وـتـوـفـيـ وـهـوـ فـيـ الطـائـفـ وـعـمـرـهـ إـحـدـىـ وـسـبـعـونـ سـنـةـ، تـ68ـهـ، الإـصـابـةـ 4/90ـ، وـشـذـراتـ الـذـهـبـ (1) 294/1ـ.

(2) يـنـظـرـ: جـامـعـ الـبـيـانـ فـيـ تـقـسـيرـ الـقـرـآنـ لـطـبـرـيـ (21/336ـ335ـ).

(3) أبو الحجاج مجاهد بن جبر مولى مخزوم تابعي، كان أعلمهم بالتقسيـرـ، المـقرـئـ المـفـسـرـ أحدـ الأـعـلامـ الأـثـيـاثـ، قـرـأـ عـلـىـ عـبـدـ اللهـ بـنـ السـائبـ، وـعـبـدـ اللهـ بـنـ عـبـاسـ، مـاتـ بـمـكـةـ وـهـوـ سـاجـدـ، (تـ103ـهـ) طـبـقـاتـ الفـقـهـاءـ 1/69ـ، وـمـيزـانـ الـاعـتدـالـ 3/439ـ، وـغـاـيـةـ النـهـاـيـةـ 3/164ـ، وـشـذـراتـ الـذـهـبـ 2/19ـ.

(4) جـامـعـ الـبـيـانـ (21/336ـ)، وـمـعـالـمـ التـنـزـيلـ (7/334ـ)، وـتـقـسـيرـ مجـاهـدـ (610ـ).

(5) الضـحـاكـ بـنـ مـزـاحـمـ الـبـلـخـيـ المـفـسـرـ وـيـقـالـ أـبـوـ مـحـمـدـ الـهـلـالـيـ الـخـرـسـانـيـ، وـرـدـ عـنـهـ الرـوـاـيـةـ فـيـ حـرـوفـ الـقـرـآنـ، تـابـعـيـ حدـثـ عـنـ أـبـيـ سـعـيدـ الـخـرـيـ، وـأـنـسـ بـنـ مـالـكـ، وـسـعـيدـ بـنـ جـبـيرـ، فـأـخـذـ عـنـهـ التـقـسـيرـ وـقـدـ عـرـفـ بـالـتـقـسـيرـ، وـرـوـىـ لـهـ الـأـرـبـعـةـ، تـ105ـهـ مـيزـانـ الـاعـتدـالـ 2/326ـ، وـغـاـيـةـ النـهـاـيـةـ 1/333ـ، وـالـوـافـيـ بـالـوـافـيـاتـ 5/258ـ.

(6) يـنـظـرـ: جـامـعـ الـبـيـانـ لـابـنـ جـرـيرـ الـطـبـرـيـ (21/337ـ).

(7) الحـسـنـ الـبـصـريـ هوـ الإـمـامـ الـمـشـهـورـ المـجـمـعـ عـلـىـ جـلـالـتـهـ فـيـ كـلـ فـنـ، أـبـوـ سـعـيدـ الـحـسـنـ بـنـ أـبـيـ يـسـارـ التـابـعـيـ الـبـصـريـ بـفـتـحـ الـبـاءـ الـأـنـصـارـيـ مـوـلـاـهـ مـوـلـاـهـ زـيـدـ بـنـ ثـابـتـ وـأـمـهـ اـسـمـهـاـ خـيـرـةـ مـوـلـاـهـ لـأـمـ سـلـمـةـ أـمـ الـمـؤـمـنـيـنـ، وـلـدـ الـحـسـنـ فـيـ خـلـاقـةـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ وـكـانـ يـمـتـازـ الـفـصـاحـةـ وـالـحـكـمةـ، (تـ110ـهـ). تـهـذـيبـ الـأـسـمـاءـ وـالـلـغـاتـ (1/226ـ).

ابن أبي مليكة⁽¹⁾ كاد الخيران أن يهلكا، أبو بكر وعمر رفعا صوتهم عند النبي - صلى الله عليه وسلم - حين قدم عليه ركببني تميم⁽²⁾، فأشار أحدهما بالأقرع بن حabis⁽³⁾، أخيبني مجاشع⁽⁴⁾، وأشار الآخر برجل آخر، فقال أبو بكر لعمر - رضي الله عنهما - ما أردت إلا خلفي، قال: ما أردت خلافك، فارتقت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الآية.

فما كان عمر - رضي الله عنه - يسمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد هذه الآية حتى سيفهمه رواه البخاري⁽⁵⁾⁽⁶⁾.

ثم قال أبو بكر - رضي الله عنه - يا رسول الله، والله لا أكلم إلا أخي السرار⁽⁷⁾ رواه البزار⁽⁸⁾.

وعن أنس بن مالك⁽⁹⁾ - رضي الله عنه - قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَأَيُّهَا

(1) الإمام شيخ الحرمين أبو بكر وأبو محمد عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة بالتصغير ابن عبدالله بن جدعان، يقال اسمه أبي مكلاة زهير، التميي المدنى، أدرك ثلاثة من الصحابة ثقة، فقيه من الثالثة مات سنة سبع عشرة هجرية.

(2) بنو تميم هم قبائل متفرقة في جميع العرب ونذكر نسببني تميم في عمان ومن النزار بعمان وبنو تميم بن أد طانحة بن مضر بن نزار بن عذان وقبائل تميم وبطونها كثيرة بل أكثر العرب .إسعاف الأعيان (18/1).

(3) الأقرع بن حابس بن عقال بن سفيان التميمي المجاشع، شهد فتحمكة وحنين والطائف وهو من المؤلفة قلوبهم، قيل اسمه فليس وإنما قيل له الأقرع لقمع كان برأسه وكان شريفا في الجاهلية والإسلام وقتل الأقرع في معركة اليرموك في عشرة من بنبيه، (ت 51هـ)، الإصابة (58/1).

(4) بنو مجاشع بن دارم ولد مجاشع بن دارم سفيان بن مجاشع وأمه شراف بن بهلة بن عوف بن كعب بن سعد وثعلبة بن مجاشع فمنبني مجاشع الأقرع بن حابس باسم الأقرع فراس وكان في رأسه قرع. أنساب الأشراف (90/4).

(5) أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، إمام المحدثين كان مولده سنة 194هـ، سمع من: أبي عاصم النبيل، مكي بن إبراهيم، عبيد الله بن موسى، وغيرهم، سمع منه: أبوالعباس السراج، أبو بكر بن خزيمة، مسلم بن الحاج وغيرهم، ت 256هـ، ينظر: ذكرة الحفاظ 2/555، شذرات الذهب (3/255).

(6) أخرجه البخاري بالجامع الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب ما يكره من التعمق والتنازع (2/2662)، حديث رقم (6872).

(7) أي أصحاب السرار أو كمثل المساررة لخض الصوت والكاف صفة لمصدر محذف، النهاية في غريب الأثر (912/2).

(8) أخرجه البزار في مسنه، باب (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ). (1/135) حديث رقم (104)، هذا الحديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه، المستدرك على الصحيحين، (2/501) حديث رقم (3720).

(9) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الأنباري الخزرجي، خادم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان يكنى بأبا حمزة كناه النبي بيقلة كان يجتبيها وكان يخضب بالصفوة وقيل بالحناء روى عنه رجال الحديث 2286 حديثاً، مولده بالمدينة وهو آخر من مات من الصحابة، (ت 93هـ)، أسد الغابة 1/79، وشذرات الذهب 1/365.

أَلَّذِينَ عَامَّنَا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ الْنَّبِيِّ ﴿إِلَى آخر الآية﴾ جلس ثابت بن قيس⁽¹⁾ في بيته وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لسعد بن معاذ⁽²⁾: (يا أبا عمر وما شأن ثابت أيشتكى؟) قال سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكوى.

قال: فأنا سعد فذكر له قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمت أنني من أرفعكم صوتا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «بل هو من أهل الجنة» رواه مسلم⁽³⁾ وللبخاري مثله مبسوطا⁽⁴⁾.

والصحيح أن سعد بن معاذ لم يكن حيئذ حيا كما في رواية أخرى لمسلم، وليس فيها ذكر سعد فكان رجلا غير مسمى كما في البخاري .

قيل اسمه عاصم بن عدي،⁽⁵⁾ قال: فـقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(1) ثابت بن شناس بن امرئ القيس الخزرجي، ويقال له أبو محمد المدنى خطيب النبي - صلى الله عليه وسلم -، استشهد باليمامية في خلافة أبي بكر الصديق سنة 12 هجري شهد بدرًا دخل عليه النبي وهو عليل فقال اذهب البأس رب الناس عن ثابت بن قيس ت 12 هـ تهذيب التهذيب 2/11، الوافي في الوفيات 1/1483.

(2) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس الأوسى الانصارى، صحابي جليل من المدينة، كانت له سيادة الأوس، وحمل لواءهم يوم بدر، وشهد أحداً، مات ودفن بالبقيع، اهتز لموته عرش الرحمن ت 55 هـ، الإصابة 78/3، شذرات الذهب 1/122.

(3) مسلم بن الحاج بن مسلم القشيري، من أشهر علماء الحديث، سمع من: يحيى بن يحيى، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم، سمع منه: الترمذى، وأبوعوانة ابن صاعد، وغيرهما، من مصنفاته: المسند الكبير، وتنمية شيخ مالك وسفيان وشعبة، وكتاب أولاد الصحابة، (ت 261 هـ)، ينظر: تذكرة الحفاظ 588/2، وشذرات الذهب 3/270)، والأعلام 2/221).

(4) أخرجه مسلم، في الجامع الصحيح كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحيط عمله (394/1) رقم الحديث (329)، والبخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب **﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ الْنَّبِيِّ**، (1538/3)، حديث رقم (4846) واللفظ لمسلم.

(5) عاصم بن عدي بن العجلان بن ضبيعة حليف الأنصار كان سيد بنى عجلان، وهو أخو معن بن عدي ويكنى بأعمر ويقال أبا عبد الله، وانقووا على ذكره في البدررين، استخلفه النبي على العالية بالمدينة، وكذلك على أهل قباء، شهد أحد وما بعدها مات - رضي الله عنه - (ت 45 هـ)، الإصابة 5/4)، شذرات الذهب 1/238).

اذهب فادعه لي، فذهب عاصم فقال: إن رسول الله - صلى الله عليه و سلم- يدعوك فأتيك النبي - صلى الله عليه و سلم- فقال له: « أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة؟» فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله، ولا أرفع صوتي أبداً على صوت رسول الله - صلى الله عليه و سلم- فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْصُّونَ أَصْوَاتَهُم﴾⁽¹⁾ الآية رواه بن جرير⁽²⁾ والغض الخفظ، ورد ذكر هذه أبسط من هنا، غير واحد من التابعين.

فقد نهى الله عن رفع الصوت بحضوره رسول الله - صلى الله عليه و سلم- ويكره عند حجرته، كما كان يكره في حياته؛ لأنه حي في قبره، ثم نهى عن الجهر له بالقول، كما يجهر الرجل لمخاطبه، بل يخاطب بسکينة ووقار، وتعظيم.

ولهذا قال: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرٍ بَعْضُكُمْ لِيَعْضِّ﴾ كما قال: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْتَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾⁽³⁾.

وقوله: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي: إنما نهيتكم عن رفع الصوت عنده، خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله لغضبه، وتحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري، ثم ندب الله - سبحانه - إلى خفض الصوت عنده، وحثّ على ذلك، وأرشد إليه، ورغب فيه فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْصُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ أي: أخلصها له وجعلها أهلاً ومحلاً ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَآخِرٌ عَظِيمٌ﴾.

وعن مجاهد قال: كتب إلى عمر - رضي الله عنه - يا أمير المؤمنين، رجل لا يشتهي المعصية، ولا يعمل بها أفضل، أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها؟ فكتب

(1) ينظر: المعجم الكبير (67/2)، من طريق ثابت بن قيس، والمصنف، باب أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - (239/11)، حديث رقم (20425)، والطبراني في جامع البيان (280/22)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (891/13)، حديث رقم (6398).

(2) محمد بن جرير بن يزيد الطبراني، من كبار أئمة الاجتهاد، وهو من أهل طبرستان، من تصانيفه: كتاب التاريخ، وكتاب التبصرة، وكتاب التفسير المشهور بتفسير الطبراني، (ت 310هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء 298/27، وتنكرة الحفاظ (710/2)، ووفيات الأعيان (191/4).

(3) سورة النور، الآية/63.

عمر - رضي الله عنه - ((إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها)) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ فُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادِونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُّرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَابَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾⁽²⁾.

ثم إنه - تعالى - نم الذين بنا دونه من وراء حجرات نائه، كما تصنع عوام الأعراب وقال: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾، ثم أرشد إلى الأدب في ذلك، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَابَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ أي: لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدارين، ثم قال داعيا إلى التوبة والإنابة: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقد ذكر أنها نزلت في الأقرع بن حabis⁽²⁾ ، كما في مسند أحمد، أنه نادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا محمد، وفي رواية: يا رسول الله، فلم يجبه، فقال: يا رسول الله إن حمدي لزين، وإن ذمي لشين، فقال: «ذاك الله عز وجل»⁽³⁾ وعن زيد بن أرقم⁽⁴⁾ قال: اجتمع ناس من العرب فقالوا: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فإن يكن نبيا فنحن أسعد به، وإن يكن ملكا نعيش بجناه.

قال: فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته بما قالوا: فجاءوا إلى حجرته وجعلوا ينادونه وهو في حجرته: يا محمد يا محمد.

فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادِونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُّرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قال

(1) ينظر: الدر المنشور (552/7)، ومعناه الاختيار والتجربة، والأصل اللغوي فيه هو إذابة الذهب ليخلص إبريزه من الخبث وينتقى من الدنس حتى يكون ذهبا خالصا بعد أن تكون النار قد أذابتة، أخرجه المتنقي الهندسي في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، باب سورة الحجرات (612/2).

(2) الأقرع بن حabis بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن مالك بن تميم قدم على النبي بعد فتح مكة وشهد مع النبي فتح مكة وحنيناً وحضر الطائف وقد شهد الأقرع مع خالد بن الوليد حرب العراق، وكان شريفا في الجاهلية وفي الإسلام، أسد الغابة (67/1).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنه (369/25) حديث رقم (15991)، والترمذى في سننه، كتاب التفسير، باب أول الكتاب، حديث رقم (2605)، وصححه الألبانى في صحيح سنن الترمذى، حديث رقم (3267).

(4) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان الخزرجي، اختلف في كنيته، قيل أبو عمر وقيل أبو عامر، شهد سبع عشرة غزوة مع النبي - صلى الله عليه وسلم - (ت 66هـ) الإصابة (21/3)، وشذرات الذهب (291/1).

فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجعل يقول: «لقد صدق الله قولك يا زيد، لقد صدق الله قولك يا زيد» رواه بن جرير وابن أبي حاتم⁽¹⁾.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِتَبِعًا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَدِيمِينَ ۝ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيهِمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْيُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعْنِتُمْ وَلَكُنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفَرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصَيَانَ أُوتَيْتُكُمْ هُمُ الْرَّاشِدُونَ ۝ فَضْلًا مِّنْ اللَّهِ وَنِعْمَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

أمر - تعالى - بالتبث في خبر الفاسق احتياطاً فلا يحكم بقوله؛ لإمكان كذبه لئلا يقع الحكم في خطأ فيثمر ندامة لا يقبل جبرا ولا تداركا، ومن هنا امتنع بعض العلماء من قبول رواية مجھول الحال؛ لاحتمال فسقه في نفس الأمر، وقبلها آخرون لعدم تحقق الفسق؛ لأنّه مجھول الحال، كما هو مقرر في علوم الحديث، وقد ذكر كثيرون أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط⁽³⁾ حين بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على (صدقات بنى المصطلق)⁽⁴⁾.

كما في مسند أحمد عن الحارث بن ضرار الخزاعي⁽⁵⁾ - رضي الله عنه - والد ميمونة أم المؤمنين⁽⁶⁾ - رضي الله عنها - قال قدمت على رسول - صلى الله عليه

(1) أبوحاتم محمد بن جبان أحمد، مؤرخ ومحدث، حديث عن الحسين الهروي، وأبي خليفة الجمحي، وأبي عبدالرحمن النسائي، وغيرهم، حديث عنه الحاكم ومنصور الخالدي، وأبو معاد عبد الرحمن رزق الله، من مصنفاته: المسند الصحيح، روضة العلاء، (ت354هـ)، ينظر: تذكرة الحفاظ/89، 90، وشذرات الذهب/16، وطبقات الشافعية 131/3، ومعجم المؤلفين(9/173).

(2) أخرجه الطبراني، كتاب المعجم الكبير (210/5)، حديث رقم (5123) وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره عن زيد بن أرقم (3302)، حديث رقم (18607)، وابن معين في جامع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد، (3/201) حديث رقم (7226).

(3) الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي أمية بن شمس بن عبد مناف، له صحبة قليلة ورواية يسيرة وهو أخو أمير المؤمنين عثمان لأمه، بعثه النبي على صدقات بنى المصطلق روى عنه أبو موسى الشعبي وولي الكوفة لعثمان، ثم اعتزل بالجزيرة بعد مقتل أخيه عثمان. ت46هـ، سير أعلام النبلاء (3/413، 414)، وأسد الغابة (108/3)، وشذرات الذهب (1/286).

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (4/279) والطبراني وابن جرير والواحدي وغيرهم بأسانيد متصلة ولا يخلوا المتصل منها من ضعف.

(5) الحارث بن ضرار بن حبيب بن المصطلقي الخزاعي، والد جويرية أم المؤمنين وقيل إنه جاء إلى المدينة ومعه فداء ابنته بعد أن أسرت، وتزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأسلم أمما النبي ومعه ابنان له وناس من قومه الإصابة/1، وأسد الغابة (1/212).

(6) ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلايلية أخت أم الفضل تقدم نسبها مع أختها وميمونة أم المؤمنين كان اسمها برة فسماها النبي - صلى الله عليه وسلم - ميمونة وتزوجها النبي في ذي القعدة سنة سبع وتزوجها بعد صفية وكانت =

وسلم - فدعاني إلى الإسلام فد خلت فيه فأقررت به، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت: يا رسول الله أرجع فأدعوههم إلى الإسلام، وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته، وترسل إلي يارسول الله رسولا لإبان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة.

فلا جمع للحارث الزكاة ومن استجاب له، وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول فلم يأته وظن الحارث، أنه قد حدث فيهم سخطه من الله ورسوله، فدعا بسرورات⁽¹⁾ قومه فقال لهم إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان وقت لي وقتاً يرسل إلى رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخلف ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطه فانطلقوا فنأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد إلى أن بلغ إلى بعض الطريق فرق؛ فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال يارسول الله إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتي فضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للبعث إلى الحارث فأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث، وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث فلما غشיהם قال لهم: إلى من بعثتم؟

قالوا: إليك. قال ولم؟ قالوا: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعته الزكاة، وأردت قتيه. قال: لا والذى بعث محمداً بالحق ما رأيته بتةً ولا أتاني فلما دخل الحارث على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟)⁽²⁾.

قال: لا والذى بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وما أقبلت إلا حين احتبس على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خشية أن تكون سخطة من الله ورسوله .

= عند أبي رهم وينا لها بيتاً في القبة وماتت بها. الإصابة (150/8).

(1) بسرورات: سروات والسراة، وزان الحصاة جبل أوله قريب من عرفات ويمتد إلى حد نجران اليمن، وسرى المال خيارة وسراته، وسراة الطريق وسطه ومعظمها والسارية السحابة تأتي ليلاً. المصباح المنير (1) (276/1).

(2) أخرجه ابن معين، كتاب جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد (7/108) حديث رقم (11350)، وصححه الألباني السلسلة الصحيحة الكاملة (9/16).

قال: فنزلت الحجرات: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبِإِ﴾ إلى قوله: ﴿حَكِيمٌ﴾.

وروي ابن جرير، وابن أبي حاتم⁽¹⁾ نحوه قال قتادة⁽²⁾ فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «التاني من الله والعجلة من الشيطان»⁽³⁾.

وقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيهِمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: واعلموا أن بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه وانقادوا لأمره، فإنه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم .

كما قال تعالى: ﴿الَّذِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾⁽⁴⁾ ثم بين أن رأيهم سخيف بالنسبة إلى مراعاة مصالحهم.

فقال: ﴿لَوْيُطِيعُوكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعِنْتُمْ﴾ أي: لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لأدى ذلك إلى عنتم وحرجكم، والعن特 الإثم والهلاك.

وقوله: ﴿وَلَكَنَ اللَّهُ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: حبه إلى نفوسكم وحسنه في قلوبكم.

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «الإسلام علانية، والإيمان في القلب - قال: ثم يشير إلى صدره ثلات مرات ثم يقول - النقوى هنا». رواه أحمد⁽⁵⁾.

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (403/30)، حديث رقم (18459)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة الكاملة (16/9).

(2) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر بن أوس الأنصاري، يكنى أبا عمرو وقيل: أبو عبد الله وهو أخو أبي سعيد الخدري لأمه، شهد العقبة وبدرًا وأحداً والمشاهد كلها مع النبي - صلى الله عليه وسلم - توفي سنة ثلاثة وعشرين، أسد الغابة (4/379).

(3) أخرجه أبي يعلى في مسنده (7/248)، والعجلوني في كشف الخفاء (1/295)، حديث رقم (943)، وكتنز العمال (3/99)، حديث رقم (5680)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع حديث رقم (2504).

(4) سورة الأحزاب، الآية/6.

(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (3/34)، حديث رقم (12404)، نفرد به على بن مسدة، وابن أبي شيبة في المصنف (5/6) وأبو يعلى في مسنده (301/5)، والبخاري في التاريخ (3/294) قال فيه نظر، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، حديث رقم (6906).

وقوله: ﴿وَكَرَّةٌ إِلَيْكُمُ الْكُفْرُ وَالْفُسُقُ وَالْعِصْيَانُ﴾ أي: وبغض إليكم الكفر والفسق، وهي الذنوب الكبار ﴿وَالْعِصْيَانُ﴾، وهي جميع المعاشي وهذا تدريج لكمال النعمة. قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ أي: المتصفون بهذه الصفة، هم الراشدون الذين قد آتاهم الله رشدهم.

وعن رفاعة بن نافع الزرقى⁽¹⁾، أنه كان من دعاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد حين انكفاء المشركين «اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا. وكره إلينا الكفر والفسق والعصيان واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين، وأحياناً مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين» رواه أحمد والنسيانى⁽²⁾ في عمل اليوم والليلة.

وفي الحديث المرفوع «من سرته حسنة وساء ته سبئته فهو مؤمن»⁽³⁾.

ثم قال: ﴿فَضْلًا مِّنْ أَنْ لَهُ وَنِعْمَةً﴾ أي: هذا العطاء الذي منحكموه كان فضلاً من الله عليكم ونعمه من عنده.

﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية، حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

﴿وَإِنْ طَالِيقَتِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَثُ إِحْدَاهُمَا عَلَىٰ أَخْرَىٰ فَقَاتِلُوا أَلَّا يَتَبَغِي حَقِّيَ تَفْيِءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَأَءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ⑤ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ ⑥﴾.

(1) رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن الأنصاري الزرقى، وأمه أم مالك بنت أبي بن سلول يكنى أباما عاد، شهد بدراً وأحداً وسائر المشاهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واختلف في شهود أبيهم رافع بن مالك بدراً توفي في أول إماراة معاوية. لاستعاب (1/297).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (247/24) حديث رقم (15492)، والنسيانى في سننه، باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين للخبر، (156/6) حديث رقم (9225)، وصححه الألبانى صحيح وضعيف سنن الترمذى، حديث رقم (2165).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (424/3) حديث رقم (15531)، والنسيانى في سننه، باب الاستتصار عند اللقاء حديث رقم (10445)، والبخارى فى الأدب المفرد، باب دعوات النبي - صلى الله عليه وسلم -

(1) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير وزيادته (11240/1) حديث رقم (11240).

أمر - تعالى - بالإصلاح بين المتقائلين الباغين بعضهم على بعض بقوله: ﴿وَإِنْ طَآيِقَتَانِ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا﴾، فسماهم مؤمنين مع الاقتال، وبهذا استدل أهل الحق على أنه لا يخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقول الخوارج ومن تابعهم من المعزلة ونحوهم، وهكذا ثبت في صحيح البخاري.⁽¹⁾

عن أبي بكرة⁽²⁾ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطب يوماً، ومعه على المنبر الحسن بن علي - رضي الله عنهما - فجعل ينظر إليه مرة، وإلى الناس أخرى ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فتئين عظيمتين من المسلمين»⁽³⁾. فكان كما قال: - عليه الصلاة والسلام - فإنه أصلح الله به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب والواقعات الهائلة.

وقوله: ﴿فَإِنْ بَغَثُتِ إِحْدَىٰهُمَا عَلَىٰ الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوهُ أَلَّاٰ تَبْغِيَ حَتَّىٰ تَفِئَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾. وتسمع للحق وتطيعه.

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قيل للنبي - صلى الله عليه وسلم - لو أتيت عبد الله بن أبي، فانطلق النبي الله - صلى الله عليه وسلم - وركب جواداً وانطلق المسلمون يمشون، وهي أرض سبخة، فلما انطلق إليه النبي - عليه الصلاة والسلام -. قال:

قال: (إليك عنّي فوالله لقد آذاني ريح حمارك) فقال: رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله أطيب منك. قال: فغضب عبد الله رجال من قومه، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، قال: فكان بينهم ضرب بالجريدة والأيدي والنعال، وبلغنا أنه أنزلت فيهم: ﴿وَإِنْ طَآيِقَتَانِ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ رواه أحمد وفي

(1) الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، من أهم كتب الحديث، وأصح كتاب بعد كتاب الله - تعالى -، وهو أول الكتب الستة في الحديث، وضعت عليه كثير من الشرح، من أعظمها: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، ت 256هـ ينظر كشف الظنون (1/541 - 555) ومعجم المؤلفين (3/130) - (3/851).

(2) أبو بكرة التقي الطائفي مولى النبي - صلى الله عليه وسلم - أسلم على يدي رسول الله فأعتقه، صحابي جليل حدث عنه بنوه الأربعة والحسن البصري، كان من فقهاء الصحابة وكان ينكر أنه ولد الحارث ويقول أنا مولى رسول الله. (ت 101هـ) سير أعلام النبلاء (3/5)، وتهذيب التهذيب (4/205)، وشذرات الذهب (2/15 - 16).

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الصلح، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - للحسن بن علي - رضي الله عنهما - ، حديث رقم (3430).

الصحيحين نحوه⁽¹⁾.

وقوله ﴿فَإِنْ فَآءَتُ فَأَصْلِحُوهَا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أي: اعدلوا بينهم فيما كان أصاب بعضهم البعض، بالقسط وهو العدل. وفي النسائي⁽²⁾ عن عبد الله بن عمر⁽³⁾، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن المقطفين في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن بما أفسطوا في الدنيا»⁽⁴⁾ إسناده قوي، كما روى مسلم عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن المقطفين عند الله يوم القيمة على منابر من نور، عن يمين الرحمن - عز وجل -، وكلتا يديه يمين الدين يعدلون في حكمهم وأهلיהם وما ولوا»⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ أي: الجميع إخوة في الدين، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه»⁽⁶⁾.

وفي الصحيحين: «من دعا لأخيه المسلم بظاهر الغيب قال الملائكة الموكلا: أمين ولك بمثل⁽⁷⁾»، وفيه أيضا «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بشبك بين أصابعه»⁽⁸⁾، والأحاديث في هذا كثيرة.

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (157/3)، حديث رقم (12628)، وأبو الفضل في الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، باب تفسير سورة الحجرات.

(2) أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي، الحافظ المحدث، صاحب السنن، حديث عن إسحاق بن راهويه، وهشام بن عمار، ومحمد بن مساور، وغيرهم، حديث عنه أبوشیر الدوابي، وأبو جعفر الطحاوي، وأبو علي النيسابوري، وغيرهم، من مصنفاته السنن الكبرى والصغرى، والخصائص في فضل علي بن أبي طالب، ت 353هـ ينظر: تهذيب التهذيب (32/1)، وتنكرة الحفاظ (239/2)، وسير أعلام النبلاء (125/14)، ومعجم المؤلفين (244/1).

(3) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوبي، ولد سنة ثلث من المبعث النبوي، أسلم مع أبيه وطلب من النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يشارك في معركة بدر فاستنصره النبي ولم يكن قد بلغ سن الرشد، وشهد معركة الخندق وعمره خمس عشرة سنة (ت 74هـ). الإصابة (107/4)، وشذرات الذهب (310/1).

(4) أخرجه النسائي في سننه، كتاب القضاء، باب ذكر الاختلاف على الزهرى، حديث رقم (5917).

(5) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، (1458/3)، كتاب آداب القضاء، باب فضيلة الإمام العادل، حديث رقم (1827)، والنسائي في السنن الكبرى (321/8)، باب فضل الحاكم العادل في حكمه.

(6) أخرجه أبو داود في سننه (273/4)، والترمذى في سننه (134/4) حديث رقم (1426) باب ماجاء في إعانته المسلم.

(7) أخرجه مسلم في الصحيح الجامع، كتاب الذكر والدعاء والتوبية والاستغفار، باب فضل الدعاء للMuslimين بظهور الغيب، حديث رقم (2732).

(8) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، ومسلم في صحيحه، كتاب الأدب، باب البر والصلة، حديث رقم (2585)، والترمذى، في سننه، باب البر والصلة رقم (1928)، والنسائي في السنن الكبرى، باب الزكاة رقم (2560).

وقوله: ﴿فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ﴾ يعني: الفئتين المقتاتتين ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: في جميع أمركم، ﴿أَعْلَمُكُمْ تُرْجَمُونَ﴾ أي: لكي ترحموا محققاً بلا ريب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ظَاهَرُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابِرُوا بِالْأَلْقَبِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتَبَثْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

نهى - تعالى - عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «الكبر بطر الحق وغمط الناس» - ويروي - «وغمص الناس»⁽¹⁾.

والمراد بذلك احتقارهم واستصغارهم، وهذا حرام فإنه قد يكون المحترق أعظم قدراً عند الله وأحب إليه من المحترقه، والمستخر منه.

ولهذا قال: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ فنص على نهي الرجال، وعطف بنهي النساء.

وقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا تعيبوا الناس، ولا تعنوا فيهم شيئاً، لا تلمزوا ببعضكم بعضاً، والهماز اللماز من الناس مذموم ملعون.

كما قال تعالى: ﴿وَيُلْ لِكُلٌّ هُمَزَةٌ لَّمَزَةٌ﴾⁽²⁾ فالهمز بالفصل، واللمز بالقول كما قال: ﴿هَمَازٍ مَّشَاعِيْنَمِيْمِ﴾⁽³⁾ أي: محترق للناس ويهمزهم طاعناً عليهم، ماشياً بينهم بالنميمة، وهو اللمز بالمقابل.

وقوله: ﴿وَلَا تَنَابِرُوا بِالْأَلْقَبِ﴾ أي: لاتدعوا بالألقاب، وهي التي يسوء

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (93/1)، حديث رقم (91)، ورواية «غمص الناس» للترمذمي في الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الكبر (9/8) حديث رقم (2130).

(2) سورة الهمزة: الآية 1/

(3) سورة القلم: الآية 11/

الشخص سماعها.

وعن أبي جبيرة⁽¹⁾ قال: «فينا نزلت في بنى سلمة ﴿وَلَا تَنَابِرُوا بِالْأَلْقَبِ﴾⁽²⁾، قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعاه أحدٌ منهم باسم من تلك الأسماء، قالوا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا» رواه أحمد وأبوداود⁽³⁾.

وقوله: ﴿يُئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ أي: بئس الصفة والاسم الفسوق وهو التباذل بالألقاب، قال الحسن، كان اليهودي والنصراني يسلم، فيقال: له بعد إسلامه يا يهودي، يا نصراني، فهو أعنٰ ذلك.

وقال: عكرمة هو قول الرجل الآخر، يافاسق، يا منافق، بعد ما تاب. وقيل إن معناه أن من فعل منها من السخرية واللمز والنizer فهو فاسق، فلا تفعلوا ذلك فستتحقوا اسم الفسوق.

﴿وَمَنْ لَمْ يَثْبُتْ﴾ أي: من هذا ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.
 ﴿يَتَأَثِّرُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوهُ كَثِيرًا مِّنَ الظُّنْنِ إِنَّ بَعْضَ الظُّنْنِ إِثْمٌ وَلَا تَجْسِسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلْ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهُتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ تَوَابُ رَّحِيمٌ﴾⁽⁴⁾.

نهى - تعالى - عباده المؤمنين عن كثير الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب، والناس في غير محله لأن بعض ذلك إثم محض فليتجنبه كثيرا منه احتياطا، كما قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - «لا تظنن بكلمة خرجت من المؤمن على محل سوء وأن تجد لها في الخير محلًا»⁽⁴⁾.

(1) أبو جبيرة بن الصحاك بن خليفة بن ثعلبة بن عدي بن كعب بن عبد الأشهل الأنباري، أخو ثابت بن الصحاك ولد بعد الهجرة له صحبة، وهو كوفي روى عنه قيس بن أبي حازم وغيره. أسد الغابة (150/3).

(2) ينظر: الدر المنشور 13/562

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (4/260)، وأبو داود في سننه، كتاب التفسير، حديث رقم (4962) وابن ماجه، حديث رقم (22/3741) والطبراني (390/389)، حديث رقم (968)، والنسائي في الكبرى، حديث رقم (11516)، وصححه الترمذى في سننه، واللفظ لأبي داود.

(4) ينظر: أحاديث مختارة في الصحيحين (1/38)، وأمالى المحاملى (395/1).

وعن ابن عمر قال: رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - يطوف بالкуبة ويقول: «ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك، وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه، وإن نظن به إلا خيراً»⁽¹⁾ تفرد به ابن ماجه⁽²⁾.

وعن أبي هريرة⁽³⁾ - رضي الله عنه - قال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تناقضوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً» هكذا في الصحيحين⁽⁴⁾.

وعن معاوية - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إنك إذا اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تقسدتهم» تفرد به أبو داود⁽⁵⁾.

والتجسس غالباً يطلق في الشر ومنه الجاسوس، وأما التحسس فيكون غالباً في الخير كما قال يعقوب: ﴿يَبْنَىٰ أَذْهَبُوا فَتَحْسَسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾⁽⁶⁾ وقد يستعمل في الشر كما مر في الحديث.

وقال: الأوزاعي⁽⁷⁾، التجسس البحث عن الشيء والتحسس: الاستماع إلى

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب حرمة المؤمن وما له، (1297/2) حديث رقم (3932)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة الكاملة (14/33).

(2) الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن يزيد الفزوياني ابن ماجه الربعي صاحب السنن، والتفسير، والتاريخ ومحدث تلك الديار ولد سنة تسع ومائتين، وقال أبو يعلى الخلili ابن ماجه ثقة كبير متყق عليه، محتاج به له معرفة ارحل إلى العراقيين ومكة والشام، وعرض ابن ماجه على أبي زرعة. تذكرة الحفاظ (636/2).

(3) أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدسوسي، صحابي جليل، أكثر من روى الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - روى عنه جماعة من الصحابة، منهم ابن عمر، وابن عباس، وجابر، وأنس وغيرهم، ت 59 هـ الاستيعاب (70/2)، وشذرات الذهب 57/1، وتذكرة الحفاظ 1/28.

(4) أخرجه البخاري، في الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحسس والتدابر، حديث رقم (6064) ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظن والتجسس والتلاطف والتلاجال، حديث رقم (2563)، واللفظ لمسلم.

(5) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب النهي عن التجسس حديث رقم (4888) وأبو يعلى في مسنده (382/13) حديث رقم (7389)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (4088).

(6) سورة يوسف الآية 87.

(7) الأوزاعي شيخ الإسلام أبو عمرو بن محمد الدمشقي الحافظ، ولد سنة ثمان وثمانين، حدث عن عطاء بن أبي رباح والقاسم وغيرهما، سكن بيروت وبها توفي وأصله من سبي السند، كانت صنعته الكتابة. تذكرة الحفاظ (178/1).

حديث القوم وهم له كارهون.

وقوله: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾ هذا نهي عن الغيبة، وقد فسرها الشارع عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: قيل: يا رسول الله ما الغيبة؟ قال «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل: أفريت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فقد بهته» رواه أبو داود والترمذى وصححه⁽¹⁾.

والغيبة محرمة بالإجماع ولا يستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته كما في الجرح والتعديل، والنصيحة ك قوله - عليه الصلاة والسلام - لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر «ائذنا له، بئس أخو العشيرة؟»⁽²⁾.

وك قوله لفاطمة بنت قيس⁽³⁾ وقد خطبها معاوية وأبو الجهم، «أما معاوية فصعلوك، وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه»⁽⁴⁾. كذا ما يجري مجرى ذلك على التحرير الشديد.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه بحسب امرئ من الشر أن يحرق أخاه المسلم» رواه أبو داود والترمذى⁽⁵⁾.

وعن أبي بزرة الأسلمي⁽⁶⁾ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يا معشر

(1) أخرجه أبو داود في سننه (420/4)، كتاب الأدب، باب في الغيبة، رقم (4876) والترمذى في سننه (400/7) السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الغيبة، رقم (2059)، وصححه الترمذى ووافقه الألبانى.

(2) أخرجه البخارى في الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب (2250/5) حديث رقم (6054).

(3) فاطمة بنت قيس الفهرية إحدى المهاجرات واخت الضحاك كانت تحت أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، فطلقها بعد ما كانت زوجة له فتصحها رسول الله بأسامة بن زيد فتزوجت منه، وقد روت أحاديث في النفقه والمطلقة والبنته وتوفيت في خلافة معاوية. سير أعلام النبلاء 2/319، وعقد الدرر في أخبار المنتظر (355/1).

(4) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلث لا نفقة لها (445/9) حديث رقم (1480).

(5) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب البر، باب في الغيبة رقم (4882)، والترمذى في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم حديث رقم (1927)، وصححه الترمذى ووافقه الألبانى في صحيح سنن أبي داود حديث رقم (4085).

(6) أبو بزرة الأسلمي، اختلف في اسمه واسم أبيه وأصبح ما قيل فيه هو نضلة بن عبيد قاله أحمد بن حنبل ويقال نضلة بن عابد، وقال الخطيب البغدادي اسم أبي بزرة الأسلمي خالد بن نضلة نزل البصرة وله بها دار ومات بالبصرة سنة ستين للهجرة. أسد الغابة (28/6).

من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته» تفرد به أبو داود⁽¹⁾.

وفي رواية ابن عمر: «يا معاشر من آمن بلسانه ولم يفطن الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله»⁽²⁾، والأحاديث في هذا كثيرة.

وقوله: ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾.

قال السدي: (إن سلمان الفارسي⁽³⁾ كان مع رجليين من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - في سفر يخدمهما ويخف لهما وينال من طعامهما، وأن سلمان لما سار الناس ذات يوم، بقي سلمان نائماً لم يسر معهم، فجعل صاحباها يكلماه فلم يجدها، فصرنا الخباء، فقالا: ما يريد سلمان أو هذا العبد شيئاً غير هذا، أن يجيء إلى طعام مقدور وخباء مضروب، فلما جاء سلمان أرسلاه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يطلب لهما إداماً، فانطلق فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه قدح له فقال: يا رسول الله بعثني أصحابي لتوذمهما إن كان عندك).

قال: «ما يصنع أصحابك بالإدام؟ قد ائتموا» فرجع سلمان فخبرهما بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فانطلقا حتى أتيا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالا: لا والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعاماً منذ نزلنا قال: «إنكما قد ائتمتما بسلمان بقولكم»⁽⁴⁾ قال: فنزلت ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ إنه كان نائماً⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما أمركم به ونهاكم عنه فراقبوه في ذلك، واحشوا

(1) أخرجه أبو داود في سنته، الأدب، باب الغيبة (194/5، 195) حديث رقم (4880)، والإمام أحمد في مسنده (420/4، 421) حديث رقم (20014)، وصححه الألباني في سنن أبي داود رقم الحديث (4083).

(2) أخرجه أبو يعلى في مسنده (419/13)، حديث رقم (7423)، والبيهقي في السنن الكبرى (247/10).

(3) سلمان أبو عبد الله الفارسي، ويقال له سلمان بن الإسلام قيل إنه أصبهاني، وكان أول مشاهده الخندق وشهد بقية المشاهد، وفتح العراق، ويقال: إنه شهد بدرًا وكان عالماً زاهداً، روى عنه أنس وكتب وابن عباس وهو الذي قال فيه المصطفى: «سلمان من أهل البيت»، (ت 36هـ) الإصابة (3/113)، وشذرات الذهب (1/109).

(4) لم أعثر على هذا الحديث.

(5) ينظر: تفسير السدي الكبير (442 - 443).

منه، ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَابُ﴾ أي: على من تاب إليه، ﴿رَّحِيمٌ﴾. لمن رجع إليه واعتمد عليه. وطريق المغتاب في نوبته أن يقلع عن ذلك، وأن لا يعود، وأن يتخل من الذي اغتابه، وقيل لا يشترط الاستحلال؛ إذ ربما تأذى أشد مما إذا لم يعلم بما كان منه، وطريقه أن يحفظه غيته بعده عوضاً عما اغتاب، ويدفع عنه ما استطاع تداركاً لما سبق.

كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «من حمى مؤمناً من منافق بغيبة بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيمة من نار جهنم، ومن رمى مؤمناً بشيء يريد شيئاً حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال» رواه أحمد وأبوداود⁽¹⁾.

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ما من أمرٍ يخذل امرءاً مسلماً ينتهاك فيه حرمته، وينقص فيه من عرضه، إِلَّا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته وما من أمرٍ ينصر مسلماً في موضع ينقص فيه من عرضه، وتنتهاك فيه حرمته، إِلَّا نصره الله في موطن يحب نصرته» تفرد به أبوداود⁽²⁾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًاٰ وَقَبَائِلَ لِتَعَارِفُواْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ﴾⁽³⁾

أخبر - تعالى - الناس أنه خلقهم من نفس واحدة، وجعل منهم الذكر والأنثى، وهو آدم وحواء - عليهما السلام - وجعلهم شعوباً أي بطوناً ورعاوساً لقبائل، جمع شعب بفتح الشين وسموا شعوباً لتشعبهم أي: تفرقهم واجتماعهم والشعب من أسماء الامتداد وهي أعم من القبائل، وقيل المراد بالشعوب بطون العجم، والقبائل بطون العرب.

كما أن الأسباط بطون بنو إسرائيل، فجميع الناس في الشرف والطينية بالنسبة إلى آدم وحواء - عليهما السلام - سواء، وإنما يتناقضون بالأمور الدينية ومتابعة الشريعة.

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (460/24)، حديث رقم (15649)، وأبو داود في مسنده، كتاب الأدب، باب من رد عن مسلم غيته، حديث رقم (4885)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (12339).

(2) أخرجه أبو داود في سننه، باب من رد عن مسلم غيته، حديث رقم (4886)، وحسنـه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (5690).

ولهذا قال: بعد النهي عن الغيبة، واحتقار الناس بعضهم بعضاً: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى﴾ منها على تساويهم في البشرية والقبائل دون الشعوب، واحدتها قبيلة، وهي كتميم من مصر ﴿لِتَعَاوَرُوهُ﴾ أي: ليحصل التعارف بينهم في قرب النسب وبعده، قال مجاهد: كما يقال فلان بن فلان من قبيلة كذا وكذا.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال منسأة في الآخر». رواه الترمذى⁽¹⁾.

وقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْنَاكُمْ﴾ أي: إنما تتقاضلون عند الله بالتقوى. لا بالأحساب.

كما روى أبوهريمة - رضي الله عنه - قال: سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أي: الناس أكرم؟ قال: «أكرمهم عند الله أتقاهم» قالوا: ليس عن هذا نسألوك.

قال: «فأكرم الناس يوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله خليل الله»، قالوا: ليس عن هذا نسألوك، قال: «فعن معادن العرب تسألوني؟» قالوا: نعم. قال: «فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا في الدين» رواه البخاري⁽²⁾.

وعن أبي ذر⁽³⁾ - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «انظر فإنك ليس بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى الله» رواه أحمد⁽⁴⁾.

وعن حذيفة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «كلكم بنو آدم وآدم

(1) أخرجه الترمذى في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في تعلم النسب، حديث رقم (2107)، وصححه الألبانى في السلسلة الصحيحة حديث رقم (276).

(2) أخرجه البخارى في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْرَيْهِ أَيْنَتُ لِلْسَّائِلِينَ﴾ ، حديث رقم (4689).

(3) أبو ذر الغفارى هو جندب بن جنادة، وقيل اسمه برير الزاهد المشهور الصادق للهجة، أعلن إسلامه أمام النبي بأعلى صوته، وقد قال فيه النبي: «يرحم الله أبا ذر يبعث وحده، ويموت وحده، ويحشر وحده»، (ت 32هـ) الإصابة (61/7)، وشذرات الذهب (194/1).

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (321/5) حديث رقم (21445).

خلق من تراب، ولينتهيin قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان» رواه البزار وروى أبوداود والترمذى مثله مبسوطا⁽¹⁾.

وعن عقبة بن عامر⁽²⁾ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد كلّكم بنو آدم طف الصاع⁽³⁾ بالصاع لم يملؤه ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين وتقوى، وكفى بالرجل أن يكون بذياً بخيلاً فاحشاً» رواه أحمد والبيهقي⁽⁴⁾⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ﴾ أي: عليم بكم خير بأموركم فيهدي من يشاء ويفضل من يشاء على من يشاء، وهو الحكيم في ذلك كله.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ إِمَانًا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتَّكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِمَانُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَأُوا وَجَهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ أَنَّعِلَمُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بِلِ اللَّهِ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَنِي إِلَيْمَنِ ﴿١٩﴾ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِنَ ﴿٢٠﴾ إِنْ

(1) أخرجه البزار في مسنده (340/7)، والترمذى في سننه، باب في فضل الشام واليمن، حديث رقم (4336)،

وصححه الترمذى ووافقه الألبانى في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (4568).

(2) عقبة بن عامر الجهمي الإمام المقرى أبو عبس ويقال أبو عامر أبو أسد المصري صاحب النبي - صلى الله

عليه وسلم - حدث عنه سعيد بن المسيب، كان عالماً فصحيحاً فيها فرضياً شاعراً كبير الشأن وهو الذي بايع

رسول الله على الهجرة. 58هـ سير أعلام النبلاء (2/467)، والإصابة (4/250)، وشذرات الذهب (1/266).

(3) أي: قريب بعضكم من بعض والمعنى: كلّكم في الانساب إلى أب واحد بمنزلة واحدة في النقص والتقارب

عن غاية التمام، وشبههم في نقصانهم بالمكيل الذي لم يبلغ أن يملأ المكيال، ثم أعلمهم أن التقابل ليس

بالنسبة ولكن بالتقوى، البداية والنهاية (3/129).

(4) الإمام الحافظ العلامة شيخ خرسان أبو يكرأحمد بن الحسين بن علي بن موسى، صاحب التصانيف ولد سنة

أربع وثمانين وثلاثمائة في شعبان وسمع أبا الحسن محمد بن الحسين العلوي، وبورك له في عمله لحسن قصده

وقوة فهمه وحفظه، وله كتاب وهو السنن الكبرى، وهو عشر مجلدات. تنكرة الحفاظ (3/1132).

(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (158/4)، حديث رقم (17447)، وأبوالفضل في الجامع الصحيح للسنن

والمسانيد، باب من الأخلاق الحميدة التواضع (6/449)، وصححه الألبانى لغيره في صحيح الترغيب

والترهيب (3/78) حديث رقم (2962).

الله يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالله بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ .

أنكر - تعالى - على الأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد بقوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ إِنَّا فَلَمْ ثُقُمْنَا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾.

وفي الآية دليل لأهل السنة أن الإيمان أخص من الإسلام، ويدل عليه حديث جبريل حين سأله عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص، ثم للأخص منه.

وفي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص⁽¹⁾ - رضي الله عنه - أعطى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رهطاً وأنا جالس فترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهم رجلاً هو أعجبهم إلى فقلت مالك يا رسول الله عن فلان والله إني لأراه مؤمناً فقال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أو مسلماً؟» ذكر ذلك سعد - رضي الله عنه - ثلاثة وأجابه بمثل ذلك، ثم قال: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكب في النار على وجهه»⁽²⁾.

وقد فرق النبي - صلى الله عليه وسلم - بين المؤمن والمسلم، فدل على أن الإيمان أخص من الإسلام.

كما تفرد في كتاب الإيمان في شرح صحيح البخاري، ودل ذلك أن ذاك الرجل كان مسلماً غير منافق، وأن هؤلاء الأعراب المذكورون في الآية ليسوا منافقين، بل مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادعوا لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا إليه فأدبو في ذلك، وهذا معنى قول ابن عباس - رضي الله عنه - وطائفة واختاره ابن جرير⁽³⁾، وذهب الإمام البخاري إلى أن هؤلاء كانوا منافقين يظهرون بالإيمان ولكن

(1) سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري كان سابعاً سبعاً في الإسلام أسلم بعد ستة وهو أول من رمى سهم في سبيل الله، شهد بدراً والحدبية وسائر المشاهد وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة توفي سنة أربع وخمسين. الإستعاب (1/364).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب لم يكن الإسلام على الحقيقة، حديث رقم (27) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تأليف قلب من يخاف على إيمانه، حديث رقم (150).

(3) ينظر: جامع البيان (389/21)، ومعالم التنزيل (350/7)، وتفسير بن كثير (554/7).

وجهة، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ أي: استسلمنا خوف القتل والسبي، قال مجاهد⁽¹⁾: نزلت في بني أسد بن خزيمة⁽²⁾.

﴿وَلَمَّا يَدْخُلُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: لم تصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد، ثم قال: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ أي لا ينقصكم من أجورها شيئاً.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: لمن تاب إليه وأناب.

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ظَاهَرَتْ إِيمَانُهُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَأُبُوا﴾ أي: لم يشكوا ولم يزلزوا بل ثبتوا على حالة واحدة، وهي التصديق المخلص، وجاحدوا بأموالهم وأنفسهم، أي وبدلوا نفاس أموالهم ومهجتهم، في طاعة الله ورسوله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُصَدِّقُونَ﴾ أي: في قولهم إذا قالوا إنهم مؤمنون لا بعض الأعراب الذين ليس معهم من الدين إلا الكلمة الظاهرة.

وعن أبي سعيد: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء» ﴿الَّذِينَ ظَاهَرَتْ إِيمَانُهُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَأُبُوا وَجَهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ والذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، ثم الذي إذا أشرف على طمع تركه الله - عزوجل -⁽³⁾.

وقوله: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ أي: تخironه بما في ضمائركم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، والله بكل شيء عليم.

(1) الإمام مجاهد هو يحيى بن مجاهد بن عوانة أبو يكر الفزارى الأندلسي قال ابن الفرضي: عن الإمام مجاهد بعلم القراءات وعلم التفسير وأخذ نصيبياً من الفقه فحج فسمع بمصر وأبي محمد بن الورد وكان زاهداً في العبادة مات في ثالث جمادى الأولى سنة ست وستين وثلاثمائة، طبقات المفسرين (1/123).

(2) بنو أسد بن خزيمة ولد أسد بن خزيمة دودان وكاهل وعمرو وهم أهل أبيات في بني خزيمة بن مالك بن نضر بن الحارث بن دودان بن أسد بنو جعدة. جمهرة أنساب العرب (85/1).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (102/17)، حديث رقم (11050).

ثم قال: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنَّ أَسْلَمُوا﴾ يعني: الأعراب الذين يمنون بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرد الله عليهم قائلاً: ﴿قُلْ لَا تَمُنُونَ عَلَى إِسْلَامَكُم﴾ فإن نفع ذلك يعود عليكم والله المنة عليكم فيه ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذِلَكُمْ لِإِلَيْنِ إِنْ كُنْتُمْ صَدِقِينَ﴾، أي في دعواكم ذلك.

كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - للأنصار يوم حنين «يا معشر الأنصار ألم نجركم ضلا لا فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي؟»⁽¹⁾ كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمن.

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - جاءت بنو أسد إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا يا رسول الله: أسلمنا وقاتلتك العرب ولم نقاتلتك، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إن فقههم قليل والشيطان ينطق على ألسنتهم»⁽²⁾ ونزلت هذه الآية ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ﴾ إلى قوله: ﴿صَدِقِينَ﴾.

ثم كرر الإخبار بعلمه بجميع الكائنات، وبصره بالأعمال المخلوقات فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، حدث رقم (4330) ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قوibهم على الإسلام، حدث رقم (139)، من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم - رضي الله عنه -.

(2) أخرجه التسانني في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب سورة الحجرات، حدث رقم (11519).

تفسير سورة ق

وهي مكية

هذه السورة هي أول الحزب المفصل على الصحيح، وقيل من الحجرات، ولا ثالث لها، والدليل على صحة الأول ما في مسنـد أـحمد⁽¹⁾، وسـنـن أـبي دـاود، وابـن مـاجـه عن أـوس بن حـذـيفـة⁽²⁾، قال: سـأـلت أـصـحـاب رـسـول الله - صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ - كـيـف تـحـزـيـنـ القرآن؟

فـقـالـوا: (ـثـلـاثـ وـخـمـسـ وـسـبـعـ وـتـسـعـ وـإـحدـى عـشـرـةـ وـثـلـاثـ عـشـرـةـ، وـحزـبـ المـفـصلـ وـحـدـهـ) إـذـا عـلـمـ هـذـا فـإـذـا عـدـتـ ثـمـانـيـاـ وـأـرـبـعـينـ سـوـرـةـ فـالـتـي بـعـدـهـنـ سـوـرـةـ قـ.

وـبـيـانـهـ: (ـثـلـاثـ الـبـقـرـةـ، وـآلـ عـمـرـانـ، وـالـنـسـاءـ، وـخـمـسـ الـمـائـدـةـ وـالـأـنـعـامـ وـالـأـعـرـافـ وـالـأـنـفـالـ وـبـرـاءـةـ، وـسـبـعـ يـونـسـ وـهـودـ وـيـوـسـفـ وـالـرـعـدـ وـإـبـرـاهـيمـ وـالـحـجـرـ وـالـنـحـلـ، وـتـسـعـ: سـبـحـانـ وـالـكـهـفـ وـمـرـيمـ وـطـهـ وـالـأـنـبـيـاءـ وـالـحـجـ وـالـمـؤـمـنـوـنـ وـالـنـورـ، وـالـفـرـقـانـ، وـإـحدـى عـشـرـةـ: الـشـعـرـاءـ وـالـنـمـلـ وـالـقـصـصـ وـالـعـنـكـبـوتـ وـالـرـوـمـ وـلـقـمـانـ وـأـلـمـ الـسـجـدـةـ، وـالـأـحـزـابـ، وـسـبـأـ وـفـاطـرـ وـيـسـ وـثـلـاثـ عـشـرـةـ: الـصـافـاتـ، وـصـ، وـالـزـمـرـ، وـغـافـرـ، وـحـمـ الـسـجـدـةـ، وـحـمـ عـسـقـ وـالـزـخـرـفـ، وـالـدـخـانـ، وـالـجـانـيـةـ، وـالـأـحـقـافـ، وـالـقـتـالـ، وـالـفـتـحـ، وـالـحـجـرـاتـ، ثـمـ بـعـدـ ذـلـكـ حـزـبـ المـفـصلـ، كـمـ قـالـهـ الصـحـابـةـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ - .

فـتـعـيـنـ أـنـ أـوـلـهـ سـوـرـةـ قـ وـلـهـ الـحـمـدـ، وـعـنـ أـبـيـ وـاقـدـ الـلـيـثـيـ⁽³⁾ أـنـ النـبـيـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - «ـكـانـ يـقـرـأـ فـيـ الـعـيـدـ بـقـافـ وـاقـتـرـيـتـ» رـوـاهـ مـسـلـمـ وـأـهـلـ السـنـنـ الـأـرـبـعـةـ⁽⁴⁾.

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (89/26).

(2) أوس بن حذيفة بن عميرة بن عوف بن الثقي روى عنه ابنه عثمان بن عبد الله صحابي جليل نزل بالطائف كان في وفد ثقيف روى أحاديث منها المسح على القمنين. الإصابة (84/1)، وأسد الغابة (1/89).

(3) أبو واقد الليثي صحابي جليل مختلف في اسمه قيل: الحارث بن مالك وقيل: بن عوف بن الحارث بن عبد مناة بن شعج كان حليفبني أسد شهد بدراً، وكان يحمل لواءبني ليث وضرم وسعد بن بكر يوم الفتح وحنين روى عن النبي - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - وعن أبي بكر وعمر توفي سنة ثمان وستين. الإصابة (195/1).

(4) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب حزب المفصل، باب ما باب من ق حتى يختتم، حديث رقم (16166)، وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة ، باب تحزيب القرآن، حديث رقم (1393)، والترمذمي في سننه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القراءة في العيددين، حديث رقم (534)، والنمسائي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة القمر، حديث رقم (1345)، ابن ماجه في سننه، كتاب الإقامة، في كم مستحب يختتم القرآن، حديث رقم (11550).

وعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان⁽¹⁾ - رضي الله عنها - قالت ما حفظت ﴿قٌ إِلَّا مَن فِي رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَقْرَأُ هَذِهِ السُّورَةِ فِي الْمَجَامِعِ الْكَبَارِ، كَالْعِيدِ، وَالْجَمَعَةِ؛ لِتَضْمِنُهَا قَوَاعِدَ إِيمَانِيَّةً مِنْ ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ وَالْبَعْثِ وَالنَّشْرِ، وَالْمَعَادِ، وَالْقِيَامِ، وَالْحِسَابِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالثَّوَابِ وَالْعَقَابِ، وَالْتَّرْغِيبِ وَالْتَّرْهِيبِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قٌ وَالْقُرْءَانُ الْمَجِيدُ ① بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكُفَّارُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ② أَعِدَّا مِنْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجُعٌ بَعِيدٌ ③ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ④ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحُقْقِ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ⑤﴾
قال مجاهد وغيره: ﴿قٌ﴾ حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل سور ك قوله: ﴿ضٌ﴾ و﴿نٌ﴾ ونحو ذلك، وقد سبق البحث عنها في أول سورة البقرة، وقيل: ﴿قٌ﴾ جبل محيط بجميع الأرض، وهذا من خرافاتبني إسرائيل، واحتلقت زناقتهم أصلاً للناس والله أعلم.

وقد أكثر كثير من المفسرين، من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن، وليس لنا احتياج لذلك بحمد الله، وقيل المراد قضي الأمر، والله وإنها دلت على مخدوف قوله: قلت لها: قفي، فقالت: ق، وفيه نظر ليتم الدليل على ذلك.

وقوله: ﴿وَالْقُرْءَانُ الْمَجِيدُ﴾ أي: الكريم العظيم واختلفوا في جواب القسم ما هو فقيل هو قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ وفيه نظر بل هو مضمون الكلام بعد القسم، وهو إثبات النبوة، وإثبات المعاد، وتقريره وتحقيقه، وإن لم يكن القسم متلقى لفظا، كما هو كثير كما سبق في قوله: ﴿ضٌ﴾.

وقوله: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ﴾ أي: تعجبوا من إرسال رسول إليهم من البشر.

كما قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنَّ أُوحِينَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾⁽²⁾ يعني: ليس هذا بعجيب فإن الله مصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس، ثم أخبر عنهم في

(1) أم هاشم وقيل: أم هشام بنت حارثة بن النعمان الأنصارية بايعت بيعة الرضوان، روى عنها عبد الرحمن بن سعد وخبيب وقد أخذت سورة ق من لسان رسول الله الذي كان يقرأ بها كل جمعة. أسد الغابة (465/3).

(2) سورة يونس: الآية/2

تعجبهم أيضاً عن المعاد واستبعادهم لوقوعها.

فقال: ﴿أَءِدَا مِتْنَا وَكُنَّا﴾ أي: يقولون إذا متنا وبلينا وصرنا تراباً كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى هذه البنية والتركيب؟ ﴿ذَلِكَ رَجْمٌ بَعِيدٌ﴾ أي: بعيد الوقع لما كانوا يعتقدون استحالته وعدم إمكانه، فقال - تعالى - ردًا عليهم: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُضُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي: نعلم ما تأكل من أجسادهم في البلى، ولا يخفى علينا أين ترققت الأبدان، وأين ذهبت وإلى أين صارت ﴿وَعِنْدَنَا كِتَبٌ حَفِيظٌ﴾ أي: حافظ لذلك، فالعلم شامل، وكل الأشياء في الكتاب محفوظة مضبوطة، ثم بين تعالى سبب كفرهم وعنادهم واستبعادهم ما ليس بعيد.

قالوا: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ وهذا حال كل من خرج عن الحق ومتابعته بعد ذلك فهو باطل، والمريج: المضطرب المختلف، كما قال قتادة: من ترك الحق مرر عليه أمره والتبس عليه دينه.

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَزَيْنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ⑥ وَالْأَرْضَ مَدْدُنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْجٍ بَهِيجٍ ⑦ تَبَصِّرَةً وَذُكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ⑧ وَنَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَرَّكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَدٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ⑨ وَالنَّخْلَ بَاسِقَتِ لَهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ⑩ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتَانًا كَذَلِكَ آخْرُوجٌ﴾

نبه - تعالى - عباده على قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا مستبعدين لوقوعه، فقال: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَزَيْنَاهَا﴾

أي: بالنجوم ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ⑪﴾ أي: من شقوق وفتوق أي: ليس فيها عيب ولا نقص قوله: ﴿وَالْأَرْضَ مَدْدُنَاهَا﴾ أي: وسعناها وفرشناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ وهي الجبال لئلا تميد بأهلها ولا يضطرب، فإنها مستقرة على تيار الماء المحيط بها من جوانبها ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْجٍ بَهِيجٍ ⑫﴾ أي: حسن كريم يسرّيه ﴿تَبَصِّرَةً وَذُكْرَى﴾ أي: جعلنا ذلك تبصيراً وتذكيراً .

﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ أي خاضع متواضع وجل رجاع إلى الله، ﴿وَنَزَلْنَا مِنَ

﴿السَّمَاءُ مَاءٌ مُّبَرَّكًا﴾ أي نافعا، ﴿فَأَئْتَنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ أي: حدائق وبساتين ونحوها
 ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ أي: وحب النبت، والحصيد وهو الزرع الذي يدخل حبه ﴿وَالثَّخْلَ﴾
 ﴿بَاسِقَتِ﴾ أي: طوال شاهفات⁽¹⁾.

قال ابن عباس وغير واحد ﴿لَهَا ظُلْمٌ نَّضِيدُ﴾ أي: منضود.

﴿رِزْقًا لِّلْعَبَادِ﴾ أي للخلافة ﴿وَأَحَيَّنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتَانًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ وهي
 الأرض التي كانت هامدة لا نبات فيها فلما نزل عليها الماء⁽²⁾.

﴿أَهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ﴾⁽³⁾ من أزاهير وغيرها مما
 تحر الطرف في حسنها، فهذا مثال في البعث بعد الموت كذلك يحيي الله الموتى
 كما في غيرها من الآيات البينات.

﴿كَذَّبُتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَاصْحَابُ الْرَّئِسِ وَثَمُودٌ﴾⁽⁴⁾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ
 ﴿وَاصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ ثَيْعَ﴾⁽⁵⁾ كذب الرسل فحق وعید⁽⁶⁾ أفعينا بالخلق الأول
 بَلْهُمْ فِي لَبِيسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ⁽⁷⁾.

هدد الله - تعالى - كفار قريش بما أحله الله بأشباههم ونظرائهم من المكذبين
 قبلهم من النقمات والعذاب الأليم في الدنيا، كقوم نوح وما عذبهم به من الغرق العام
 بجميع أهل الأرض، وأصحاب الرسـن كما سبق في سورة الفرقان.

﴿وَثَمُودٌ﴾⁽⁸⁾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ⁽⁹⁾ وهم أمته الذين بعث إليهم من أهل
 سدوم⁽⁴⁾ ومعاملتها من الغور، وكيف خسف الله بهم الأرض، وصير أرضهم بحيرة منته
 خبيثة بكفرهم وطغيانهم ﴿وَاصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾⁽¹⁰⁾ وهم قوم شعيب⁽¹¹⁾ وَقَوْمُ ثَيْعَ⁽¹²⁾ وهو اليماني.

(1) يشقق، أي: ارتفع والشاهد الجبل المرتفع وفلان ذو شاهق، إذا كان يشد غضبه، وشهيق الحمار آخر صوته. ويقال الشهيق رد النفس. ناج اللغة والصحاح العربية (372/1).

(2) فيه ثلاثة أقاويل: أحدها أن النضيد المترافق، قاله ابن عباس، الثاني: أنه المنظوم، وهذا يروى عن ابن عباس أيضا، الثالث: القائم المعتمد قاله ابن الهاد. النكث والعيون (343/5).

(3) سورة الحج: الآية/5.

(4) سدوم: فعول من السدم وهو الندم والسدوم يدل هنا على اسم البلد لا اسم القاضي، وذكر الميداني في مجمع الأمثال أن سدوم هي سرمدين بلدة من أعمال حلب معروفة عامرة عندهم، معجم البلدان (200/3).

وقد سبق شأنه في سورة الدخان: ﴿ كُلُّ كَذَبَ الرُّسُلَ﴾ أي: كل من هذه الأمم وهؤلاء القرون كذب رسولهم، ومن كذب رسول فكأنما كذب بجميع الرسل.

قوله: ﴿ كَذَبْتُ قَوْمًٌ نُوحُ الْمُرْسَلِينَ ﴾⁽¹⁾ ﴿ فَحَقٌّ وَعِيدٌ ﴾⁽²⁾ أي: فحق عليهم ما أوعدهم الله على التكذيب من العذاب والنkal، فليحذر المخاطبون أن يصيغ لهم ما أصابهم قوله: ﴿ أَفَعَيْنَا بِالْخُلْقِ الْأَوَّلِ ﴾ أي: فأعجزنا ابتداء الخلق حتى هم في شك من الإعادة﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾⁽³⁾ يعني: أن ابتداء الخلق لم يعجزنا فكيف تعجزنا الإعادة وهي أسهل منه.

كما قال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُ الْخُلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهُونُ عَلَيْهِ ﴾⁽⁴⁾ وقد سبق في الصحيح يقول الله تعالى: «بِيَوْذِنِي أَبْنَ آدَمَ يَقُولُ لَنْ يَعِينِي كَمَا بَدَأْنِي وَلَيْسَ أَوْلُ الْخُلْقَ بِأَهُونَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِه»⁽⁵⁾.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَمُ مَا تُوْسُوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْأَوْرِيدِ ﴾⁽⁶⁾ إِذْ يَتَلَقَّ الْمُتَلَاقِيَانِ عَنِ الْأَيمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ⁽⁷⁾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ⁽⁸⁾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحْيِدُ⁽⁹⁾ وَنُفِخَ فِي الْصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ⁽¹⁰⁾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَابِقٌ وَشَهِيدٌ⁽¹¹⁾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ⁽¹²⁾

أخبر - تعالى - على قدرته على الإنسان بأنه خالقه وعلمه محيط بجميع أموره، حتى إنه - تعالى - يعلم ما توسوس به نفسبني آدم من الخير والشر.

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إن الله تجاوز لأمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلّم»⁽⁴⁾.

(1) سورة الشعرا الآية/105.

(2) سورة الروم: الآية/27

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (4974) حديث رقم (4974).

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح (487/10) كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكفر والسكنان والمجنون رقم (5269). ومسلم في صحيحه (423/1)، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس، حديث رقم (201/127).

وقوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ يعني: ملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل العنق وهو عرق بين الحلقوم والعلبا وبين متفرق في البدن، ومن تأوله على العلم فإنما فرّ من الحلول والاتحاد تعالى الله وتقدس منها فإنهم منفيان بالإجماع ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل، وأنا أقرب إليه بل قال ونحن أقرب إليه.

كما قال في المحتضر: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنَ لَا يُبَصِّرُونَ ﴾ يعني: ملائكته فالملاك لمة من الإنسان كما أن للشيطان لمة، كذلك يجري من ابن آدم مجرى الدم، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق.

ولهذا قال هنا: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ ﴾ يعني: الملائكة الذين يكتبهن عمل الإنسان ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَاءِ قَعِيدٌ ﴾ أي: قاعد مترصد ملازم فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات ﴿ مَا يَلْفِظُ ﴾ أي: ابن آدم ﴿ مِنْ قَوْلٍ ﴾ أي: ما يتكلم بكلمة

﴿ إِلَّا لَدِيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴽ⁽¹⁾ أي: إلا ولها من يراقبها حافظاً حاضراً يعد ذلك، واختلفوا هل يكتب الملك كل شيء من الكلام .

كما هو قول الحسن وقتادة، أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس على القولين وظاهر الآية مع الأول.

وعن بلال بن الحارث المزني ⁽¹⁾ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمُ بِالْكَلْمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ مَا يَظْنَ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا سُخْطَهُ عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ» رواه أحمد والنسائي والترمذى وصححه،⁽²⁾.

(1) بلال بن الحارث بن قرة بن ثعلبة بن ثور عبد الرحمن بن المزني، من أهل المدينة كان صاحب لواء مزينة يوم الفتح أحاديثه في السنن وصححي ابن خزيمة وبن حبان. ت 60هـ، الإصابة(1/170)، وشذرات الذهب(27/1).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (25/180) رقم (1585)، والترمذى في سننه، كتاب الزهد، باب قلة الكلام، حديث رقم (2320) وابن ماجه في سننه، باب كف اللسان في الفتنة رقم (3969) وصححه الترمذى، ووافقه الألبانى في صحيح سنن الترمذى، حديث رقم (1888).

وكان علقة يقول: كم من الكلام منعنيه حديث بلال بن الحارث.

قال الأحنف بن قيس⁽¹⁾ صاحب اليمين يكتب وهو أمير على صاحب الشمال، فإن أصاب العبد خطيئة قال له: أمسك، فإن استغفر الله نهاء أن يكتبها وإن أبي كتبها، وذكر عن الإمام أحمد ، أنه كان يأنّ في مرضه فبلغه عن طاوس أنه يكتب كل شيء حتى الآئن فلم يئنْ أحد حتى مات رحمة الله .

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحُقْقِ﴾ أي: أيها الإنسان فإنه المخاطب على الصحيح.

وعن عائشة⁽²⁾ - رضي الله عنها - أنها قالت: لما ثقل أبو بكر تمثلت بهذا البيت.

من لا يزال دمعه مقنعا * فإنه لا بد مرة مد فوق⁽³⁾
وفي رواية أنها قالت:

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى ** إذا حشرت يوما وضاق بها الصدر⁽⁴⁾
قالت: فكشف عن وجهه، فقال يا بنية كذلك، ولكن كما قال تعالى: **﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحُقْقِ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحْيِدُ﴾** أي: تكره وتهرب وأصل الحيد
الميل، وقد ثبت في الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه لما تغشاه
الموت جعل يمسح العرق، عن وجهه ويقول «سبحان الله إنّ للموت لسكرات»⁽⁵⁾.

(1) الأحنف بن قيس التميمي يكنى أبا بحر واسمه الضحاك بن قيس، وقيل صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن مرة كان قد أدرك النبي - صلى الله عليه وسلم - فمن هناك ذكرناه في الصحابة؛ لأنّه أسلم على عهد رسول الله يعد من كبار التابعين بالبصرة توفي بالكوفة في إماراة مصعب بن الزبير.
الاستيعاب (45/1).

(2) عائشة أم المؤمنين بنت الإمام الصديق الأكبر، خليفة رسول الله أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب، القرشية التممية المكية النبوية، زوجة النبي أفقه نساء الأمة على الإطلاق نزل بعض آيات القرآن في براعتها، وكذلك نزل الوحي في بيتهما. (ت 57هـ)، سير أعلام النبلاء (258/1)، وشذرات الذهب (135/2).

(3) البيت لابن الأثير (115/4).

(4) ينظر: ديوان حاتم الطائي (27/1).

(5) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الرفاق، باب سكريات الموت حديث رقم (6510).

وقوله: ﴿ وَنُفِخَ فِي الْصُّورِ ﴾ قد سبق الكلام في نفح الصور للفزع وللصعق وللبعث، وذلك يوم القيمة.

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه وأصغى سمعه، حتى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفح) فقال يا رسول الله مما تأمرنا قال (قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل) رواه الترمذى⁽¹⁾.

وقوله: ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ أي: ملك يسوقه إلى المحرر وملك يشهد عليه بأعماله هذا هو الظاهر من الآية وهو اختيار ابن جرير⁽²⁾، وقال عثمان⁽³⁾ وغير واحد، وقال: أبوهريرة السائق الملك والشاهد العمل⁽⁴⁾.

وقال ابن عباس: السائق من الملائكة والشهيد الإنسان نفسه، يشهد على نفسه (5)، قوله: ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا ﴾ أي: في الدنيا وفيه ثلاثة أقوال أحدها: أن المراد بذلك الكافر، وهذا عن ابن عباس⁽⁶⁾ والثاني: أن المراد كل واحد من بري وفاجر، لأن الآخرة بالنسبة إلى الدنيا كالبيضة، والدنيا كالنوم، وهو اختيار ابن جرير⁽⁷⁾، الثالث أن المخاطب بذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - وبه قال ابن زيد⁽⁸⁾ وأوله على معنى: لقد كنت في غفلة من هذا القرآن قبل أن يوحى إليك، فكشفنا عنك غطاءك بإذن الله إليك فبصرك اليوم حديد، تبصر ذلك وتعلمك، والظاهر من السياق خلاف هذا بل الخطاب مع الإنسان من حيث هو المراد بقوله: ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا ﴾

(1) أخرجه الترمذى في سننه، باب ما جاء في شأن الصور، حديث رقم (2618)، وصححه الألبانى صحيح وضعيف سنن الترمذى، حديث رقم (1078).

(2) ينظر: جامع البيان (431/21).

(3) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن إسماعيل أبو عثمان الصابوني النيسابوري الواقعظ المفسر المحدث الأستاذ شيخ الإسلام إمام المسلمين أوحد وقته شهدت له أعيان الرجال بالكمال في الحفظ والتفسير حدث عن زاهر السرخسي، وكان كثير السماع والتصنيف، مات سنة تسع وأربعين وأربعين. طبقات المفسرين (25/1).

(4) أي: بمعنى يشهد عليها بما عملت، قاله الضحاك، والسائق من الملائكة، والشاهد من أنفسهم الأيدي والأرجل وهي رواية العوفي عن ابن عباس، وقال آخرون: هما جميعاً من الملائكة. معلم التنزيل (360/7).

(5) ينظر: جامع البيان (430/21).

(6) ينظر: جامع البيان 21/434، والنكت والعيون للماوردي (349/7)، والدر المنشور 13/635.

(7) رواه ابن جرير في تفسيره (432/21).

(8) ينظر: جامع البيان (434/21)، والنكت والعيون للماوردي (349/7).

أي: من هذا اليوم.

﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي: قوي لأن كل أحد يكون يوم القيمة مستبصراً حتى الكفار يكونون يوم القيمة على الاستقامة، لكن لا ينفعهم ذلك.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسَهُمْ عَنَّ دَرَبِهِمْ﴾⁽¹⁾ الآية
 ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ وَهَذَا مَا لَدَنِي عَتِيدُ﴾⁽²⁾ أليقى في جهنم كُلَّ كُفَّارٍ عَنِيدٍ⁽³⁾ مَنَاعَ لِلْخَيْرِ
 مُعْتَدِلَ مُرِيبٍ⁽⁴⁾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَّا هُوَ بَعْدَهُ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ⁽⁵⁾ فَقَالَ
 قَرِينُهُ وَرَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ⁽⁶⁾ قَالَ لَا تَحْتَصِمُوا لَدَنِي وَقَدْ قَدَمْتُ
 إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ⁽⁷⁾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَنِي وَمَا أَنَا بِظَلَالٍ لِلْعَبِيدِ⁽⁸⁾.

أخبر - تعالى - عن الملك الموكل بعمل ابن آدم أنه يشهد عليه يوم القيمة بما فعل ويقول: ﴿هَذَا مَا لَدَنِي عَتِيدُ﴾⁽⁹⁾ أي: معتمد محضر بلا زيادة ولا نقصان.

وقال مجاهد: هذا كلام الملك السائق⁽²⁾، واختيار ابن جرير: يشمل السائق والشهيد وهو موجه فعند ذلك يحكم الله في خلقه بالعدل⁽³⁾.

فيقول: ﴿أَلْقِيَاهُ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كُفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ وخالفوا في قوله أليقى فقال بعضهم هي لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالثنية، وأنشد ابن جرير على هذا قول الشاعر:

فإن تزجراني يا ابن عفاف أزجر * وإن تتركتاني أحـم عـرضـاً مـمنـعاً⁽⁴⁾
 وـقـيلـ الخطـابـ السـائـقـ وـالـشـاهـدـ وـهـوـ الـظـاهـرـ فـالـسـائـقـ أحـضـرـ إـلـىـ عـرـضـهـ
 الـحـسابـ،ـ فـلـمـاـ أـدـىـ الشـهـيدـ ماـ عـلـيـهـ أـمـرـهـماـ اللـهـ بـإـلـقـائـهـ فـيـ نـارـ جـهـنـمـ.

والكافر العنيد هو كثير الكفر والتکذیب بالحق المعاند له، وهو معارض للحق

(1) سورة السجدة: الآية/12

(2) قال: يعني به الملkin، كاتب وشهيد، تفسير مجاهد (614).

(3) سائق يسوقها، وشاهد يشهد عليها بعملها، جامع البيان (430/21).

(4) هذا البيت من شواهد الفراء في مشكل القرآن (78/1).

بالباطل مع علمه بذلك.

﴿مَنَّاعَ لِلْخَيْرِ﴾ لا يؤدي ما عليه من الحقوق، ولا بر فيه ولا صلة ولا صدقة،
 ﴿مُعْتَدِ﴾ أي: فيما ينفقه ويصرفه ويتجاوز فيه الحد ﴿مُرِيبٌ﴾ أي: شاك في التوحيد وفي
 أمره ﴿أَذْنِى جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًاٰءَاخَرَ﴾ وهو الشرك بالله ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾.
 وعن أبي سعيد - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه
 قال: (يخرج عنق من النار يتكلم، يقول وكلت اليوم بثلاثة: بكل جبار عنيد، وكل من
 دعا مع الله إلها آخر، والمصوريين، وفي رواية من قتل نفساً بغير نفس بدل
 المصوريين ثم ينطوي عليهم) رواه أحمد والترمذى⁽¹⁾.
 عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ قال ابن عباس وأتباعه: هو
 الشيطان الذي وكل به⁽²⁾.

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾
 أي: بأن كان هو في نفسه ضالاً قابلاً للباطل معانداً للحق، كما في آية أخرى: ﴿وَمَا
 كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَنٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَأَسْتَجِبْتُمْ لِي﴾⁽³⁾ الآية.
 قوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَ﴾ أي: يقول رب تعالى للإنسى وقرنه من الحق وذلك
 أنهم يختصمان بين يدي الحق، فيقول الإنسى هذا أضلنى عن الذكر بعد إذ جاعنى
 ويقول الشيطان: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أي: عن منهج الحق.
 فيقول رب تعالى لهما: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَ﴾ أي: عندي.

﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ أي: اعتذرتم إليكم على ألسنة الرسل،
 وأنزلت الكتب وقامت عليكم الحجج والبيانات ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَ﴾ قال مجاهد:

(1) أخرجه الإمام أحمد، في مسنده (40/3) رقم (11374)، من حديث أبي سعيد الخدري، والترمذى في سنته (30/10)، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة النار رقم (2775)، وقال الترمذى (حديث حسن غريب صحيح) ووافقه الألبانى في السلسلة الصحيحة (6/447).

(2) ينظر: جامع البيان (21/440)، والدر المنشور (13/636)، وتفسير مجاهد (1/610).

(3) سورة إبراهيم: الآية/22

يعني قضيت ما أنا قاض به⁽¹⁾ ﴿وَمَا آتَيْنَا بِظُلْمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أي: لست أعدب أحداً إلا بذنبه بعد قيام الحجة عليه.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ﴾ وَأَرْلَفَتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ عَيْرَ بَعِيدٍ⁽²⁾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٌ⁽³⁾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ⁽⁴⁾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ⁽⁵⁾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾

أخبر تعالى أنه يقول لجهنم هل امتلت، وذلك لأنه وعدها أن سيملاها من الجنة والناس أجمعين، فهو سبحانه يأمر بمن يأمر به إليها، ويلقي فيها وهي تقول هل من مزيد؛ أي: هل بقي شيء تزيدون؟ هذا هو الظاهر من الآية.

كما روى أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «يُلْقَى فِي النَّارِ وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ حَتَّى يَضُعَ قَدْمَهُ فَتَقُولُ: قَطْ، قَطْ» رواه البخاري⁽²⁾.

وفي رواية «لا تزال جهنّم يلقي فيها وهي تقول هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزو ببعضها إلى بعض وتقول: قط قط وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشيء الله خلقاً آخر فيسكنهم في فضول الجنة» رواه أحمد ولمسلم⁽³⁾ نحوه.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «تحاججت الجنة والنار فقالت النار: أُثْرِتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وقالت الجنة: ما لي لا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعْفَاءَ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغَرَّهُمْ .

قال الله - عز وجل - للجنة: «إِنَّمَا أَنْتَ رَحْمَتِي أَرْحَمْتَ بِكَ مِنْ أَشَاءَ مِنْ عَبْدِي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أَعْذَبْتَ بِكَ مِنْ أَشَاءَ مِنْ عَبْدِي وَلَكُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْ كُلِّ مَلْوِهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضُعَ اللَّهُ فِيهَا رَجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطْ، قَطْ، قَطْ

(1) ينظر: جامع البيان (443/21)، والدر المنشور (638/13).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿وَقَوْلُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾ حديث رقم (4848).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (234/3)، ومسلم في الجامع الصحيح، كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجارون والجنة يدخلها الضعفاء، حديث رقم (2848).

فهناك تمتلئ وتترزق بعضها إلى بعض، فلا يظلم الله من خلقه أحداً، وأمّا الجنة فإنَّ الله ينشيء لها خلقاً، هكذا في الصحيحين⁽¹⁾.

وقوله: ﴿وَأَرْلَفَتِ الْجَنَّةُ﴾ قال قتادة وغير واحد أي: أدنىت وقربت من المتقين⁽²⁾.

﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ وذلك يوم القيمة، وليس بعيد؛ لأنَّه واقع لامحالة ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَابٍ﴾ أي: رجاع تائب ﴿حَفِظِ﴾ أي: يحفظ العهد فلا ينقضه ولا ينكثه. قال عبيد بن عمير: ⁽³⁾الأواب الحفيظ الذي لا يجلس مجلساً فيقوم حتى يستغفر الله عزوجل ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ أي: من خاف الله في سره حيث لا يراه أحد إلا الله، كما قال - عليه الصلاة والسلام -: «ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»⁽⁴⁾.

﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ إليه خاضع لديه ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ أي: بسلامة من العذاب والهموم، وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْحُلُودِ﴾ أي: يخلدون في الجنة فلا يموتون أبداً، ولا يسقون سرماً.

وقوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ أي: مهما أرادوا وجدوا من أي أصناف الملاذ أحضر لهم على الفور.

﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قال: كثيرين مرة⁽⁵⁾ من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب سورة (ق)، حديث رقم (4850)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون، حديث رقم (7354).

(2) ينظر: الدر المنثور (643/13)، وجامع البيان (449/21).

(3) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي المكي الواعظ المفسر، ولد في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وحدث عن أبيه وعن عمر بن الخطاب، كان من ثقات التابعين، وكان عالماً واعظاً كبير القراء (ت 80هـ) سير أعلام النبلاء (156/4)، وتنكرة الحفاظ (50/1)، والواфи بالوافيات (323/6).

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح (234/1)، كتاب الآذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، حديث رقم (660)، ومسلم في صحيحه (381/6)، باب فضل إخفاء الصدق، حديث رقم (2427).

(5) كثير بن مرة الحضرمي الفقيه عالم أهل حمص كان إماماً عالماً طالباً للعلم أدرك سبعين بدريراً حدث عن معاذ وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت، وعن أبو الزاهري ومكحول، يكنى أبا القاسم، وكان يسمى الجندي المقدم، توفي في العشر الثامن من الهجرة، سير أعلام النبلاء (47/7)، وتنكرة الحفاظ (42/1).

فيفقول: ماذا تريدون فأمطروه لكم؟ فلا يدعون بشيء إلا أمطروتهم، وفي الحديث عن ابن مسعود⁽¹⁾ - رضي الله عنه - أنه - عليه الصلاة والسلام - قال له: «إنك لتشتهي الطير في الجنة فيخر بين يديك مشوياً»⁽²⁾.

وهو قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخُسْنَىٰ وَزِيَادَةً وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتْرُوْلَا ذَلَّةً أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُوْنَ﴾⁽³⁾، وقد سبق أنها النظر إلى وجهه الكريم. وقال أنس بن مالك - رضي الله عنه - في قوله عز وجل ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ يظهر لهم رب - عز وجل - في كل جمعة⁽⁴⁾.

وقد أورد الشافعي⁽⁵⁾ في كتاب الأم عن أنس قال: - صلى الله عليه وسلم -: «أتاني جبرائيل بمرأة بيضاء فيها نكت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ما هذه؟» فقال: هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك، فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن، يدعوا الله بخير إلا استجيب له، وهو عندنا يوم المزيد. قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «يا جبريل وما يوم المزيد؟»⁽⁶⁾ قال: - عليه السلام - إن ربك اتخذ في الفردوس واديًّا أفيح فيه كثب المسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله ما شاء من ملائكته، وحوله منابر من نور على المقاعد المستبررة، وحفت تلك المنابر بكراسي

(1) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن مخزوم بن الحارث بن نزار الإمام الحبر فقيه الأمة كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدوا وهاجر الهجرتين وكان يوم البرموك على النفل ومناقبه غزيرة حدث عنه أبو موسى وأبو هريرة وروى عنه القراءة أبو عبد الرحمن السُّلْمِيُّ، وهو أحد القراء الأربع وأحد السابقين الأولين.

(ت32هـ) سير أعلام النبلاء (461/1)، وشذرات الذهب (195/1)، وغاية النهاية في طبقات القراء (460/1)

(2) أخرجه الشاشي، في مسنده (418/2) حديث رقم (793) من طريق عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود، وأبي يعلى في المسند الكبير (464/2) حديث رقم (1949)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة حديث رقم (6784).

(3) سورة يونس: الآية 26

(4) ينظر: وجامع البيان (457/21)، النكت والعيون (354/6).

(5) محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن هشام بن عبد المطلب بن عبد مناف جد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - السائب جده صحابي أسلم يوم بدر ولد سنة خمسين ومائة ونشأ بمكة، وقدم بغداد فاجتمع علماؤها وأخذوا عنه، طبقات المفسرين الأدنري (25/1).

(6) أخرجه الدارقطني في مسنده، (87/1)، حديث رقم (57).

من ذهب مكلاة بالياقوت والزبرجد عليها الشهاده والصدّ يقون، فجلسو من ورائهم على تلك الكتب، فيقول الله - عز وجل -: أنا ربكم قد صدقتم وعدني فاسألوني أطعمكم، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك، فيقول: قد رضيت عنكم لكم علي ما شئتم ولدي مزيد. فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الجنة، وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش، وفيه خلق آدم، وفيه تقوم الساعة» رواه ابن جرير⁽¹⁾، بأبسط من هذا.

﴿وَكُمْ أَهْلَكُنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَبُوا فِي الْبَلَدِ هَلْ مِنْ مُحِيطٍ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قُلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ حَلَقَنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَيَّغْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ ظُلُوعِ الْشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٥﴾ وَمِنَ الْيَلِ فَسِيقَهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴿٦﴾ يعني: وكم أهلكنا قبل هؤلاء المكذبين .

﴿مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ أي: كانوا هم أكثر منهم وأشدّ قوّة ﴿فَنَقَبُوا فِي الْبَلَدِ هَلْ مِنْ مُحِيطٍ﴾ .

قال ابن عباس: أي: أثروا فيها⁽²⁾، وقال: غيره أي: سافروا وضرروا فيها سايرين يتغرون بالأرزاق والمتاجر والمكاسب أكثر مما طفت بها. ويقال لمن طوف في البلاد نقب فيها، قال امرؤ القيس:

لقد نقبت في الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالإياب
وقوله: ﴿هَلْ مِنْ مُحِيطٍ﴾ أي: هل من مفرّ كان لهم من قضاء الله وقدره؟ وهل نفعهم ما جمعوه؟ أوردّ عنهم عذاب الله؛ إذ جاءهم لما كذبوا الرّسل فأنتم أيضاً لا مفرّ لكم وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا﴾ أي: لعبرة ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قُلْبٌ﴾ أي: قلب وعقل يعي به .

﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: استمع الكلام فوعاه وتعقله بقلبه وفهمه بلبه.

(1) رواه ابن جرير في تفسره (457/21)، لم أثر على حكم الحديث.

(2) جامع البيان (460/21)، الدر المتنور (652/13) .

والعرب تقول: ألقى فلان سمعه إذا استمع بأذنيه، وهو شاهد غير غائب
 ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سَتَةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ أي: من إعياء ولا نصب ولا تعب، أي: لمن كان قادراً على هذا فهو على إحياء الموتى أقدر.

قال قتادة: قالت اليهود خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت - وهم يسمونه: يوم الراحة⁽¹⁾ - فأنزل الله تكذيبهم فيما قالوه.

﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يعني: هؤلاء المكذبين واهجرهم ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طَلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ وكانت الصلاة المفروضة قبل الإسراء ثنتان قبل طلوع الشمس في وقت الفجر، وقبل الغروب في وقت العصر، وقيام الليل كان واجباً على النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلى أمته حولاً، ثم نسخ في حق الأمة وجوبه، ثم بعد ذلك نسخ الله ذلك كله ليلة الإسراء بخمس صلوات، ولكن منها صلاتنا الصبح والعصر فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب.

وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله، قال: كنا جلوساً عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم فترونه، كما ترون هذا القمر لا تضامون فيه، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»⁽²⁾.

ثم قرأ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طَلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾.

وقوله: ﴿وَمِنَ الظَّلَلِ فَسِبِّحْهُ﴾ أي: فصل له ﴿وَأَدْبَرَ السُّجُود﴾ قال ابن عباس: هو التسبيح بعد الصلاة⁽³⁾.

ويؤيد ما في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: جاء

(1) ينظر: جامع البيان (466/21)، (467)، والدر المنثور (654/13).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح كتاب موافقي الصلاة، باب فضل صلاة العصر، حديث رقم (554)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، حديث رقم (633).

(3) ينظر: جامع البيان (473/21)، وفتح الباري (598/8).

فقراء المهاجرين فقالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلي والتعيم المقيم فقال: «وما ذاك؟» قالوا يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون كما نتصدق، ويعتقون ولا نعتق. قال: «أفلا أعلمكم شيئاً إذا فعلتموه سبقتم من بعديكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من فعل مثل ما فعلتم؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثة وثلاثين» فقالوا يا رسول الله سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله. قال: «ذلك فضل الله يؤتى به من يشاء»⁽¹⁾.

وقيل المراد الركعتان بعد المغرب، قاله علي وابن عباس وغير واحد، كما روى علي - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «يصلّى على أثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلا الفجر والعصر» رواه أحمد وأبوداود والنسائي⁽²⁾.

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - بـ ليلة عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصلّى ركعتين خفيتين للذين قبل الفجر ثم خرج إلى الصلاة فقال: يا ابن عباس (ركعتين قبل صلاة الفجر إدبار النجوم، وركعتين بعد المغرب إدبار السجود). رواه الترمذى غريب⁽³⁾.

﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٌ ﴿١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الْصَّيْحَةَ بِالْحُقْقِ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٢﴾ إِذَا رَحْنُ نُحْيٍ وَتُمْيِثُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤﴾ تَنْهُنَّ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدٌ ﴿٥﴾﴾.

يعني: استمع يا محمد يوم ينادي الملك المنادى بالحشر، وهو إسرافيل أيتها العظام البالية والأوصال المقطعة، إن الله يأمرك أن تجتمعن لفصل القضاء ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الْصَّيْحَةَ بِالْحُقْقِ﴾ يعني: النفحة في الصور التي بالحق الذي كان أكثرهم

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، حديث رقم (595).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (294/2) رقم (1012) أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الصلاة بعد العصر، حديث رقم (1275)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الصلاة، باب اختلاف النافقين لخبر أبي اسحاق عن عاصم بن ضمر، عن علي، حديث رقم (341)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (275/3).

(3) أخرجه الترمذى في سننه، كتاب التفسير، باب سورة الطور، حديث رقم (3275)، وضعفه الترمذى ووافقه الألبانى في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (1261).

فيه يمترنون ﴿ذلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ أي: من الأحداث ﴿إِنَّا حَنُّ نُحْيٰه وَنُمْيِثُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ أي: هو الذي يبدأخلق ثم يعيده، وهو أهون عليه، وإليه مصير الخلائق كلهم، فيجازي كلاماً بعمله.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَّاً﴾ وذلك أن الله - عز وجل - ينزل مطرًا من السماء ينبت به أجساد الخلائق في قبورهم.

كما ينبت الحب في الثرى بالماء، وإذا تكاملت الأجساد أمر الله إسرافيل فنفح في الصور، وقد أودعت الأرواح في ثقب الصور فإذا نفح فيه خرجت الأرواح تتوجه بين السماء والأرض، فيقول الله وعزّتي وجلالي ليرجع كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره فيرجع كل روح إلى جسدها، فتدبر فيه كما يدبّ السم في اللدغ، وتنشق الأرض عنهم فيقومون إلى موقف الحساب سراعاً مبادرين إلى أمر الله عزّوجل.

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «أنا أول من تنشق عنه الأرض» رواه مسلم⁽¹⁾.

وقوله: ﴿ذلِكَ حَسْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي: تلك إعادة سهلة علينا، يسيرة لدينا كما قال: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ لَكُلُّمُجْ بِالْبَصَرِ﴾.

وقوله: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ لك المشركون من التكذيب والإنكار فلا يهمك ذلك.

وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَارٍ﴾ أي: ولست بالذي تجبر هؤلاء على الهدى، وليس ذلك مما كلفت به. إنما بعثت مذكراً.

ثم قال: ﴿فَذَكِّرِ إِلَّا قُرْءَانٍ مَنْ يَخَافُ وَعِيدٍ﴾ أي: بلغ أنت رسالة ربك فإنما يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده وكان قتادة يقول: «اللهم اجعلنا من يخاف وعидك ويرجو موعدك⁽²⁾ يا باز يا رحيم».

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الفضائل، باب تقدير نبينا - صلى الله عليه وسلم - على جميع الخلائق، حديث رقم (2278)

(2) ينظر: النكت والعيون (45/3).

تفسير سورة الذاريات

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّذِيْرِيْتِ ذَرُوا ۚ فَالْحَمِيلَتِ وِقْرَا ۚ فَالْجَرِيْتِ يُسْرَا ۚ فَالْمُقَسِّمَتِ أَمْرًا ۚ إِنَّمَا ۖ ثُوعَدُونَ لَصَادِقٍ ۚ وَإِنَّ الَّذِيْنَ لَوَقْعٌ ۚ وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الْحُبُكِ ۚ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۚ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفِكَ ۚ فَتَلَ الْخَرَّاصُونَ ۚ الَّذِيْنَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۚ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِيْنِ ۚ يَوْمَ هُمْ عَلَى الْتَّارِيْخُونَ ۚ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُثُمْ بِهِ ۚ تَسْتَعْجِلُونَ ۚ﴾.

سئل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- فقيل ما معنى قوله تعالى:

﴿وَالَّذِيْرِيْتِ ذَرُوا ۚ﴾ فقال: الريح، **﴿فَالْحَمِيلَتِ وِقْرَا ۚ﴾** قال: السحاب **﴿فَالْجَرِيْتِ يُسْرَا ۚ﴾** قال: السفن، **﴿فَالْمُقَسِّمَتِ أَمْرًا ۚ﴾** قال: الملائكة⁽¹⁾.

روي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- مرفوعاً، وبه فسرها ابن عباس - رضي الله عنهما - وغير واحد.

وهذا قسم من الله - تعالى - على وقوع المعاد⁽²⁾ ولهذا قال: **﴿إِنَّمَا ۖ ثُوعَدُونَ لَصَادِقٍ ۚ﴾** أي: خبر صدق⁽³⁾ **﴿وَإِنَّ الَّذِيْنَ ۚ﴾** وهو الحساب، **﴿لَوَقْعٌ ۚ﴾** أي: لائن لا محالة.

قالوا وقرأ لتقى يعني يحمل الماء التقى الغزير، والسفن التي تجري في الماء جرياً سهلاً، والملائكة الذين يقسمون الأمور الشرعية والكونية، بين الخائق بأمر الله⁽⁴⁾.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (466/2)، وصححه، ووافقه الذهبي في التلخيص والحافظ بن حجر في تعليق التعليق (149/4).

(2) فيه قولان: أنه السحاب يقسم الله به الحظوظ بين الناس، الثاني: الملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه قاله الكلبي، وهم جبريل وهو صاحب الوحي والغلوطة، وميكائيل وهو صاحب الرزق والرحمة، وإسرافيل وهو صاحب الصور واللوح، وعزراطيل وهو ملك الموت وقابض الأرواح، عليهم السلام، النكت والعيون (361/5).

(3) فيه وجهان: أحدهما: أن يوم القيمة لكان، قاله مجاهد الثاني: ماتوعدون من الجزاء والعذاب حق وهذا جواب القسم، النكت والعيون (362/5).

(4) فيه وجهان: أحدهما: أن الحساب لواجب، قاله مجاهد، الثاني: أن الدين الجزاء ومعناه أن جزاء أعمالكم بالثواب والعذاب لكان، وهو معنى قول قتادة. النكت والعيون (362/5).

وقوله: ﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتٌ أَلْجُبُكِ﴾ أي: البهاء، والجمال، والحسن، والاستواء، قاله ابن عباس وكثيرون⁽¹⁾، ومعنى الحبك: الجعوده⁽²⁾.

ولهذا قال: بعضهم هو أن الماء إذا ضربته الريح تجده فينسخ بعضاً طائق طائق، فذاك الحبك، وقيل الشدة، يعني: ذات الصفقة، حبكت بالنجوم، وقيل يعني: السماء السابعة، وهي التي فيها الكواكب الثابتة، وهي عند أهل الهيئة في الفلك الثامن الذي فوق السابع، والله أعلم. وهذه الأقوال متقاربة راجعة إلى الحسن والبهاء.

كما قال: ابن عباس - رضي الله عنه -: فإنه من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة شديدة البناء متsuma الأرجاء أنيقة البهاء، مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات، موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات⁽³⁾.

وقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ أي: إنكم إليها المشركون المكذبون للرسل لفي قول مضطرب لا يلتئم ولا يجتمع.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ﴾ أي: يصرف عن الإيمان من صرف، ويضل من ضل، أي: إنما يرور على من هو ضال في نفسه، لأنه قول باطل، وذلك أنهم كانوا يتلقون الذي يريد الإيمان، فيقولون هو ساحر، كاهن مجانون فيصرفونه عن الإيمان.

وقوله: ﴿فَتَلَ أَلْحَرَاصُونَ﴾ أي: الكاذبون الذين لا يوقنون بالبعث، وقيل المرتابون، وقيل هم الكهنة، قوله: ﴿أَلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ أي: في غفلة وكفر غافلون لا هون ﴿يَسْعَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الْدِينِ﴾ يعني متى يوم القيمة، وإنما يقولون

(1) ينظر: معلم التنزيل (371/7)، الدر المنثور (666/13)، وفي قوله: ﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتٌ أَلْجُبُكِ﴾، أي: الطريقة الحسنة، مثل ما يظهر على الماء من هبوب الريح، وكذلك حبكة الشعير آثار تكسيره وهي جمع حبكة كطريقة وطرق. مدارك التنزيل (372/3).

(2) جعد: (الجعد من الشعر خلاف السبط) أو هو (القصير منه) (وجعد الشعر) (كَرْم، والجعوده وهي بهاء. تاج العروس) (502/7).

(3) أما قوله: ﴿وَالسَّمَاءُ﴾ ففيها وجهان: الأول: أنها السحاب الذي يظل الأرض. الثاني: وهو المشهور أنها السماء المرفوعة، قال عبد الله بن عمر هي السماء السابعة. وفي قوله: ﴿أَلْجُبُكِ﴾ أقوال: الأول: الحبك الاستواء وهو مروي عن ابن عباس على اختلاف، الثاني: أنها الشدة، وهو قول أبي صالح الثالث: الحسن والزينة، قاله قتادة ومجاحد، الرابع أنها حبكت بالنجوم، قاله الحسن، النكت والعيون (362/5).

هذا تكذيباً وعناداً وشكراً واستبعاداً.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى الْنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ أي: يعذبون ويحرقون، وقال مجاهد: كما تفتن الذهب في النار⁽¹⁾.

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي: عذابكم وحرقكم، ﴿هَذَا الَّذِي كُنُثُمْ بِهِ سَتَعْجِلُونَ﴾ أي: يقال لهم ذلك تقريراً وتوبيناً.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعَيْوَنٍ ١٥٠ إِعْدَادِهِمْ مَا أَعْدَدْنَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ١٦٠ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ الْأَلَّيلِ مَا يَهْجَعُونَ ١٧٠ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ١٨٠ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌ لِلصَّالِلِ وَالْمَحْرُومِ ١٩٠ وَفِي الْأَرْضِ إِيمَانٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ٢٠٠ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفْلَامٌ تُبَصِّرُونَ ٢١٠ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢٠ فَوَرَبِّ الْسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ٢٣٠﴾.

أخبر - تعالى - عن المتقين لله، أنهم يوم معادهم في جنات وعيون بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من العذاب والنkal.

وقوله: ﴿إِعْدَادِهِمْ مَا أَعْدَدْنَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ قال ابن جرير: (أي عاملين بما آتاهم الله من الفرائض)⁽²⁾.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ أي: قبل أن يفرض عليهم كانوا محسنين أيضاً في الأعمال، والظاهر أن قوله: ﴿إِعْدَادِهِمْ﴾ حال من قوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعَيْوَنٍ﴾ فالمتقون في حال كونهم في الجنات والعيون آخذون ما آتاهم ربهم، أي من النعيم والسرور والغبطة .

(1) فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أي يعذبون، قاله ابن عباس، الثاني: يطبخون ويحرقون كما يفتن الذهب بالنار وهو قول الضحاك وعكرمة، الثالث: يكتنرون توبيناً وتقريراً زيادة في عذابهم، النكث والعيون (364/5)، وتفسير الضحاك (789)، وقال ابن الجوزي: ﴿يُفْتَنُونَ﴾ أي: يحرقون ويعذبون ومن ذلك يقال للحجارة السود التي كانها احترقت بالنار: الفتى زاد المسير (30/8). والقول الذي اختاره الطبراني في تأويل قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى الْنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ قول من قال: يعذبون بالإحرق؛ لأن الفتنة أصلها الاختبار وإنما يقال فتت الذهب بالنار إذا طبختها بها لتعرف جودتها أي: يحرقون بها كما يحرق الذهب بها. جامع البيان (21/498).

(2) رواه ابن جرير في تفسيره (500/21).

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ أي: في الدنيا محسنين كقوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمُ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَّةِ﴾⁽¹⁾, ثم إنّه بين إحسانهم في العمل فقال: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ الَّذِلِّ مَا يَهْجَعُونَ﴾ وفي ﴿مَا﴾ قوله، أحدهما: أنها نافية تقديره كانوا قليلاً من الليل هجوعهم.

قال ابن عباس: لم تكن تمضي عليهم ليلة واحدة إلا يأخذون منها ولو شيئاً.⁽²⁾ وقال مطرّف: قل ليلة تأتي عليهم إلا يصلون فيها الله - تعالى-⁽³⁾, إما من أولها وإما من وسطها.

وقال مجاهد: قلما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون، وقيل كانوا يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الأوابين⁽⁴⁾ والثاني أنّ ﴿مَا﴾ مصدرية تقديره كانوا قليلاً من الليل هجوعهم ونومهم، واختاره ابن جرير، وقال الحسن: كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أفله، فنشطوا فمدوا إلى السحر حتى كانوا مستغرين بسحر. وقال رجل لأبي أمامة⁽⁵⁾ صفة لا أجد لها فيما ذكر الله بها قوماً، فقال: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ الَّذِلِّ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ونحن والله قليلاً من الليل ما نقوم فقال: له طوبى لمن رقد إذا نعس واتقى الله إذا استيقظ.

وقال عبد الله بن سلام⁽⁶⁾: لما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(1) سور الحاقة الآية 24.

(2) ينظر: جامع البيان في تأویل القرآن للطبری (503/21)، والمجموع: النوم بالليل دون النهار، (وما) صلة والمعنى: كانوا يهجعون قليلاً من الليل، أي: يصلون أكثر الليل، وقيل: معناه كان الليل الذي ينامون فيه كله قليلاً وهذا معنى قول سعيد بن جبیر عن بن عباس، يعني كانوا قل ليلة تمر بهم إلا صلوا فيها شيئاً إما من أولها أو وسطها. معالم التنزيل (373/7).

(3) ينظر: جامع البيان في تأویل القرآن للطبری (502/21)

(4) أي: ما ينامون، كانوا يمدون الصلاة إلى الأسحار، فإذا كان السحر أخذوا في الاستغفار، تفسير مجاهد (618)، وبمعنى آخر: أن المحسنين كانوا قليلاً ثم استأنف من الليل ما يهجعون، قاله الضحاك، الثاني: أنه خطاب مستأنف بعد تمام ما تقدمه، ابتدأوه كانوا قليلاً. النكث والعيون (365/5).

(5) أبو أمامة الباهلي صحابي جليل واسمـه صدى بن عجلان جعله بعضـهم في بنـي سـهمـه من باـهـلةـ وـخـالـفـهـ غـيرـهـ، سـكـنـ مصرـ ثـمـ انـتـقلـ مـنـهـاـ فـسـكـنـ حـمـصـ مـنـ الشـامـ وـمـاتـ بـهـ وـكـانـ مـنـ الـمـكـثـيـنـ فـيـ الـرـوـاـيـةـ وـأـكـثـرـ حـيـثـهـ عـنـ الشـامـيـنـ، تـوـفـيـ سـنـةـ إـحدـىـ وـثـمـانـيـنـ وـقـيـلـ: سـنـةـ سـتـ وـثـمـانـيـنـ وـهـوـ آـخـرـ مـاـ مـاتـ بـالـشـامـ أـسـدـ الغـابـةـ (139/3).

(6) عبد الله بن سلام بن الحارث الإمام أبو الحارث، حليف الأنصار من خواص النبي - صلى الله عليه وسلم -، حدث عنه أبو هريرة وأنس بن مالك وكان قد شهد فتح بيت المقدس، أسلم وقت هجرة النبي وقدومه وكان عبد الله من بنـي قينقاع يقال كان اسمـهـ الحـصـينـ فـغـيرـ النـبـيـ اـسـمـهـ عـبـدـ اللهـ مـاتـ بـالـمـدـيـنـةـ (43هـ)، سـيـرـ أـعـلـامـ النـبـلـاءـ (413/2)، والإصابة (80/4)، وشذرات الذهب (233/1).

المدينة كان أول ما سمعته يقول: «أطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وافشوا السلام، وصلوا بالليل والناس نيام»⁽¹⁾. وقال الزهري⁽²⁾ والحسن: كانوا كثيراً من الليل ما يصلون⁽³⁾، قوله: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قال: مجاهد وغير واحد: يصلون ويمدون الاستغفار إلى الأسحار، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾⁽⁴⁾ فإن كان الاستغفار في صلاة فهو أحسن.

وقد ثبت في الصحيح في حديث النزول، «هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفرله، هل من سائل فنعطي سؤاله؟ حتى يطلع الفجر»⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌ﴾ لما وصفهم بالصلة ثى بوصفهم بالزكاة والبر والصلة، فقال: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌ﴾ أي: جزء مقسم قد أفرزوه ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾. أما السائل معروف، وهو الذي يبتدئ بالسؤال، وله حق.

كما قال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «للسائل حق وإن جاء على فرس» رواه أحمد وأبوداود⁽⁶⁾.

وأما المحروم فقال ابن عباس: هو الخارق الذي ليس له في الإسلام سهم⁽⁷⁾؛ أي: في بيت المال ولا كسب له ولا حرفة.

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (201/39) حديث رقم (23784)، والترمذى في سننه، حديث رقم (2485)، وابن ماجه في سننه حديث رقم (1334)، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (68/2) حديث رقم (569).

(2) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري أحد الفقهاء والمحدثين أول من دون الحديث، تابعي من أهل المدينة، رأى عشرة من الصحابة توفي - رحمه الله تعالى - (24 هـ)، ينظر: وفيات الأعيان (177/4).

(3) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبرى (506/21).

(4) سورة آل عمران الآية/17.

(5) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التهجد، باب الدعاء في آخر الليل، حديث رقم (11215)، ومسلم في صحيحه، كتاب المسافرين، باب الترغيب في الدعاء، حديث رقم (758).

(6) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (254/3) حديث رقم (1730)، وأبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب حق للسائل، حديث رقم (1665). وضعفه الألبانى فى صحيح وضعيف سنن أبي داود، حديث رقم (1665).

(7) قول الطبرى في قوله: ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ هو الرجل المحارف الذى لا يكون له مال ولا ذهب، قضى الله - عز وجل - له ذلك، جامع البيان في تأويل القرآن للطبرى (513/21)، وفي معنى آخر: أن السائل الذي يسأل الناس لفاته، وأما المحروم: فيه أقوال أحدها: المتعفف الذى يسأل الناس شيئاً ولا يعلم ب حاجته قاله قتادة، الثاني: أنه الذى يجىء بعد الغنمة وليس له فيها سهم قاله الحسن، الثالث: أنه من ليس له سهم فى الإسلام قاله ابن عباس، وفي معنى آخر: المحروم المحارف: أي: رجل محارف بفتح الراء أي: محروم وهو ضد المبارك وقد حرف كسب فلان إذا شدد عليه في معاشه، تفسير مجاهد (619).

وقوله: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوْقِنِينَ ﴾ أي: فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة مما قد ذراً فيها من صنوف النباتات والحيوانات والمهد والجبال والقفار والأنهار والبحار، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم، وما جبلوا عليه من القوى، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهم، والحركات والسكنات، والسعادة والشقاوة، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل من أجسادهم في محل الذي هو محتاج إليه فيه.

ولهذا قال: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبَصِّرُونَ ﴾ أي: وفيها آيات إذ كانت نطفة ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظماً إلى أن نفح فيه الروح .

ثم قال: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقٌ مِّنْ أَنَّكُمْ تَنْتَظِرُونَ ﴾ يعني: المطر ﴿ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ يعني: الجنة، قاله ابن عباس وغير واحد ⁽¹⁾.

وقال عكرمة أي من الثواب والعقاب ⁽²⁾، ثم أقسم بنفسه فقال: ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌ مِّثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْتَظِرُونَ ﴾ أي: ما وعدهم به من أمر القيمة والبعث والجزاء كائن لا محالة، وهو حق لامرية فيه.

كما لا تشکوا في نطقكم حين تتطقون، وكان معاذ بن جبل - رضي الله عنه- إذا حدث بشيء يقول لصاحبه: إن هذا لحق كما إنك هنا.

وعن الحسن البصري - رضي الله عنه- قال: بلغني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (قاتل الله أقواماً أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوها) رواه ابن جرير ⁽³⁾ مرسلاً.

﴿ هَلْ أَتَنَكَ حَدِيثُ صَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ الْمُكَرَّمِينَ ⑯ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ⑰ قَالَ سَلَمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ⑯ فَرَاغَ إِلَى هُلْمِهِ، فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ⑯ فَقَرَبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ⑯ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخْفَ ٌ وَبَشَّرُوهُ بِعُلَمِ عَلِيهِ ⑯ فَأَقْبَلَتِ أُمْرَأَتُهُ وَ

(1) ينظر: جامع البيان (523/21).

(2) فيه ثلاثة أقوال: قول عطاء وهو من الثواب والعقاب، والثاني: قول مجاهد: من الخير والشر، والثالث: قول الضحاك: ما توعدون من الجنة والنار، معلم التنزيل (375/7).

(3) رواه ابن جرير الطبراني في تفسيره (523/21)، ولم أعثر عليه في كتب الحديث .

فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٦﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ
الْعَلِيمُ ﴿٧﴾

سبقت هذه القصة في سورة هود والحجر أيضاً قوله: ﴿هَلْ أَنْتَكَ حَدِيثٌ
ضَيْفٌ إِبْرَاهِيمَ الْمُكَرَّمِينَ﴾ سماهم مكرمين؛ لأنهم كانوا ملائكة كراماً.

كما قال تعالى في وصفهم: ﴿بَلْ عِبَادُ مُكَرَّمُونَ﴾⁽¹⁾ لأن إبراهيم - عليه
السلام - أكرمهم بتعجيل قراهم وقوله: ﴿فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا﴾ الرفع أقوى وأثبت من
النصب، فرده أفضل من التسليم، فإن الخليل أفضل.

وقوله: ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ وذلك بأن جبريل، وإسرافيل، وميكائيل قدموا عليه في
صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة فلم يعرفهم.

وقوله: ﴿فَرَاغَ إِلَى هُلْمِهِ﴾ أي: انسلاخ فجأة في سرعة ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾
أي: من خيار ماله، مشوي على الرضف.

كما في آية أخرى: ﴿فَمَا لَيْثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾⁽²⁾ ﴿فَقَرَبَهُ وَإِلَيْهِمْ﴾
أي: أدناه منهم ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ تلطف في المبادرة وعرض حسن. حيث لم يقل
اقرموا وكلوا، وهذا كما يقول القائل، اليوم: إن رأيت أن تتفضل وتحسن فافعل .

وقوله: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيقَةً﴾ هذا على ما تقدم في سورة أخرى، وهي قوله:
﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيهِمْ لَا تَصُلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيقَةً قَالُوا لَا تَخْفِ إِنَّا أُرْسَلْنَا
إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ ﴿٦﴾ وَأَمْرَأَتُهُ وَقَائِمَةً فَضَحِكَتْ فَبَشَّرَنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ
﴿قَالَتْ يَوْمَئِلَّ إِلَيْهِ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧﴾
أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ وَعَلَيْكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَحِيدٌ﴾⁽³⁾
ولهذا قال هنا: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَمٍ عَلِيمٍ﴾.

(1) سورة الأنبياء الآية/26.

(2) سورة هود الآية/69.

(3) سورة هود الآية/73.

وقوله: ﴿فَأَقْبَلَتِ اُمَّرَأَتُهُ وَفِي صَرَّة﴾ أي: فطفقت وأخذت في صيحة وغبطه ورقة ^(١) قاله ابن عباس وغير واحد: وذلك قولها: ﴿يَوَيْلَتِي﴾ ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي: فضررت بيدها على وجهها تحيراً وتعجباً لعادة النساء إذا أنكرت شيئاً ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي: كيف ألد وأنا عجوز، وقد كنت في حال الشباب لا أحبل؟

﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ أي: حكيم في أقواله وأفعاله عليم بما يستحقون من الكراهة.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٦﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٢٧﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ طِينٍ ﴿٢٨﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آءِيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٢﴾﴾.

يعني: قال إبراهيم للملائكة بعد أن ذهب عنه الروع وبشروه بال glam العليم ما خطبكم، أي: ما شأنكم؟ وفيما جئتم ^(٢)؟

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعني قوم لوط **لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ طِينٍ** ^(٣) **مُسَوَّمَةً** أي معلمة **عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ** أي: مكتتبة عنده بأسمائهم كل حجر عليه اسم صاحبه.

وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾ وهم لوط وأهل بيته إلا امرأته.

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ احتج بهذه الآية من وافق المعتزلة ومن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام؛ لأنه أطلق عليهم المؤمنين وال المسلمين، وهذا ضعيف؛ لأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين، وعندنا أن كل مؤمن مسلم بلا عكس، فاتفق الأسمان هنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آءِيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٢﴾﴾ أي: جعلناها عبرة بما

(١) ينظر: جامع البيان (528/21).

(٢) أي: في مدينة قوم لوط عبرة، أي: علامة للخائفين تدلهم على أن الله - تعالى - أهلكهم فيخافون مثل عذابهم معالم التنزيل (377/7).

أنزلنا بهم من العذاب والنkal وحجارة السجيل، وأما كنهم بحيرة خبيثة منتهية، ففي ذلك عبرة ﴿لِّذِينَ يَخْافُونَ الْعَذَابَ أَلَا لَيَمَ﴾.

﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُّكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٠﴾ فَأَخَذَنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذَنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٣١﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الْرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٣٢﴾ مَا تَذَرُّ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالْرَّمِيمِ ﴿٣٣﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قَيْلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٤﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَنَاهُمُ الصَّاعِقةُ وَهُمْ يَنْظَرُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَا أَسْتَطَلُعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَوْمٌ نُوحٌ مِنْ قَبْلِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

قال تعالى: ﴿وَفِي مُوسَىٰ﴾ بل هو عطف ﴿وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ﴾.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بدليل باهر وحجة قاطعة ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُّكْنِهِ﴾ أي: فأعرض فرعون عما جاء به موسى عناداً واستكباراً.

وقيل بركنه أي: بأصحابه وجموعه التي معه، ﴿وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ أي: لا يخلو أمرك فيما جئتني به من أن يكون ساحراً أو مجنوناً، ﴿فَأَخَذَنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذَنَاهُمْ﴾ أي: ألقيناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ وهو البحر ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي ملوم كافر فاجر.

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الْرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ أي: المفسدة التي لا تنتهي شيئاً، ولهذا قال ﴿مَا تَذَرُّ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ أي: مما يفسده الريح من النفوس والمواشي، والأموال.

﴿إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالْرَّمِيمِ﴾ أي: كالشيء الهالك البالي. قيل هو الجنوب.

كما ثبت في الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور»⁽¹⁾ ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قَيْلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

قال: ابن جرير يعني: إلى وقت فناء آجالكم⁽²⁾ ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بعقرهم الناقة ﴿فَأَخَذَنَاهُمُ الصَّاعِقةُ وَهُمْ يَنْظَرُونَ﴾ وذلك أنهم انتظروا العذاب ثلاثة

(1) أخرج البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الاستفقاء، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «نصرت بالصبا»، حديث رقم (1035).

(2) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبراني (541/21)، ومعالم التنزيل (378/7).

أيام وجاءهم في صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار.

﴿أَسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ أي من نهوض ولا هرب ﴿وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾ أي: ولا قادرين على أن ينتصروا مما هم فيه .

وقوله: ﴿وَقَوْمٌ نُوحٌ مِنْ قَبْلٍ﴾ أي: وأهلتنا قوم نوح من قبل هؤلاء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ وقد سبقت هذه القصص مبسوطة في سور متعددة والله أعلم.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍِ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشَنَاهَا فَنِعْمَ الْمَهِدُونَ ﴿٧﴾ وَمِنْ كُلِّ شَئٍِ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٨﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَّهًاٰءًاٰخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٠﴾﴾.

نبه - تعالى - عن خلق العالم العلوي والسفلي بقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍِ﴾ أي: بقوة⁽¹⁾، قاله ابن عباس وغير واحد. ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي: قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي.

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشَنَاهَا﴾ أي: جعلناها فرشاً للمخلوقات ﴿فَنِعْمَ الْمَهِدُونَ﴾ أي: فنعم الباطرون نحن.

وقال: ابن عباس - رضي الله عنه - أي: نعم ما وطأت لعبادي⁽²⁾. ﴿وَمِنْ كُلِّ شَئٍِ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: صنفين مختلفين أي جعلنا جميع المخلوقات أزواجاً، سماء وأرضاً، ليلاً ونهاراً، والشمس والقمر، والبر والبحر، والإيمان والكفر، والحياة والموت، والشقاوة والسعادة، وعلى هذا.

ولهذا قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: لتعلموا أن الخالق واحد لا شريك له. ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: الجاؤوا واعتمدوا في أمركم عليه.

﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَّهًاٰءًاٰخَرَ﴾ أي: لا تشركونا

(1) جامع البيان (546/21)، ومعالم التنزيل (379/7)، والدر المتنور 13/686، وقوله: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ فيه عدة أوجه. أحدها: لموعظون في الرزق بالمطر قاله الحسن. الثاني: لموعظون السماء قاله بن زيد. الثالث: لقادرون على اتساع السماء الرابع: لموعظون بخلق سماء مثتها. النكت والعيون (373/5).

(2) ينظر: أي: الباطرون نحن، قال ابن عباس: نعم ما وطأت لعبادي، معلم التنزيل (379/7)، وتفسير القرطبي (503/19).

شيئاً。﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ تَذَرِّرُ مُبِينٌ﴾.

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ لَا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ
 بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ وَذَكَرْ فَإِنَّ الَّذِكْرَى تَنَفَعُ الْمُؤْمِنِينَ
 ﴿وَمَا خَلَقْتُ لِجِنَّةً وَلِإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُظْعَمُونَ
 ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ
 فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾.

قال - تعالى - مسلياً لنبيه - عليه الصلاة والسلام - ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم﴾ أي كما قال لك هؤلاء المشركون، كذلك قال المكذبون الأولون لرسلهم.
 يعني ما جاءهم من رسول إلا كانوا يقولون هذا ساحراً ومجنوون عناداً واستكباراً .

قال تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ أي: أوصى بعضهم بعضاً هذه المقالة الأولى فيه للتوبية ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: لكن هم قوم طغاة تشبهت قلوبهم فقال: آخرهم كما قال أولهم.

قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم يا محمد ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ أي: فلا نلومك على ذلك ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الَّذِكْرَى تَنَفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بما ينقع بها القلوب المؤمنة.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ لِجِنَّةً وَلِإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: ليقرروا بعبادتي طوعاً أو كرهاً وهذا اختيار ابن جرير⁽¹⁾.

وقيل إلا لا يعرفون وقيل أي للعبادة، قال السدي من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع⁽²⁾ ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾⁽³⁾ هذا منهم عبادة

(1) ينظر: جامع البيان (554/21)، والنكت والعيون (374/3)، والدر المنثور (688/13).

(2) روى ابن كثير عن السدي قال: "من العبادة ما ينفع، ومنها ما لا ينفع؛ لأن صاحبها مشرك". تفسير السدي (445). وفي معنى آخر: قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فيه تأويلات أحدها: ليقرروا بالعبودية طوعاً وكرهاً: قاله ابن عباس، الثاني: إلا لأجلهم على الشقاء والسعادة قاله زيد بن أسلم. الثالث: إلا ليعرفوني، قاله الضحاك، الرابع: إلا للعبادة وهو الظاهر، وبه قال الريبع بن أنس، والعبارة اسم جامع للأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة التي يحبها الله ويرضاها وعلى هذا فيدخل فيها التوحيد بفروعه. النكت والعيون (375/5).

(3) سورة الزمر الآية/38.

وليس ينفعهم من الشرك.

وقوله: ﴿مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِّنْ رِزْقٍ﴾ أي: أن يرزقوا أحداً من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونَ﴾ أي: أن يطعموا أحداً من خلقي.

وهذا كما جاء في الحديث يقول (استطعتمت فلم تطعني)⁽¹⁾ أي: لم تطعم عبدي ثم بين أن الرازق هو لا غيره فقال ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّازِقُ﴾ أي لجميع خلقه ﴿ذُرْ أَلْقُوَةُ الْمَتَّيْنِ﴾ أي: هو القوي المقدار الكامل في القوة والقدرة.

قال ابن مسعود: أقرأني رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إني أنا الرزاق ذو القوة المتين» رواه أحمد وأبوداود والنسائي والترمذى وصححه⁽²⁾.

ومعنى الآية أنه خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب.

وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء في جميع الأحوال. فهو خالقهم ورازقهم .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «قال الله ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فدرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فدرك» رواه أحمد والترمذى وحسنه⁽³⁾ .

وفي بعض الكتب الإلهية، يقول الله: «ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكتفت برزقك فلا تتعب، واطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، باب الأسماء والصفات، حديث رقم (3033).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (285/6) (80/7) حديث رقم (3970، 3771، 3741)، وأبوداود في سنته، حديث رقم (3993)، والترمذى في سنته، حديث رقم (2940)، والنسائي في سنته، حديث رقم (7707)، صححه الترمذى، ووافقه الألبانى في صحيح سنن الترمذى، حديث رقم (2343).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (321/14)، حديث رقم (8696)، والترمذى في سنته، كتاب صفة القيامة، باب من كانت الآخرة همه جاءته الدنيا راغمة، حديث رقم (2468)، وابن ماجة في سنته، كتاب الزهد، باب الْهُمُّ بِالدُّنْيَا، حديث رقم (4107)، وحسنه الترمذى، وصححه الألبانى في صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3315).

فإنك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء.».

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنْبًا﴾ أي: نصيباً من العذاب.

﴿مِثْلَ ذَنْبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ أي: الذين أهلكوا من الأمم السالفة والذنوب في اللغة الدلو العظيم المملوء ماء ثم استعمل في الحظ والنصيب.

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ أو بالعذاب فإنه واقع بهم لا محالة.

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ يعني: يوم القيمة.

تفسير سورة الطور

وهي مكية

في الصحيحين عن جبير بن معطم⁽¹⁾، قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (بقرأ في المغرب ﴿وَالظُّرِّ﴾ فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه)⁽²⁾.
وعن أم سلمة⁽³⁾، قالت: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يصلّى إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور» رواه البخاري⁽⁴⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالظُّرِّ ﴿١﴾ وَكَتَبٌ مَسْطُورٌ ﴿٢﴾ فِي رَقٍ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتُ الْمَعْمُورٌ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفُ الْمَرْفُوعُ ﴿٥﴾ وَالْبَخْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُو مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعَّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَّا ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصْلُوهَا فَاصْبِرُوْ أَوْ لَا تَصْبِرُوْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوُنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

أقسم - تعالى - بمخوقاته الدالة على قدرته العظيمة أن عذابه واقع بأعدائه،
ولا دافع له عنهم، فالطور: هو الجبل الذي يكون فيه أشجار مثل الذي كلام الله عليه

(1) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفي، وأمه أم حبيب بنت سعيد وقيل: أم جميل بنت سعيد، كان من أكابر علماء النسب، وقدم على النبي - صلى الله عليه وسلم - في فداء أسرى بدر أسلم جبير بين الحبيبة والفتح مات في خلافة معاوية سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين الإصابة (462/1).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الأذان، باب الجهر في المغرب (1475/4) حديث رقم (3798).

(3) أم سلمة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - هي هند بنت أبي أمية المعروف بزاد الراكب بن المغيرة بن عبد الله بن المخزوم كانت قبله - عليه الصلاة السلام - عند أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال قيل إنها أول ظعينة دخلت المدينة شرفها الله تعظيمها وتكريماً فهاجرت إلى الحبشة الاستيعاب (629/1).

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب سورة الطور، حديث رقم (4853).

موسى وأرسل منه عيسى، وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً إنما يقال له جبل.

﴿وَكَتَبَ مَسْطُورٍ﴾ قيل: هو اللوح المحفوظ، وقيل: الكتب المنزلة التي يقرأ على الناس جهاراً.

ولهذا قال: ﴿فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ ۚ وَالْأَيْمَنِ الْمَعْمُورِ﴾ وهو الذي فوق السماء السابعة كعبة لأهلها وهو بجبار الكعبة الأرضية.

كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: في حديث الإسراء بعد مجاوزته السماء السابعة: «ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم»⁽¹⁾، يعني: يتبعدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكتابهم، وفي كل سماء بيت يتبعده فيه أهلها ويصلون إليه، والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزة. روي أن ابن الكواه⁽²⁾ سأل علياً - رضي الله عنه - عن البيت المعمور فقال: (مسجد في السماء يقال له: الضرّاح، بجبار الكعبة، حرمتة في السماء كحرمة البيت في الأرض، يصلّي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون إليه أبداً) رواه ابن جرير⁽³⁾.

وقوله: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ قال على يعني: السماء⁽⁴⁾، ثم تلى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾⁽⁵⁾، وبه قال غير واحد واختاره ابن جرير⁽⁶⁾، وقيل هو العرش يعني أنه سقف لجميع المخلوقات.

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، باب الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السموات، حديث رقم (429).

(2) عبد الله بن عمرو اليشكوي هو ابن الكواه من رؤوس الخوارج ولم يصح حديثه ولله أخبار كثيرة مع علي، وكان يلزمـه ويعيـبه في الأسئلة وقد رجـع عن مذهبـه الخوارج وعاوـد صحبـته عليـ. لسان الميزـان (329/3).

(3) أخرجه البـهـيـ في شـعب الإـيمـانـ، بـابـ حـدـيـثـ الـكـعـبـةـ وـالـمـسـجـدـ الـحـرـامـ وـالـحـرـمـ كـلـهـ، حـدـيـثـ رقمـ (3991)، وـالمـطـالـبـ الـعـالـيـةـ بـزـوـانـدـ الـمـسـانـيدـ الـثـمـانـيـةـ، بـابـ أـخـبـارـ الـخـوارـجـ، حـدـيـثـ رقمـ (4435)، وـالـطـبـرـانـيـ فـيـ الـمـعـجمـ الـكـبـيرـ (476/1)، وـوضـعـهـ الـأـلـبـانـيـ فـيـ السـلـسـلـةـ الـضـعـيفـةـ (476/1) حـدـيـثـ رقمـ (477).

(4) يعني: بالـسـقـفـ فـيـ هـذـاـ الـمـوـضـعـ الـسـمـاءـ وـجـعـلـهـ سـقـفاـ ؛ لأنـهاـ سـماـ لـلـأـرـضـ سـماـ الـبـيـتـ الـذـيـ هوـ سـقـفـهـ، جـامـعـ الـبـيـانـ (567/21).

(5) سورة الأنبياء الآية/32.

(6) ينظر: تفسير الطبرى (567/21).

وقوله: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ قال: الريبع بن أنس⁽¹⁾: هو الماء الذي تحت العرش، الذي ينزل الله منه المطر الذي يحيي به الأجساد في قبورها⁽²⁾.

وقال الجمهور: هو هذا البحر. وختلف في معنى المسجور، قيل المراد أنه يوقد يوم القيمة ناراً ك قوله: ﴿وَإِذَا أُلْحَارُ سُجْرَت﴾⁽³⁾ أي: أضرمت فتصير ناراً تتاجج محطة بأهل الموقف⁽⁴⁾، هكذا روي عن علي وابن عباس وجماعة - رضي الله عنهم -.

وقال ابن زيد⁽⁵⁾ إنما سميت البحر مسجوراً لأنه لا يشرب منه ماء ولا يسكن به زرع، وكذلك البحار يوم القيمة.

وقال قتادة: المسجور: المملوء يقال سجرت الأناء إذا ملأته، واختاره ابن جرير، وقيل الفارغ، وقيل المراد بالمسجور المكفوف عن الأرض يغمرها فيغرق أهلها، كما روي عن عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - مرفوعاً (ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلث مرات، يستأند الله أن ينفضخ عليهم، فيكفه الله عزّ وجلّ) رواه أحمد⁽⁶⁾.

وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقٌ﴾ هذا هو المقسم عليه ؛ أي: واقع بالكافرين

(1) الريبع بن أنس البكري الحنفي البصري ثم الخرساني، روى عن أنس بن مالك وأبي العالية والحسن البصري وصفوان بن حمز روى عنه أبو جعفر الرازى والأعمش وسليمان التيمي وقال ابن أبي حاتم صدوق وهو أحب إلى أبي العالية، (ت 139هـ)، تهذيب التهذيب (3/207).

(2) فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه جهنم، رواه صفوان بن يعلى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا الحديث مرسل فإن صفوان هو بن يعلى ابن أمية وهو تابعي مشهور، وأما أبوه فهو صحابي من أصحاب رسول الله الثاني: هو بحر تحت العرش، رواه أبو صالح عن على - رضي الله عنه - الثالث: هو بحر الأرض وهو الظاهر وهو قول الجمهور. النكث والعيون (5/378). والدر المنثور (13/697).

(3) سورة الانفطار الآية 6.

(4) المسجور: المملوء، يقال: سجرت الإناء إذا ملأته قاله مجاهد والكلبي، وقال أبو العالية: هو اليابس الذي قد ذهب ماؤه ونضب، وقال الريبع بن أنس: المختلط العذب بالملح، معلم التنزيل (7/386). وإنما سمي البحر المسجور؛ لأنه لا يشرب منه ماء ولا يسكن به زرع. تفسير ابن كثير (7/429).

(5) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوى، المتوفي (182هـ). الإكمال في رفع الارتباط (3/161).

(6) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (1/395)، حديث رقم (303)، وضعقه الألبانى في السلسلة الضعيفة والموضوعة (2/382)، حديث رقم (4392).

﴿مَا لَهُو مِنْ دَافِعٍ﴾ أي: ليس له دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله بهم ذلك.

روي أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قرأ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ فريا لها ربوة عيد منها عشرين يوماً⁽¹⁾، قوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ قال ابن عباس: أي يتحرك تحركاً وهو تشدقها، وفيه تدور دوراً وتموج بعضها في بعض ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيِّرًا﴾ أي: يذهب فيصير هباء منبأً وتتشف نشفاً.

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله ونكاله بهم ﴿أُلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ أي: هم في الدنيا يخوضون في الباطل ويتخذون دينهم هزواً ولعباً، ﴿يَوْمَ يُدَعَّونَ﴾ أي: يدفعون ويساقون ﴿إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَّا﴾ أي: يدفعون فيها دفعاً هذه النار أي: يقول لهم الزبانية ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْתُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ تقريراً وتوبيناً ﴿أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبَصِّرُونَ ﴽ٥﴾﴾ هذا توبيخ لهم أيضاً على ما كانوا ينسبون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السحر الذي يعطي الأ بصار ﴿أَصْلُوهَا﴾ أي: ادخلوها دخول من يغمره في جميع جهاته.

﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: سواء صبرتم على عذابها أم لم تصبروا لا خلاص لكم منها ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴽ٦﴾﴾ أي: لا يظلم الله أحداً، بل يجازى كلّاً بعمله.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَعِيمٍ ﴽ٧﴾ فَكَيْهِنَ بِمَا ءاتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴽ٨﴾ لُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئَةً مَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴽ٩﴾ مُتَكَبِّرُونَ مَنْ عَلَى سُرُّ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجَنَّهُمْ بِحُورٍ عَيْنٍ ﴽ١٠﴾﴾

أخبر - تعالى - عن حال السعداء فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَعِيمٍ﴾ وذلك

(1) أخرجه السيوطي في الجامع الحديث، (28/28)، باب مسند عمر بن الخطاب، وكنز العمال (589/12) حديث رقم (35832).

(2) فيه سبعة تأويلات بين أقوال المفسرين أحدها: معناه تدور دوراً قاله مجاهد، الثاني: تموج موجاً قاله الضحاك، الثالث: تشدق السماء قاله ابن عباس، الرابع: تجري السماء جريأً، الخامس: تتكفاً بأهلها قاله أبو عبيدة، السادس: تقلب انقلاباً، السابع: أن السماء هاهنا الفلك، وموره اضطراب نظمها واختلاف سيره قاله ابن بحر، الثالت والعيون (380/5)، والدر المنثور (700/13).

بضد ما أولئك فيه من العذاب، ﴿فَكِهِينَ﴾ أي: متkehين متعمعين بما أتاهم الله من النعيم من أصناف المستذات ﴿وَوَقْتُهُمْ رَبِّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ أي: وقد نجاهم الله من عذاب النار، وتلك نعمة مستقلة بذاتها على حدتها مع ما أضيف إليها من دخول الجنة.

وقوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أي: يقال لهم كلوا واشربوا ﴿هَنِيئَةً﴾ أي: مأمون العاقبة عن السقم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: هذا بذلك تقضلاً منه وإحساناً، قوله: ﴿مُتَّكِّهِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ أي: موضوعة بعضها إلى جنب بعض.

قال ابن عباس: - رضي الله عنه- أي: السرر في الحال، كما في الحديث المرفوع (إن الرجل ليتكىء المتكأ مدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يمله، يأتيه ما اشتهرت نفسه ولذت عينه) رواه ابن أبي حاتم⁽¹⁾.

﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عَيْنٍ﴾ أي: وجعلنا لهم قرينات صالحات وأنكناهم زوجات حسان من الحور العين.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَتَبْعَثْنَاهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانِ الْحُكْمَا بِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَمَا آتَشَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كُلُّ أُمْرِيٍّ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢﴾ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَكِهَةٍ وَلَحِمٍ مِمَّا يَشَهُونَ ﴿٣﴾ يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٤﴾ وَيَطْوُفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأْنَهُمْ لَوْلُؤُ مَكْنُونُون் ﴿٥﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنْ أَلَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَنَا عَذَابَ السُّومِ ﴿٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾

أخبر - تعالى - عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه، أن المؤمنين إذا أتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بأبنائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم لتقرّ أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجه.

ولهذا قال: ﴿الْحُكْمَا بِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ فيرفع الناقص في العمل بكماله ولا ينقص ذلك

(1) لم أقف عليه عند ابن حاتم، ووقفت عليه في المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني، باب صفة الجنة أسكننا الله إياها، حديث رقم (4728).

من عمله ومنزلته، كما قال: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهِمْ﴾ أي: وما نقصنا الآباء من عملهم من شيء.

قال ابن عباس: - رضي الله عنه - مرفوعاً «إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كان دونه في العمل لتقريهم عينه»⁽¹⁾، ثم قرأ هذه الآية.

كما قال في رواية أخرى، أي: والذين أدرك ذريتهم الإيمان فعملوا بطاعتي أحقتهم بآبائهم إلى الجنة وأولادهم الصغار تلحق بهم، وعن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا دخل المؤمن الجنة سأله عن أبيه وزوجته وولده. فيقال له لم يبلغوا درجتك، فيقول: يارب قد عملت لي ولهم فيؤمر بإلحاقي به) رواه الطبراني⁽²⁾.

وعن علي - رضي الله عنه - قال: سألت خديجة⁽³⁾ النبي - صلى الله عليه وسلم - عن والدين ماتا لها في الجاهلية، فقال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (هما في النار) فلما رأى الكراهة في وجهها قال: (لو رأيت مكانهما لأبغضتهما) قالت: يا رسول الله فولدي منك؟ قال: (في الجنة) ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار) ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ﴿وَالَّذِينَ عَامَنُوا وَاتَّبَعُوكُمْ دُرِّيَّتُهُمْ﴾ هكذا في مسند أحمد⁽⁴⁾.

وهذا فضله - تعالى - على الأبناء ببركة عمل الآباء، وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء.

فقد روى أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يارب أنى لي هذه؟

(1) مجمع الزوائد ونبع الفوائد (245/7)، حديث رقم (11370)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (647/5)، حديث رقم (2490).

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير (440/11)، حديث رقم (12242)، من طريق عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وقال الشيخ الألباني موضوع في الجامع الصغير وزيارته حديث رقم (1498).

(3) خديجة أم المؤمنين وسيدة نساء العالمين في زمانها أم القاسم ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشية الأسدية أم أولاد الرسول وأول من آمن به وصدقه قبل كل أحد كانت عاقلة دينة مصونة كريمة ماتت قبل الهجرة. سير أعلام النبلاء (109/2).

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (349/2)، حديث رقم (1132)، وأخرجه عبد الله بن أحمد في (مسند أبيه)، من طريق محمد بن فضل عن محمد بن عثمان عن زاذان عن علي، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، حديث رقم (5791).

يقول باستغفار ولدك لك» رواه أحمد بإسناد صحيح⁽¹⁾.

وعنه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعوه له» رواه مسلم⁽²⁾.

وقوله: ﴿كُلُّ أَمْرِيٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ لما أخبر عن مقام الفضل وهو درجة الذريعة إلى منزلة الآباء من غير عمل أخبار أيضاً عن مقام العدل وهو أنه لا يؤاخذ أحداً بذنب أحد ﴿كُلُّ أَمْرِيٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي مرتهن بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس سواء كان أباً أو ابناً.

وقوله: ﴿وَأَمْدَدْتُهُمْ بِقَكِيهٍ﴾ أي: وألقناهم بفواكه ولحم من أنواع شتى مما يستطاب ويشتهي.

وقوله: ﴿يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأسًا﴾ أي: يتعاطون فيها الكأس من الخمر، ﴿لَا لَغُو فِيهَا وَلَا تَأْثِيم﴾ قال ابن عباس: اللغو الباطل والتأنيم الكذب⁽³⁾، أي: لا يتكلمون فيها بكلام هذيان ولا فحش كما يتكلم به الشريعة من أهل الدنيا، فنزع الله خمر الآخرة عن قذورات خمر الدنيا وأذاتها فنفي عنها كما تقدم صداع الرأس ووجع البطن وإزالة العقل بالكلية، وأخير بحسن منظرها وطيب طعمها.

كما قال: ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةِ لِلشَّرِيبِينَ﴾⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿وَيَظُوفُ عَلَيْهِمْ غَلْمَانٌ﴾ أخبر عن خدمهم في الجنة كأنهم اللؤلؤ الرطب المكنون في حسنهم ونظافتهم.

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (357/16)، حديث رقم (10611)، وأبو الفضل في الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، باب الدعاء للوالدين بعد الموت، حديث رقم (1617) وصححة.

(2) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، الوصية، باب ما يلحق من الثواب بعد الموت، حديث رقم (1631).

(3) ينظر: الدر المتنور (705/13)، وفي معنى آخر في قوله: ﴿لَا لَغُو فِيهَا وَلَا تَأْثِيم﴾ وفيها أربعة أوجه: أحدها: لا باطل في الخمر ولا مأثم، قاله ابن عباس وقتادة، وإنما ذلك في الدنيا من الشيطان. الثاني: لا كذب فيها ولا حلف، قاله الضحاك، الثالث: لا يتساينون عليها ولا يؤثث بعضهم ببعضًا، قاله مجاهد، الرابع: لا لغو في الجنة ولا كذب، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً، النكت والعيون (383/5).

(4) سورة الصافات الآية/46.

كما قال: ﴿يَظْفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَنْ مُخْلَدُونَ ﴾ الآية ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: أقبلوا يتحدثون ويتسائلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا وهذا كما يتحدث أهل الشراب على الشراب إذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أمرهم ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي: قد كنا في دار الدنيا ونحن بين أهلينا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه.

﴿فَمَنْ أَلَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف، والسموم اسم من أسماء جهنم ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِ نَدْعُوهُ﴾ أي: نتضرع إليه فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا ﴿إِنَّهُ وَهُوَ الْبَرُّ﴾ أي: اللطيف الصادق بما وعد ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين. روي أن عائشة - رضي الله عنها - قرأت هذه الآية في الصلاة فقالت (الله) من علينا وقنا عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم). رواه ابن أبي حاتم.⁽¹⁾

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنْ وَلَا مَجْنُونِ ﴾ أم يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّرَبَصُ بِهِ رَبِّ الْمُنْتُونِ ﴾ قُلْ تَرَبَصُوا فِيَنِي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ أم تَأْمُرُهُمْ أَحَلَّمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ أم يَقُولُونَ تَقَوَّلُوْنَ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ فَلَيَأْتُوْنَ بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَدِيقِينَ﴾

أمر - تعالى - رسوله - عليه الصلاة والسلام - بتبلیغ رسالته إلى عباده وذكرهم بما أنزل عليه، ثم بما يرميه به أهل البهتان والفجور.

قال: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنْ وَلَا مَجْنُونِ﴾ أي: لست بحمد الله بكافر كما يقوله الجهلة من كفار قريش.

والكافر هو الذي يأتيه الرائي من الجن بالكلمة يتلقاها من خبر السماء ﴿وَلَا مَجْنُونِ﴾ وهو الذي يتخبطه الشيطان من المس.

(1) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (120/6)، والبيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (2092)، والسيوطى في الدر المنشور (707/13)، وابن أبي شيبة في مصنفه (211/2).

ثم قال منكراً عليهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَّبَصُ﴾ أي: ننتظر به قوارع الدهر، والمنون الموت، يعني نصبر ونترصد عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه ومن شأنه، قال تعالى: ﴿فُلْ تَرَبَصُوا﴾ أي: انتظروا فإني منظر معكم، وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة، في الدارين .

قال ابن عباس: - رضي الله عنه- أن قريشاً لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - قال قائل منهم: احبسوه في وثاق وترقصوا به المنون حتى يهلك، كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابغة، إنما هو كأحدهم، فأنزل الله ذلك من قولهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَّبَصُ بِهِ رَبِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁾ .

ثم قال: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ﴾ أي: عقولهم تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الأقوال الباطلة التي يعلمون في أنفسهم أنها كذب وزور ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: لكن هم قوم ضلال بعيد معاندون، فهذا هو الذي يحملهم على ما قالوه فيك.

وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ أي: اختلقه وافتراه من عند نفسه يعنون القرآن، قال الله: ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: بالقرآن ولا يرجعون عن كفرهم الذي يحملهم على هذه المقالة، ثم ألمتهم الحجة .

فقال: ﴿فَلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَدِيقِينَ﴾ في قولهم افتراه فليأتوا بمثل ما جاء به محمد من هذا القرآن، فإنهم لو اجتمعوا هم والخلائق ما جاءوا بمثله ولا بعشر سور من مثله.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ⑤ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ⑥ بَلْ لَا يُوْقِنُونَ ⑦ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنٌ رَّبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ⑧ أَمْ لَهُمْ سُلْطَنٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ⑨ فَلَيَأْتُوا بِمُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ⑩ أَمْ لَهُ الْبَنْتُ وَلَكُمُ الْبَنْتُونَ ⑪ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرِمٍ مُّنْقَلُونَ ⑫ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ⑬ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ

(1) ينظر: جامع البيان (593/21)،

كَفَرُوا هُمُ الْمُكَيْدُونَ ﴿٤﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ هذا المقام في إثبات الربوبية، وتوحيد الألوهية.

قال: **﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلِقُونَ﴾** أي: أوجدوا من غير موجد؟ أم أوجدوا أنفسهم؟ أي: لا هكذا ولا ذاك، بل الله الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً.

في الصحيحين عن جبير بن مطعم⁽¹⁾ قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في المغرب والطور فلما بلغ هذه الآية **﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلِقُونَ ﴿٤﴾ أَمْ حَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوَقِّعُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ حَزَّارِينَ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾** كاد قلبي أن يطير⁽²⁾ وكان سماعه هذه من هذه السورة من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام بعد وقعة بدر.

ثم قال تعالى: **﴿أَمْ حَلَقُوا السَّمَاوَاتِ﴾** أي: أهم خلقوا السموات والأرض؟ وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله وهم يعلمون أنه الخالق وحده لا شريك له، لكن عدم إيقانهم به يحملهم على ذلك.

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ حَزَّارِينَ رَبِّكَ﴾ أي: أهم يتصرفون في الملك وبيدهم مفاتيح الخزائن **﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾** أي: المحاسبون للخلائق، ليس الأمر كذلك، بل الله هو المالك المتصرف الفعال لما يريد.

وقوله: **﴿أَمْ لَهُمْ سُلْطَنٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾** أي: مرقة إلى الملائكة الأعلى **﴿فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾** أي: فليأت الذي يستمع لهم بحجية ظاهرة على صحة ما هم فيه من الفعال والمقال أي: ليس لهم سبيل إلى ذلك فليسوا على شيء ولا لهم دليل. ثم قال منكراً عليهم فيما نسبوه إليه من البناء وجعلهم الملائكة إناثاً، واختيارهم الذكور لأنفسهم على الإناث، بحيث إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله وعبدوهم مع الله.

(1) سبق ترجمته ص 75 من هذه الرسالة.

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب سورة الطور، حديث (4854).

قال: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَثُ وَلَكُمُ الْبُئْنَوْنَ﴾ وهذا تهديد ووعيد ﴿أَمْ سَعَلُهُمْ أَجْرًا﴾ أي: أجرة على بлагوك إياهم رسالة الله، أي: لست تسألهم على ذلك شيئاً ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرِمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ أي: فهم من أدنى شيء يتبرمون ويتقلمون وبشق عليهم ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي: ليس الأمر كذلك فإنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ يعني: ألم يريد هؤلاء بقولهم هذا فيك، وفي الدين غرور الناس والكيد بك وب أصحابك، وبالكيد لهم إنما يرجع على أنفسهم ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ هذا إنكار شديد على المشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد مع الله، ثم نرّه نفسه الكريمة عمّا يقولون ويفترون فقال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلْقَوْا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يوم لا يُغْنِي عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَاصْبِرْ لِحَكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَيِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ ﴿وَمِنَ الْيَلِ فَسِّيْحَهُ وَإِذْبَرَ الْثُجُومَ﴾

أخبر - تعالى - عن المشركين المعاندين بالنكارة المحسوبة.

قال: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ أي: عليهم يعنون به لما صدقوا، ولا أيقنوا بل يقولون: هذا سحاب مرکوم؛ أي متراكم بعضه على بعض يسبقنا.

قال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ أي: دعهم يا محمد ﴿حَتَّى يُلْقَوْا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ وذلك يوم القيمة ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ أي مكرهم شيئاً ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ أي: لا ينفعهم من العذاب.

ثم قال: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي قبل ذلك في الدنيا كقوله ﴿وَلَئِنْ يَقَنُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الآية.

ولهذا قال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: نعذبهم في الدنيا ونبتليهم فيها بالمصائب لعلهم يرجعون ويتوبون فلا يفهمون ما يراد بهم، بل إذا جلى عنهم ما

كانوا فيه، عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه كما جاء في بعض الأحاديث (إن المنافق إذا مرض وعوفي مثله في ذلك كمثل البعير، لا يدرى فيما عقلوه ولا فيما أرسلوه).⁽¹⁾

وقوله: ﴿وَاصْبِرْ لِحَيْثُ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنَنَا﴾ أي: اصبر على أذاهم ولا تبالهم فإنك بمرأى منا وتحت كلأتنا والله يعصمك من الناس.

وقوله: ﴿وَسَيِّخْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قال الضحاك: وغير واحد، أي: إلى الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك، وتبarak اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك⁽²⁾. وقد روى مسلم في صحيحه عن عمر أنه كان يقول: «هذا في ابتداء الصلاة» رواه أحمد وأهل السنن⁽³⁾.

عن أبي سعيد - رضي الله عنه - وغيره عن النبي - صلى الله عليه وسلم - «أنه كان يقول ذلك»⁽⁴⁾.

وقال أبو الجوزاء⁽⁵⁾: أي: حين تقوم من نومك من فراشك⁽⁶⁾، واختاره ابن جرير مستظهراً بما رواه، عبادة بن الصامت⁽⁷⁾ - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب ذكر ما في الأوجاع والأمراض (179/7) حديث رقم (9916)، وضيقه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير (25/11) حديث رقم (4578).

(2) ينظر: جامع البيان (606/21)، والدر المنثور (713/13).

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب حجة من قال: (لا يجهر بالبسملة) (52/1)، حديث رقم (399).

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (51/18) حديث رقم (11473)، وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك رقم (775)، والترمذى في سننه، كتاب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة، حديث رقم (242)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الافتتاح، باب نوع آخر من الذكر (132/2)، وابن ماجه سننه، كتاب الإقامة، باب افتتاح الصلاة، حديث رقم (804)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (708/13) حديث رقم (6323).

(5) أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الربعي البصري من كبار العلماء حدث عن عائشة وابن عباس وعمرو بن العاص روى عنه، أبو الأشهب العطاردي وعمرو بن مالك النكري وكان أحد العباد الذين قاموا على الحجاج سير أعلام النبلاء (421/7).

(6) ينظر: تفسير ابن كثير (439/7).

(7) عبادة بن الصامت بن قيس بن فهر بن الخزرج الإمام القووة أبوالوليد الأنصارى أحد النقباء ليلة العقبة، سكن بيته المقدس، حدث عنه أبو أمامة الياهلي شهد المشاهد كلها مع النبي وأحد الذين جمعوا القرآن في زمن النبي مات ببيت المقدس. (ت 35هـ)، سير أعلام النبلاء (6/5، 27/4)، والإصابة (200/1)، وشذرات الذهب.

عليه وسلم - أنه قال: «من تعاَزَ من الليل فقال: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير، سبحان الله، والحمد لله ولا إِلَهَ إِلَّا اللهُ والله أكْبَرَ ولا حول ولا قوَّةَ إِلَّا بالله».

ثم قال: رب اغفر لي - أو قال: ثم دعا - استجيب له، فإن عزم فتوضاً ثم صلَى قبلت صلاتِه» رواه البخاري وغيره⁽¹⁾.

وقال مجاهد وعطاء⁽²⁾: أي حين تقوم من كل مجلس إن كنت أحسنت ازدلت خيراً، وإن كنت غير ذلك كان هذا كفارة له⁽³⁾.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلَى الله عليه وسلم - أنه قال: «من جلس في مجلسه فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إِلَهَ إِلَّا أنت أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ» رواه الترمذى وصححه والنسائى⁽⁴⁾ في عمل اليوم والليلة

وقوله: ﴿وَمَنْ أَلَّيْلَ فَسَبِّحْهُ﴾ أي: اذكره واعبده بالتلاوة والصلاحة في الليل كما قال: ﴿وَمَنْ أَلَّيْلَ فَتَهَبَّجَ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُودًا﴾⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿وَإِذْبَرَ الْثُجُومَ﴾ قد سبق أنها الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر فإنهما مشروعتان عند إدبار النجوم؛ أي: عند جنوبيتها.

وقد روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً: (لا تدعوهما وإن

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، باب فضل من تعار من الليل فصلٍ (387/1)، حديث رقم (1103).

(2) عطاء بن أبي رياح من مولدي الجناد نشأ بمكة وعلم الكتابة بها، وكان مولىبني فهر يكنى بأبي محمد وكان أسود وأعور وأفطس وكان عالماً بالقرآن ومعانيه وهو ابن ثمانين توفي سنة خمس عشرة ومائة، طبقات المفسرين (14/1).

(3) ينظر: الدر المنثور (711/13)، وتفسير الإمام مجاهد (624)، وتفسير الصحاх (801).

(4) أخرجه الترمذى في سننه، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من مجلسه (7/423)، رقم (3429)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا جلس في مجلس كثر فيه لغطه، رقم (1023)، وصححه الترمذى ووافقه الألبانى في صحيح سنن الترمذى، رقم (2433).

(5) سورة الإسراء الآية/79.

طردتمكم الخيل) رواه أبو داود⁽¹⁾.

وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: لم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر» وفي لفظ لمسلم: «ركعتنا الفجر خير من الدنيا وما فيها»⁽²⁾.

(1) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في تخفيفهما (ركعتي الفجر) (1487)، حديث رقم (1260)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير (360/29)، حديث رقم (14360).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح التهجد، باب تعاهد ركعتي الفجر ومن سماهما تطوعا، حديث رقم (1169)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي الفجر، حديث رقم (725).

تفسير سورة النجم

وهي مكية

في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: (أول سورة أنزلت فيها سجدة ﴿وَالنَّجْمِ﴾ فسجد فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفأً من تراب سجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً⁽¹⁾، قال البخاري هو أمية بن خلف⁽²⁾ وقد جاء في غير هذه الرواية أن ذلك الرجل عتبة بن ربيعة⁽³⁾، والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ② وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ④﴾.

قال الشعبي⁽⁴⁾ وغيره: الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لainbighi أن يقسم إلا بالخالق) رواه ابن أبي حاتم⁽⁵⁾.

فقوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ قال مجاهد: يعني به الثريا إذا سقطت مع الفجر⁽⁷⁾، وهكذا عن ابن عباس وغيره واختاره بن جرير وقيل هو الزهرة .

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، باب سورة النجم (1842/4) حديث رقم (4582)، ومسلم في صحيحه، باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة (234/5) حديث رقم (1905).

(2) أمية بن خلف بن وهب من بني لوي، أحد جبابرة قريش في الجاهلية ومن ساداتهم، أدرك الإسلام ولم يسلم، وهو الذي عذب بلا حبس في بداية ظهور الإسلام، وأسره عبد الرحمن بن عوف يوم بدر فرأه بلا فصاح بالناس يحرضهم على قتلته فقتلوه، الأعلام للزركي (22/2). لم أعثر على ترجمته إلا في كتاب الأعلام للزركي .

(3) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أخو شيبة قتل حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - يوم بدر كافراً، تهذيب الأسماء (448/1).

(4) الشعبي: هو عامر بن شراحيل الإمام عالمة العصر أبو عمرو الهمданى . ويقال: هو عامر بن عبد الله وكانت أمه من سبى جلواء مولده في إمرة عمر بن الخطاب، سير أعلام النبلاء (295/4)

(5) هو عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران أبو محمد التميمي الحنظلي، الإمام بن الإمام حافظ الري وابن حافظها كان بحراً في العلم رحل مع أبيه صغيراً وبنفسه كبيراً وسمع من أبيه وابن وارة وأبا زرعة، روى عنه الحسين بن التميمي وعلى بن عبد العزيز من مصنفاته تفسير في أربع مجلدات وكتاب الجرح والتعديل مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة. طبقات المفسرين (326/3).

(6) لم أقف عليه عند ابن أبي حاتم، ورواه ابن كثير في تفسيره (442/7).

(7) أي: ذلك النجم الذي (هوى)، هو لهذه النبوة التي حدثت، وفي قوله (إذا هوى) أقاويل منها النجوم إذا رقي إليها الشياطين، وإذا سقط، وإذا ارتفع أو نزل. النكت والعيون (390/5)، وفي معنى آخر أقسم بالثريا أو بخنس النجوم إذا غرب أو انتشر يوم القيمة ، مدارك التنزيل (389/3).

وقال الضحاك: ﴿إِذَا هَوَى﴾ إذا رمى به الشياطين عند استراحتهم السمع⁽¹⁾.

وعن مجاهد: يعني القرآن إذا نزل،⁽²⁾ وهذه الآية كقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ الْثُجُومِ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ لَقَسْمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٨﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٩﴾ لَا يَمْسُهُ وَإِلَّا الْمُظَهَّرُونَ ﴿١٠﴾ تَنْزِيلٌ مِّنْ رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾﴾.⁽³⁾

وقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ هذا هو المقسم عليه وهو الشهادة للرسول - عليه الصلاة والسلام - بأنه راشد تابع للحق ليس بضال.

والضال هو الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم⁽⁴⁾، والغاوي هو العالم بالحق، العادل عنه إلى غيره فنزله الله رسوله وشرعيه، عن مشابهة أهل الضلال كالنصاري وطرائق اليهود. وهي علم الشيء وكتمانه، والعمل بخلافه، بل هو - صلى الله عليه وسلم - وما بعثه الله به من الشرع المطهر في غاية الاستقامة والاعتدال، وللهذا قال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ أي: لا يقول قولهً عن هوى وغرض نفسيه ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿١﴾﴾ أي: إنما يقول ما أمر به يبلغه إلى الناس كاملاً موفوراً عن غير زيادة ولا نقصان.

كما روى أبو أمامة⁽⁵⁾ أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «ليدخل الجنّة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحسين - ربيعة ومضر - فقال رجل:

(1) فقد روى عكرمة عن ابن عباس: أنه الرجوع من النجوم، معلم التنزيل (399/7).

(2) يعني: الثريا إذا سقط مع الفجر، تفسير الإمام مجاهد (625)، والعب تسمى الثريا نجماً سنّة منها ظاهرة وواحدة خفيّة يمتحن الناس بهم أبصارهم، تفسير القرطبي (6/20).

(3) سورة الواقعة الآية/ 80 .

(4) يعني به محمد - صلى الله عليه وسلم - وفيه وجهان، أحدهما: ما ضل عن قصد الحق ولا غوى في اتباع الباطل، الثاني: ما ضل بارتكاب الضلال، وما غوى بأن خاب سعيه، النكث والعيون (5/390). وفي معنى لآخر بقوله (ما غوى) وما صار غويًا، ولكنه رشيد سديد، يقال: غوى يغوي من الغي وهو غاوي وغوى يغوي من اللعن إذا بشّم، جامع البيان في تأويل القرآن للطبراني (22/8).

(5) أبو أمامة الباهلي وأسمه صدي بن عجلان وجعله بعضهم منبني سهم من باهله سكن مصر ثم انقل منها فسكن حمص من الشام ومات بها من المكثرين من الرواية وأكثر حديثه عند الشاميّين توفي أبو أمامة سنة إحدى وثمانين وقيل: ست وثمانين، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام، أسد الغابة (3/139).

يا رسول الله أما ربيعة من مصر؟ قال: (إنما أقول ما أقول) رواه أحمد⁽¹⁾.

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - قال: كنت أكتب كل شيء سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أريد حفظه فنهتني قريش فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بشر يتكلم في الغضب. فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (اكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق) رواه أحمد وأبوداود⁽²⁾، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قالوا يا رسول الله إنك تلا علينا قال: (إني لا أقول إلا حقاً) رواه أحمد والترمذى⁽³⁾.

﴿ عَلِمَهُ وَشَدِيدُ الْقُوَى ⑥ ذُو مِرَّةٍ فَأَسْتَوَى ⑦ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ⑧ ثُمَّ دَنَأَ ⑨ فَتَدَلَّى ⑩ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ⑪ فَأُوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أُوْحَى ⑫ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ⑬ أَفْتَمَرُونَهُ وَعَلَى مَا يَرَى ⑭ وَلَقَدْ رَعَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ⑮ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ⑯ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ⑰ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ⑱ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ⑲ لَقَدْ رَأَى مِنْ عَائِدَتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ⑳ .﴾

أخبر - تعالى - عن رسوله محمد المصطفى - صلى الله عليه وسلم - أنه علمه الذي جاء به إلى الناس ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ وهو جبريل - عليه السلام -.

كما قال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ㉑ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ㉒﴾⁽⁴⁾
وقال هنا ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: ذو قوة، قاله مجاهد وغيره⁽⁵⁾، قال ابن عباس: ذو منظر

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (257/5)، حديث رقم (22269)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (9494).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (57،58/11)، حديث رقم (65109)، وأبو داود في سننه، كتاب العلم، باب في كتابة العلم، حديث رقم (3646)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (3099).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (185/14)، حديث رقم (8481)، والترمذى في سننه، باب ما جاء في المزاح، حديث رقم (2121)، وصححه الترمذى ووافقه الألبانى في صحيح وضعيف سنن الترمذى، حديث رقم (1990).

(4) سورة التكوير، الآية/21.

(5) فيه خمسة أوجه أحدها: ذو منظر حسن، قاله ابن عباس، الثاني: ذو غباء، قاله الحسن، الثالث: ذو قوة، قاله مجاهد، الرابع: ذو صحة في الجسم وسلامة في الأفاق، الخامس: ذو عقل قاله الأنباري.النكت والعيون (391/5).

حسن وقوّة شديدة⁽¹⁾.

وقوله: ﴿فَأَسْتَوَى﴾ يعني: جبريل استوى في الأفق الأعلى، وهو الذي يأتي منه الصبح والنهار، وقال مجاهد: هو مطلع الشمس⁽²⁾.

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «لم ير جبريل في صورته إلا مرتين: أما واحدة فإنه سأله أن يريه في صورته فسد الأفق، وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد فذلك قوله: ﴿وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعُلَى﴾» رواه ابن أبي حاتم⁽³⁾.

وذهب ابن حجر خاصية إلى أن المعنى فاستوى؛ أي: هذا الشديد القوى ذو المرة هو محمد - صلى الله عليه وسلم - ⁽⁴⁾ بالأفق الأعلى؛ جميعاً وذلك ليلة الإسراء ولم يوافقه أحد على ذلك.

وعن عبد الله قال: رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سدّ الأفق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم» انفرد به أحمد⁽⁵⁾.

(1) يعني: قوّة وشدّة في خلقه يعني جبريل قاله ابن عباس ذو مرّة يعني منظر حسن، وقال مقاتل: ذو خلق طويل حسن، معلم التنزيل (400/7)، مدارك التنزيل (390/3).

(2) فيه تفصيل أحدها: فاستوى جبريل في مكانه قاله سعيد بن جبير، الثاني: قام جبريل على صورته التي خلق عليها لأنه كان لا يظهر له قبل ذلك. الثالث: فاستوى القرآن في صدره أي: أنه اعتل في قوته وفي رسالته النكث والعيون (392/5)، وفي معنى آخر: في قوله: (فاستوى) أي: فاستقام على صورة نفسه الحقيقة دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى. معلم التنزيل (390/3).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (411/6)، حديث رقم (3864)، وأبو الفضل في المسند الجامع (201/28)، حديث رقم (9287) وصححه، رواه الطبراني في المعجم الكبير (225/10).

(4) قوله: (فاستوى) أي: هذا الشديد القوى وصاحبكم محمد بالأفق الأعلى، وذلك لما أسرى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - استوى هو وجبريل - عليهما السلام - بمطلع الشمس الأعلى وعطف الأعلى وعطف بقوله (وهو) على ما في قوله فاستوى من ذكر محمد - صلى الله عليه وسلم - جامع البيان (12/22).

(5) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، باب إذا قال أحدهم آمين، حديث رقم (3060)، بلفظ «أنه رأى جبريل له ستمائة جناح»، ومسلم في صحيحه، باب في ذكر سدنة المنتهى، حديث رقم (450)، بلفظ «رأى جبريل له ستمائة جناح»، والإمام أحمد في مسنده (294/6)، حديث رقم (3748)، وأبو الفضل في المسند الجامع (202/28)، حديث رقم (9288).

وقوله: ﴿تُمَّ دَكَّا فَتَدَلَّ ⑧ فَكَانَ قَابَ قَوْسِينِ أَوْ أَدْنَى﴾ أي: ثم اقترب جبريل إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد - عليه الصلاة والسلام - قاب قوسين أي: بقدرهما إذا مذا، قاله مجاهد وقادة والتداли هو النزول على الشيء حتى يقرب منه⁽¹⁾ وقد قيل: إن المراد بذلك بعد ما بين وتر القوس إلى كبدتها.

وقوله: ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ أي: أقرب وهذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثبات المخبر عنه ونفي ما زاد عليه، قوله: ﴿تُمَّ قَسْتُ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُ قَسْوَةً﴾⁽²⁾ أي: ما هي بألين من الحجارة بل هي مثلها أو يزيد عليها في الشدة والقوءة، وهكذا هذه الآية.

وهذا الذي قيل من المقترب الداني الذي صار بينه وبين محمد - صلى الله عليه وسلم - جبريل - عليه السلام - وهو قول عائشة وابن مسعود وأبي ذر وأبي هريرة - رضي الله عنهم - روه مسلم في صحيحه⁽³⁾.

عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه قال: «رأى محمد ربه بفؤاده مررتين فجعل هذه إحداهما»⁽⁴⁾، وجاء في حديث شريك بن أبي نمر⁽⁵⁾.

عن أنس - رضي الله عنه - في حديث الإسراء: «ثم دنا الجبار رب العزة

(1) فيه أقاويل: أحدها: قيد قوسين، قاله قادة والحسن، الثاني: أنه بحيث الوتر من القوس، قاله مجاهد، الثالث: من مقبضها إلى طرفها، قاله عبد الحارث، الرابع: قدر ذراعين قاله السدي، فيكون ألقاب، عبارة عن القدر والقوس عبارة عن ذراع، ثم اختلفوا في المعنى بهذا الداني على ثلاثة أوجه. أحدها أنه جبريل من ربه، قاله مجاهد وهو قول ابن عباس، الثاني: أنه محمد - صلى الله عليه وسلم - من ربه، قاله محمد بن كعب، الثالث: أنه جبريل من محمد - صلى الله عليه وسلم - النكث والعيون (393/5).

(2) سورة البقرة الآية/73.

(3) ﴿وَهُوَ بِالْأُفْقِ الْأَعْنَى﴾، وذلك أن جبريل كان يأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في صورة الأدميين كما كان يأتي النبيين فسأله رسول الله أن يريه نفسه على الصورة التي جبل عليها فأراه نفسه مررتين معالم التزيرil (401/7).

(4) أخرجه مسلم في الصحيح الجامع، باب معنى قول ولقد رأه نزلة، حديث رقم (455).

(5) شريك بن عبدالله بن أبي نمر، أبو عبدالله المدني، صدوق، يخطئ من الخامسة، مات في حدود أربعين ومائة، تقريب التهذيب، لابن حجر ص 317.

فتدى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى⁽¹⁾، ولهذا تكلم كثير في متن هذه الرواية فإن صح فهو محمول على وقت آخر وقصة أخرى؛ لأنها تفسير لهذه الآية، فإن هذه كانت ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الأرض لا ليلة الإسراء، ولهذا قال ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝﴾ فهذه هي ليلة الإسراء، والأولى كانت في الأرض، وعن سليمان الشيباني⁽²⁾ قال: سألت زرًا عن قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝﴾

قال: حدثنا عبد الله أن محمدًا - صلى الله عليه وسلم - «رأى جبريل - عليه السلام - له ستمائة جناح» رواه البخاري⁽³⁾.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان أول شأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «أنه رأى في منامه جبريل بأجياد، ثم إنه خرج ليقضي حاجته فصرخ به جبريل يا محمد يا محمد فنظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يميناً وشمالاً فلم ير شيئاً ثالثاً، ثم رفع رأسه فإذا هو ثاني رجليه على الأخرى على أفق السماء فقال: يا محمد جبريل جبريل، يسكنه فهرب النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى دخل في الناس فلم ير شيئاً»⁽⁴⁾.

ثم خرج من الناس ثم نظر فرأه فدخل في الناس فلم ير شيئاً ثم خرج فنظر فرأه، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝﴾ يعني جبريل إلى محمد ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝﴾ قيل ألقاب نصف أصبع وقيل ذراعين كان بينهما.

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه - ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝﴾ لقد رأى

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التوحيد، باب قوله ﴿وَلَكَمْ أَلَّهُ مُوسَى تَكَلِّيمًا ۝﴾، حديث رقم (7079).

(2) هو إسحاق بن سليمان بن أبي سليمان الشيباني سليمان والده، وهو أبو اسحاق الشيباني وقيل غيره، روى عن أبيه، وروى عنه أبو أسامة وعقبة بن المغيرة . تهذيب التهذيب (1/206).

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، التفسير، باب إذا قال أحدهم آمين والملائكة (3/1181) حديث رقم (3060).

(4) لم أقف على تحريره.

(5) التدلي هو النزول بقرب الشيء، وقد جاء التقدير بالقوس، والرمح، والسوط، والذراع، والباع، ومنه: لا صلاة حتى ترتفع الشمس مقدار رمحين. معالم التنزيل (3/390).

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «جبريل في حلٍّ من رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض» رواه ابن جرير⁽¹⁾.

فعلى هذا يكون قوله: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْ عَبْدِهِ مَا أُوحِيَ﴾ معناه فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى، أو فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل.

وعن سعيد بن جبير⁽²⁾ - رضي الله عنه - قال: أوحى الله إليه ﴿إِلَمْ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَأَوْيَ﴾⁽³⁾.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾⁽⁴⁾ وقال غيره إن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتاك ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾⁽⁵⁾ ﴿أَقْتَمَرُوتَهُ وَعَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ قد سبق عن ابن عباس (أنه رأه بفؤاده مررتين)⁽⁵⁾، وعن ابن مسعود وغيره أنه رأه مطلاً وهو محمول على المقيدة بالفؤاد،⁽⁶⁾ قال الشيخ رحمه الله ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب فإنه لا يصح في ذلك شيء من الصحابة.

وقول البغوي في تفسيره يعني: المعلم⁽⁷⁾ وذهب جماعة إلى أنه رأه بعينيه وقول أنس والحسن وعكرمة وفيه نظر، والله أعلم.

(1) أخرجه الترمذى فى سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة النجم، حديث رقم (3594)، والنمسائى فى سننه، كتاب التفسير، باب سورة النجم، حديث رقم (11541)، وصححه الألبانى فى صحيح وضعيف سنن الترمذى، حديث رقم (3283).

(2) سعيد بن جبير بن هشام الوالى مولاهم الإمام الحافظ المفسر الشهيد أبو محمد ويقال: أبو عبد الله الوالى مولاهم أحد الأعلام، روى عن ابن عباس كان يدعوا (اللهم إنى أسلك صدق التوكى عليك، وحسن الظن بك (ت 95 هـ) سير أعلام النبلاء (359/7)).

(3) سورة الضحى الآية 6/

(4) سورة الشرح الآية 4/

(5) أخرجه مسلم فى الجامع الصحيح، باب معنى قول الله - عز وجل - ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزَلَةً أُخْرَى﴾، حديث رقم (176).

(6) وفي معنى: الفؤاد قullan: أحدهما أراد صاحب الفؤاد فعبر عنه بالفؤاد؛ لأنَّه قطب الجسد وقوام الحياة. الثاني: أنه أراد نفس الفؤاد لأنَّه محل الاعتقاد.

(7) وقول البغوي في هذه الآية، ما كذب قلب محمد - صلى الله عليه وسلم - ما رأى بعينه تلك الليلة، بل صدقه وحققه، وقرأ الآخرون بالتحقيق، أي: ما كذب فؤاد محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي رأى بل صدقه، واختلفوا في الذي رأه فقال قوم: رأى جبريل وهو قول ابن مسعود وعائشة. معلم التنزيل (403/7)

وعن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهم - قال: رأى محمد ربه، قلت أليس الله يقول:

﴿لَا تُدِرِّكُهُ الْأَبْصَرُ وَهُوَ يُدِرِّكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾⁽¹⁾ قال (ويحك ذاك إذا تجلى بنوره، الذي هو نوره وقد رأى ربه مرتين) رواه الترمذى⁽²⁾ وقال: حسن غريب.

وروى أيضاً أن ابن عباس لقي كعباً بعرفة فسألته عن شيء، فكبير حتى جاوبته الجبال، فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم.

فقال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى، فكلم موسى مرتين ورأاه محمد مرتين.

وقوله: ﴿أَقْتَمْرُونَهُ وَعَلَىٰ مَا يَرَى﴾ أي: أفتجادلونه جداً لا ترمون به دفعه عمّا رأاه وعلمه، وكان ذلك حين رجع من الإسراء، وقال مسروق⁽³⁾: دخلت على عائشة - رضي الله عنها - فقلت هل رأى محمد ربه، فقالت: لقد تكلمت بشيء قُفَّ له شعرى فقلت: رويداً، ثم قرأت ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ عَائِتٍ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾، فقالت: أين تذهب بك إنما هو جبريل، من أخبرك أن محمد رأى ربه أو كتم شيئاً مما أمر به، أو كان يعلم الخمس⁽⁴⁾، التي قال ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ رِحْمٌ أَلْسَانَةٌ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾⁽⁵⁾ فقد أعظم الفريدة ولكنه رأى جبريل، لم يره في صورته إلا مرتين (مرة عند سدرة المنتهى، ومرة في أجياد قوله ستمائة جناح قد سد الأفق) روى البخاري نحوه⁽⁶⁾.

وعن أبي ذرق قال: سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - هل رأيت ربك فقال:

(1) سورة الأنعام الآية/103.

(2) أخرجه الترمذى في سنته، باب سورة النجم، حديث رقم (3590)، وقال أبو عيسى غريب من هذا اللفظ، وضعفه الألبانى في صحيح وضعيف سنن الترمذى، حديث رقم (3279).

(3) مسروق بن أوس بن مسروق التميمي، ثم الحنظلى ويقال: أوس بن مسروق، والأول الصواب غزا في خلافة عمر بن الخطاب وحدث عن موسى الأشعري أنه سمع يحدث بحديث الأصابع وذكر ابن حبان أنه من ثقات التابعين. الإصابة (293/6).

(4) فيه ثلاثة أقاويل، أحدها: ما غشي السدرا من فراش الذهب، قاله ابن مسعود، الثاني: أنه رأى جبريل وقد سد الأفق بأجنحته قاله ابن مسعود، الثالث: ما رأه حين نامت عيناه ونظر بفؤاده، قاله الضحاك.

(5) سورة لقمان الآية/34.

(6) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، بباب سورة النجم، حديث رقم (4577) بلفظ (قد سد الأفق)، والترمذى في سنته، كتاب التفسير بباب سورة النجم، حديث رقم (3278).

(نور أَتَى أَرَاهُ)⁽¹⁾ وفي رواية (رأيت نوراً) رواه مسلم⁽²⁾.

وقال ابن عباس: (أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤبة لمحمد - صلى الله عليه و سلم-) رواه النسائي⁽³⁾.

وقوله ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكَبِيرَى﴾ هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جبريل على صورته التي خلقه الله عليها، وكانت ليلة الإسراء، وقد سبق حديث المعراج في سورة سبحان، فابن عباس يثبت الرؤبة ليلة الإسراء مستنداً بهذه الآية، ⁽⁴⁾ وتابعه جماعة من الخلف والسلف، وخالفه جماعات من الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعون وغيرهم.

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (رأيت جبريل ولوه ستمائة جناح ينתר من ريشه التهاويل الدر والياقوت) رواه أحمد⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ قال ابن عباس: جنة يأوي إليها جبريل والملائكة، وقيل يأوي إليها أرواح الشهداء⁽⁶⁾.

وقوله: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَعْشَى﴾ أي: غشيتها الملائكة مثل الغربان وغضيها نور الرب، وغضيتها ألوان كما في حديث المعراج ما أدرى ما هي؟

قال ابن مسعود في هذه الآية: فراش من ذهب.

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب قوله - عليه السلام - نور أَتَى أَرَاهُ، حديث رقم (461).

(2) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب في قوله - عليه السلام - (نور أَتَى أَرَاهُ) حديث رقم (462).

(3) أخرجه النسائي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة النجم، حديث رقم (11539)، وصححه الألباني في ظلال الجنة، حديث رقم (442).

(4) وهو أنه ما رواه طلحة عن مَرَةٍ عن ابن مسعود قال: لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى سَدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَهِيَ فِي السَّمَاوَاتِ السَّادِسَةِ، وَإِلَيْهَا يَنْهِي مَا يَعْرُجُ مِنَ الْأَرْوَاحِ فَيَقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يَهْبِطُ بِهِ مِنْ فَوْقَهَا فَيَقْبَضُ مِنْهَا الْخَبَرَ النَّكْثَ وَالْعَيْنَ (398/5).

(5) أخرجه الإمام أحمد مسنده (404/7)، حديث رقم (4396)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذى، حديث رقم (3361).

(6) والصواب الذي انتهى إليه الطبرى أن يقال: إن معنى المنتهى هو الانتهاء، فكانه قال عند سدرة الانتهاء، لانتهاء علم كل عالم من الخلق إليها. جامع البيان (35/22). وفي معنى آخر: أن الذي يغشاها فراش من ذهب قاله ابن مسعود، وابن عباس أنهم الملائكة، والضحاك: أنه نور رب العزة.

قال أبوهيرة - رضي الله عنه - فغشيهما نور الخالق، وغشيتها الملائكة وكلمه عند ذلك وقال له سل⁽¹⁾.

وقال مجاهد: كان أغصان السدرة لؤلؤاً يا قوتاً، أو زيرجد فرأها محمد ورأى ربه بقلبه⁽²⁾.

وقال ابن يزيد: قيل: يا رسول الله ؟ أي: شيء رأيت يغشى تلك السدرة؟ قال: رأيت يغشيهما فراش من ذهب، ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكاً قائماً يسبح الله.

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ قال ابن عباس: ما ذهب يميناً ولا شمالاً⁽³⁾ ﴿وَمَا طَغَى﴾ ما جاوز ما أمر به وهذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة، فإنه ما فعل إلا ما أمر به، ولا سأل فوق ما أعطي وما أحسن ما قال الشاعر:

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو * رأى غيره ما قد رأه لتها⁽⁴⁾
وقوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾، قوله: ﴿لِئْرِيَكَ مِنْ ءَايَتِنَا الْكُبْرَى﴾⁽⁵⁾، أي الدالة على قدرتنا وعظمتنا، وبهاتين الآيتين، استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع لأنه قال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس .

﴿أَفَرَعَيْتُمُ الْلَّذَّاتِ وَالْعَزَّى ٦٦ وَمَنْوَةَ الْقَالِقَةِ الْأُخْرَى ٦٧ ۚ الْكُمُ الْذَّكْرُ وَلَهُ الْأَنْتَى ٦٨ ۚ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةً صِيزَى ٦٩ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَيَّتُهَا أَنْتُمْ وَعَابَأُوكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ٧٠ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ٧١ ۚ أَمْ

(1) أي: تعشاها الملائكة أمثال الغربان قاله مقاتل، وكذلك حين يقنن على الشجر، وقال الحسن: غشيتها نور رب العزة فاستارت.

(2) وسبب اختيار السدرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجر؟ قالوا لأن السدرة تختص بثلاثة أوصاف، وهي ظل مديد، وطعم لذيد، ورائحة زكية، فشابهت الإيمان الذي يجمع قولاً وعملاً ونية، فظلها بمنزلة العمل لتجاوزه، وطعمها بمنزلة النية لكتومه، ورائحتها بمنزلة القول لظهوره. النكث والعيون (396/5).

(3) أي: بمعنى ما مال بصر محمد فعدل يميناً ولا شمالاً عنا رأى ولا جاوز ما أمر به. يقول: فارتفع عن الحد الذي حدد له قاله جعفر، وبمعنى آخر ما زاغ يميناً ولا شمالاً قاله ابن عباس. جامع البيان (22/44).

(4) لم أقف على اسم قائله ولا كتابه.

(5) سورة طه الآية/23.

**لِإِنْسَنٍ مَا تَمَّنَى ۝ فَلِلَّهِ الْأُخْرَةُ وَالْأُولَى ۝ وَكُمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي
شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَبِرَضَى ۝**

هذا تقرير للمشركين في عبادتهم غير الله من الأصنام والأوثان، واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن.

فقال تعالى: **﴿أَفَرَءَيْتُمُ الْلَّهَ﴾** وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهلها وهم ثقيف ومن تابعها، يفتخرون بها على من عادهم من أحياه العرب بعد قريش. قال ابن جرير (وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله فقالوا: اللات، يعنون: مؤنثة منه - تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيراً)⁽¹⁾، وعن ابن عباس - رضي الله عنه - وغير واحد: أنهم قرأوا اللات بتشديد التاء، وفسروه بأنه «كان رجلاً يلت للحجيج فلما مات عكفوا على قبره بعبدوه» هكذا في البخاري⁽²⁾.

وكذا العزي من العزيز، وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة، بين مكة والطائف، كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد: إن لنا العزي ولا عزي لكم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قولوا (الله مولانا ولا مولا لكم)⁽³⁾.

وعن أبي الطفيل قال: لما فتح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث خالداً بن الوليد إلى نجد، وكانت بها العزي فأتتها خالد وكانت على ثلاثة سمرات، فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبره فقال: «ارجع فإنك لم تصنع شيئاً» فرجع خالد، فلما رأته السدنة وهم حجتها امتنعوا في الحيل وهم يقولون: يا عزي، يا عزي، فأتتها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة

(1) أما اللات: فقد كان الأعمش وهي قراءة ابن عباس ومجاهد والضحاك وورش عن تشديدها، وسائر القراء عن تحريفها، فمن خففها فلهم فيها قولان: أنه كان صنماً بالطائف كان عليه السوق لأصحابه قاله السدي، أنه صخرة يلت عليها السوق بين مكة والطائف، أما من شددها أنه كان رجلاً يلت السوق على الحجر فلا يشرب منه أحد إلاً سمن معبوده ثم مات على قبره النكت والعيون (397/5).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب **﴿أَفَرَءَيْتُمُ الْلَّهَ وَالْعَرَى﴾** حديث رقم (4859).

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المغاربي، باب غزوة أحد، حديث رقم (4043).

شعرها تحفن التراب على رأسها، فغمضها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبره فقال: «تلك العزى»⁽¹⁾.

وأما مناة فكانت عند قديد بين مكة والمدينة، وكانت خزاعة والأوس والخرج في جاهليها يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة⁽²⁾.

روى البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - نحوه، وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت آخر تعظيمها العرب كتعظيم الكعبة، غير هذه الثلاث التي نص عليها في القرآن، وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشد من غيرها.

قال ابن إسحاق⁽³⁾: وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت يعظمونها كتعظيم الكعبة. لها سدنة وحجاب ويهدى لها كما يهدى للكعبة، وتطفو بها كطوافهم بها، وتحرر عندها، وهي تعرف فضل الكعبة عليها؛ لأنها كانت تعرف أنها بيت إبراهيم - عليه السلام - ومسجده: وكانت ذو الخلصة لدوس وختعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة ويقال لها: الكعبة اليمانية أيضاً بعث إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جرير بن عبد الله فهدمها.

وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصناعة يقال لها: ريات، وذكر أنه كان به كلب أسود، وأن الحبرين اللذين ذهبا مع تبع استخراجاه وقتلاه وهدموا البيت ﴿أَلَّئِنْ أَذَكَرْ وَلَهُ أَلَّئِنِ﴾ أي: تجعلون له ولداً ثم ولداً أنتي، وتخთرون لأنفسكم الذكور، فلو اقسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانـ ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ أي: جوراً باطلة،

(1) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب سورة النجم، حديث رقم (11547)، وأبو يعلى في مسنده، (196/2) حديث رقم (902) وصححه.

(2) مناة: قيل: صخرة لهذيل وخزاعة، وقيل: لتفيف، وقيل: بالمشك من قديد بين مكة والمدينة، وكانت أعظم هذه الأوثان قدرًا وأكثرها عدداً، وكانت الأوس والخرج تهل لها، وسميت مناة لأن دماء النساء تمنى عندها. البحر المحيط (159/2).

(3) هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار وقيل ابن يسار بن كوتان المطليبي، مولى آل قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، وقيل إن كنيته أبو بكر وكان من أهل العلم بالمغازي، معازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأيام العرب وأخبارهم، وكان كثير الحديث غزير العلم، وكان ثقة مات سنة (50 هـ)، سيرة ابن إسحاق (21/2).

فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة، ثم قال منكراً عليهم فيما ابتدعوه من الكذب والاقتراء من عبادة الأصنام وتسميتها ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أي: من تلقاء أنفسكم ﴿أَنْتُمْ وَإِبْرَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ﴾ أي: من حجة وبرهان ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوِي الْأَنْفُسُ﴾ أي: ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، وإلا حظ نفوسهم في ريا ستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ أي: ولقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق المنير والحجـة القاطعة، وما اتبـعوا ما جاءـوهـم به ولا انقادـوا لهـ.

ثم قال: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَنِ مَا تَمَنَّى﴾ أي: ليس كل من تمنى خيراً حصل له ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيْكُمْ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدُ لَهُ وَمِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيَا وَلَا نَصِيرًا﴾⁽¹⁾، ما كل من زعم انه مهتد يكون كما قال ولا كل من ود شيئاً يحصل لهـ.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى، فإنه لا يدرى ما يكتب له من امنيته» تفرد به أحمد⁽²⁾.

وقوله: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ أي: إنما الأمر كله لله مالك الدنيا والآخرة والمتصرف فيهما، ﴿وَكُمْ مِنْ مَلَكِ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾.

قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ وَإِلَّا يَأْذِنُهُ﴾⁽³⁾ فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون إليها الضالـون شفاعة هذه الأصنام والأـنـداد عند الله قد نهى عن عبادتها على أـلسـنة جميع الرـسل، وأنـزلـ بالـنـهيـ عنـ ذـلـكـ منـ جـمـيعـ كـتبـهـ؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنْثَى﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ.

(1) سورة النساء الآية/ 123 .

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (316/14)، حديث رقم (8689)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (1451).

(3) سورة البقرة الآية/ 255 .

مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحُقْقِ شَيْئًا ﴿١٨﴾ فَأَغْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَ ﴿٢٠﴾.

لقد أنكر - تعالى - على المشركين في تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى، كما قال: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشَهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُّكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي: حين قالوا إنهم بنات الله.

فقال: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ليس لهم علم صحيح يصدق ما قالوه بل هو كذب وزور وافتراء ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحُقْقِ شَيْئًا﴾ أي: لا يقوم الظن مقام العلم ولا يجدي شيئاً، وقيل الحق هنا بمعنى العذاب أي: إن ظنهم لا ينقذهم من العذاب.

وقوله: ﴿فَأَغْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: من الذي أعرض عن القرآن واهجره. وقوله: ﴿إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: إنما أكثر همه ومبلغ علمه الدنيا، فذاك ما لا خير فيه ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: طلب الدنيا والسعى لها هو غاية ما وصلوا إليه.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له) رواه احمد⁽²⁾.

وفي الدعاء المأثور: «اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا»⁽³⁾. وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَ﴾ أي: هو الخالق

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (840/40)، حديث رقم (24419)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (6757).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (480/40) حديث رقم (24419)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادة (676/1) حديث رقم (6757).

(3) أخرجه الترمذى في سننه، باب اللهم أقسم لنا من خشيتك (486/12) حديث رقم (3841)، وحسنه الترمذى ووافقه الألبانى في صحيح وضعيف سنن الترمذى (2/8).

لجميع المخلوقات والعالم بمصالح عباده، وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وذلك كله من قدرته وعلمه وحكمته وهو العادل الذي لا يجوز أبداً.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِي الَّذِينَ أَسْءَلُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْخُسْنَى ٢٣﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرًا إِلَيْهِمْ وَالْفَوَاحِشُ إِلَّا اللَّهُمَّ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذَا دَعَوْتُمْ إِذَا أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمِنْ أَتَقَى ٢٤﴾.

أَخْبَرَ - تَعَالَى - أَنَّهُ مَالِكَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِنَّهُ الْغَنِيُّ عَمَّا سَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي خَلْقِهِ بِالْعَدْلِ وَخَلْقِ الْخَلْقِ بِالْحَقِّ ﴿لِيَجْزِي الَّذِينَ أَسْءَلُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْخُسْنَى﴾ أي: يجازي كلاً بعمله ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش؛ أي: لا يتعاطون المحرمات الكبائر وإن وقع منهم بعض الصغار فـإِنَّهُ يغفر لهم ويسترهم قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُمَّ﴾ استثناءً منقطع؛ لأنَّ اللَّهَمَّ من صغار الذنوب ومحقرات الأعمال.

قال ابن عباس - رضي الله عنه - إِلَّا مَا سلف⁽¹⁾، وقال مجاهد: هو الرجل يلم بالذنب ثم ينزع عنه ولا يعود⁽²⁾ وقال بعض الصحابة - رضي الله عنهم -: هو الرجل يصيب اللمة من الزنا، وللملة من شرب الخمر فيجتنبها ويتبوب منها وقال ابن الزبير⁽³⁾ - رضي الله عنه -: هو ما بين الحدين حَدَّ الدُّنْيَا وَعِذَابُ الْآخِرَةِ . ومثله عن ابن عباس وهو دون كل موجب حد، أي: ما لم يذكر الله عليه حدًا في الدنيا ولا عذاباً في الآخرة.

(1) فيه أقوال بين المفسرين أحدها إِلَّا اللَّهُمَّ الذي ألموا به في الجاهلية من الإثم والفواحش فإنه يغفو عنه في الإسلام قاله ابن زيد بن ثابت، الثاني: هو أن يلم بها ويفعلها ثم يتوب منها قاله الحسن ومجاهد. الثالث: هو أن يعزم على المواقعة ثم يرجع عنها مقلعاً. النكث والعيون (401/5).

(2) وفي معنى آخر من المفسرين في قوله ﴿إِلَّا اللَّهُمَّ﴾ أي: الصغار والاستثناء منقطع؛ لأنه ليس من الكبائر والفواحش وهو كالنظرية، والقبلة، واللمسة، والغمزة، مدارك التنزيل (394/3).

(3) ابن الزبير: هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد الأصي أبي بكر ويقال: خبيب، وأمه أسماء بنت أبي بكر هاجرت به إلى المدينة وكان أول مولود في الإسلام من قريش، ويوبع له بالخلافة عقب موت يزيد، وكانت ولادته تسع سنين وقتلها الحاجاج بن يوسف في أيام عبد الملك بن مروان في سنة ثلاثة وسبعين للهجرة. تهذيب التهذيب (188/5).

قال ابن عباس: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إن تغفر اللهم يغفر جماً وأيّ عبد لك مأಲما» رواه الترمذى وصححه⁽¹⁾.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ أي: رحمته وسعت كل شيء ومغفرته تسع المذنبين كلهم لمن تاب منها قوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذَا أَشَأْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: بصير بكم علیم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التي ستتصدر عنكم، وتقع منكم حين أنشأ آدم من الأرض، واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذر، ثم قسمهم فريقين: فريقاً للجنة وفريقاً للسعي.

وكذا قوله: ﴿وَإِذَا أَنْتُمْ أَجِنَّةٍ فِي بُطُونِ أُمَّهَتِكُمْ﴾ فكتب الملك الموكل بالجباين رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد؟ قال مكحول⁽²⁾: (كنا أجنة في بطون أمهاتنا فسقط منا من سقط، وكنا فيمن بقي ثم صرنا شيوخا لا أبا لك فماذا بعد هذا ننتظر؟) رواه أبو حاتم⁽³⁾.

وقوله: ﴿فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ﴾ قال الحسن: علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة، فلا تتركوا أنفسكم ولا تشکروها ولا تمدحوها بحسن أعمالها⁽⁴⁾ وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبَرِّ مِنْكُمْ» قاله حين غير اسم زينب بنت أبي سلمة من برة إلى زينب» رواه مسلم⁽⁵⁾.

وعن أبي بكرة أنه قال: مدح رجُل رجلاً عند النبي - صلى الله عليه وسلم - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «وَيَحْكُمُ قَطْعَتْ عُنْقَ صَاحِبِكَ - مَرَارًا -

(1) أخرجه الترمذى سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة النجم، حديث رقم (3284)، والحاكم في المستدرك (122/1)، حديث رقم (181)، وصححه الترمذى ووافقه الحاكم في المستدرك، والألبانى في صحيح سنن الترمذى، حديث رقم (2618).

(2) مكحول المشقى أبو عبد الله، عالم أهل الشام يكنى أبا عبد الله وقيل: أبو أيوب وقيل أبو مسلم الدمشقى، الفقيه أرسل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أحاديث وأرسل عن عدة من الصحابة لم يدركهم كأبي بن كعب وعبدة بن الصامت، حدث عنه الزهرى وزيد بن واقد توفي سنة اشتى عشرة ومائة. سير أعلام النبلاء (185/8).

(3) لم أقف عليه عند ابن أبي حاتم، ووقفت عليه في المجالسة وجواهر العلم (363/3)، حديث رقم (990)، من طريق أحمد بن مسلم عن عمرو بن حمزة عن داود بن أبي هند عن مكحول.

(4) أي: فلا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية بريئة من الذنب والمعاصي، جامع البيان (70/22). وفي معنى آخر أي: فلا تنسبوها إلى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات أو إلى الزكاة والطهارة من المعاصي وتنثروا عليها، واهضموها فقد علم الله الذي منكم والنقي أولاً وأخراً. مدارك التزيل (394/3).

(5) أخرجه مسلم في الصحيح الجامع، الآداب، باب استجواب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، حديث رقم (2142).

إذا كان أحدكم ما دحا صاحبه لا محالة فليقل: أحسب فلاناً، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً، أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك» رواه في الصحيحين والسياق لأحمد⁽¹⁾، وعن المقداد بن الأسود⁽²⁾ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب» رواه مسلم⁽³⁾.

﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي تَوَلَّ ۝ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ۝ أَعِنْدَهُ وَعِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ۝ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحْفِ مُوسَى ۝ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى ۝ أَلَا تَرُرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَ ۝ وَأَنَّ لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَى ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُ وَسَوْفَ يُرَى ۝ ثُمَّ يُجْزِنُهُ الْجُزَاءُ الْأَوَّلُ ۝﴾.

لقد ذم الله من تولى عن طاعته: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ۝ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّ ۝﴾⁽⁴⁾ قال ابن عباس: وكثيرون أبى: ثم قطعه، قال عكرمة وسعيد: كمثل القوم إذا كانوا يحرفون بئراً، فيجدون في أشاء الحفر صخرة تمنعهم من إتمام العمل فيقولون أكيدنا ويترون العمل⁽⁵⁾، ﴿أَعِنْدَهُ وَعِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ۝﴾ أي: عند هذا الذي قد أمسك عن الصدقة والبر والصلة بخلاً وشحاً وحرضاً. ولهذا جاء في الحديث: «انفق بلا ولا تخش من ذي العرش إقلالاً»⁽⁶⁾ ﴿أَمْ

(1) أخرجه البخاري في الصحيح الجامع، كتاب الشهادات، باب إذا زكي رجل رجلاً كفاه، حديث رقم (26629). ومسلم في صحيحه، كتاب الزهد، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، رقم (3000). والإمام أحمد في مسنده (5/6) اللفظ له.

(2) المقداد بن الأسود نسب إلى الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة الزهري لأنه كان تبناه وحاله في الجاهلية فقيل المقداد بن الأسود وهو المقداد عمرو بن ثعلبة بن مالك بم طرود بن عمرو بن سعد شهد المقداد فتح مصر ومات في أرضها فحمل إلى المدينة ثلاث وثلاثين الاستيعاب (466/1).

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، الزهد، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، حديث رقم (3002).

(4) سورة القيامة الآية/32.

(5) فيه أربعة أقوال بين المفسرين: أحدها أنه أعطى قليلاً من نفسه بالاستمتاع ثم بالإنقطاع قاله مجاهد، الثاني: أطاع قليلاً ثم عصى قاله ابن عباس، الثالث: أعطى قليلاً من ماله ثم منع قاله الضحاك، الرابع: أعطى بلسانه وأكدى بقلبه قاله مقاتل، النكث والعيون (402م)، وفي معنى آخر قطع عطيته وأمسك، وأصله إكاء الحافر وهو أن تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر. مدارك التنزيل (395/3).

(6) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب التحرير على صدقة التطوع (209/3)، حديث رقم (3338)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة الكاملة (347/6)، حديث رقم (2661).

لَمْ يُتَّبِعْ بِمَا فِي صُحْفِ مُوسَى ﴿ يعني أسفار التورية .

﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَقَى ﴾ أي: تم وأكمل ما أمر به، وبلغ وأدى رسالة الله إلى خلقه فاستحق بذلك أن يكون للناس أماماً يقتدي به. كما قال: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴽ⁽¹⁾.

وعن أبي أمامة قال: تلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَقَى ﴾ قال: «أتدري ما وفى؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «وفى عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار» رواه ابن جرير وابن أبي حاتم⁽²⁾.

وعن أبي ذر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الله - عز وجل - أنه قال: «ابن آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أفكك آخره» رواه الترمذى⁽³⁾

وعن معاذ بن أنس⁽⁴⁾ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «ألا أخبركم لم سمي الله إبراهيم خليلاً الذي وفى؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴽ⁽⁵⁾ حتى ختم الآية» رواه ابن جرير وابن أبي حاتم⁽⁶⁾.

ثم شرع تعالى في بيان ما كان أواه في صحف إبراهيم وموسى فقال: ﴿ أَلَا تَرِزُّ وَأَرِزَّ وَرَزَّ أُخْرَ ﴾ أي: كل نفس ظلمت نفسها بکفر أو كبيرة أي: شيء من

(1) سورة النحل الآية/123.

(2) ينظر: جامع البيان (22/78)، وذكره البغوي في تفسيره (415/7) من طريق إسرائيل، وابن عساكر في تاريخه (213/6، 214) من طريق جعفر بن الزبير.

(3) أخرجه الترمذى في سننه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في صلاة الضحى، حديث رقم (475)، وصححه ووافقه الألبانى في صحيح سنن الترمذى، حديث رقم (395).

(4) معاذ بن أنس الجهنى حليف الأنصار صحابي جليل كان بمصر والشام، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أحاديث وله رواية عن أبي الدرداء وكعب الأحبار، روى عنه سهل بن معاذ، قيل بقى إلى خلافة عبد الملك بن مروان. الإصابة (98/3).

(5) سورة الروم الآية/17.

(6) رواه الطبراني في المعجم الكبير (20/192)، حديث رقم (427)، وابن عساكر في تاريخه (212/6)، ومسند الإمام أحمد في مسنده (388/24)، حديث رقم (15624)، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (159/10)، حديث رقم (17010).

الذنوب فإنما عليها وزرها، لا يحمله عنها أحد.

كما قال: ﴿وَأَن لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ أي: كما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل له من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه، ومن هذه الآية الكريمة استتبط الشافعي ومن اتبعه، أن نفس القراءة لا يصل ابتداء ثوابها إلى الأموات لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم ولهذا لم ينذر إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمته ولا حثهم عليه لا بنصٍ ولا إيماء، ولم ينقل أحد من الصحابة، وبباقي القراءات يقتصر فيه بالنصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقىسة، فاما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولها، ومنصوص من الشارع عليها⁽¹⁾.

وأما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلّا من ثلاثة: من ولد صالح يدعوله، وصدقه جارية من بعده، أو علم ينتفع به»⁽²⁾ فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكده وطلبه.

كما جاء في الحديث «إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه»⁽³⁾ والصدقه الجارية كالوقف ونحوه هي من آثار عمله ووقفه، وقد قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَمَا أَتَرُّهُمْ﴾ الآية⁽⁴⁾.

والعلم الذي نشره في الناس فاقتدوا به بعده هو أيضاً من سعيه وعمله. وثبت في الصحيح: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً»⁽⁵⁾.

(1) ينظر: فتح الوهاب شرح منهج الطالب (4/67).

(2) أخرجه الترمذى في سننه، كتاب الأحكام، باب في الوقف، حديث رقم (1432)، والنمسائي في السنن الكبرى، باب فضل الصدقه عن الميت، حديث رقم (3651)، صححه الألبانى في صحيح الجامع الصغير وزيادة، حديث رقم (795).

(3) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب البيوع، باب في الرجل يأكل من مال ولده، رقم (3528)، وصححه الألبانى في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (3013).

(4) سورة يس: الآية/12

(5) أخرجه مسلم في الصحيح الجامع، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلاله، حديث رقم (6745).

وقوله: ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ وَسَوْفَ يُرَى ﴾ أي: يوم القيمة في ميزانه من أريته الشيء
وقوله: ﴿ ثُمَّ يُجْزِئُهُ الْجُزَاءُ الْأَوَّلُ ﴾.

أي: الأول الأفضل الأتم بحسب سعيه إن خيراً فخير وإن شرًا فشر.

﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾ وَأَنَّهُ وَهُوَ أَصْحَكَ وَأَبْكَى ﴿ وَأَنَّهُ وَهُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾
وَأَنَّهُ وَخَلَقَ الْزَّوْجَيْنِ الْذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَةَ
الْأُخْرَى ﴿ وَأَنَّهُ وَهُوَ أَغْنَى وَأَفْنَى ﴾ وَأَنَّهُ وَهُوَ رَبُّ الْشِّعْرَى ﴿ وَأَنَّهُ وَأَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴾
وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى ﴿ وَقَوْمَ نُوحَ مِنْ قَبْلِ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَظْلَمُونِي ﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ
أَهْوَى ﴿ فَعَشَّهَا مَا غَشَّى ﴾ فِي أَيِّ ءَالَّاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ﴿ بِقُولِهِ: وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ
الْمُنْتَهَى ﴾ أي: منتهى الخلق ومصيرهم إليه يوم القيمة.

وعن عمرو بن ميمون الأودي⁽¹⁾ قال: قام فينا معاذ بن جبل فقال: يا بني أود
إلي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليكم، «تعلمون أن المعاد إلى الله، إلى
الجنة أو إلى النار» رواه ابن أبي حاتم⁽²⁾.

وعن أبي بن كعب⁽³⁾ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في قوله: ﴿ وَأَنَّ إِلَى
رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾ قال: «لا فكرة في رب»⁽⁴⁾ وهذا مثل ما روى أبوهريرة مرفوعاً: «تقروا
في خلق الله ولا تفكروا في الخالق، فإنه لا تحيط به الفكرة»⁽⁵⁾ رواه محيي السنّة⁽⁶⁾ في

(1) عمر بن ميمون الأودي يكنى أبا عبدالله أو أبا يحيى، أسلم في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - على يد معاذ
وصحبه، ثم قدم المدينة وصاحب ابن مسعود وغيره، روى عنه سعيد بن جبير، قيل مات سنة خمس وسبعين،
الإصابة في تمييز الصحابة (2) 377/2.

(2) أخرجه الحاكم في المسترك (83/1)، والطبراني في المعجم الأوسط (181/2) حديث رقم (1651)، وصححه الذهبي
في التلخيص (157/1)، حديث رقم (281) وافقه الألباني في السلسلة الصحيحة، حديث رقم (1668).

(3) أبي بن كعب بن قيس بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار وقيل: اسمه تيم الله بن شعبة بن
عمرو بن الخزرج الأنصاري وله كنيتان أبو المنذر كاناه بها النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبو الطفيلي، كاناه بها عمر
بن الخطاب وشهد العقبة وبدراً روى عنه عبادة بن الصامت وابن عباس توفي سنة ثلات وثلاثين للهجرة في خلافة
عثمان. أسد الغابة (31/1).

(4) ينظر: تفسير البغوي (417/7) والدر المنثور (266/7) والمنتقى الهندي في كنز العمال (396/3)، والقرطبي في
تفسيره (115/17).

(5) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (163/1)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث
رقم (6220).

(6) ينظر: تفسير البغوي (417/7) والدر المنثور (266/7) والمنتقى الهندي في كنز العمال (396/3) والقرطبي في
تفسيره (115/17).

تفسيره، ولهذا شاهد في السنن «تقروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذات الله فإن الله خلق ملكاً ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة ثلثمائة سنة»⁽¹⁾ أو كما قال.

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ وَهُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ أي: خلق في عباده الضحك والبكاء وسببيهما وهما مختلفان ﴿وَأَنَّهُ وَهُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾⁽²⁾ يعني: أمات في الدنيا وأحيا للبعث وقيل: أمات الكافر بالنكرة، وأحيى المؤمن بالمعرفة ﴿وَأَنَّهُ وَخَلَقَ الْزَّوْجَيْنِ الْذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾⁽³⁾ من نطفةٍ إذا ثُمِّنَ أي: يصيّب في الرحم. قوله: ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّنْ مَّنِ يُمْنَى﴾ الآية قوله: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَةَ الْأُخْرَى﴾ أي: كما خلق البداءة هو قادر على الإعادة وهي النشأة الأخرى يوم القيمة ﴿وَأَنَّهُ وَهُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ أي: ملك عباده المال وجعله لهم فتنة مقيناً لهم لا يحتاجون إلى بيعه فهذا تمام النعمة عليهم، وبه قال كثيرون.

وقال ابن عباس: ﴿أَغْنَى﴾ أعطى ﴿وَأَقْنَى﴾ رضي قيل: معناه أغنى نفسه وأفقر الخلاق إليه، وقيل: أغنى من شاء من خلقه وأفقر من شاء منهم⁽⁴⁾.

﴿وَأَنَّهُ وَهُوَ رَبُّ الْشِّعْرَى﴾ قال مجاهد عن ابن عباس: هو هذا النجم الواقاد الذي يقال له: مرزم الجوزاء، كانت طائفة من العرب يعبدونه⁽⁵⁾ ﴿وَأَنَّهُ وَأَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ وهم قوم هود ويقال لهم: عاد بن إرم بن سام بن نوح وكانوا من أشد الناس وأقواهم وأعتاهم على الله وعلى رسوله فأهلكهم الله ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾.

وقوله: ﴿وَتَمُودُّا فَمَا أَبْقَى﴾ أي: أهلكهم بالصيحة فلم يبق منهم أحد ﴿وَقَوْمٌ نُوحٌ مِّنْ قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل هؤلاء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ أي: أشدّ تمداً من الذين من بعدهم ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ يعني: مدائن لوط قبلها عليهم فعل عاليها سافلها، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة.

(1) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (163/1)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (395/4) رقم (1788).

(2) سورة الملك الآية 2

(3) سورة القيمة الآية 37.

(4) ينظر: جامع البيان 84/22، والدر المنشور (53/13).

(5) ينظر: جامع البيان (86/22)، وتفسير الإمام مجاهد (628/1).

ولهذا قال: ﴿فَغَشَّنَا مَا غَشَّى﴾ يعني: من الحجارة التي أرسلها عليهم مطراً ﴿فِيَّ إِلَّا رِبَّكَ تَتَمَارَى﴾ أي: ففي أي نعم الله عليك أنها الإندا تمترى؟ وهو اختيار ابن جرير⁽¹⁾.

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنْ الْثُدُرِ الْأُولَئِ﴾ ⑤ أَرِزَتِ الْأَرْزَقَةَ ⑥ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةً ⑦ أَقِيمْ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ ⑧ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ⑨ وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ⑩ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوهُ ⑪﴾.

قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾ يعني محمداً - صلى الله عليه وسلم - من جنسهم أرسل كما أرسلوا، والنذير المحمد لما يعاين من الشر الذي يخشى وقوعه من أنذرهم. ﴿أَرِزَتِ﴾ أي: اقتربت ودنت ﴿الْأَرْزَقَةَ﴾ أي: القيامة سميت بها؛ لأنها قريبة الوقع ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةً﴾ أي: لا يدفعها من دون الله أحد ولا يطلع على علمها سواه.

وعن سهل بن سعد⁽²⁾ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مثلي ومثل الساعة كهاتين» وفرق بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام ثم قال: «مثلي ومثل الساعة كفرسي رهان» ثم قال: «مثلي ومثل الساعة كرجل بعثه قوم طليعة، فلما خشي أن يسبق ألاح بثوبه: أتيتم أتيتم» ثم قال - عليه الصلاة والسلام -: «أنا ذلك النذير»⁽³⁾ وله شاهد آخر من صحاح وحسان.

ثم قال منكراً على المشركين في استماعهم القرآن وإعراضهم عنه وتلهيهم منه: ﴿أَقِيمْ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ﴾ أي: من أن يكون صحيحاً ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ منه استهزاءً وسخرية ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ أي: كما يفعل الموقنون به، كما أخبر - تعالى -

(1) أي: فبأي نعماء ربك ابن آدم التي أنعمها عليك ترتاب وتشك وتجادل. جامع البيان (22/92).

(2) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج الأنباري الساعدي شهد قضاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المتلاعنين وأنه فرق بينهما، وكان اسمه حزنا فسماه رسول الله سهلا، ورأى سهل بن سعد النبي وسمع منه توفي سهل سنة ثمان وثمانين ويقال إنه آخر من مات من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة. أسد الغابة (1/486).

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الرفاق، باب الانتهاء عن المعاصي، حديث رقم (6482)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب شفقة - صلى الله عليه وسلم - على أمته، حديث رقم (2283).

عنهم بقوله: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ الآية⁽¹⁾.

وقوله: ﴿ وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ﴾ أي: معرضون مستكرون قاله ابن عباس وغير واحد.

ثم أمر - تعالى - عباده بالسجود له والعبادة والمتابعة لرسوله - عليه الصلاة والسلام - والتوحيد والإخلاص فقال: ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴽ ﴿٣﴾ ﴾ أي: فاخلصوا له ووحده. وعن ابن عباس قال: سجد النبي - صلى الله عليه وسلم - «بالنجم وسجد له المسلمون والمشركون والجن والإنس» رواه البخاري⁽²⁾.

(1) سورة الإسراء الآية/109.

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾، حديث رقم (4862).

تفسير سورة اقتربت

وهي مكية

عن أبي واقد الليثي⁽¹⁾ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «كان يقرأ في العيد بقاف واقتربت الساعة» رواه أحمد ومسلم^{(2) وغیره}، وكان يقرأ بهما المحافل الكبار، لاشتمالهما على ذكر الوعد والوعيد وبدء الخلق وإعادته، والتوحيد وإثبات النبوات، وغير ذلك من المقاصد العظيمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَ الْقَمَرُ ① وَإِنْ يَرَوْاْءَيَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌ ② وَكَذَّبُواْ وَأَتَبَعُواْ أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌ ③ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجٌ ④ حِكْمَةٌ بَلِّغَةٌ فَمَا تُعْنِي الْنُّذُرُ ⑤ ﴾

أخبر - تعالى - عن اقتراب الساعة، وفراغ الدنيا وانقضائها، كما قال تعالى:

﴿ أَتَ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾⁽³⁾ فقال: ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ أي: اقتربت القيمة.

عن ابن عمر - رضي الله عنه - قال: كنا جلوساً عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والشمس على قعيقان⁽⁴⁾ بعد العصر قال: «ما أعماركم في

(1) أبو واقد الليثي هو أبو واقد الحارث بن عوف الليثي من بنى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة الكناني الليثي، اختلف في اسمه فقيل: الحارث بن عوف، وقيل: عوف بن الحارث قيل: إنه شهد بدرًا، وقيل: لم يشهدها، وكان معه لواء بنى ضمرة، وبنى ليث، وبنى سعد، وشهد اليرموك بالشام، وجاور بمكة ومات بها ودفن بها سنة ثمان وستين. أسد الغابة (260/3).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (217/5)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة العيد، باب ما يقرأ به في صلاة العيد، حديث رقم (891)، وأبوداود في سننه، كتاب الصلاة، باب ما يقرأ في الضحى والغطير، حديث رقم (1154)، والترمذى في سننه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القراءة، حديث رقم (534)، والنمسائى في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب سورة القمر، حديث رقم (11550)، وابن ماجة في سننه، كتاب الإقامة، باب القراءة في صلاة العيد، حديث رقم (1282).

(3) سورة النحل الآية/1.

(4) قعيقان: بصيغة التصغير جبل مشرف على الحرم من جهة الغرب قيل: سمي بذلك؛ لأن جرهما كانت تجعل فيه سلاحها من الدرق والقصي والجعاب فكانت (تقعع) أي: تصوت. - أقى (يقع) ألسق آليته بالأرض ونصب ساقيه، ووضع يديه على الأرض. المصباح المنير (510/2).

أعمار من مضى إلا كما بقي من النهار فيما مضى⁽¹⁾.

وفي الصحيحين عن شعبة عن قتادة⁽²⁾ عن أنس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «بعثت أنا والساعة كهاتين» رواه أحمد،⁽³⁾ قال شعبة سمعت قتادة يقول: كفضل أحدهما على الآخر فلا أذكره عن أنس أو قاله قتادة .

وعن المستورد بن شداد⁽⁴⁾ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «بعثت في نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه، وأشار بأصبعيه السبابية والوسطى» رواه الترمذى⁽⁵⁾، وقد جاء في الصحيحين: «أنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي»⁽⁶⁾، وقد أورد ابن جرير أن حذيفة كان يقول: ((في خطبة الجمعة - ألا إن الله يقول: ﴿أَقْرَبَتِ الْسَّاعَةُ وَأَنْشَقَ الْقَمَرُ﴾ ألا وإن الدنيا قد آذنت بفارق، ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق، ألا وإن الغاية النار ، والسابق من سبق إلى الجنة))⁽⁷⁾.

وقوله: ﴿وَأَنْشَقَ الْقَمَرُ﴾ قد كان هذا في زمان الرسول - صلى الله عليه وسلم - كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة.

في الصحيحين عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: انشق القمر على

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (12/177)، حديث رقم (5966) وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (350/11).

(2) سبق ترجمته في سورة الحجرات ص 29.

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح كتاب الطلاق، باب اللعان وقول الله تعالى ﴿وَكَذَّلِكَ مَنْ يَرْمُونَ أَنْوَارَ جَهَنَّمَ وَكُمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَدَاءٍ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ رقم (5301)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتنة وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، رقم (2950)، وفي رواية نفرد به الإمام أحمد في مسنده (21/50) رقم (13337).

(4) المستورد بن شداد بن عمرو بن حسل بن الأحباب بن بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر القرشي الفهري وأمه دعد بنت جابر، وقال غيره إنه سمع من النبي - صلى الله عليه وسلم - سماعاً وأنقه سكن الكوفة، ثم سكن مصر، روى عنه أهل الكوفة، منهم قيس بن أبي حازم، أسد الغابة (3/6).

(5) أخرجه الترمذى في سننه، باب ماجاء في قول النبي بعثت أنا، حديث رقم (2374)، وضعفه الألبانى في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (6089).

(6) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رقم (3532).

(7) رواه ابن جرير في تفسيره (22/108).

عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرقتين فرقاً فوق الجبل وفرقه دونه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (أشهدوا)⁽¹⁾.

وفيهم أيضاً عن أنس - رضي الله عنه - قال: أن أهل مكة سألاً رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما، وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنه كان أحد المعجزات الباهرات.

وفي رواية البيهقي بإسناده عن ابن مسعود قال: «انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين، فقال كفار قريش يا أهل مكة: هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة انظروا السفار⁽²⁾ فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به قال: فسئل السفار، وقدموا من كل وجه فقالوا: رأيناها»، رواه ابن جرير⁽³⁾، وزاد فأنزل الله: ﴿أَقْتَرَبَتِ الْسَّاعَةُ وَانْشَقَ الْقَمَرُ﴾ وفي رواية لأحمد قال ابن مسعود «حتى رأيت الجبل من بين فرج القمر»⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْاْ عَائِيَةً﴾ أي: دليلاً وحجتهم برهاناً ﴿يُعَرِّضُوا﴾ أي: لا ينقادوا له بل يتذرون ويدبرونه ﴿وَيَقُولُواْ سَحْرٌ مُّسْتَمِرٌ﴾ أي: ويقولون هذا الذي شاهدناه من الحجج سحرنا به مستمر أي: ذاهم، باطل مفض محل لا دوام له: ﴿وَكَذَّبُواْ وَأَتَبْعُواْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: كذبوا بالحق إنجاءهم واتبعوا ما أمرتهم به أراءهم وأهواءهم، من جهلهم وسخافة عقلهم.

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿وَانْشَقَ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْاْ عَائِيَةً يُعَرِّضُوا﴾ ، حديث رقم (4584)، ومسلم في صحيحه، صفات المنافقين، باب انشقاق القمر، حديث رقم (7250).

(2) (السفار) حديدة أو جلدة توضع على أنف البعير فيخطم بها كالحكمة للفرس، و(السفارة) عمل السفير ومقامه، و (السفارة) أي: الكناسة، (السفر) قطع المسافة، يقال هو مني بعيد وسفر الصبح للواحد والجميع، المعجم الوسيط (433/1).

(3) أخرجه الترمذى في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة القمر (12/120) حديث رقم (3600)، وصححه الألبانى في صحيح وضعيف سنن الترمذى (7289).

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (7/39)، حديث رقم (3924)، وأبو الفضل في المسند الجامع (28/209). لم أغذر على حكم الحديث.

وقوله: ﴿وَكُلْ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌ﴾ قال قتادة: أن الخير واقع بأهل الخير والشر واقع بأهل الشر،⁽¹⁾ وقيل مستقر أي: واقع بأهله يوم القيمة.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أي: من الأخبار أي: عن قصص الأمم المكذبين بالرسل وما حلّ بهم من أنواع العذاب مما يأتى عليهم في هذا القرآن.

﴿مَا فِيهِ مُزَدَّجٌ﴾ مصدر بمعنى الازدجار أي: نهي وعظة لهم عن الشرك والتتمادي على الطغيان.

وقوله: ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ﴾ أي: في هدايته - تعالى - لمن هداه وإضلale لمن أضل، ﴿فَمَا ثُغِنِ الْثُدُرُ﴾ يعني أي: شيء تغنى النذر عن كتب الله عليه الشقاوة وختم على قلبه فمن الذي يهديه من بعد الله؟ كما قال: ﴿فُلِلَّهُ الْحَجَةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَنَا كُمْ أَجْمَعِينَ﴾⁽²⁾.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الَّدَاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكَرٍ ⑤ حُشَّعاً أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنْتَشِرٌ ⑥ مُهْطِعِينَ إِلَى الَّدَاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ⑦﴾.

يعني فتول يا محمد وأعرض عن هؤلاء الذين إذا رأوا آية يعرضون، وانتظر لهم ﴿يَوْمَ يَدْعُ الَّدَاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكَرٍ﴾ أي: شيء منكر فظيع وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء بل والأهوال ﴿حُشَّعاً أَبْصَرُهُمْ﴾ أي: ذليلة أبصارهم ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنْتَشِرٌ﴾ أي: لأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعي جراد منتشر في الآفاق.

ولهذا قال: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين ﴿إِلَى الَّدَاعِ﴾ لا يخالفون ولا يتأخرون

﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ أي: يوم شديد الأهوال صعب.

(1) وقال الكلبي عن هذه الآية: "لكل أمر حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر، وما كان منه في الآخرة فسيعرف، وقيل: كل أمر من خير أو شر مستقر قراره، فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار"، معلم التنزيل (426/7).

(2) سورة الأنعام الآية/149.

﴿ كَذَّبُتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَأَزْدِحْرَ ﴿١﴾ فَدَعَارَبَهُ وَأَنِّي مَغْلُوبٌ فَإِنَّتِصَرْ ﴿٢﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿٣﴾ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عَيْوَنًا فَالْتَّقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿٤﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَاجِ وَدُسُرٍ ﴿٥﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِّرَ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا ءَايَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿٧﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٨﴾ وَلَقَدْ يَسَرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿٩﴾ .﴾

يعني: ﴿ كَذَّبُتْ ﴾ قبل قومك يا محمد ﴿ قَوْمٌ نُوحٌ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا ﴾ أي: صرحو بالتكذيب واتهموه بالجنون ﴿ وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَأَزْدِحْرَ ﴾ قال مجاهد: أي: استطير جنونها، وقيل انتهروه وزجروه، وواعدوه^(١).

﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنْوُحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١٠﴾ ﴾^(٢)، وهذا توجيه حسن ﴿ فَدَعَارَبَهُ وَأَنِّي مَغْلُوبٌ ﴾ أي: ضعيف عن مقاومتهم فانتصر أنت لدينك قال تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ أي: الكثير منصبا انصبابا شديدا أطبق ما بين السماء والأرض أربعين يوما ﴿ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عَيْوَنًا ﴾ أي: نبعث جميع أرجاء الأرض حتى التنانير التي هي محال النيران فإنها تبعث عيونا ﴿ فَالْتَّقَى الْمَاءُ ﴾ أي: من السماء ومن الأرض ﴿ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ أي: بأمر مقدر.

قال ابن عباس لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب، إلا في تلك المرة فإنها أمطرت من غير سحاب، وسئل علي عن المجرة قال: هي شرج السماء ومنها فتحت السماء بماء منهنر^(٣).

وقوله: ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَاجِ وَدُسُرٍ ﴾ قال ابن عباس وغيره: هي المسامير واحدها دسار ويقال دسیر كما يقال حباك وحبيك، والجمع: حبك، قاله ابن جرير^(٤).

وقال مجاهد: الدسر أضلاع السفينة^(٥) وقال عكرمة والحسن: هو صدرها

(١) الصواب كما في تفسير ابن كثير [وتواعدوه].

(٢) سورة الشعراء الآية/116.

(٣) الدر المنثور (75/74/14).

(٤) جامع البيان (123/22).

(٥) المصدر نفسه (25/22)، ومعالم التنزيل (428/7)، وتفسير مجاهد (1/643).

الذي يضرب بها الموج، وقيل هو طرفاها وأصلها، وقيل ككلها.

وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بأمرنا بمرأى منا، وتحت حفظنا وكلاعتنا
 ﴿جَزَاءً لِّمَنْ كَانَ كُفَّارَ﴾ أي: جزاء لهم على كفرهم بالله، وانتصاراً لنوح - عليه
 السلام - قوله: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آءِيَةً﴾ أي: تركنا تلك الفعلة والسفينة عبرة، قال
 قادة: ((أبقى الله سفينه نوح حتى أدركها أول هذه الأمة))⁽¹⁾، ولهذا قال ﴿فَهَلْ مِنْ
 مُّذَكَّرٍ﴾ أي: فهل من يتذكر أو يتعظ، ولعل المراد من ذلك جنس السفن.

كقوله: ﴿وَعَيْةً لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا دُرِيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٦﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِّنْ
 مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٧﴾⁽²⁾، وفي الصحيحين عن عبد الله قال: سمعت رسول الله
 - صلى الله عليه وسلم - «يقرأ: ﴿فَهَلْ مِنْ مُّذَكَّرٍ﴾ دالاً أي: متذكر متعظ خائف
 مثل عقوبته»⁽³⁾.

وقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي: كيف كان عذابي لمن كفرني وكذب
 رسلـي؟ ولم يتعظ بما جاء نذري، وكيف انتصرت لهم ﴿وَلَقَدْ يَسَرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ
 فَهَلْ مِنْ مُّذَكَّرٍ ﴿١٧﴾⁽⁴⁾ أي: سهلنا لفظه ويسـرنا معناه لمن أراده ليـتـذكر الناس، كما
 قال: ﴿كَتَبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَرَّكٌ لِّيَدَبَرُوا آءِيَتِهِ، وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾⁽⁵⁾.

وقال مجاهـد وغـيرـه: «يعـني هـوـنـا قـرـاعـتـه عـلـى الـأـسـنـ»⁽⁵⁾، قال ابن عباس: لوـلاـ أنـ
 الله يـسـرـه عـلـى لـسـانـ الـأـدـمـيـنـ ماـ اـسـطـاعـ أحـدـ مـنـ الـخـلـقـ أـنـ يـنـتـكـلـ بـكـلـامـ اللهـ، كـمـ سـبـقـ أـنـهـ
 - عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ - قالـ: «إـنـ هـذـاـ الـقـرـآنـ أـنـزـلـ عـلـى سـبـعـةـ أـحـرـفـ»⁽⁶⁾، وـذـلـكـ بـدـعـائـهـ
 - صلى الله عليه وسلم -: «أـنـ هـوـنـ عـلـى أـمـتـي مـرـةـ بـعـدـ أـخـرىـ» كـمـ هوـ مـبـسـطـ فـيـ مـسـلـمـ.

(1) جامـعـ الـبـيـانـ (22/128)، النـكـتـ وـالـعـيـونـ (413/5)، والـدـرـ المـنـثـورـ (77/14).

(2) سـوـرـةـ يـسـ الآـيـةـ 42ـ .

(3) أـخـرـجـهـ الـبـخـارـيـ فـيـ الـجـامـعـ الصـحـيـحـ ، كـتـابـ التـفـسـيرـ ، بـابـ ﴿وَلَقَدْ صَبَّهُمْ بُكْرًا عَذَابًا مُّسْقَرًا﴾ ، حـدـيـثـ رقمـ

(4) وـمـسـلـمـ فـيـ صـحـيـحـهـ ، كـتـابـ صـلـاـةـ الـمـسـافـرـينـ ، بـابـ مـاـ يـتـعـلـقـ بـالـقـرـاءـاتـ ، حـدـيـثـ رقمـ (4874).

(4) سـوـرـةـ صـ الآـيـةـ 29ـ .

(5) تـفـسـيرـ مجـاهـدـ (634).

(6) أـخـرـجـهـ الـبـخـارـيـ فـيـ الـجـامـعـ الصـحـيـحـ ، كـتـابـ فـضـائلـ الـقـرـآنـ ، بـابـ أـنـزـلـ الـقـرـآنـ عـلـى سـبـعـةـ أـحـرـفـ ، حـدـيـثـ رقمـ

.(4991)

وقوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُّدَكِّرٍ﴾ أي: تذكر هذا القرآن الذي يسر الله حفظه ومعناه؟ وقيل فهل من منزجر من المعاصي؟ وفي البخاري بصيغة الجزم عن مطر الوراق، أي: هل من طالب علم فيعان عليه؟ وعن قادة مثله.

﴿كَذَّبْتُ عَادَفَكِيفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٥﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَارًا فِي يَوْمٍ نَّحْسِ مُسْتَمِرٍ ﴿١٦﴾ تَنْزَعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازٌ تَخْلِي مُنْقَعِرٍ ﴿١٧﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلَّذِلِّ فَهَلْ مِنْ مُّدَكِّرٍ ﴿١٩﴾﴾

أخبر - تعالى - عن عاد قوم هود، أنهم كذبوا رسلاهم كما صنع قوم نوح وأنه - تعالى - أرسل عليهم: ﴿رِيحًا صَرْصَارًا﴾ وهي الشديدة البرد ﴿فِي يَوْمٍ نَّحْسِ﴾ أي: عليهم نحة ودمار؛ لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي والأخروي قاله الضحاك وغير واحد^(١).

وقوله: ﴿تَنْزَعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازٌ تَخْلِي مُنْقَعِرٍ﴾ أي: منقلع من مكانه ساقط على الأرض وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم [فتلتغ]^(٢) رأسه فيبقى جثة بلا رأس، وأعجاز نخل أصولها التي قطعت واحداً منها عجز.

﴿كَذَّبْتُ ثَمُودَ بِالنُّذُرِ ﴿٢٠﴾ فَقَالُوا أَبْشِرَا مِنَا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ وَإِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعِرُ ﴿٢١﴾ أَئْلُقِي الْذِكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشِرُّ ﴿٢٢﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٣﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَأَرْتَقِبْهُمْ وَأَصْطَرِبْهُمْ ﴿٢٤﴾ وَنَبِّهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُخْتَضِرٌ ﴿٢٥﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَلَ فَعَقَرَ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمَ الْمُخْتَظِرِ ﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلَّذِكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّدَكِّرٍ ﴿٢٩﴾﴾

هذا إخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحًا ﴿فَقَالُوا أَبْشِرَا مِنَا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ وَ

(١) وفي تأويل قوله: ﴿فِي يَوْمٍ نَّحْسِ﴾ والنحس هو الشر ﴿فِي يَوْمٍ﴾ شرٌ وقد تأول ذلك آخرون بمعنى شديد وفي قول ابن عباس عن هذه الآية قال: أيام شداد وقول الضحاك يوم شديد. جامع البيان (134/22)، تفسير الضحاك (810).

(٢) الثلغ: هو هشيم الرأس، وفي الحديث كما تبلغ الخبزة، والمثلث من الرطب والتمر الذي أصابه المطر فأسقطه ودقه، والإثلغ: إرطاب النخل، والإثلغى الذكر. المحبط في اللغة (406/1).

إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُرْعِ ﴿ أي: لقد خربنا وخسرنا إن سلمنا كلنا قياداً واحداً منا ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خاصة من دونهم، ثم رموه بالكذب، فقالوا: ﴿ بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشِرْ

ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً﴾ أي: اختباراً لهم، فأخرج الله لهم ناقة عظيمة عشراء، من صخرة صماء، على طبق ما سألوا، لتكون حجة عليهم في تصدق صالح - عليه السلام - فيما جاءهم به.

ثم قال أمراً لرسوله صالح: ﴿ فَارْتَقِبْهُمْ﴾ أي: انتظر ما يقول إليه أمرهم ﴿ وَاصْطَبِرْ﴾ أي: اصبر على أذاهم، فإن العاقبة والنصرة لك ﴿ وَنِيَّتُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يوم لهم ويوم للناقة، قوله: ﴿ كُلُّ شَرِبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ أي: كل نصيب من الماء يحضره من كانت نوبته، واحتضر وحضر بمعنى واحد، قال مجاهد: (إذا غابت حضروا الماء، وإذا جاءت حضروا اللبن)⁽¹⁾، ثم قال تعالى: ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ واسمه قدار بن سالف ﴿ فَتَعَاطَى فَعَرَرَ﴾ أي: تناول السيف فعقرها، وكان أشقي قومه لقوله: ﴿ إِذْ أَثَبَعْتَ أَشْقَنَهَا ﴽ⁽²⁾

قال ابن زيد: هو الشجر البالي الذي تهشم حتى مدّته الريح، وكانت العرب يجعلون حظاراً على الماشي من يبس الشوك، فهو المراد من الهشيم المحترر، يعني صاروا كالشجر إذا تحطم، وتفتت وحمد، كما يحمد يبس الزرع والنبات، قاله غير واحد⁽³⁾.

(1) ينظر: تفسير الإمام مجاهد (635). وفي معنى آخر في قوله: ﴿ كُلُّ شَرِبٍ﴾ قال البغوي معلم التنزيلنصيب من الماء، قوله (محضر) أي: يحضره من كانت نوبته، فإذا كان يوم الناقة حضرت شربها، وإذا كان يومهم حضروا شربهم، واحتضر بمعنى واحد" (431/7).

(2) سورة الشمس الآية/12.

(3) اختلفت أقوال المفسرين في معناه إلى عدت أقاويل: أحدها يعني: العظام المحترقة، قاله ابن عباس، الثاني: أنه التراب الذي يتاثر من الحائط وتصيبه الريح فيحتضر مستديراً، قاله سعيد بن جبير، الثالث: أنها الحظار البالية من الخشب إذا صار هشيمًا قاله الصحاح. النكت والعيون (416/5).

وقال السدي: هو المرعى بالصحراء حين يبس ويحترق ونسفته الريح⁽¹⁾

﴿كَذَّبُتْ قَوْمٌ لُّوطٌ بِالنُّذْرِ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا إَلَّا لُّوطٌ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَاحِرٍ ﴿٢٤﴾

نَعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَّلِكَ تَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذْرِ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ

رَأَوْدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيَّهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحُهُمْ بُكْرَةً عَذَابِ

مُسْتَقِرٌّ ﴿٢٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ يَسَرْنَا الْقُرْءَانَ لِلَّذِكْرِ فَهُلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٣٠﴾.

أُخْبَرَ - تَعَالَى - عَنْ قَوْمٍ لُّوطَ كَيْفَ كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ وَخَالِفَوْهُ، وَارْتَكَبُوا الْمُكْرُوهُ مِنْ إِثْيَانِ الذِّكْرِ، وَهِيَ الْفَاحِشَةُ الَّتِي لَمْ يَسْبِقْهُمْ بِهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَلَهُذَا أَهْلُكُهُمُ اللَّهُ هَلَاكًا لَمْ يَهْلِكْهُ أَمَّةٌ مِنَ الْأَمَمِ، فَإِنَّهُ - تَعَالَى - أَمْرُ جَبَرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَحَمَلَ مَدَائِنَهُمْ حَتَّى وَصَلَ إِلَى عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ، وَأَرْسَلَهَا وَأَتَبَعَهَا بِالْحِجَارَةِ مِنْ سَجِيلٍ، ثُمَّ اسْتَنْتَنَى فَقَالَ: ﴿إِلَّا إِلَّا لُّوطٌ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَاحِرٍ﴾ أَيْ: خَرَجُوا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَنَجَوا مِمَّا أَصَابَ قَوْمَهُمُ الْكُفَّارُ، وَخَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ لُّوطُ وَبَنَاتُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ سَالِمِينَ لَمْ يَمْسِسْهُمْ سُوءٌ.

وَلَهُذَا قَالَ: ﴿كَذَّلِكَ تَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ أَيْ: مَنْ وَحَدَ اللَّهَ وَأَطَاعَهُ ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا﴾ أَيْ: وَلَقَدْ كَانَ قَبْلَ حَلُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ قَدْ أَنْذَرَهُمْ بِأَسْ أَنْذَرَهُمْ بِأَسِّ اللَّهِ وَعَذَابِهِ، فَمَا التَّفَقَتُوا إِلَى ذَلِكَ، وَلَا أَصْغَوْا إِلَيْهِ بَلْ شَكَوْا فِيهِ وَتَمَارَوْا بِهِ.

﴿وَلَقَدْ رَأَوْدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ أَيْ ظَنَّوا أَنْ يَسْلِمُ إِلَيْهِمْ لُوطَ أَضْيَافَهُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ جَاءُوهُ فِي صُورَةِ شَبَابٍ مَرْدٍ حَسَانٍ مَحْنَةً مِنَ اللَّهِ بِهِمْ فَأَضَافُوهُمْ لُوطَ، وَبَعْثَتْ امْرَأَتُهُ الصَّالَةَ إِلَى قَوْمَهَا فَأَعْلَمْتُهُمْ بِهِمْ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَسْرُعُونَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَأَغْلَقَ لُوطَ دُونَهُمُ الْبَابَ، فَطَفَقُوا يَحَاوِلُونَ كَسْرَ الْبَابِ، وَذَلِكَ عَشِيهٌ لُوطٌ يَدْافِعُهُمْ وَيَمْانِعُهُمْ دُونَ أَضْيَافِهِ وَيَقُولُ: ﴿هَتُؤْلَئِكُ بَنَاتِي﴾⁽²⁾ يَعْنِي نَسَاؤُهُمْ ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَتَعْلِيَنَ﴾⁽³⁾.

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقِّ﴾⁽⁴⁾ أَيْ: لَيْسَ لَنَا فِيهِنَ أَرْبَعٌ

(1) وفي قوله تعالى: ﴿كَثِيرٌ﴾ ما يبس وجف من الكلأ والشجر، وهو مشتق من الهشم وهو الكسر؛ لأن الياس من ذلك يصير سريع الانكسار. التحرير والتلويه (203/27).

(2) سورة هود الآية/78.

(3) سورة الحجر الآية/71.

(4) سورة هود الآية/79.

﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾⁽¹⁾ فلما اشتد الحال وأدوا إلا الدخول، خرج عليهم جبريل - عليه السلام - فضرب عليهم بطرف جناحيه فا نطممت أعينهم، قيل: إنها غارت في وجوههم.

وقيل: بل لم يبق لهم عيون بالكلية، فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان، ويتوعدون لوطاً إلى الصباح. ﴿فَدُوْقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي: ما أذركم به لوط من العذاب قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحُهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌ﴾ أي: دائم لا مفر لهم عنه، ولا انفكاك لهم منه حتى أفضي بهم إلى عذاب الآخرة.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ إِلَّا فِرْعَوْنَ الْنُّذُرُ﴾⁽²⁾ كَذَّبُوا إِيمَانَنَا كُلُّهَا فَأَخْذَنَاهُمْ حَذَّ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ⁽³⁾
 أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَآءَةٌ فِي الرَّبِّ⁽⁴⁾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنْتَصِرٌ⁽⁵⁾
 سَيِّهُمْ الْجُمُعُ وَيُؤْلُونَ الْدُّبُرَ⁽⁶⁾ بِلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ⁽⁷⁾.

أخبر - تعالى - عن فرعون وقومه أنهم جاءهم موسى وهارون بالبشرارة إن آمنوا، والندارة إن كفروا، وأيدهما بمعجزات عظيمة، وآيات متعددة فكذبوا كلها، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر؛ أي: فأهلهم فلم يبق منهم أحداً ولا ثراً، ثم قال - تعالى -: ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ أي: أيها المشركون أكفار قريش ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ﴾ يعني من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلوا بسبب تكذيبهم الرسل وكفرهم بالكتب، أنتم خير من أولئكم؟ ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَآءَةٌ فِي الرَّبِّ﴾ أي: ألم معكم من الله براءة أن لا ينالكم عذاب ولا نكال ثم قال مخبرا عنهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنْتَصِرٌ﴾ أي: يعتقدون أنهم يتتصرون بعضهم بعضاً، يعني يداً واحدةً على من خالفنا ننتصر على من عادانا قال تعالى: ﴿سَيِّهُمْ الْجُمُعُ وَيُؤْلُونَ الْدُّبُرَ﴾ أي: [سينصرف كلهم ويغلبون]⁽²⁾.

عن ابن عباس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: وهو في قبة له يوم بدر: «الله أنسدك عهلك ووعدك، اللهم إن شئت لم تبعد بعد اليوم أبداً» فأخذ أبو بكر

(1) سورة هود الآية/78.

(2) الصواب ما جاء في تفسير ابن كثير [سيتفرق شملهم ويغلبون].

يده وقال: حسبك يا رسول الله ألحنت على ربك فخرج، وهو يتب في الدرع، وهو يقول ﴿ سَيُهْزِمُ الْجَمْعَ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ ﴾ رواه البخاري والنسيائي⁽¹⁾، وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: نزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - بمكة وإنني لجارية ألعب، ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ ﴾ رواه البخاري⁽²⁾ أي: الساعة أعظم بلية وأشد مرارة من الأسر والقتل يوم بدر.

﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴾ يَوْمَ يُسَحَّبُونَ فِي الْنَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ دُوْقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ وَمَا أَمْرَنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَمْجُعٌ بِالْبَصَرِ ﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكَنَا أَشْيَاكُمْ فَهُلْ مِنْ مُذَكَّرٍ ﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الْرُّبْرِ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكِبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ فِي مَقْعِدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ .

أخبر - تعالى - عن المجرمين أنهم في ضلال عن الحق وسرع أي: نار تسرع عليهم بما هم فيه من الشكوك والكفر ثم بين عذابهم فقال: ﴿ يَوْمَ يُسَحَّبُونَ فِي الْنَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ﴾ أي: كما كانوا أصلالاً يسحبون فيها على وجوههم لا يدرؤن أين يذهبون؟ ويقال لهم تقريراً وتوبيناً ﴿ دُوْقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ أي: عذاب جهنم قوله: ﴿ إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ .

لقوله: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ وَتَقْدِيرًا ﴾⁽³⁾، أي: خلقنا كل شيء مكتوباً في اللوح المحفوظ.

قال الحسن: قدر الله كل شيء من خلقه قدر الذي ينبغي له⁽⁴⁾، والإية دليل على إثبات قدر الله السابق لخلقه وهو علمه للأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل ظهورها.

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ ﴾، حديث رقم (4877)، والنسيائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب ﴿ سَيُهْزِمُ الْجَمْعَ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾، حديث رقم (11557).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ ﴾، حديث رقم (4876).

(3) سورة الفرقان الآية 2.

(4) ينظر: جامع البيان (160/22) في قول الطبرى: قدرناه وقضيناه وفي هذا بيان أن الله عزوجل توعد هؤلاء المجرمين بالعذاب الأليم على تكذيبهم بالقدر مع كفرهم به، وقيل: نزلت هذه الآية في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله، معلم التنزيل (435/7)، الدر المنشور (90/14).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: جاء مشركوا قريشاً إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يخاصموه في القدر فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي الْنَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ دُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿١﴾ رواه مسلم⁽¹⁾.

وعن زراة⁽²⁾ مرفوعاً «أنها نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله» رواه ابن ماجه⁽³⁾.

وعن بن عمر - رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «سيكون في هذه الأمة أقوام يكذبون بالقدر» رواه أحمد وأبو داود⁽⁴⁾.

وعن بن عمر أيضاً قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «سيكون في هذه الأمة مسخ ألا وذلك في المكذبين بالقدر والزنديقية»⁽⁵⁾ رواه أحمد والترمذى وصححه⁽⁶⁾.

وعنه أيضاً أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم» رواه أحمد⁽⁷⁾ وعنه أيضاً أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك، ولو

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، حديث رقم (2656).

(2) زراة بن أوفى أبو الحاچ العامي الإمام الكبير قاضي البصرة، البصري أحد الأعلام سمع من عمران بن حصين، وأبي هريرة، وابن عباس، روى عنه أبیوب السختيان، وقتادة، وبهذا صح أنهقرأ في صلاة الفجر [فإذا نقر في الناقور] خر ميناً وكان ذلك في سنة ثلاثة وسبعين. سير أعلام النبلاء (81/8).

(3) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب المقدمة، باب في القدر، حديث رقم (83)، والطبراني في المعجم الكبير (276/5)، حديث رقم (5323)، وابن قانع في معجم الصحابة (344/4)، حديث رقم (1114).

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (90/2)، وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في القدر، حديث رقم (4710)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود.

(5) الزنديقية: نسبة إلى الزنديق، وهي اسم لمذهب الزنديق قبل: وهو المبطن للكفر المظاهر الإسلام أو من لا دين له، أو الذي يعبد الأصنام، حاشية المسند (10/10).

(6) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (10/10)، رقم (5867)، والترمذى في سننه، كتاب القدر، باب القدر، حديث رقم (2154)، وابن ماجه في سننه كتاب الفتن، باب الخسوف، حديث رقم (4061)، وصححه الترمذى ووافقه الألبانى في صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3282).

(7) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (415/9)، حديث رقم (5584)، وضعفه الألبانى في صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (10183).

اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك، جفت الأقلام، وطويت الصحف» رواه الترمذى وصححه⁽¹⁾.

وعن علی بن أبي طالب - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلی الله عليه وسلم-: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأنني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيره وشره» رواه الترمذى وابن ماجه⁽²⁾.

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله - صلی الله عليه وسلم-: «كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» قال: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ وَعَلَى الْمَاءِ﴾⁽³⁾ رواه مسلم⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كُلُّمُجَ بِالْبَصَرِ﴾ هذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه، كما أخبر بنفوذ قدره فيهم أي: إنما نأمر بالشيء مرة واحدة لا تحتاج إلى تأكيد بثانية، فيكون ذلك الذي نأمر به موجوداً كلمح البصر، أي: في طرفه لا يتاخر طرفة عين.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ يعني أمثالكم وسلفكم من الأمم الماضية المكذبين بالرسل ﴿فَهُلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ أي: فهل من متعظ بما أجرى الله على أولئك وقدر لهم من العذاب.

كما قال: ﴿كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾⁽⁵⁾ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الْزُّبُرِ﴾ أي: مكتوب عليهم بأيدي الملائكة ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ أي: من أعمالهم ﴿مُسْتَظْرٌ﴾ أي: مجموع عليهم ومسطر في صحائفهم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصها، كما سبق عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلی الله عليه وسلم - قال: «يا

(1) أخرجه الترمذى في سننه، كتاب صفة القيامة، باب قول النبي ياحنظلة ساعة وساعة، (2706)، صححه الترمذى، ووافقه الألبانى في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزیادته، حديث رقم (13917).

(2) أخرجه الترمذى في سننه، كتاب القدر، باب القدر، حديث رقم (2145)، وابن ماجه في سننه، كتاب المقدمة، باب في القدر، حديث رقم (81) صححه الترمذى، ووافقه الألبانى في صحيح سنن الترمذى، رقم (1744)، وفي صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (66).

(3) سورة هود الآية/7.

(4) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، حديث رقم (6919).

(5) سورة سباء الآية/54.

عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً» رواه احمد والنسائي وابن ماجه⁽¹⁾.
وعن سليمان بن المغيرة⁽²⁾ أنه عمل ذبا فاستصغره فأتاها آت في منامه، فقال له
ياسليمان:

لَا تَحْقِرُنَّ مِنَ الذُّنُوبِ صَغِيرًا * إِنَّ الصَّغِيرَ غَدَّاً يَعُودُ كَبِيرًا
إِنَّ الصَّغِيرَ وَلَوْ تَقَادِمْ عَهْدَهُ * عَنْدَ إِلَهٍ مَسْطَرًا تَسْطِيرًا
فَازْجِرْهُواكَ عَلَى الْبَطَالَةِ لَا تَكُنْ * صَعْبُ الْقِيَادِ وَشَمْرَنْ تَشْمِيرًا
إِنَّ الْمُحَبَّ إِذَا أَحَبَّ إِلَهًا * طَارَ الْفَوَادُ وَأَلَّهُمُ التَّفْكِيرًا
فَاسْأَلْ هَدَايَتَكَ إِلَهَ بَنِيَّةَ * فَكَفَى بِرِبِّكَ هَادِيَا وَنَصِيرًا⁽³⁾
وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهَرٍ﴾ أي: بعكس ما للأشقياء فيه من
الضلال والسرع أي: في بساتين وأنهار من الماء والخمر واللبن والعسل.

وقوله: ﴿فِي مَقْعِدٍ صَدُقٍ﴾ أي: في دار كرامة ورضوان وفضله وامتنانه
﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ أي: ملك الملوك الخالق للأشياء كلها ومقدراها وهو مقتدر
على ما يشاء على ما يطلبون ويريدون، قال الصادق⁽⁴⁾: [مدح الله المكان بالصدق
فلا يقعده فيه إلاّ أهل الصدق]⁽⁵⁾.

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (477/40)، حديث رقم (24415)، وابن ماجة في سنته، باب ذكر الذنوب،
حديث رقم (4233)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، حديث رقم (4243).

(2) سليمان بن المغيرة القيسى مولى بن ثعلبة من أهل البصرة، كنيته أبو سعيد، يروى عن الحسن ثابت، روى
عنه بن المبارك، وأهل العراق، مات سنة خمس وستين ومائة. الثقات لابن حبان (6/390).

(3) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق سعيد بن مسلم بن بائك (301/21).

(4) السيد العالم جعفر الصادق بن علي بن زين العابدين بن عبد الله بن شيخ العيدروس الحسيني اليمني الشافعي،
ولد بمدينة تريم من حضرموت سنة سبع وتسعين وتسعين وثمانية. الثقات لابن حبان (2/427).

(5) في هذه الآية وجهان، أحدهما: مقعد حق لا لغو فيه ولا تأثير. الثاني: مقعد صدق الله، وعد أوليائه به،

والملك والملك واحد وهو الله. النكت والعيون (3/421). وفي معنى آخر في قوله: ﴿مُقْتَدِرٍ﴾ أي: قادر،
وفائدة التكير فيما: أن يعلم: أن لشيء إلا وهو تحت ملكه، مدارك التنزيل (3/408).

تفسير سورة الرحمن

وهي مكية

عن زر⁽¹⁾ أن رجلاً قال لابن مسعود: إني أقرأ المفصل في ركعة واحدة فقال:
عبد الله أهداً كهد الشعر لا أبالك؟ قد علمت قرائنا⁽²⁾ النبي - صلى الله عليه وسلم -
التي كان يقرن فرينتين فرينتين من أول المفصل، وكان أول مفصل ابن مسعود
﴿الرَّحْمَنُ﴾ رواه أحمد⁽³⁾.

وعن جابر⁽⁴⁾ قال: خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أصحابه
فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا فقال: «لقد قرأتها على الجن
ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله: **﴿فَيَأْيَ ءَالَّاءِ**
رَبِّكُمَا ثُكَّذِبَان﴾ قالوا لا بشيء من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد» رواه الترمذى
وغيره، وروى البزار نحوه⁽⁵⁾.

(1) زر بن حبيش بن حباشة بن أوس الأنصاري من أسد بن أبي خزيمة يكنى أبا مطرق أدرك الجاهلية ولم ير النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو من كبار التابعين روى عن عمر وعلي وابن مسعود روى عنه الشعبي والنخعي وكان فاضلاً عالماً بالقرآن توفي سنة ثلاثة وثمانين للهجرة، أسد الغابة (299/2).

(2) القرائن هي التي تعين ضبط مثل هذه الكلمات فلا بد من الاستعانة بالقرائن، لسان المحدثين (54/5)، وفي معنى آخر قد يجمع الكلام بين القرائن من اللفظ ويفرق بينهما في المعنى ويعرف ذلك من الأغراض والمقصود، النهاية في غريب الحديث (7/2).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (412/1)، اسناده صحيح على شرط الشيخين، مسنون الصحابة في الكتب التسعة (499/24).

(4) جابر عبد الله بن جنادة بن جندة بن رئاب بن سوارة بن عامر بن صعصعة العامري اختلف في كنيته فقيل أبو خالد وهو أخو سعد بن أبي وقاص وأمه خالدة بن أبي وقاص سكن الكوفة وابتلي بها دار توفي سنة ست وستين روى عن النبي أحاديث كثيرة، أسد الغابة (160/1).

(5) أخرجه الترمذى في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة الرحمن، حديث رقم (2291)، والبزار كشف الأستار (74/3)، حديث رقم (2624)، والحاكم في المستدرك (515/2)، حديث رقم (3766)، وصححه الترمذى، ووافقه الذهبي في التلخيص وحسنه الألبانى في صحيح سنن الترمذى، حديث رقم (2269).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَمَ الْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَنَ ﴿٣﴾ عَلَمَةُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
بِخُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَاٰنَ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَا تَطْعُوا فِي
الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ ﴿١٠﴾
فِيهَا فَكِهَةٌ وَالثَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْثَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبْتُ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ إِلَاءٍ
رِبِّكُمَا ثَكَدِيْبَانِ﴾.

أَخْبَرَ - تَعَالَى - عَنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْقُرْءَانَ وَيُسَرِ حَفْظُهِ
وَفَهْمُهِ عَلَى مَنْ رَحْمَهُ فَقَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَمَ الْقُرْءَانَ﴾ يَعْنِي: مُحَمَّداً وَيُسَرُهُ لِذِكْرِ
﴿خَلَقَ الْإِنْسَنَ﴾ يَعْنِي: آدَمَ ﴿عَلَمَةُ الْبَيَانَ﴾ يَعْنِي الْمَنْطَقَ وَذَلِكَ أَنَّهُ - تَعَالَى - يُسَرِ
النَّطْقَ عَلَى الْخَلْقِ لِأَدَاءِ تَلَوْتِهِ، وَسَهَّلَ خَرْجَ الْحُرُوفِ مِنْ مَوَاضِعِهَا مِنْ الْحَلْقِ
وَاللِّسَانِ وَالشَّفَتَيْنِ عَلَى اخْتِلَافِ مَخَارِجِهَا وَأَنْواعِهَا.

وَقُولُهُ: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِخُسْبَانٍ﴾ أَيْ: يَجْرِيَانِ مَتَعَاقِبِينَ بِحَسَابِ مُعِينٍ لَا
يَخْتَلِفُ وَلَا يَضْطَربُ.

كَمَا قَالَ: ﴿لَا الشَّمْسُ يَتَبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ﴿١﴾﴾^(١) الْآيَةُ قَالَ عَكْرَمَةُ:
لَوْ جَعَلَ اللَّهُ نُورَ جَمِيعِ أَبْصَارِ الْإِنْسَنِ وَالْجِنِّ وَالدَّوَابِ وَالطَّيْوَرِ فِي عَيْنِي عَبْدُ ثَمَّ
كَشَفَ حِجَابَاهُ دُونَ الشَّمْسِ لَمَا اسْتَطَعْ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا نُورَ الشَّمْسِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينِ
جُزْءاً مِنْ نُورِ الْكَرْسِيِّ، وَنُورُ الْكَرْسِيِّ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينِ جُزْءاً مِنْ نُورِ الْعَرْشِ، وَنُورُ
الْعَرْشِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينِ جُزْءاً مِنْ نُورِ السُّتُّرِ. فَانْظُرْ مَاذَا أَعْطَى اللَّهُ عَبْدَهُ مِنَ النُّورِ
فِي عَيْنِيهِ وَقْتُ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ عَيَّانَا" رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتَمٍ^(٢).

وَقُولُهُ: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَاٰنَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: النَّجْمُ مَا
أَنْبَسَطَ عَلَى الْأَرْضِ؛ يَعْنِي: مِنَ النَّبَاتِ^(٣)، وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ. قَالَ مَجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ:

(١) سُورَةُ يَسٌ الْآيَةُ ٤٠.

(٢) تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ (٤٨٩/٧).

(٣) جَامِعُ الْبَيَانِ (٢٢/١٧٤)، وَالنَّكْتُ وَالْعَيْنُ (٤٢٤/٥)، وَمَعَالِمُ التَّنْزِيلِ (٤٤٢/٧)، وَتَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ (٤٨٩/٧).

هو النجم الذي في السماء وهو الأظهر⁽¹⁾.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ وَمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾⁽²⁾ الآية.
وأما الشجر فهو مadam على ساق.

قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ يعني العدل كما قال: ﴿وَأَنَّا لَنَا مَعْهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُولُوا إِنَّا بِالْقِسْطِ﴾⁽³⁾.

وكذا قال هنا: ﴿أَلَا تَطْعَمُونِي الْمِيزَانِ﴾ أي: خلق السموات والأرض بالحق والعدل [لتكون] الأشياء كلها بالحق والعدل.

ولهذا قال: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ أي: تبخسوا الوزن بل زنوا بالحق والقسط كما قال ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾⁽⁴⁾.

قوله: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ أي: كما رفع السماء وضع الأرض ومهدها وأرساها بالجبال الراسيات، لتسقر لما على وجهها من الأنام وهم الخائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وأسنتمهم فيسائر أقطارها ﴿فِيهَا فَكِهَةٌ﴾ أي مختلفة الألوان والطعوم والروائح.

﴿وَالنَّحْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ أفرده بالذكر لشرفه وكثرة نفعه رطباً و يابساً: قال ابن عباس وغيره الأكمام أو عية الطلع، لأن ثمر النخل يكون أولاً في غلاف مالم تشق واحدها كم وكل ما سترسا فهو كم وكمة، ثم ينشق عن العنقود فيصير بسراً ثم رطباً ثم ينضج ويتأهي نفعه واستواه⁽⁵⁾.

عن الشعبي قال: كتب قيسراً إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -:
أخبرك أن رسلني أتنبي من عندك فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخلقة لشيء من

(1) تفسير الإمام مجاهد (636)، وتفسير ابن كثير (489/7).

(2) سورة الحج الآية/18.

(3) سورة الحديد الآية/25.

(4) سورة الشعرا الآية/182.

(5) ينظر: جامع البيان (182/22)، ومعالم التنزيل (442/7)، وتفسير ابن كثير (490/7).

الخير، تخرج مثل آذان الحمير عن مثل اللؤلؤ، ثم تخضر فيكون كالزمرد الأخضر، ثم تحمر فيكون كالياقوت الأحمر، ثم تينع فتضج فيكون كأطيب فالوذج أكل، ثم تبس فيكون عصمة للمقيم وزاداً للمسافر، فإن تكن رسلي صدقتي فلا أرى هذه الشجرة إلاّ من شجر الجنة، فكتب إليه عمر من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قصير ملك الروم، إن رسلك صدقتك هذه الشجرة عندنا وهي الشجرة التي أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها، فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلهًا من دون الله⁽¹⁾.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ إِدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحُقْقُ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾⁽²⁾ وقيل: الأكمام: رقابها وهو الليف الذي على عنق النخل⁽³⁾ قاله قتادة والسدي **﴿وَالْحُبْ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾**.

قال ابن عباس: **﴿الْعَصْفِ﴾** ورق الزرع الأخضر الذي قطع رأسه فهو يسمى العصف إذا بيس⁽⁴⁾، ولهذا قيل: هو التين.

وقال: الريحان خضرة الزرع ولعل المراد أن الحب كالقمح والشعير في حال نباته عصف، وهو ما على السنبلة، وريحان وهو الورق الملتافي على ساقها. وقيل: العصف الورق أول ما نبت الزرع بقلا، والريحان الورق يعني إذا أدجن وانعقد فيه الحب⁽⁵⁾، كما قال زهير في قصيدته المشهورة:

وقولا له من ينبت الحب في الثرى * فيصبح منه البقل يهتر رابيا
ويخرج منه جبه في رؤوسه * ففي ذاك آيات لمن كان واعيا
وقيل: هو الريحان المعروف قوله: **﴿فَبِأَيِّ ءَالَّاءِ رَبِّكُمَا ثُكَّيَّبَان﴾**.

أي: فبأي الآلاء ربكما يامعشر من الإنس والجن تكذبان⁽⁶⁾? قاله مجاهد وغير

(1) تفسير ابن كثير (490/7).

(2) سورة آل عمران الآية/60.

(3) ينظر: جامع البيان (182/22)، والنكت والعيون (425/5)، ومعالم التنزيل (442/7).

(4) جامع البيان (183/22)، والنكت والعيون (426/5)، وتفسير ابن كثير (491/7).

(5) ينظر: جامع البيان (187/22)، والنكت والعيون (426/5)، وتفسير ابن كثير (491/7).

(6) ينظر: تفسير ابن كثير (491/7)، والدر المنشور (110/14).

واحد ويدل عليه السياق بعده أي: النعم ظاهرة عليكم وانت مغمورون بها لا تستطعون إنكارها ولا جحودها فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون به: اللهم ولا شيء من آلاتك ربنا نكذب، فلك الحمد. عن أسماء بنت أبي بكر^(١) قالت: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يقرأ وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمن والمركون يستمعون ﴿فَبِأَيِّ ءَالَّاءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَارِ ١٤ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ١٥ فَبِأَيِّ ءَالَّاءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٦ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ١٧ فَبِأَيِّ ءَالَّاءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٨ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ١٩ بَيْنَهُمَا بَرَزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَّاءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢١ يَخْرُجُ مِنْهُمَا الْلُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ٢٢ فَبِأَيِّ ءَالَّاءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٣ وَلَهُ الْجَوَارُ الْمُنْشَأُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ٢٤ فَبِأَيِّ ءَالَّاءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٥﴾.

ذكر - تعالى - خلقه الإنسان من صلصال كالفار، وخلقه الجن من مارج من نار، وهو طرف لهبها، وخلصها وأحسنها^(٢) قاله ابن عباس وغير واحد، وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «خليت الملائكة من نور، وخلق الجن من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم»^(٣).

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ يعني شرقي الصيف والشباء ومغربهما، كما قال في الآية الأخرى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ٤﴾ وذلك باختلاف مطالع الشمس وتتقابلا في كل يوم، وبروزها منه إلى الناس.

وفي آية أخرى ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّحْذُهُ وَكِيلًا ٥﴾ والمراد منه جنس المشارق والمغارب، ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغارب صالح

(١) أسماء بنت أبي بكر الصديق، واسم أبي بكر: عبد الله بن عثمان، القرشية التيمية زوج الزبير بن العوام، وهي أم عبد الله بن الزبير وكانت أسن من عائشة وهي أختها لأنها أسلمت بعد سبعة عشر عاماً وهاجرت إلى المدينة، روى عنها عبد الله بن عباس وابنها عروة. ت 73 هـ أسد الغابة (٨/٧).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٤٩٢/٧)، والدر المنثور (١١٠/١٤).

(٣) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الزهد، باب في أحاديث متفرقة، رقم (٢٩٩٦).

(٤) سورة المعارج الآية/٤٠.

(٥) سورة المزمل الآية/٩.

للخلق من التقلين ﴿فِيَّ إِلَاءٌ رَبِّكُمَا ثُكَّذْبَانِ﴾ قوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ أي: أرسلهما وخلآهما ومنعهما أن يلتقيان بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل، والمراد بقوله البحرين: المالح والطرو، فالحلو هذه الأنهر الجارية بين الناس كما سبق في سورة الفرقان واختيار ابن جرير هنا أن المراد بحر السماء وبحر الأرض⁽¹⁾.

كما قال مجاهد وغيره، لأن اللؤلؤ يتولد من السماء وأصداف البحر، وهذا لا يساعد له لفظ⁽²⁾ فإنه تعالى قال: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ أي: جعل بينهما حاجز من الأرض لئلا يبغى ذاك على هذا وهذا على ذاك، فيفسد كل واحد منها الآخر ويزيله عن صفتة التي هي مقصودة منه، والمرجان من مجموعهما فإذا وجد ذلك من أحدهما كفى، كما قال: ﴿يَمْعَشُرَ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾⁽³⁾ والرسل إنما كانوا من الإنس خاصة دون الجن، والمرجان قيل: هو صغار اللؤلؤ⁽⁴⁾ قاله مجاهد وغيره، وقيل: هو كباره وجده، حكاہ ابن جرير من بعض السلف، وقيل: هو نوع من الجواهر أحمر اللون يتخذ منه الخرز، قال ابن عباس: ما سقطت قطرة من السماء في البحر فوقيت في صدفة إلا كان منها لؤلؤة⁽⁵⁾، وفي رواية فإذا لم يقع في صدفة نبت منها عنبرة ولما كان اتخاذ هذه الخلية نعمة على أهل الأرض، امتن بها عليهم.

وقال: ﴿فِيَّ إِلَاءٌ رَبِّكُمَا ثُكَّذْبَانِ﴾.

وقوله: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَأُ﴾ أي: السفن التي تجري في البحر، قال مجاهد: ما رفع قلعه من السفن فهو منشأة وما لم يرفع قلعه فليس بمنشأة⁽⁶⁾، وقيل: يعني المخلوقات، وقيل: هي - بكسر الشين - تعني البدائات. ﴿كَالْأَعْلَم﴾ أي: كالجبال في كبرها وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقوله من قطر، إلى قطر مما

(1) جامع البيان (200/22)، والنكت والعيون (429/5)، والدر المنثور (14/113).

(2) ينظر: جامع البيان (201/22)، وتفسير ابن كثير (492/7).

(3) سورة الأعراف الآية/130.

(4) ينظر: جامع البيان (206/22)، وتفسير ابن كثير (493/7).

(5) ينظر: الدر المنثور (14/114).

(6) جامع البيان (211/22)، ومعالم التنزيل (445/7)، وتفسير ابن كثير (493/7).

فيه صلاح الناس في جلب ما يحتاجون إليه من أنواع البضائع ولهذا قال: ﴿فَيَأْتِيَ إِلَيْهِ رَبِّكُمَا ثُكَّذِبَانِ﴾، وعن عميرة بن سعيد⁽¹⁾ قال: كنت مع على بن أبي طالب - رضي الله عنه - على شاطئ الفرات إذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها فبسط على يديه ثم قال: يقول الله: ﴿وَلَهُ الْجَوَارُ الْمُنْشَأُثُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾ والذى أنشأها تجري في بحوره ما قتلت عثمان ولا مالات على قتله. ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ﴾ وَيَقِنَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿فَيَأْتِيَ إِلَيْهِ رَبِّكُمَا ثُكَّذِبَانِ﴾ يَسْأَلُهُ وَمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنِ ﴿فَيَأْتِيَ إِلَيْهِ رَبِّكُمَا ثُكَّذِبَانِ﴾.

أخبر - تعالى - أن جميع أهل الأرض سيدهون ويموتون، وكذلك أهل السموات إلا من شاء الله، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم، فإن الرب - تعالى وتقديس - لا يموت أبداً وهذه الآية كقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾⁽²⁾ ذو الجلال أي: هو أهل أن يجل، فلا يعصى وأن يطاع فلا يخالف، قال ابن عباس: أي ذو العظمة والكرياء، ولما أخبر عن تساوي أهل الأرض كلهم في الوفاة، وأنهم سيصيرون إلى الدار الآخرة فيحكم فيه ذو الجلال والإكرام بحكم العدل⁽³⁾ قال: ﴿فَيَأْتِيَ إِلَيْهِ رَبِّكُمَا ثُكَّذِبَانِ﴾.

وقوله: ﴿يَسْأَلُهُ وَمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا إخبار عن غناه عما سواه وافتقار جميع الأرض إليه في جميع الحالات، وأنهم يسألون بلسان حالهم ومقالهم، وإنه: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنِ﴾ أي: يجيب داعياً ويعطي سائلاً، ويفك عانياً ويشفي سقيناً ويكشف كرياً ويفغر ذنباً⁽⁴⁾، قاله مجاهد.

وقال قتادة: لا يستغنى عنه أهل السموات والأرض يحيي ميتاً ويميت حياً، ويربي صغيراً ويفك أسيراً وهو منتهى حاجة الصالحين، وصريخهم ومنتهى شكاوهم

(1) عميرة بن سعد الهمданى اليامي أبو السكن، الكوفي، تابعى ثقة، روى عن علي وعن أبي هريرة في بعض عشر رجالاً من الصحابة، روى عنه الزبير بن عدي وطلحة وغيرهم، مات سنة (80هـ)، تهذيب التهذيب(8/135).

(2) سورة القصص الآية/88.

(3) ينظر: معلم التنزيل (445/7)، وتفسير ابن كثير (494/7)، والدر المنثور (118/14).

(4) جامع البيان (213/22)، النكت والعيون (433/5)، والدر المنثور (121/14).

ومغشיהם⁽¹⁾، وعن عبد الله الأزدي⁽²⁾، قال: تلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فقلنا: يارسول الله وما ذاك الشأن؟ قال: «أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويرفع قوماً ويضع آخرين» رواه ابن جرير⁽³⁾، وعن ابن أبي حاتم مثله وروى مرفوعاً عن أبي الدرداء⁽⁴⁾ كما علقه البخاري بصيغة الجزم من كلامه، وعن ابن عباس أن الله خلق لوها محفوظاً من درة بيضاء دفاته ياقوته حمراء قلمه نور وكتابه نور عرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم ثلاثة وستين نظرة يخلق في كل نظرة، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، وي فعل ما يشاء⁽⁵⁾.

﴿سَنَفِرُّعُ لَكُمْ أَيْهَةُ الْتَّقْلَانِ ۝ فَيَأْتِيَ إِلَيْهِ رَبِّكُمَا ثُكَّذِبَانِ ۝ يَمْعَشُرَ الْجِنِّ ۝ وَإِلَّا إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَنْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنٍ ۝ فَيَأْتِيَ إِلَيْهِ رَبِّكُمَا ثُكَّذِبَانِ ۝ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَّاظٌ مِنْ نَارٍ وَنَحَّاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ۝ فَيَأْتِيَ إِلَيْهِ رَبِّكُمَا ثُكَّذِبَانِ ۝﴾ .

قال ابن عباس وغيره: هذا وعيد العباد بالمحاسبة، وليس المراد الفراغ عن شغل؛ لأنّه - تعالى - لا يشغله شأن⁽⁶⁾.

كما قال البخاري: ستحاسبكم لا يشغله شيء عن شيء، كما يقول العرب لأفرغن لكم وما به شغل أي: لأخذنك على غرتك⁽⁷⁾. وقال ابن جرير أي: سيقضي لكم

(1) ينظر: جامع البيان (212/22)، وتفسير ابن كثير (495/7).

(2) عبد الله بن سخيرة الأزدي الشنوي الكوفي أبو عمر المشهور بكنيته، وهو صحابي جليل، وأحد العشرة المعدودين من أصحاب عبد الله بن مسعود، وله أحاديث وقد خرج أبو عوانة حديثه في صحيحه وكذلك ابن حبان وتوفي في ولاية عبيد الله بن زياد سنة (62هـ)، إكمال تهذيب الكمال (375/7، 376).

(3) رواه ابن جرير في تفسير (214/22) وابن حبان في الجامع الصحيح، باب الفقر والزهد والقناعة، حديث رقم (688)، وصححه الألباني في صحيح ابن حبان (الظلال) حديث رقم (301).

(4) أبو الدرداء اسمه عويم بن عامر بن مالك بن زيد بن قيس بن أمية الخزرجي وأمه محبة بنت واقد بن عمر بن الأطنابة تأخر إسلامه قليلاً كان آخر أهل داره إسلاماً، كان فقيها عالقاً حكيمًا أخي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين سليمان الفارسي شهد ما بعد أحد من المشاهد ولـي أبو الدرداء قضاة دمشق، أسد الغابة في معرفة الصحابة (168/3).

(5) جامع البيان (2159/22)، ومعالم التنزيل (446/7)، وتفسير ابن كثير 07/4969.

(6) ينظر: جامع البيان (216/22)، النكت والعيون (5/4349)، والدر المنثور (14/123).

(7) معالم التنزيل (447/7)، وتفسير ابن كثير (7/496).

وقوله ﴿أَيْهَا الْقَلَان﴾ يعني الإنس والجن، كما جاء في الصحيح في حديث سؤال القبر يسمعه كل شيء إلا التقلين وفي رواية إلا الإنس والجن، ثم قال: ﴿يَمْعَشُرَ الْجِنِّ وَإِلَّا إِنْسٌ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا﴾ أي: تجوزوا وتخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: من جوانبها وأقطارها وأطرافها ﴿فَانْفُذُوا﴾ أي: إن استطعتم أن تهربوا من الموت والخروج من تلك الأقطار فاهربوا واخرجوا منها ولكن لا تستطعون هربا من أمر الله وقدره بل هو محيط بكم لاتقدرون على التخلص من حكمه فيكم.

﴿إِلَّا إِسْلَاطِنِ﴾ أي: بأمر الله ﴿يَقُولُ إِلَّا إِنْسَنٌ يَوْمِئِدُ أَيْنَ الْمَقْرُ ۚ كَلَّا لَا وَرَرَ ۖ إِلَى رَبِّكَ يَوْمِئِدُ الْمُسْتَقْرُ﴾⁽¹⁾. ولهذا قال: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّنْ نَارٍ وَنَحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَا﴾ قال ابن عباس الشواط: لهب النار أو دخانه⁽²⁾، وقال مجاهد: هو اللهب الأخضر المنقطع⁽³⁾ وقال أبو صالح: هو اللهب الذي فوق النار دون الدخان⁽⁴⁾، وقال الضحاك: أي سيل من نار ونحاس أي دخان⁽⁵⁾ قال ابن جرير⁽⁶⁾: والعرب تسمى الدخان: نحاساً، بضم النون وكسرها⁽⁶⁾، والقراءة مجمعة على الضم، قال النابغة:

يضيء كضوء سراج السليط * لم يجعل الله فيه نحاسا⁽⁷⁾
أي دخاناً وعن نافع بن الأزرق أنه سأله ابن عباس عن الشواط فقال: هو
اللهب الذي لا دخان معه، فسأله شاهداً على ذلك من اللغة، فأنشد بيت أمية بن أبي
الصلات⁽⁸⁾ في حسان:

(1) سورة القيمة الآية/12.

(2) جامع البيان (222)، والنكت والعيون (434)، وتفسير ابن كثير (497/7)، والدر المنثور (125/14).

(3) جامع البيان (223/22)، وتفسير ابن كثير (497/7)، والدر المنثور (125/14).

(4) ينظر: تفسير ابن كثير (497/7).

(5) تفسير الضحاك (822/821)، وتفسير ابن كثير (498/7).

(6) جامع البيان (226/22)

(7) ديوان النابغة الجعدي (244/2)

(8) أمية بن أبي الصلت الشاعر المشهور ذكره بن السكن في الصحابة، وقال لم يدركه الإسلام وقد صدقه النبي - صلى الله عليه وسلم - في بعض شعره وقال قد كاد أمية أن يسلم، وفي البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً في الحديث ((كاد أمية بن الصلت أن يسلم)) وأم أمية رقية بنت عبد شمس بن عباد بن عبد مناف، فلما مرض مرض الموت جعل يقول: قد دنا أجلني وأنا أعلم أن الحنفية حق ولكن السك يداخلي.

ألا من مبلغ حسان عنِي** مغلولة تدب إلى عكاظ
أليس أبوك فينا كان قينا** إلى القينات فسلا في الحفاظ
بمانيا يظل شب كبيرا** وتنفح ذا يبا لهب الشواط⁽¹⁾
قال: صدقت، فما النحاس؟ قال: هو الدخان الذي لا لهب له، قال: فهل
تعرفه العرب؟ قال: نعم، أما سمعت نابغة بنى ذبيان يقول:

يضيء كضوء سراج السلط** لتم يجعل الله فيه نحاسا
وقال مجاهد وغيره: النحاس هو الصفر يذاب فيصب على رؤوسهم⁽²⁾،
والمعنى على كل قول: لو ذهبتم هاربين يوم القيمة لردمكم الملائكة والزيانية بإرسال
اللهب من النار، والنحاس المذاب عليكم لترجعوا ولهذا قال: ﴿فَلَا تَنْتَصِرُانِ فِي أَيِّ
عَالَاءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فَإِذَا أَنْشَقَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالْهَانِ﴾ فِي أَيِّ عَالَاءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنِ ذَنْبِهِ إِنْسُ وَلَا جَانُ﴾ فِي أَيِّ عَالَاءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُعْرَفُ
الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالْتَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ فِي أَيِّ عَالَاءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ يُطْوَفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ عَانِ﴾ فِي أَيِّ
عَالَاءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

يعني ﴿فَإِذَا أَنْشَقَتِ السَّمَاءُ﴾ يوم القيمة وانفرجت قوله ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَت﴾⁽³⁾
﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالْهَانِ﴾ يذوب كما يذوب الدردي والفضة في السبك، ويتلون كما يتلون
الأصياغ التي يدهن بها، فتارة حمراء، وتارة صفراء، وتارة خضراء وزرقاء وذلك من شدة الأمر
وهو يوم القيمة، كما قال أنس بن مالك: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (يبعث
الناس يوم القيمة والسماء يطيش عليهم)⁽⁴⁾ قيل الطيش: المطر الضعيف.

(1) ديوان أمية ابن أبي الصلت (168)

(2) ينظر: جامع البيان (225/22)، البحر المحيط (198/8)، الذر المنثور (126/14)

(3) سورة الإنشقاق الآية 1.

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (320/21)، حديث رقم (13814)، وأبو الفضل في الجامع الصحيح للسنن
والمسانيد (220/2)، باب تخفيف يوم القيمة على المؤمنين، حديث رقم (13841).

وقال ابن عباس: ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ هو الأدهم الأحمر كالفرس الوردي، وعن البغوي⁽¹⁾ وغيره: أن الفرس الوردي يكون في الربيع صفراً وفي الشتاء حمراً فإذا اشتد البرد تغير لونها.

وقال الحسن ألواناً، وقيل: يكون كالمهل كدردي الزيت، قال مجاهد: يوم ذي ألوان، قال ابن جريج⁽²⁾: [تصير] السماء كالدهن الذائب، وذلك حين يصيبيها حرّ جهنم.

وقوله: ﴿فِيَوْمٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾، قوله: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾⁽³⁾ فهذا في مقام وحال ثم في مقام وحال، فإنه يسأل الخالق عن جميع أعمالهم.

قال تعالى: ﴿فَوَرَبَّكَ لَنَسْعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽⁴⁾ قال ابن عباس: لا يقال لهم هل علمتم كذا وكذا؛ لأن الله تعالى أعلم بذلك ولكن يقال لهم: لم علمتم كذا وكذا، قال أبو العالية عن المجرم ذنب المجرم⁽⁵⁾، وقيل لا تسأل الملائكة المجرمين لأنهم يعرفونهم بسيماهم، وذلك بعد ما يؤمر بهم إلى النار، فيقادون إليها ويلقون فيها.

كما قال تعالى ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ يظهرهم عليهم قال الحسن وقتادة: يعرفونهم باسوداد الوجوه وزرقة العيون. كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من الوضوء⁽⁶⁾.

وقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ إِلَّا تَوَاصِي وَالْأَقْدَام﴾ أي: بجميع الزيانة نواصيهم مع أقدامهم من خلف، ويلقون في النار، قال ابن عباس: يؤخذ بناصية الكافر وقدمييه

(1) هو الإمام الحافظ المجتهد محبي السنة أبو محمد الحسين بن محمد الفراء البغوي الشافعي ويلقب بركن الدين أحد العلماء الذين خدموا الكتاب العزيز والسنة النبوية، من مصنفاته ((شرح السنة)) والمصابيح كان إماماً زاهداً فقيها محدثاً مفسراً، طبقات الشافعية الكبرى (75/7).

(2) معالم التنزيل (4369/5)، وتفسير ابن كثير (498/7).

(3) سورة المرسلات الآية/36.

(4) سورة الحجر الآية/93.

(5) ينظر: جامع البيان (230/22)، والنكت والعيون (436/5)، وتفسير ابن كثير (499/7).

(6) جامع البيان (231/22)، ومعالم التنزيل (450/7)، وتفسير ابن كثير (499/7).

ويكسر كما يكسر الحطب في التنور⁽¹⁾. فقال لهم تقرعاً وتوبخاً ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا أَلْمُجَرِّمُونَ ﴾ أي: هذه النار التي كنتم تكذبون بوجودها، هاهي حاضرة تشاهدونها عيانا.

وقوله: ﴿ يَطْوُفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ إِنِّي أَعْذَبُونَ فِي الجَحَنَّمِ ﴾ أي: تارة يعذبون في الجحيم، وتارة يسقون من الحميم، وهو الشراب الذي هو كالنحاس يقطع الأمعاء والأحشاء، وهذا كقوله تعالى: ﴿ إِذَا أَلَّأَ غَلْلَلٌ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ في الحميم ثم في النار يُسْجَرُونَ⁽²⁾ ومعنى آن: حار قد بلغ الغاية في الحرارة لا يستطيع من شدته،

قال ابن عباس: قد انتهى عليه واشتد حرّه، وبه قال مجاهد وغير واحد⁽³⁾: ولما كان معاقبة العصاة المجرمين من عدله وتعييم الهداة المتقيين من فضله ولطفه بخلقه، وكان إنذاره لهم مما يزجرهم عما هم فيه من المعاصي والكفر، قال ممتنا بذلك على بريته: ﴿ فَيَأْيِي إِلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ فَيَأْيِي إِلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ⁽⁴⁾ ذَوَاتَ آفَنَانِ⁽⁵⁾ فَيَأْيِي إِلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ⁽⁶⁾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ⁽⁷⁾ فَيَأْيِي إِلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ⁽⁸⁾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَكِهَةٍ زُوْجَانِ⁽⁹⁾ فَيَأْيِي إِلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ⁽¹⁰⁾ .

قال ابن شوذب⁽⁴⁾ وعطاء: نزلت آية ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ في أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وال الصحيح أنها عاممة أي: ولمن خاف مقامه بين يدي الله - تعالى - يوم القيمة ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾⁽⁵⁾ ولم يطع ولا آثر الحياة الدنيا، وعلم أن الآخرة خير وأبقى فأدى فرائض الله، واجتب محارمه، فله يوم القيمة عند ربه جنان.

(1) تفسير القرطبي (147/20)، والدر المنثور (130/14)، وتقسير الضحاك (823).

(2) سورة غافر الآية 72.

(3) جامع البيان (233/22)، وتقسير ابن كثير (500/7)، وتقسير السدي (447).

(4) عبد الله بن شوذب أبو عبد الرحمن الخرساني البلاخي كان مولده سنة 86 هـ، سكن البصرة وسمع بها الحسن البصري وأبا سيرين وأبا نصرة ثم انتقل إلى الشام وسكن بيت المقدس وقدم دمشق وسمع بها مكحولاً وحج معه،

(ت 144هـ)، تاريخ دمشق (164/29) .

(5) سورة النازعات الآية 40/40

وفي الصحيحين عن عبد الله بن قيس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «جنتان من فضة آنيتها وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتها وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ريهم إلا رداء والكבר على وجهه في جنة عدن»⁽¹⁾.

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «قرأ يوماً هذه الآية: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ فقلت: وإن زنى وإن سرق يارسول الله؟ فقال: «إن رغم أ NSF أبي الدرداء» رواه النسائي وابن حجر⁽²⁾.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالبة، ألا إن سلعة الله الجنة» رواه الترمذى⁽³⁾.

وهذه الآية شاملة للإنس والجن، فهي من أدل دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا.

ولهذا امتن - تعالى - على التقلين بعد الجزاء فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ ثم نعت هاتين الجنتين فقال: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانِ﴾ أي: أغصان نمرة حسنة تحمل من كل ثمرة نضيجه فائقة ﴿فِي أَيِّ عَالَمٍ رَبِّكُمَا ثُكَّبَانِ﴾، قال عطاء وجماعة: الأفنان أغصان الشجر يمس بعضها بعض⁽⁴⁾، وقال مجاهد وغيره: واحدها فنون وهو الغصن المستقيم طولاً⁽⁵⁾. وقال ابن عباس وغير واحد: أي: ذواتا

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب «وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ» (62) رقم (4878)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ريهم، رقم (296).

(2) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب سورة الرحمن (478/6)، حديث رقم (11560)، وضعقه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزياحته (15/369) حديث رقم (7147).

(3) أخرجه الترمذى في سننه كتاب صفة القيامة، باب أيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع، حديث رقم (2450)، وصححه الترمذى، ووافقه الألبانى في السلسلة الصحيحة الكاملة، حديث رقم (954).

(4) جامع البيان (22/241)، وتفسير ابن كثير (7/502).

(5) معالم التنزيل (7/452)، وتفسير الضحاك (825).

ألوان. يعني أنواعاً من الملاذ⁽¹⁾.

وقال قتادة: ﴿ذَوَاتٌ أَفْنَانٌ﴾ يعني بفضلها وسعتها ومزيتها على ما سواها⁽²⁾.

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذكر سدرا المنتهى فقال: «يسير في ظل الفن منها الراكب مائة سنة - أو قال يستظل في ظل الفن منها مائة راكب - فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال» رواه الترمذى⁽³⁾.

وقال عطاء⁽⁴⁾: كل غصن يجمع فنونا من الفاكهة⁽⁵⁾ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ أي: تسريhan لسقي تلك الأشجار والأغصان ليثمر من جميع الألوان، قال الحسن: يقال لأحدهما التسنيم ولآخر السلسيل⁽⁶⁾.

وقال عطيه⁽⁷⁾: أحدهما من ماء غير آسن، والآخر من خمرلذة للشاربين⁽⁸⁾. ولهذا قال بعدها ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَكِهَةٍ رُّوجَانٌ﴾ أي: من جميع أنواع الثمار مما تعلمون وخير مما تعلمون، فإن ثم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر⁽⁹⁾ ﴿فَبِأَيِّ عَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، قال ابن عباس: ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل. إلا إنه حلو، وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا أسماء⁽¹⁰⁾ يعني: أن بين ذلك بوناً عظيماً، وفرقاً بيّنا في التفاضل والله أعلم.

(1) النكت والعيون (438/5)، والدر المنثور (139/14)، وتفسير الضحاك (825)

(2) ينظر: جامع البيان (241/22)، ومعالم التنزيل (452/7)

(3) أخرجه الترمذى في سننه، باب ما جاء في صفة ثمار أهل الجنة، حديث رقم (2541)، وضعفه الألبانى في ضعيف سنن الترمذى حديث رقم (458).

(4) عطاء بن عبد الله بن أبي مسلم، وأبو مسلم اسمه ميسرة الخرساني مولى المهلب بن أبي صفرة، سكن الشام، ومن الشام بيت المقدس، مات سنة (153هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال (358/5).

(5) معالم التنزيل (452/7)، وتفسير ابن كثير (502/7)

(6) معالم التنزيل (452/7)، وتفسير ابن كثير (503/7)

(7) عطيه بن قيس الكلابي، ويقال الكلاعي أبو يحيى الحمصي روى عن أبي بن كعب ومعاوية والنعمان بن بشير وأبي الدرداء، روى عنه سعد وسعيد بن عبد العزيز وعبد الرحمن بن يزيد، وكان الناس يصلحون مصاحفهم على قراءة عطيه بن قيس، (ت 110هـ)، تهذيب التهذيب (116/3).

(8) معالم التنزيل (452/7)، وتفسير ابن كثير (503/7)

(9) الدر المنثور (141/14)، وتفسير القرطبي (152/20)، وروح المعانى (117/27)، والبحر المحيط (195/8).

﴿ مُتَّكِعِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ فِي أَيِّ ءَالَّاءِ رَبِّكُمَا ثُكَّذْبَانٍ ﴿ ٦٠ ﴾ فِيهِنَّ قَصَرَاثُ الظَّرْفِ لِمَ يَطْمِثُهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿ ٦١ ﴾ فِي أَيِّ ءَالَّاءِ رَبِّكُمَا ثُكَّذْبَانٍ ﴿ ٦٢ ﴾ كَأَنَّهُنَّ أَلْيَاقوْثُ وَالْمَرْجَانُ ﴿ ٦٣ ﴾ فِي أَيِّ ءَالَّاءِ رَبِّكُمَا ثُكَّذْبَانٍ ﴿ ٦٤ ﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿ ٦٥ ﴾ فِي أَيِّ ءَالَّاءِ رَبِّكُمَا ثُكَّذْبَانٍ ﴿ ٦٦ ﴾ .

﴿ مُتَّكِعِينَ ﴾ يعني: أهل الجنة، والانكاء هنا الاضطجاع وقيل: الجلوس على صفة التربع ﴿ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا ﴾ جمع بطانية وهي التي تحت الظهارة ﴿ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ وهو ما غلظ من الدبياج، وقيل: هو الدبياج المعمول بالذهب، فنبه على شرف الظهارة شرف البطانية، تتباهيا بالأدنى على الأعلى.

قال ابن مسعود هذه البطائن، فكيف لورأيتمظواهرها، وقال ابن دينار: بطائنهما من إستبرق وظواهرها من نور. ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ أي: ثمرها قريب إليهم متى شاعوا تناولوه على أي صفة كانوا، كما قال: ﴿ قُطْوُفُهَا دَانِيَةً ﴾^(١) ولما ذكر الفراش وعظمتها قال بعده ﴿ فِيهِنَّ ﴾ أي: في الفراش ﴿ قَصَرَاثُ الظَّرْفِ ﴾ أي: غضيضات عن غير أزواجهن، فلا يرين شيئاً أحسن من أزواجهن قاله ابن عباس وغيره^(٢)، وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبععلها: والله ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك.

فالحمد لله الذي جعلك لي وجعلني لك. ﴿ لَمْ يَطْمِثُهُنَّ إِنْسٌ ﴾ أي: لم يفترشهن ولم يجامعهن، وأصله من الدم أي لم يدمهن بالجماع ﴿ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴾ عن أبي ثعلبة الخشني^(٣).

قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الجن ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنة يطيرون في الهواء، وصنف حيّات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون) رواه البيهقي^(٤)، ثم قال ينعتهن للخطاب ﴿ كَأَنَّهُنَّ أَلْيَاقوْثُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ قال مجاهد:

(١) سورة الحاقة الآية 23

(٢) ينظر: جامع البيان (246/22)، ومعالم التنزيل (453/7)، وتفسير ابن كثير (504/7)، وروح المعاني (118/27).

(٣) أبو ثعلبة الخشني صاحب النبي - صلى الله عليه وسلم - روى عنه أحاديث، حدث عنه أبو إدريس الخواراني، وجبير بن نفير نزل بالشام وقيل: سكن داريا وقيل: اسمه حرثوم بن عمرو وقيل: جرهم بن ناشم ت 75 هـ تهذيب التهذيب (49/12)، وسير أعلام النبلاء (2/567).

(٤) أخرجه الحافظ ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية (85/10)، رقم الحديث (3532)، باب الإيمان بالجن، الحديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، المستدرك على الصحيحين (495/2) حديث رقم (3702).

أي في صفاء الياقوت وبياض المرجان⁽¹⁾.

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير حتى يرى مخها) فإن الله تعالى يقول ﴿كَانُهُنَّ أَلْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ وأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت عليه سلكاً ثم استصفيته لرأيته من ورائه) رواه ابن أبي حاتم ورواه الترمذى موقوفاً⁽²⁾.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: قال: (للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين، على كل واحدة سبعون حلة، يرى مخ ساقها من وراء الثياب) رواه أحمد⁽³⁾

وقال ابن سيرين⁽⁴⁾ إما تقاخروا وإما تذاكرموا، الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ قال أبوهيرة: أولم يقل أبوالقاسم - صلى الله عليه وسلم -: (أن أول زمرة يدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضواء كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنان يرى مخ سوقيهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب) رواه احمد⁽⁵⁾. وأهل الحديث مخرج في الصحيحين.

وقوله: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ أي: ما لمن أحسن العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه في الآخرة كما قال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا أَلْحُسْنَى وَرَزِيَادَةٌ﴾⁽⁶⁾.

(1) جامع البيان (250/22)، والدر المنثور (147/14).

(2) أخرجه الترمذى في سننه، كتاب صفة الجنة، باب صفة نساء أهل الجنة، حديث رقم (2533)، وضعفه الألبانى في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادة (459/1) حديث رقم (4587).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (220/14) حديث رقم (8542)، وصححه الألبانى في صحيح وضعيف سنن الترمذى، بلفظ (من ورائها).

(4) محمد بن سيرين الأنباري مولاهم أبو بكر ابن أبي عمرة البصري إمام وقته روى عن أنس بن مالك وزيد بن ثابت، ومعاوية، وأبي الدرداء وهو من تلاميذته وطائفته من التابعين، ومات بالبصرة سنة (110هـ)، تهذيب التهذيب (190/9).

(5) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب صفة الجنة، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، (2834).

(6) سورة يونس الآية/26.

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ وقال: (هل تدرون ما قال ربكم) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلّا الجنة) رواه البغوي في تفسيره.⁽¹⁾

ولما كان في الذي ذكر نعمة عظيمة لا تقاومها عمل بل مجرد تفضل وامتنان قال بعد ذلك كله: ﴿ فَيَأْتِيَ إِلَاءٌ رَبِّكُمَا ثُكَّذِبَانِ ﴾ .

﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ ﴾ ﴿ فَيَأْتِيَ إِلَاءٌ رَبِّكُمَا ثُكَّذِبَانِ ﴾ ﴿ مُدْهَآمَّاتٍ ﴾ ﴿ فَيَأْتِيَ إِلَاءٌ رَبِّكُمَا ثُكَّذِبَانِ ﴾ ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاخَتَانِ ﴾ ﴿ فَيَأْتِيَ إِلَاءٌ رَبِّكُمَا ثُكَّذِبَانِ ﴾ ﴿ فِيهِمَا فَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ ﴿ فَيَأْتِيَ إِلَاءٌ رَبِّكُمَا ثُكَّذِبَانِ ﴾ ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ ﴿ فَيَأْتِيَ إِلَاءٌ رَبِّكُمَا ثُكَّذِبَانِ ﴾ ﴿ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ ﴿ فَيَأْتِيَ إِلَاءٌ رَبِّكُمَا ثُكَّذِبَانِ ﴾ ﴿ لَمْ يَظْمِنْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴾ ﴿ فَيَأْتِيَ إِلَاءٌ رَبِّكُمَا ثُكَّذِبَانِ ﴾ ﴿ مُتَّكِثِينَ عَلَى رَفِيفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٌ ﴾ ﴿ فَيَأْتِيَ إِلَاءٌ رَبِّكُمَا ثُكَّذِبَانِ ﴾ ﴿ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْأَكْرَامِ ﴾ .

هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن، وقد سبق في الحديث: جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، فالأوليان للمقربين والأخريان لأصحاب اليمين قاله أبو موسى⁽²⁾.

قال ابن يزيد: من دونهما في الفضيلة والدرجة⁽³⁾ هكذا عن ابن عباس. والدليل على شرف الأوليين على الآخرين أنه نعت الأوليين قبل هاتين والتقديم يدل على الاعتناء وهو ظاهر في شرف التقدم وعلوه على الثاني وأنه قال هناك: ﴿ ذَوَاتًا أَفْنَانٍ ﴾ وهي الأغصان والفنون وهي الملاذ.

وقال: ههنا ﴿ مُدْهَآمَّاتٍ ﴾ أي: سوداوان من شدة الري قال ابن عباس: قد

(1) معلم التنزيل للبغوي (456/7)، قال: أخبرنا أبو سعيد الشريحي، عن الزبير بن عدي عن أنس بن مالك. وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها حديث رقم (4984).

(2) جامع البيان (254/22)، ومعلم التنزيل (456/7)، وتفسير ابن كثير (506/7).

(3) ينظر: جامع البيان (254/22)، وتفسير ابن كثير (507/7).

اسودتا من الخضرة من شدة الري من الماء⁽¹⁾ وبه قال كثير من الصحابة والتابعين.

وقال القرطبي: أي ممتنعتان من الخضراء⁽²⁾، وقال هناك: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَان﴾ وقال هنا: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّا خَتَان﴾ أي: فياضتان والجري أقوى من النضح، وقيل: أي ممتنعتان لا تقطعان. وقال هناك ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَكِهَةٍ رَوْجَان﴾ وقال هنا ﴿فِيهِمَا فَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ﴾ ولا شك أن الأولى أعز وأكثر في الأفراد والتتويع على فاكهة، وهي نكرة في سياق الإثبات لا تعم ولها ليس قوله ﴿وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ﴾.

من باب عطف الخاص على العام، كما قرره البخاري. وأفراد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما. وفي مسند عبيد بن حميد عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: جاء أناس من اليهود إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا: يا محمد أفي الجنة فاكهة؟ قال: (نعم فيها فاكهة ونخل ورمان) قالوا: أفيأكلون كما يأكلون في الدنيا؟ قال: (نعم وأضعف) ذلك قالوا: فيقضون بالحوائج؟ قال: (لا ولكنهم يعرقون ويرشون فيذهب الله ما بهم من أذى)⁽³⁾.

قال ابن عباس: نخل الجنة سعفها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم ومنها حلالم وكربيها ذهب أحمر وجذوعها زمرد أخضر، وثمرة أحلى من العسل وألين من الزيد وليس له عجم⁽⁴⁾.

وعن أبي سعيد - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (نظرت على الجنة فإذا الرمانة من رمانتها كالبغير المقتب). رواهما ابن أبي حاتم⁽⁵⁾.

ثم قال: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ أي: خيرات كبيرة حسنة في الجنة قاله قتادة، وقيل: جمع خيرة وهي المرأة الصالحة الحسنة الخلق والوجه، قاله الجمهور وعن أم سلمة قالت قلت: يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخبرني عن الخيرات

(1) ينظر: جامع البيان (256/22)، النك والعيون (441/9)، والدر المنثور (152/14).

(2) تفسير ابن كثير (507/7).

(3) أخرجه عبيد ابن حميد في مسنه، باب مسند عمر بن الخطاب، حديث رقم (35).

(4) ينظر: جامع البيان (261/22)، والدر المنثور (156/14)، وتفسير ابن كثير (508/7).

(5) لم أقف عليه عند ابن أبي حاتم، ورواه السيوطي في الدر المنثور (157/14)،

الحسان، قال: «خِيرَاتُ الْأَخْلَاقِ، خِيرَاتُ الْوِجْهِ»⁽¹⁾.

ثم قال: «حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ» هناك قال «فِيهِنَّ قَصِرَاتُ الظَّرِيفِ» ولا شك أن التي قصرت طرفها بنفسها أفضل من ممن قصرت وإن كان الجميع مخدرات.

قال ابن مسعود: لكل مسلم خيرة، ولكل خيرة خيمة، أربعة أبواب يدخل عليه كل يوم تحفة وكرامة وهدية، لم يكن قبل ذلك لا مرحات ولا طمحات ولا بخرات ولا ذفرات، حور عين كأنهن بيض مكنون.

وقوله «فِي الْخِيَامِ» عن عبد الله بن قيس: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِّنْ لَؤُلُؤٍ مَّجْوَفَةً عَرَضَهَا سَتُونَ مِيلًا فِي كُلِّ زَوْدِيَّةٍ مِّنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ إِلَّا مَا يَطْوِفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ» رواه البخاري⁽²⁾.

وقال أبو الدرداء: الخيمة لؤلؤة واحدة فيها سبعون بابا من در رواه ابن أبي حاتم⁽³⁾.

وعن أبي سعيد - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنان وسبعين زوجة، وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد ويأقوت كما بين الجابية وصناعة» رواه الترمذى⁽⁴⁾.

وقوله: «لَمْ يَطْمِئْنُ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌ» سبق تفسيره قريباً إلا إنه زاد في وصف الأولئ بقوله: «كَأَنَّهُنَّ أَلْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ».

وقوله: «مُتَكَبِّئِينَ عَلَى رَفْرِفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ» قال ابن عباس وغيره الررفف: المحابس والبسط واحداها رفرفة⁽⁵⁾.

(1) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس، باب مأثور الخطاب (154/3)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (253/2)، حديث رقم (2230).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب «حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ»، رقم (4879).

(3) تفسير ابن كثير (7) (509).

(4) أخرجه الترمذى في سننه، كتاب صفة، باب ما جاء ما لأهل الجنة من كرامة، رقم (2565)، وضعفه الهيثمى في مجمع الزوائد.

(5) جامع البيان (247/22)، النكت والعيون (443/5)، ومعالم التنزيل (458/5).

وقال العلاء ابن زيد الررف رف على السرير كهيئة المحابس المتدلية^(١). وقيل يعني: الوسائل، قال ابن جبیر: الررف ریاض الجنة^(٢)، وقال ابن عباس وغير واحد: العبقري: الزرابي^(٣).

وقال سعيد بن جبير: هي: عتاق الزرابي يعني: جيادها⁽⁴⁾. وقيل: الديجاج، وسئل الحسن عن العقري فقال: هي بسط أهل الجنة لا أبا لكم فاطلبوها⁽⁵⁾، وقيل: إنها المرافق، وقال زيد بن أسلم العقري: أحمر، وأصفر، وأخضر، والبسط أسفل من ذلك⁽⁶⁾، وقيل: هي الطنافس المحملة إلى الرقة، قال القبيسي: كل ثوب موشي عند العرب عقري، ومنه قال - عليه الصلاة والسلام - في عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: (فلم أر عقرياً يفرى فريه)⁽⁷⁾.

وعلى كل تقدير فصمة مراافق أهل الجنين الأوليين أرفع وأعلى من هذه الصفة، فإنه قال هناك: ﴿مُتَّكِعْنَ عَلَىٰ فُرْشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرِقٍ﴾ فنعت بطائن فرشهم، وسكت عن ظهائرها اكتفاء بما مدح به البطائن بطريق الأولى والأخرى وتمام الخاتمة أنه قال بعد الصفات المتقدمة: ﴿هُلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ فوصف أهلها بالإحسان، وهو أعلى المراتب والنهيات فهذه وجوه عديدة في تفضيل الجنين الأوليين على هاتين الآخرين، جعلنا الله من أهلها، ثم قال: ﴿تَبَرَّكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْأَكْرَامِ﴾ ﴿وَالْأَكْرَامِ﴾ أي: هو أهل أن يجلّ ولا يعصى، وأن يكرم فيعبد، ويشرك فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى، قال ابن عباس: أي ذي العظمة والكرياء ⁽⁸⁾.

(1) تفسیر ابن کثیر (509/7).

⁽²⁾ معالم التزيل (458/7)، والدر المنثور (14/169).

(3) جامع البيان (276/22)، ونقسيير ابن كثير (509/7).

(4) معلم التنزيل (459/7)، والدر المنثور (169/14)، وتفسير ابن كثير (509/7).

(5) تفسیر ابن کثیر (509/7).

⁽⁶⁾ ينظر: جامع البيان (277/22)، ومعالم التزيل (7/451).

(7) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي - رضي الله عنه- رقم (3682)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الصحابة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- رقم (23923).

⁽⁸⁾ جامع البيان (278/22)، وتفسیر بن كثير (510/7).

وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أجلوا الله يغفر لكم» رواه أحمد⁽¹⁾.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه وإكرام السلطان المقطّع» رواه أبو داود والبيهقي في شعب الإيمان⁽²⁾.

وعن أنس وغيره أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أظلوا بيا ذا الجلال والإكرام» وفي رواية «بذي الجلال والإكرام» رواه أحمد والنسيائي⁽³⁾.

ومعنى **أظلوا**: الزموا ويقال: **الإلاظظ**: هو الإللاح وكلاهما واحد في المعنى وهو المداومة واللزوم، وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يقدر يعني بعد الصلاة إلا بقدر ما يقول: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تبارك ياذا الجلال والإكرام»⁽⁴⁾.

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (199/5)، ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة وأثراها.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منزلهم، رقم (4843)، والبيهقي، كتاب السنن الكبرى (163/8)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، رقم (4053).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (138/29)، والنسيائي في السنن الكبرى، باب ذو الجلال والإكرام، حديث رقم (77169)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (1536).

(4) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفتة، حديث رقم (591).

تفسير سورة الواقعة

وهي مكية

عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبّت، قال: «شيبتي هود، والواقعة، والمرسلات، و﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾⁽¹⁾ و﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِرَتْ﴾⁽²⁾ رواه الترمذى وحسنه⁽³⁾، وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً» رواه البىهقى⁽⁴⁾ في شعب الإيمان، وعن ابن عساكر في ترجمة ابن مسعود عن جابر بن سمرة⁽⁵⁾ قال: كان رسول الله - صلی الله عليه وسلم - «يصلى الصلوات كنحو من صلواتكم التي تصلون اليوم، ولكنه كان يخفف، وكان يقرأ في الفجر الواقعة و نحوها من السور» رواه مسلم وغيره⁽⁶⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبٌ ﴿٢﴾ حَافِظَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجَّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّثْبَتًا ﴿٦﴾ وَكُنْثُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْعَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْعَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّيِّقُونَ الْسَّيِّقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

(1) سورة التكوير الآية/1

(2) سورة النبأ الآية/1

(3) أخرجه الترمذى في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة الواقعة (12/131) حديث رقم (3609)، وصححه الترمذى ووافقه الألبانى في صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/604) حديث رقم (6036).

(4) أخرجه البىهقى في شعب الإيمان، حديث رقم (2498)، وضعفه الألبانى في السلسلة الضعيفة حديث رقم (289).

(5) جابر بن سمرة بن جنادة بن حنبل بن حبيب بن سوادة بن عامر اختلف في كنيته فقيل: أبو خالد وقيل: أبو عبد الله وهو حليف بنى زهرة بن أخت سعد بن أبي وقاص، وأمه خالدة بنت أبي وقاص روى أحاديث عن النبي - صلی الله عليه وسلم - أحاديث كثيرة سكن الكوفة وابتلى بها ت 66هـ أسد الغابة (488/1).

(6) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب المساجد، باب وقت العشاء وتأخيرها، (4/258)، حديث رقم (1486)، والإمام أحمد في مسنده (34/504) حديث رقم (20995).

الواقعة اسم من أسماء يوم القيمة سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها أي: قامت القيمة ونزلت صيتها وهي النخة الأخيرة .

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبٌ﴾ أي: ليس لوقوعها إذا أراد الله كونها صارف يصرفها ولا مانع يدفعها، قال ابن جرير: (والكافنة مصدر كالعاافية والعاقبة)⁽¹⁾، بمعنى كذب يعني: لابد وأن تكون ليس فيها رجعة.

وقوله: ﴿حَافِضَةُ رَأْفَعَةُ﴾ أي: يخفض أقواماً إلى أسفل السافلين وإن كانوا في الدنيا أعزاء، ويرفع آخرين إلى أعلى عليين وإن كانوا في الدنيا أذلاء، قال الحسن وغيره، كما قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الساعة خفضت أعداء الله إلى النار ورفعت أولياء الله إلى الجنة فاسمعت القريب والبعيد⁽²⁾، قوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجَّا﴾ أي: حركت تحريكاً، وزلزلت زلزالاً قاله ابن عباس وغيره⁽³⁾، قوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا﴾⁽⁴⁾، قال الريبع⁽⁵⁾: رجت بما فيها فينهم كل ماعليها كرج الغربال بما فيه، وأصل الرج التحرير⁽⁶⁾، قوله: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ أي: فترت فتاً، قاله ابن عباس وغيره⁽⁷⁾.

وقال ابن زيد: أي: صارت الجبال ﴿كَيْبَأَ مَهِيلًا﴾⁽⁸⁾ قوله: ﴿فَكَانَ هَبَاءً مُّئْبَأً﴾ قال علي - رضي الله عنه - الهباء هو الذي يطير من النار إذا اضطررت بطيير منه الشرر فإذا وقع لم يكن شيئاً.

وقال عكرمة: المنبث الذي ذرته الريح وبثته⁽⁹⁾، وقيل: كبس الشجر الذي

(1) جامع البيان (279/22).

(2) ينظر: جامع البيان (280/22)، والدر المنشور (175/14)، وتفسير ابن كثير (514/7).

(3) معالم التنزيل (7/8)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (1184).

(4) سورة الزلزلة الآية/1.

(5) الريبع ابن أنس البكري ويقال الحنفي، البصري، نزل خراسان، روى عن أنس بن مالك، وأبي العالية، مات في خلافة أبي جعفر المنصور، ونكر الذهبي أنه توفي سنة (139هـ)، تهذيب التهذيب (3/207).

(6) ينظر: تفسير ابن كثير (514/7).

(7) جامع البيان في تأويل القرآن (283/22)، ومعالم التنزيل (7/8).

(8) سورة المزمل الآية/14.

(9) تفسير ابن كثير (515/7).

تذروه الرياح، وهذه الآية كأخواتها الدالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيمة، وذهابها وتسيرها ونسفها وصيورتها كالعهن المنفوش.

وقوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَرْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ أي: ينقسم الناس إلى ثلاثة أصناف: قوم عن يمين العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن، فيؤتون كتبهم بأيمانهم فيؤخذ بهم ذات اليمين، قال السدي: (وهم جمهور أهل الجنة، وأخرون عن يسار العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر فيؤخذ بهم ذات الشمال فيؤتون كتبهم بشمالهم وهو عامة أهل النار، وطائفة ساقون بين يديه، وهو أخص وأقرب من أصحاب اليمين وهم سادتهم، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء، وهو أقل عدداً من أصحاب اليمين)⁽¹⁾.

ولهذا قال: ﴿فَأَصْحَبُ الْمَيْمَنَةَ مَا أَصْحَبُ الْمَيْمَنَةِ ⑤ وَأَصْحَبُ الْمَشْعَمَةَ مَا أَصْحَبُ الْمَشْعَمَةِ ⑥ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ هكذا قسمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وهذا ذكرهم في قوله تعالى ﴿ثُمَّ أُرْثَنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أُصْطَدَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْحُكْمِ رَبِّ الْجِنَّاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ ⑦﴾⁽²⁾، على أحد القولين في الظالم لنفسه في سورة الملائكة، وبه قال ابن عباس⁽³⁾.

وقال مجاهد: ﴿أَرْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ أي: فرقاً وقيل: أفواجاً وأصنافاً اثنان في الجنة وواحدة في النار⁽⁴⁾، وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «أتذرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيمة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوا بدلوه وحكموا للناس حكمهم لأنفسهم» رواه أحمد⁽⁵⁾ وقيل: الأنبياء على مرتبهم، وقيل: السابقون في الإسلام، وقيل: إلى الهجرة، وقيل: هم الذين صلوا قبلتين.

(1) ينظر: جامع البيان (287/22)، ومعالم التنزيل (8/8)، وتفسير ابن كثير (515/7).

(2) سورة فاطر الآية/32.

(3) ينظر: تفسير القرطبي (20/181)، وتفسير ابن كثير (515/7).

(4) ينظر: جامع البيان (288/22)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (1184).

(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (69/6)، حديث رقم (24443)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (101).

وقيل: المسارعون إلى التوبة وإلى أعمال البر، وقيل: إلى كل مادعى الله إليه، وقيل: أولهم رواحاً إلى المسجد، وأولهم خروجاً في سبيل الله ولكل وجهة ودليل من القرآن فمن سبق في هذه الدار إلى الخيرات كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة فإن الجزاء من جنس العمل.

ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ﴾ أي: إلى جوار القدس. ﴿فِي جَنَّتٍ أَلْتَعِيمٍ﴾.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأُوَّلِينَ ۚ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ۖ عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُوَنَةٍ ۗ مُتَكَبِّرُونَ ۚ عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ ۗ يَطْوُفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَنْ مُخَلَّدُونَ ۗ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسِينَ مِنْ مَعِينٍ ۗ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ۗ وَفَكِهَةٌ مِّنَ يَتَحَيَّرُونَ ۗ وَلَحْمٌ طِينٌ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۗ وَحُورٌ عِينٌ ۗ كَامِلُ الْلُّؤْلُؤُ الْمُكْثُونُ ۗ جَزَاءً بِمَا كَاثُوا يَعْمَلُونَ ۗ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۗ إِلَّا قِيلَّا سَلَّمًا ۗ﴾.

أخبر - تعالى - عن هؤلاء السابقين المقربين أنهم ثلاثة؛ أي: جماعة من الأولين وقليل من الآخرين، قيل: المراد بالأولين الأمم الماضية، وبالآخرين هذه الأمة، وهذا عن مجاهد والحسن، وهو اختيار ابن جرير⁽¹⁾، واستأنس بقوله - عليه الصلاة والسلام -: «نحن الآخرون السابقون يوم القيمة».

كما روى أبوهريرة، قال: لما نزلت ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأُوَّلِينَ ۚ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ شق ذلك على أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة، أو شطر أهل الجنة وتقاسموهم النصف الثاني» رواه أحمد وابن أبي حاتم⁽²⁾. فقوله - عليه الصلاة والسلام -: «إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، الحديث بتمامه وهو مفرد في صفة الجنة»، ولكن فيما اختاره ابن جرير نظر، أن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن، فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر،

(1) ينظر: جامع البيان (291/22)، ومعالم التنزيل (9/8)، وتفسير القرطبي (184/20).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (328/23)، وابن أبي حاتم (3330/10) وابن ماجة في سننه، حديث رقم (4283)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته حديث رقم (8142).

اللهم إلا أن نقابل مجموع الأمم بهذه الأمة⁽¹⁾.

والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والراجح في هذا المقام أن يكون المراد بقوله: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ صدر هذه الأمة ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ أي: من هذه الأمة⁽²⁾، كما قال الحسن: أما السابقون فقد مضوا ولكن اللهم اجعلنا من أصحاب اليمين، فقرأ الحسن هذه الآية وقال: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ من مضى من هذه الأمة ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ كانوا يقولون أو يرجون أن يكونوا كلهم من هذه الأمة، وبه قال ابن سيرين: أن الجميع من هذه الأمة، ولاشك أن أول كل أمة خير من آخرها، فيحتمل أن تعم الآية جميع الأمم كل أمة بحسبها⁽³⁾.

ولهذا ثبت في الصاحح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» الحديث بتمامه⁽⁴⁾.

وأما الحديث الذي رواه أحمد والترمذى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره»⁽⁵⁾، وبعد الحكم بصحة إسناده، محمول على أن الدين كما هو محتاج إلى أول هذه الأمة في إبلاغه إلى من بعدهم، كذلك هو محتاج إلى القائمين به في أواخرها والفضل للمتقدم وكذلك الزرع محتاج إلى المطر الأول وإلى الثاني.

ولكن العمدة الكبرى للأول واحتياج الزرع إليه أكد، فإنه لولاه لما نبت في الأرض ولا تعلق أساسه فيها، ولهذا قال - عليه الصلاة والسلام -: «لا تزال طائفة من

(1) تفسير ابن كثير (518/7)، وأضواء البيان (824/7).

(2) الدر المنثور (14/182).

(3) تفسير ابن كثير (7519).

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب فضائل، باب فضائل أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم (3450)، بلفظ (خير أمتي قرني)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم حديث رقم (2533) بلفظ (خير أمتي القرن الذين يلوني).

(5) أخرجه الإمام أحمد في مسند (334/19)، والترمذى في سننه، باب ما جاء في مثل ابن آدم وأجله وأمله. حديث رقم (2869)، وصححه الترمذى، ووافقه الألبانى في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزیادته، (293/22) حديث رقم (10793).

أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم إلى قيام الساعة» وفي لفظ «حتى يأتي أمر الله - تعالى - وهم على ذلك» هكذا في الصحيحين⁽¹⁾، والغرض أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم والمقربون فيها أكثر من غيرها على منزلة لشرف دينها وعظم نبيها، والأحاديث في شرف هذه الأمة وفضلها كثيرة، قوله: ﴿عَلَى سُرُّ مَوْضُونَةٍ﴾ أي: منسوجة بالذهب واللؤلؤ، هكذا عن ابن عباس وغير واحد⁽²⁾.

قال عكرمة: (مشبكة بالدر والياقوت)،⁽³⁾ قال ابن جرير: (ومنه وضين الناقة التي تحت بطنها، لأنه مضفور، كذلك السرر في الجنة مضفورة بالذهب واللالي)⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿مُتَكَبِّئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ﴾ أي: وجوه بعضهم إلى بعض ليس أحد وراء أحد، ﴿يَطْوُفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَنْ مُخَلَّدُونَ﴾ على صفة واحدة لا يكرون عنها ولا يشيبون ولا يتغيرون، ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾ أم الأكواب فهي: الكيزان التي لا خراطيم لها ولا آذان، والأباريق التي جمعت الوصفين والكؤوس الهنائيات، أي: الفساع والجميع من خمر من عين جارية معين ليس من أوعية تتقطع وبفرغ من عيون ساحة.

وقوله: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ أي: لا يصدع رؤوسهم ولا ينزع عقولهم، بل هي ثابتة مع الشدة المطرية واللذة الحاصلة.

وقد سبق عن ابن عباس أنه قال: في الخمر أربع خصال: السكر، والصداع، والقيء، والبول، فذكر الله خمر الجنة وزهدها عن هذه الخصال، أي: ليس لهم فيها صداع رأس⁽⁵⁾، ﴿وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ أي: لا يذهب بعقولهم.

وقوله: ﴿وَفَكِهَةٌ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ أي: يطوفون عليهم بما يتخيرون من

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب قوله: لا تزال طائفة من أمتى، حديث رقم (71)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله: لا تزال طائفة من أمتى، حديث رقم (5059).

(2) ينظر: النكت والعيون (450/5)، ومعالم التنزيل (9/8)، والدر المنثور (14/183).

(3) جامع البيان (22/292)، وتفسير ابن كثير (7/521).

(4) ينظر: جامع البيان (22/292)، (293)، وتفسير القرطبي (20/185)، وتفسير ابن كثير (7/521).

(5) ينظر: جامع البيان (22/298)، والنكت والعيون (5/451)، ومعالم التنزيل (8/10).

الثمار، وفيه دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها .

كما روى عكراش بن ذؤيب⁽¹⁾ قال: أتينا بجفنة كثيرة الثريد والوزن، فخطت يدي في نواحيها وأكل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين يديه فقبض بيده اليسرى على يدي اليمنى ثم قال: «ياعكراش كل من موضع واحد فإنه طعام واحد». ثم أتينا يطبق ألوان التمر فجعلت أكل من بين يدي، وجالت يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الطبق فقال: «ياعكراش كل من حيث شئت فإنه غير لون واحد». ثم أتينا بماء فغسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يده ومسح يده ببلل كفيه وجهه وذراعيه ورأسه، وقال: «ياعكرash هذا الوضوء مما غيرت النار» رواه الترمذى وابن ماجه⁽²⁾.

وعن أنس قال: أتت امرأة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت: يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأيت كأنى أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة، فسمعت وجبة ارتজت إليها الجنة، فنظرت فإذا فلان بن فلان وفلان بن فلان فسميت اثنى عشر رجلاً.

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد بعثهم سرية قبل ذلك فجيء بهم عليهم ثياب طلس تسبح أوداجهم، فقيل اذهبوا بهم إلى نهر البيذخ أو البيذج، قال: فغمسوها فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر، فأتوا بصفحة من ذهب فيها بسر فأكلوا من بسرها ما شاءوا فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا، وأكلت فجاء البشير من تلك السرية فقال: ما كان من رؤيا كذا وكذا فأصيب فلان وفلان حتى عدّ اثنى عشر رجلاً، فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المرأة فقال: «قصي رؤياك فقصتها، وجعلت تقول: فجيء بفلان وفلان كما قال» هذا الحديث على شرط مسلم رواه أحمد⁽³⁾.

(1) عكراش بن ذؤيب التميمي المنقري بن حرقوص بن جعدة بن عبيد أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - بصدقات قومه، ولم يذكر إنتمام النسب قال عكراش بعنتي بنو مرة بن عبيد بصدقات أموالهم إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقدمت المدينة فوجنته جالسا في المهاجرين والأنصار، أسد الغابة في معرفة الصحابة، (281/2).

(2) أخرجه الترمذى في سننه، كتاب الأطعمة، باب في ترك الوضوء قبل الطعام، حديث رقم (1848)، وابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة، باب الوضوء مما غيرت النار، حديث رقم (523) بلفظ (توسيئوا مما غيرت النار، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذى، حديث رقم (706).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (135/3)، وأبو يعلى في مسنده (44/6)، حديث رقم (3289)، وابن حبان في الجامع الصحيح (418/13)، حديث رقم (6054)، وقال ابن حبان إسناده قوي على شرط مسلم كتاب الرؤيا.

وعن ثوبان⁽¹⁾ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى» رواه الطبراني⁽²⁾.

وقوله: ﴿ وَلَحِمَ طَيْرٍ مِّمَّا يَشَهُونَ ﴾ عن أنس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن طير الجنة كأمثال البخت ترعى في شجرة الجنة» فقال أبو بكر: يا رسول الله إن هذه لطير ناعمة، فقال: «أكلها أنعم منها - قالها ثلاثة - وإنني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها» تفرد به أحمد⁽³⁾.

وعنه أيضاً أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عن الكوثر قال: «نهر أعطانيه ربي في الجنة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر» فقال: عمر إنها لناعمة، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أكلها أنعم منها» رواه الترمذى وحسنه⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿ وَهُورٌ عَيْنٌ ۝ كَأَمْثَلِ اللَّؤْلُوِ الْمَكْنُونِ ۝﴾ وقرأ بعضهم بالرفع على تقدير: ولهم فيها حور عين! وقراءة الجر يحمل معنيين: أحدها: أن يكون تابعاً لما قبله من القرائن.

كما قال: ﴿ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۝ ۝﴾⁽⁵⁾ والثاني: أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين، ولكن يكون ذلك في القصور والخيام لا في المجالس والمجامع. وقوله: ﴿ كَأَمْثَلِ اللَّؤْلُوِ الْمَكْنُونِ ۝﴾ أي: كأنهم اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه، كما تقدم في سورة الصافات ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ۝﴾⁽⁶⁾ وصفهن أيضاً.

(1) ثوبان بن بجدد مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن وهو من حمير من اليمن وقيل هو من السراة موضع بين مكة واليمن فثبتت على لواء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يزل معه سفراً وحضرأ وخرج إلى الشام فنزل إلى الرملة، ت 454هـ. أسد الغابة (1/480).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (2/102) وأبو الفضل في جامع السنن والمسانيد، حديث رقم (1358)، وضعقه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزرياته، حديث رقم (1446).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (3/221)، حديث رقم (1331).

(4) أخرجه الترمذى في سننه، كتاب صفة الجنة، باب صفة طير الجنة، حديث رقم (2542)، وصححه الترمذى، ووافقه الألبانى.

(5) سورة الإنسان الآية 21.

(6) سورة الصافات الآية 49.

ولهذا قال: ﴿ جَزَاءُهُمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: هذا الذي أتحفناهم به مجازة لهم على ما أحسنوا من العمل، ثم قال: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِي الْجَنَّةِ كَلَامًا لَاغْيَارًا ﴾ أي: عبثا خاليا عن المعنى أو بلا فائدة في معنى حقير ﴿ وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ أي: ولا كلاماً قبيحاً ﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا ﴾ أي: إِلَّا التسليم منهم بعضهم على بعض.

كما قال: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾⁽¹⁾ ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴾⁽²⁾ وَظَلَّحٌ مَنْضُودٌ⁽³⁾ وَظَلَّلٌ مَمْدُودٌ⁽⁴⁾ وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ⁽⁵⁾ وَفَكِهَةٌ كَثِيرَةٌ⁽⁶⁾ لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ⁽⁷⁾ وَفُرُشٌ مَرْفُوعَةٌ⁽⁸⁾ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً⁽⁹⁾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا⁽¹⁰⁾ عُرْبًا أَتْرَابًا⁽¹¹⁾ لَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ⁽¹²⁾ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ⁽¹³⁾ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ⁽¹⁴⁾

لما ذكر - تعالى - مآل السابقين وهم المقربون، عطف عليهم حال أصحاب اليمين، وهم الأبرار، فإن منزلتهم دون منزلة السابقين، فقال: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ يعني: أي شيء أصحاب اليمين تعجبوا وما حالهم وكيف مآلهم ثم فسر فقال: ﴿ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴾ فقال ابن عباس وجماعة وابن جرير: هو الذي لاشوك فيه.

وفي رواية عنه أنه هو الموقر بالثمر، والظاهر أن المراد كلاهما⁽²⁾، كما قال قتادة: كنا نتحدث أنه الموقر الذي لاشوك فيه، فإن سدر الدنيا كثير الشوك، قليل الثمر غالباً، وفي الآخرة على العكس موفر الثمر بلا شوك⁽³⁾.

وعن سليم بن عامر⁽⁴⁾ قال: أقبل أعرابي يوماً فقال: يا رسول الله ذكر الله في الجنة شجرة تؤدي صاحبها، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (ما هي؟) قال: السدر فإن له شوكاً مؤذياً. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أليس الله يقول

(1) سورة يونس الآية/23.

(2) جامع البيان (307/22)، النكث والعيون (453/5).

(3) تفسير ابن كثير (525/7).

(4) سليم بن عامر، أبو عامر أدرك الجاهلية ولم ير النبي - صلى الله عليه وسلم - وهاجر في عهد أبي بكر الصديق، روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعمار بن ياسر، (ت 130 هـ). الاستيعاب (289/1).

﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾؟ خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فإنها لتبث ثمراً يتفق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما فيها لون يشبه الآخر) رواه أبو بكر⁽¹⁾ النجاد⁽²⁾، يقال خضد شوكه إذا قطع ونزع منه قوله: ﴿وَظَلَحٌ مَّنْصُودٌ﴾، قال أبو سعيد: هو الموز، وبه قال ابن عباس وغيره، وقال ابن زيد: أهل اليمن يسمون الموز الطلع⁽³⁾، وقال الحسن: هو شجر له ظل بارد طيب⁽⁴⁾، وقال السدي: منضود مصفوف، قال ابن عباس: يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمر أحلى من العسل⁽⁵⁾، قال الجوهرى: الطلع في اللغة الطلع⁽⁶⁾.

وقد روى عن على - رضي الله عنه - أنه قال: وطلع منضود فعلى هذا يكون من صفة السدر، فكأنه مخصوص أن طلعا منضود وهو كثرة ثمرة و قوله: ﴿وَظَلٌّ مَّمْدُودٌ﴾، في الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها)⁽⁷⁾، اقرأوا إن شئتم ﴿وَظَلٌّ مَّمْدُودٌ﴾ قال ابن حجر: بلغ ذلك كعبا فقال: صدق والذي أنزل التوراة على موسى والقرآن على محمد⁽⁸⁾، لو أن رجلاً ركب حقة أو جذعة ثم دار بأعلى تلك الشجرة ما بلغها حتى تسقط هرماً، إن الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه، وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة، وما في الجنة إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، باب سورة الواقعة، حديث رقم (3778)، وصححه الذهبي في التلخيص.

(2) هو الإمام سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي، صاحب السنن، وله عدة تصانيف، من كبار حفاظ الحديث، كان إمام أهل العراق، سمع من أبي عمرو الضريري، ومسلم بن إبراهيم، حدث عنه الترمذى، والنمسائى، ولد سنة (203هـ)، تذكرة الحفاظ (127/2).

(3) النكت والعيون (5/454)، ومعالم التنزيل (12/8).

(4) معالم التنزيل (12/8)، وتفسير ابن كثير (20/194).

(5) الدر المنثور (10/206)، وتفسير ابن كثير (7/526).

(6) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (2/401)، وتفسير ابن كثير (7/526).

(7) أخرجه البخارى في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب سورة الواقعة، حديث رقم (4599)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة الجنة، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها، حديث رقم (2826).

(8) جامع البيان (22/313).

وفي رواية في الصحيحين عن أبي سعيد وسهم بن سعد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضرم السريع مائة عام فما يقطعها»⁽¹⁾ وهذا حديث متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث لتنوع طرقه وقوه أسانيده.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ما في الجنة شجرة إلا وساقاها من ذهب» رواه الترمذى وحسنه⁽²⁾.

وقوله: ﴿وَمَاءِ مَسْكُوبٍ﴾ يعني: مصوب، يجري في غير أخدود، كما سبق في تفسير قوله تعالى: ﴿فِيهَا آنْهَرٌ مِّنْ مَاءٍ غَيْرِ عَاسِنٍ﴾⁽³⁾.

وقوله: ﴿وَفَكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾ أي: وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وفي الصحيحين في حديث صلاة الخسوف قال: «إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا»⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ﴾ أي: لانتقطع شتاء ولا صيفاً بل أكلها دائم مستمر مهما طلبوا وجدوا لا يمتنع عليهم بقدرة الله شيء.

وقال قتادة: لا يمنعهم من تناولها عود ولا شوك ولا بعد⁽⁵⁾، كما في الحديث: «إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى». وفي رواية «ما قطعت من ثمار الجنة إلا أبدلت الله مكانها ضعفين»⁽⁶⁾. قوله: ﴿فُرِشَ مَرْفُوعَةٌ﴾ أي: عالية وطيبة ناعمة، عن أبي سعيد

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب صفة الجنة والنار، حديث رقم (3252)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة الجنة، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها، حديث رقم (2826).

(2) أخرجه الترمذى في سننه، باب صفة شجر الجنة، حديث رقم (2525) وقال: حديث حسن غريب من حديث أبي سعيد، وصححه الألبانى.

(3) سورة محمد - صلى الله عليه وسلم - الآية/15

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى الأمام في الصلاة، حديث رقم (748)، ومسلم في صحيحه، كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي - صلى الله عليه وسلم - في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، حديث رقم (907).

(5) ينظر: جامع البيان (381/22)، وتفسير القرطبي (197/20).

(6) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (102/2)، حديث رقم (1449)، وضعفه الألبانى في السلسلة الضعيفة والموضوعة (3146)، حديث رقم (138/7).

عن النبي - صلى الله عليه و سلم - في قوله: ﴿وَفُرِشَ مَرْفُوعَةٌ﴾ قال: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض» رواه النسائي والترمذى وحسنه⁽¹⁾، قال بعضهم: معنى هذا الحديث ارتفاع الفرش في الدرجات وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض.

وقال الحسن: ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة⁽²⁾ وقيل: المراد بالفرش النساء، والعرب تسمى المرأة فرشاً ولباساً مرفوعة أي: رفعن بالجمال والفضل على نساء الدنيا، ولهذا رتب عليه ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ أي: أعدناهن في النشأة الآخرة بعد ما كن عجائز رمضاً، صرن أبكاراً أي: بعد الثيوبية عدن أبكاراً عرباً متحبيات إلى أزواجهن بالحلوة والظرافة والملاحة. وقيل ﴿عُرْبًا﴾ أي: غنجات.

وعن أنس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ «قال عجائز كن في الدنيا عمساً رمضاً» رواه الترمذى، وابن جرير، وابن أبي حاتم⁽³⁾. قيل: جرى ضمير أنسناهن على غير مذكور لكن لما دل السياق وهو ذكر الفرش على النساء اللاتي يصاغعن فيها، اكتفى بذلك عن ذكرهن، وعاد الضمير عليهن كما في قوله ﴿حَتَّىٰ تَوَارَثُ بِالْحِجَابِ﴾⁽⁴⁾ بمعنى الشمس على المشهور.

قال أبو عبيدة⁽⁵⁾: ذكرن في قوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَامِلٌ لِّلَّوْلِيْلِ الْمَكْنُونِ﴾ وفي مسند عبد بن حميد عن الحسن قال: أنت عجوز فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال: «يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز»، قال: فولت تبكي قال:

(1) أخرجه الترمذى في سنته، كتاب التفسير، باب ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة، حديث رقم (3294)، وحسنه الترمذى، وضعفه الألبانى في صحيح وضعيف سنن الترمذى، حديث رقم: (1609).

(2) معالم التنزيل (13/8)، والدر المنثور (14/198).

(3) أخرجه الترمذى في سنته، كتاب التفسير، باب ومن سورة الواقعة، حديث رقم (3296)، وابن جرير في تفسيره (321/22)، وابن أبي حاتم (3331/10)، وضعفه الألبانى في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، حديث رقم (3204).

(4) سورة ص الآية 32.

(5) أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي مولاهم، البصري النحوي، صاحب التصانيف، ولد في سنة (110هـ)، في الليلة التي توفي فيها حسن البصري، حَتَّى عن هشام ابن عروة، وحدث عنه علي بن المدينى، سير أعلام النبلاء (471/17).

فأخبروها أنها لاتدخلها وهي عجوز، إن الله يقول: ﴿إِنَّا آنَّشَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾^(٥)
 فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾^(١).

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكارا» رواه الطبرى^(٢).

وعن أنس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «يعطى المؤمن قوة كذا وكذا في النساء، قلت: يارسول الله وبطريق ذلك؟ قال: يعطى قوة مائة» رواه الترمذى وصححه^(٣).

وقال ابن عباس: العرب العواشق لأزواجهن وأزواجهن لهن عاشقون وبه قال كثيرون^(٤)، قال ابن بريدة^(٥): في قوله: ﴿عُرْبًا﴾ هي الشكلة بلغة أهل مكة والغنجة بلغة أهل المدينة^(٦).

وفي قوله: ﴿أَتْرَابًا﴾ قال ابن عباس: يعني في سن واحدة ثلاثة وثلاثين سنة^(٧). وقال مجاهد: الأتراب المستويات^(٨). وقال السدي: أي في الأخلاق المتواخيات بينهن، ليس بينهن تباغض ولا تحاسد^(٩)، يعني: لا كما كن في الدنيا ضرائر متعديات. وقيل: أي مستويات الأسنان يتآلفن جميعاً ويلعبن جميعاً.

وعن علي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «إن في الجنة مجتمعاً للحور العين رفعن أصواتاً لم تسمع الخائق بمتلها، يقلن

(١) أخرجه الترمذى، كتاب السنن، باب ما جاء في صفة مزاح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم (230)، عبد بن حميد، كتاب الشمائل المحمدية (199/1).

(٢) رواه ابن حجر في تفسيره (322/22).

(٣) أخرجه الترمذى، كتاب السنن، باب ما جاء في صفة جماع أهل الجنة، حديث رقم (2536)، وقال الألبانى: حسن صحيح. صحيح سنن الترمذى حديث رقم (2059).

(٤) ينظر: تفسير الإمام مجاهد (643)، البحر المحيط (207/8).

(٥) عبدالله بن بريدة بن الحبيب الإسلامي، أبو سهل الإسلامي، المروزى ، الإمام الحافظ، شيخ مرو وقاضيها، حدث عن أبيه، وعمران بن الحسين، وذلك في سنن الترمذى، مات سنة (105هـ)، سير أعلام النبلاء (52/9).

(٦) النكت والعيون (455/5)، وتفسير القرطبي (199/20)، والدر المنثور (202/14).

(٧) النكت والعيون (455/5)، ومعالم التنزيل (15/8)، وتفسير ابن كثير (534/7).

(٨) جامع البيان (329/22)، والدر المنثور (203/14).

(٩) النكت والعيون (456/5)، وتفسير ابن كثير (534/7).

نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَبِدُ، وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ نَبَأْسُ⁽¹⁾، وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلَا نَسْخَطُ، طَوْبَى لِمَنْ كَانَ لَنَا وَكَنَا لَهُ» رواه الترمذى⁽²⁾.

وعن أنس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إِنَّ الْحُورَ الْعَيْنَ لِيَغْنِيْنَ فِي الْجَنَّةِ يَقُلُّنَّ: نَحْنُ خَيْرَاتُ حَسَانٍ خَلَقْنَا لِأَزْوَاجِ كَرَمٍ» رواه الحافظ الموصلى⁽³⁾.

وقوله: ﴿لَأَصْحَابِ﴾ أي: خلقنَّ وادْخُرُنَّ لِأَصْحَابِ اليمينِ وزوجهنَّ لِهِمْ وَهُوَ مُتَعْلِقٌ بِقُولِهِ: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ قاله ابن جرير، ويمكن أن يكون متعلقاً بما قبله وهو قوله: ﴿أَتُّرَابًا﴾⁽⁴⁾ أي: في إِنْشائِهِمْ.

كما في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتقلون ولا يتمخطون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء»⁽⁵⁾.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يُدْخَلُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جَرَداً مَرْدَأً بِيَضَّاً جَعَاداً مَكْحُلِينَ أَبْنَاءَ ثَلَاثَ وَثَلَاثَيْنَ، وَهُمْ عَلَى خَلْقِ آدَمَ سَتُونَ ذَرَاعاً فِي عَرْضِ سَبْعَةِ أَذْرَعٍ» رواه أحمد وللترمذى نحوه⁽⁶⁾

وقوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۚ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ أي: جماعة من الأولين وجماعة من الآخرين، قال ابن عباس: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۚ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ قال

(1) نبأس: أي لا نفتقر ولا نحتاج، قال في القاموس بؤس كرم وبئس كسمع، بؤساً اشتدت حاجته، تحفة الأحوذى (242/7).

(2) أخرجه الترمذى في سنته، باب كلام الحور العين، حديث رقم (2564)، وضعفه الألبانى في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، حديث رقم (1982).

(3) أخرجه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (402/4)، والترمذى في سنته، باب ما جاء في كلام الحور العين، حديث رقم (2565)، وصححه الألبانى في صحيح الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (1602).
(4) التسهيل لعلوم التزيل (401/2).

(5) أخرجه البخارى في الجامع الصحيح، كتاب خلق آدم، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذراته، حديث رقم (3327)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة الجنة، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة، حديث رقم (2834).

(6) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (210/14) حديث رقم (8524)، والترمذى في سنته، باب رؤية الرب تبارك وتعالى، حديث رقم (2552)، وصححه الترمذى، ووافقه الألبانى في الجامع الصغير وزيادته (1404/1) حديث رقم (14032).

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «هـما جـمـيـعاً مـنـ أـمـتـي» رواه ابن حـرـير⁽¹⁾.

وعن ابن عباس قال: خـرـجـ عـلـيـنـا رـسـوـلـ اللـهـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - يـوـمـاً فـقـالـ: «عـرـضـتـ عـلـيـ الأـمـمـ فـجـعـلـ يـمـرـ النـبـيـ مـعـهـ الرـجـلـانـ وـالـنـبـيـ مـعـهـ الرـهـطـ وـالـنـبـيـ لـيـسـ مـعـهـ رـهـطـ، وـالـنـبـيـ لـيـسـ مـعـهـ أـحـدـ، وـرـأـيـتـ مـعـهـ سـوـادـاً كـثـيرـاً سـدـ أـلـفـ فـرـجـوـتـ أـنـ يـكـوـنـ أـمـتـيـ فـقـيـلـ هـذـاـ مـوـسـىـ فـيـ قـوـمـهـ، ثـمـ قـيـلـ لـيـ اـنـظـرـ فـرـأـيـتـ سـوـادـاً كـثـيرـاً سـدـ أـلـفـ فـقـيـلـ لـيـ اـنـظـرـ هـكـذـاـ وـهـكـذـاـ، فـرـأـيـتـ سـوـادـاً كـثـيرـاً سـدـ أـلـفـ فـقـيـلـ لـيـ هـؤـلـاءـ أـمـتـكـ وـمـعـ هـؤـلـاءـ سـبـعـوـنـ أـلـفـ يـدـخـلـونـ الـجـنـةـ بـغـيـرـ حـسـابـ فـقـرـقـ النـاسـ وـلـمـ يـبـيـنـ لـهـمـ»، فـتـذـاكـرـ أـصـحـابـ النـبـيـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - فـقـالـواـ: أـمـاـ نـحـنـ فـوـلـدـنـاـ فـيـ الشـرـكـ وـلـكـنـ آـمـنـاـ بـالـلـهـ وـرـسـوـلـهـ، وـلـكـنـ هـؤـلـاءـ هـمـ أـبـنـاـءـنـاـ فـلـعـنـ ذـلـكـ النـبـيـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - فـقـالـ: «هـمـ الـذـينـ لـاـ يـتـطـيـرـونـ وـلـاـ يـسـتـرـقـونـ وـلـاـ يـكـتـوـنـ وـعـلـىـ رـبـهـمـ يـتـوـكـلـوـنـ» فـقـامـ عـكـاشـةـ بـنـ مـحـصـنـ فـقـالـ: آـمـنـهـمـ أـنـاـ يـارـسـوـلـ اللـهـ قـالـ نـعـمـ، فـقـامـ آـخـرـ فـقـالـ: آـمـنـهـمـ أـنـاـ قـالـ «سـبـقـكـ بـهـاـ عـكـاشـةـ» رـوـاهـ الـبـخـارـيـ⁽²⁾.

وعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - قـالـ: «عـرـضـتـ عـلـيـ أـلـنـبـيـاءـ الـلـيـلـةـ بـأـتـبـاعـهـاـ حـتـىـ أـتـىـ عـلـيـ مـوـسـىـ كـبـكـةـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ قـلـتـ أـيـ رـبـ فـأـيـنـ أـمـتـيـ؟ قـالـ: اـنـظـرـ عـنـ يـمـينـكـ فـإـذـاـ ظـرـابـ مـكـةـ قـدـ سـدـتـ وـجـوـهـ الرـجـالـ قـيـلـ: هـؤـلـاءـ أـمـتـكـ أـرـضـيـتـ؟ قـلـتـ: رـبـ رـضـيـتـ فـقـيـلـ اـنـظـرـ عـنـ يـسـارـكـ وـإـذـاـ أـلـفـقـ قـدـ سـدـ وـجـوـهـ الرـجـالـ قـيـلـ: هـؤـلـاءـ أـمـتـكـ أـرـضـيـتـ؟ قـلـتـ: رـبـ رـضـيـتـ، فـقـيـلـ إـنـ مـعـ هـؤـلـاءـ سـبـعـوـنـ أـلـفـ يـدـخـلـونـ الـجـنـةـ لـاـ حـسـابـ عـلـيـهـمـ»، فـقـالـ النـبـيـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ -: «إـنـ تـكـوـنـوـاـ مـنـ السـبـعـوـنـ فـكـوـنـوـاـ وـإـنـ عـجـزـتـ وـقـصـرـتـ فـكـوـنـوـاـ مـنـ أـهـلـ الـظـرـابـ وـإـنـ عـجـزـتـ فـكـوـنـوـاـ مـنـ أـهـلـ أـلـفـ، فـإـنـيـ قـدـ رـأـيـتـ ثـمـ أـنـاسـاـ يـتـهـاـشـوـنـ كـثـيرـاـ» رـوـاهـ اـبـنـ حـرـيرـ وـابـنـ أـبـيـ حـاتـمـ⁽³⁾.

﴿وَاصْحَابُ الْشِّمَاءِ مَا أَصْحَابُ الْشِّمَاءِ ﴾١﴾ فـيـ سـمـومـ وـحـمـيـمـ وـظـلـلـ مـنـ يـخـمـومـ
 ٢﴿لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ ٣﴾ إـنـهـمـ كـانـوـاـ قـبـلـ ذـلـكـ مـتـرـفـيـنـ وـكـانـوـاـ يـصـرـرـوـنـ عـلـىـ أـلـحـنـيـ
 ٤﴿الْعَظِيمِ ٥﴾ وـكـانـوـاـ يـقـوـلـوـنـ أـيـدـاـ مـيـتـنـاـ وـكـانـاـ تـرـابـاـ وـعـظـلـمـاـ أـعـنـاـ لـمـبـعـوـثـوـنـ ٦﴾ أـوـ ءـاـبـاـوـنـاـ الـأـلـوـلـوـنـ

(1) رـوـاهـ اـبـنـ حـرـيرـ فـيـ تـفـسـيـرـهـ (334/22).

(2) أـخـرـجـهـ الـبـخـارـيـ فـيـ الـجـامـعـ الصـحـيـحـ، كـتـابـ الـطـبـ، بـابـ مـنـ لـمـ يـرـقـ (2170/5) حـدـيـثـ رقمـ (5420).

(3) رـوـاهـ اـبـنـ حـرـيرـ فـيـ تـفـسـيـرـهـ (331/22)، وـابـنـ أـبـيـ حـاتـمـ فـيـ تـفـسـيـرـهـ (3333/10) وـالـهـيـمـيـ فـيـ مـجـمـعـ الزـوـائدـ

. (406/10)، وـصـحـحـهـ الـأـلـبـانـيـ فـيـ صـحـيـحـ اـبـنـ حـبـانـ، حـدـيـثـ رقمـ (6431)

﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ⑥ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٌ مَعْلُومٌ ⑦ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الْضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ⑧ لَا كُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُومٍ ⑨ فَمَا لِئَوْنَ مِنْهَا الْبُطُونَ ⑩ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ⑪ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَمِيمِ ⑫ هَذَا نُرْثُمْ يَوْمَ الْدِينِ ⑬﴾.

لما بين - تعالى - حال أصحاب اليمين وهو السعادة عطف عليهم ذكر أصحاب الشمال وهو الأشقياء فقال: ﴿ وَأَصْحَبُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَبَتْ الشِّمَالِ ﴾ يعني: أي شيء هم وكيف مالهم، ثم قسم ذلك، فقال: ﴿ فِي سَمُومٍ ﴾ وهو الهواء الحار ﴿ وَحَمِيمٍ ﴾ هو الماء الحار ﴿ وَظَلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴾ هو الدخان الأسود قاله ابن عباس وجماعة⁽¹⁾، وقيل: اليحموم اسم من أسماء النار ﴿ لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ ﴾ أي: ليس طيب الهبوب ولا حسن المنظر.

كما قال قتادة: لابارد المنزل ولا كريم المنظر، والعرب تتبع هذه اللفظة في النفي فيقولون: هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم⁽²⁾، ثم ذكر استحقاقهم لذلك فقال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتَرْفِينَ ﴾ أي: إنهم كانوا في الدنيا منعمين مبتلين بلذات أنفسهم معرضين بما جاعتهم به الرسل ﴿ وَكَانُوا يُصْرُونَ ﴾ يداومون ولا يتوبون توبة على الحنث أي: الذنب العظيم، وهو الكفر بالله، وجعل الأنداد والأوثان أرباباً من دون الله.

وقال الشعبي: هو اليمين الغموس⁽³⁾، ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيْدَا مِنَّا وَكُنَّا ثُرَابًا وَعِظَلَمًا أَءِنَا لَمَبْعُوثُونَ ⑭ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾ يعني: أنهم يقولون بذلك مكذبين به مستبعدين لوقعه حالفين على ذلك.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ⑥ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٌ مَعْلُومٌ ﴾ أي: أخبرهم يا محمد أن الأولين والآخرين من لدن آدم سيجمعون إلى عرصات القيامة لا يغادر ولا يسامح منهم أحداً أي: هو موقت بوقت محدود، ولا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص، ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الْضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ⑧ لَا كُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُومٍ ⑨﴾ وذلك أنهم يقضون ويسجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم فيملأوا منها البطون،

(1) النكت والعيون (456/5)، ومعالم التنزيل (18/8)، وتفسير ابن كثير (537/7).

(2) جامع البيان (337/22)، ومعالم التنزيل (18/8)، وتفسير ابن كثير (538/7).

(3) النكت والعيون (457/5)، ومعالم التنزيل (18/8).

﴿فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴾٥٤﴿ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَمِيمِ ﴾ وهي الإبل العطاش الطماء قاله ابن عباس وغيره⁽¹⁾، واحدها أهيم والأثنى هيماء، ويقال: هائم وهائمة.

وقال عكرمة: ﴿الْهَمِيم﴾ الإبل المراض يمص الماء مصاً ولا يروى وأصله داء يأخذ الإبل فلا يروي حتى تموت⁽²⁾ وكذلك أهل جهنم لا يرون من الحميم أبداً ثم قال تعالى: ﴿هَذَا نُرْثُلُمْ يَوْمَ الْدِين﴾ أي: هذا الذي وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم.

كما قال في حق المؤمنين: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّتُ الْفِرْدَوْسِ نُرْثَلَا﴾⁽³⁾ أي: ضيافة وكراهة. ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا ثَصَدَّقُونَ ﴾٥٥﴿ أَفَرَءَيْتُمْ مَا تُمْنَوْنَ ﴾٥٦﴿ إِنَّمَا تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَلِقُونَ ﴾٥٧﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾٥٨﴿ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْسِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾٥٩﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشَأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾٦٠﴾.

قال - تعالى - مقرراً للمعاد راداً على ذوي العناد من أهل الزيف والضلال والإلحاد من الذين قالوا: ﴿إِنَّا مِنْنَا وَكُنَّا ثُرَابًا وَعِظَامًا أَعِنَا لَمْبُعُوثُونَ﴾ وذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي: نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، وليس الذي قدر على البداءة ب قادر على الإعادة بطريق الأولى؟ ولهذا قال: ﴿فَلَوْلَا ثَصَدَّقُونَ﴾ أي: فهلا تصدقون بالبعث.

ثم قال: مستدلاً عليهم بقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمْ مَا تُمْنَوْنَ ﴾٥٦﴿ إِنَّمَا تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَلِقُونَ ﴾٦١﴾ أي: ما تصبونه من النطف أنتم تقرونه في الأرحام وتخلقونه فيها أم الله الخالق لذلك؟ ثم قال: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾ أي: قضينا وسوينا بينكم الموت ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: معاجزين ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾ أي: نغير خلقكم يوم

(1) جامع البيان (22/343)، ومعالم التنزيل (19/8)، والدر المنثور (14/212).

(2) النكت والعيون (5/457)، والدر المصنون في علوم الكتاب المكنون (10/211) وتفسير ابن كثير (538/7).

(3) سورة الكهف الآية/107.

القيامة ونأتي بخلق متكلم ﴿وَنُنْشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: من الصفات والأحوال.

ثم قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّسَاءَ الْأُولَى﴾ أي: قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكورة، فخلقكم وجعل لكم السمع والبصر والأفهام، فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذي قدر على هذه النسأة، وهي البداءة قادر على النسأة الأخرى، وهي الإعادة بطريق الأولى.

كما قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾⁽¹⁾ وغيره من الآيات البينات، ﴿أَفَرَءَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ ءاَنْتُمْ تَزَرَّعُونَ اَمْ نَحْنُ الْرَّازِغُونَ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا هُنَّ حَطَّامًا فَظَلْلُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ إِنَّا لَمُغَرَّمُونَ ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أَفَرَءَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشَرِّبُونَ ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُرْزِنِ اَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا شَكَرُونَ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي ثُورُونَ﴾ ءاَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا اَمْ نَحْنُ الْمُنْشَوْنَ ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَدْكِرَةً وَمَتَعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ فَسَيِّحٌ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿الحرث شق الأرض وإثارة البدرة فيها أي: أفريلتم ما تثيرون من الأرض وتلقون فيها البدر﴾ ءاَنْتُمْ تَزَرَّعُونَ﴿ أي: بل نحن ننبته، وكان بعضهم إذا قرأ هذا وأمثاله قال بل أنت يارب.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا تقولن: زرعت ولكن قل: حرثت) قال أبوهريرة: ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ الآية رواه ابن جرير والبزار⁽²⁾.

وقوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: لأيسناه قبل استواه واستحصاده ﴿فَظَلْلُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿إِنَّا لَمُغَرَّمُونَ﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴿ أي: لو جعلناه حطاما لظلتم تفكهون في المقالة تتوعون كلامكم فتقولون تارة إننا لمغرمون؛ أي: لملقون للشر والمغرم، هو الذي ذهب ماله من غير عوض، وقيل: أي: لمعذبون والغرام العذاب قاله ابن عباس⁽³⁾، وتارة يقولون: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي:

(1) سورة الروم الآية 27

(2) رواه ابن جرير في تفسيره (348/22)، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (1135)، والبيهقي في السنن الكبرى من طريق مسلم أبي مسلم الجرمي، باب ما يستحب من حفظ المتنطق في الزرع، حديث رقم (11751)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (715/6)، حديث رقم (2801).

(3) ينظر: الدر المنشور (216/14)، وتفسير ابن كثير (540/7).

ممنوعون من الحظ أي: حرمنا ما كنا نطلب من الرizع في الزرع، وقيل: أي ظلمت تعجبون وتقمعون، وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم وهو اختيار ابن جرير⁽¹⁾.

وقال قتادة والسدسي: أي: ﴿فَظَلْتُم﴾ تندمون أي: على ما أسلفتم من الذنوب أو من الإنفاق في الزرع والتفكه من الأضداد⁽²⁾، يقال: تفكهت بمعنى تعمت، وبمعنى حزنت، ثم قال: ﴿أَفَرَءَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشَرَّبُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْمُرْزِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ يعني: السحاب، قاله ابن عباس غير واحد⁽³⁾.

﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا﴾ شديد الملوحة ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ نعمة الله عليكم في إزالته المطر لأجلكم عذاباً زلالاً ﴿لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ يُثِبِّتُ لَكُمْ بِهِ الْزَّرْعُ وَالزَّيْتُونُ وَالنَّخِيلُ وَالْأَعْنَدَبُ وَمِنْ كُلِّ الْشَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَكَبَّرُونَ﴾⁽⁴⁾ الآية.

وفي الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - : «كان إذا شرب قال الحمد لله الذي سقانا عذباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنبينا» رواه ابن أبي حاتم⁽⁵⁾.

ثم قال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ الْثَارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ أي: تقدحون من الزناد و تستخرجونها من أصلها. ﴿إِنَّمَا أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ أي: التي تقدح منها النار وهي المرخ والعفار، ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِعُونَ﴾ أي: بل نحن الذين جعلناه مودعة في وضعها فإذا أخذ من الشجرتين غصنان أخضران فشك أحدهما بالأخر خرجت من بينها النار.

وقوله: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا﴾ أي: النار الصغرى تذكرة للنار الكبرى، أي مذکرو لها.

وعن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وضررت بالبحر مرتين، ولو لا ذلك ما جعل الله فيها

(1) رواه ابن جرير في تفسيره (353/22)، والبغوي في معلم التنزيل (21/8)، وتفسير القرطبي (20 م 213)، وتفسير ابن كثير (540/7).

(2) ينظر: معلم التنزيل (20/8)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (1188)، وتفسير السدي (450).

(3) جامع البيان (354/22)، ومعلم التنزيل (21/8)، والدر المنثور (216/14).

(4) سورة النحل الآية/11.

(5) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3334/10)، والبيهقي في شعب الإيمان حديث رقم (4479)، وضيقه الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة، حديث رقم (4202).

منفعة لأحد» رواه أحمد⁽¹⁾.

وفي الصحيحين عنه أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال: «ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»، قيل: يارسول الله إن كانت لكافية، قال: «فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها» واللفظ للبخاري⁽²⁾.

وفي رواية لمسلم «والذي نفسي بيده لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها»⁽³⁾ قوله: ﴿وَمَتَّعَا لِلْمُقْوِينَ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: أي: للمسافرين واختاره ابن حرير⁽⁴⁾ وقيل: المقوى هنا الجائع⁽⁵⁾.

وعن مجاهد: أي: للحاضر والمسافر، لكل طعام لا يصلحه إلا النار غنياً كان أو فقيراً، فإن الجميع محتاجون إليه للطبخ والاصطلاء وسائر المنافع والمضار ثم من لطف الله أن أو دعوا في الحجار وخالص الحديد بحيث يمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه بين ثيابه، فإذا احتاج إلى ذلك أخرج زنده وأورى وأوقد ناره وانقع بها⁽⁶⁾.

ولهذا قال الحسن: أي بلغة للمسافر تبلغون بها إلى أسفارهم وإن كان ذلك عاماً في حق الناس كلهم كما روى ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «المسلمون شركاء في ثلاثة: النار والكلا والماء» رواه أبو داود وابن ماجه⁽⁷⁾.

وقوله: ﴿فَسَيِّعٌ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي: الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة: الماء الزلال العذب البارد، ولو شاء لجعله ملحاً أجاجاً كما البحر، وخلق النار المحرق وجعل ذلك مصلحة للعباد ومنفعة لهم في معاش دنياهم وزاداً لهم في المعاد . ﴿فَلَا أُقِيمُ بِمَوَاقِعِ الْئَجُومِ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَقَسْمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (12/280)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (2018).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، حديث رقم (3265).

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر جهنم، حديث رقم (2843).

(4) رواه ابن حرير في تفسيره (22/357).

(5) جامع البيان (22/356)، والنكت والعيون (5/461)، ومعالم التنزيل (21/8).

(6) ينظر: تفسير القرطبي (20/216)، وتفسير ابن كثير (7/542).

(7) أخرجه أبو داود في سنته، كتاب البيوع، باب في منع الماء حديث رقم (3477)، وابن ماجة في سنته، كتاب الرهون، باب المسلمين شركاء في ثلاث، حديث رقم (2566) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود حديث رقم (2968).

إِنَّهُ وَلَقْرَءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٦﴾ فِي كِتَابٍ مَكْتُوبٍ لَا يَمْسُهُ وَإِلَّا الْمُظَهَّرُونَ ﴿٧﴾ تَنْزِيلٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ أَفَيْهُدْنَا الْحَدِيثَ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿١٠﴾

قال الضحاك إن الله لا يقسم بشيء من خلقه ولكنه استفتح بذلك كلامه ⁽¹⁾
وهذا ضعيف، والذي عليه الجمhor أنه قسم من الله يقسم بما شاء من خلقه وهي
دليل على عظمته.

ثم قال: بعضهم - لا - هنا زائدة وتقديره لا أقسم بموقع النجوم، قاله ابن جرير ⁽²⁾.

عن سعيد بن جبير وتكون جوابه ﴿إِنَّهُ وَلَقْرَءَانٌ كَرِيمٌ﴾ وقال آخرون: ليست
- لا - زائدة بل لها معنى منوي في أول القسم إذا كان مقسماً به على نفي كما
قالت عائشة - رضي الله عنها - (لا والله ما مسني يد رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - يد امرأة قط) ⁽³⁾، وكذا هنا وتقديره لا أقسم بموقع النجوم، ليس الأمر
كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة، بل هو قرآن كريم.

وقال بعضهم: معناه فليس الأمر كما يقولون ثم استئنف الكلام فقيل: أقسم.
واختلفوا في معنى موقع النجوم، فعن ابن عباس يعني: نجوم القرآن فإنه نزل ليلة
القدر جملة من السماء العليا إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً في السنين بعد. ثم قرأ
هذه الآية ووافقه جماعة ⁽⁴⁾، وقال مجاهد وغيره: موقع النجوم في السماء ويقال:
مطالعها ومشارفها وهو اختيار ابن جرير ⁽⁵⁾.

(1) النكت والعيون (468/5)، وتفسير الضحاك (838). وفيه وجهان: أحدهما أنه إنكار أن يقسم الله بشيء من مخلوقاته، والثاني: أنه يجوز أن يقسم الخالق بالمخلوقات تعظيماً من الخالق بما أقسم به من مخلوقاته. أما في قول (فلا) وجهان أحدهما: أن (لا) صلة زائدة ومعناه أقسم، والثاني: أن قول (فلا) ومعناه فلا تكنبوا ولا تجحدوا ما ذكرته من نعمة وأظهرته من حجة.

(2) أي: فأقسام مزيدة مؤكدة وقريء فلأقسام ومعناه فلأنما أقسام اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهي أنا أقسام، ثم حذف المبتدأ ولا يصح أن تكون اللام القسم لأن تقرن بها النون المؤكدة، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (1188) قال آخرون: ليست (لا) زائدة لا معنى لها، بل يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسماً به على منفي، كقول عائشة - رضي الله عنها - لا والله ما مسني يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يد امرأة قط) وهكذا هنا تقدير الكلام (لا) أقسام بموقع النجوم ليس الأمر كما زعمتم في القرآن الكريم أنه سحر أو كهانة بل هو قرآن كريم.

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام، حديث رقم (2713).

(4) جامع البيان (359/22)، والنكت والعيون (463/5)، وتفسير ابن كثير (544/7).

(5) ينظر: جامع البيان (361/22)، ومدارك التنزيل (1199).

وعن قتادة: مواقعها منازلها وعن الحسن: انتشارها يوم القيمة وعن الضحاك:
يعني: الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا امطروا قالوا: مطرنا بنوء كذا وكذا⁽¹⁾.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسْمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ أي: وإن هذا القسم الذي أقسمت به
لقسم عظيم، لو تعلمون عظمته لعظمته المقسم به عليه ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ أي:
لكتاب عظيم ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْتُوبٍ﴾ أي: محفوظ من موقر ﴿لَا يَمْسُهُ وَإِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾
قال ابن عباس: الكتاب الذي في السماء لا يمسه إلا الملائكة وبه قال كثيرون⁽²⁾.

وقال قتادة: لا يمسه عند الله إلا المطهرون، وأما في الدنيا فيمسه الكافر
النجل، والمنافق الرجس⁽³⁾ والمراد به المصحف، وكان ابن عباس ينهى أن يمكن
اليهود والنصارى من قراءة القرآن، وظاهر الآية نفي ومعناه نهي.

ولهذا قال مالك والشافعى وأكثر أهل العلم لا يجوز للجنب والحادي
والحادي حمل المصحف ومسه، وأبو حنيفة بخلافه في الجنب والحادي وفي
الكتاب الذي كتبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعمرو بن حزم «أن لا يمس
القرآن إلا طاهر» رواه مالك في الموطأ⁽⁴⁾.

وكما في صحيح البخاري ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - «نهى أن يسافر القرآن إلى أرض العدو»⁽⁵⁾، قوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ رَّبِّ
الْعَلَمِينَ﴾ أي: هذا القرآن منزل من الله رب العالمين وليس هو كما يقولون إنه
سحر أو كهانة أو شعر بل هو الحق الذي لا مرية فيه قوله: ﴿أَفِيهِنَّا أُخْدِيثٌ
أَنْتُمْ مُّذَهِّبُونَ﴾ أي: مكذبون غير مصدقين قاله ابن عباس وغيره⁽⁶⁾، ﴿وَتَجْعَلُونَ
رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال ابن عباس أي تجعلون شرككم أنكم تكذبون به⁽⁷⁾.

(1) تفسير الضحاك (838)، وتفسير ابن كثير (544/7).

(2) ينظر: جامع البيان (363/22)، وتفسير بن كثير (544/7).

(3) جامع البيان (386/22)، ذكره الطبراني عن ابن عباس.النكث والعيون (464/5).

(4) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (199/1)، باب الأمر بالوضوء لمن مس القرآن، حديث رقم (469)، حديث صحيح
الإسناد على شرط الشيدين ولم يخرجاه، نصب الراية لأحاديث الهدایة، (170/1).

(5) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم حديث
رقم (1869).

(6) جامع البيان (3699/22)، ومعالم التنزيل (24/8).

(7) جامع البيان (368/22)، ومعالم التنزيل (24/8).

وعن الهيثم بن عدي⁽¹⁾ أن من لغة أزد شنوة ما رزق فلان تعني ما شكر⁽²⁾ وهذا في الاستسقاء بالأنواء وذلك أنهم كانوا يقولون: إذا مطروا مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك من قبل الله فقيل لهم ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي: شكر رزقكم التكذيب.

وفي الصحيحين عن زيد بن خالد أنه قال: صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرؤن ماذا قال ربكم؟» قالوا الله ورسوله أعلم.

قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله وبرحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»⁽³⁾.

وقد سبق حكم ذلك عند قوله: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكٌ لَهَا﴾⁽⁴⁾ وروى ابن جرير أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمع رجلاً ومطروا: يقول مطرنا ببعض عاثنين الأسد، فقال: «كذبت بل هو رزق الله»⁽⁵⁾.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ ﴿٨١﴾ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٢﴾ وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ﴿٨٣﴾ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٤﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٥﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِينَ ﴿٨٦﴾ يعني ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ﴾ وذلك حين الاحتضار.

ولهذا قال: ﴿وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾ أي: إلى المحضر وما ي CABE من سكرات الموت ﴿وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ أي: بالقدرة والرؤية أو ملائكتنا الذين يقبضون روحه ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ أي: لا ترونهم قوله: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي:

(1) الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر الطائي الأخباري العلامة أبو عبد الرحمن الطائي الكوفي المؤرخ، حدث عن هشام بن عمرو وابن أبي ليلى، روى عنه محمد بن سعد وأبو الجهم توفي سنة سبع ومائتين وله ثلاث وتسعون سنة. سير أعلام النبلاء (19/85).

(2) جامع البيان (368/22)، معالم التنزيل (24/8).

(3) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (192/1)، باب الاستمطار بالنجوم، حديث رقم (415)، والبخاري، كتاب الجامع الصحيح، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، حديث رقم (846)، ومسلم، كتاب الجامع الصحيح، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، حديث رقم (240).

(4) سورة فاطر الآية/2.

(5) رواه ابن جرير في تفسيره (370/22).

محاسبين ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ يعني: فلا ترجعون هذه النفس التي بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول ومقرها من الجسد إن كنتم غير محاسبين⁽¹⁾، قاله ابن عباس وغير واحد.

وعن ابن جبیر والحسن أی: فلولا إن كنتم غير مصدقین أنکم تدانون وتبغثون وتحشرون فرداً هذه النفس⁽²⁾.

وقال مجاهد: غير موقنين وقيل: غير معذبين مقهورين⁽³⁾. ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَدَّبِينَ الظَّالِمِينَ ﴾ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ وَتَصْلِيَةٌ حَجِيمٌ ﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم، إما أن يكون من السابقين ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ أو يكون من دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين الضالين عن الهدى.

ولهذا قال: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ أی: المحترض من المقربين وهم الذين امتنعوا أوامر الشريعة بأنواعها وأدابها ﴿فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ أی: فلهم ذلك وتبشرهم الملائكة عند الموت كما سبق في حديث البراء «أن ملائكة الرحمة تقول أيتها الروح الطيبة من الجسد الطيب الذي كنت تعمرينه أخرجي إلى روح وريحان رب غير غضبان»⁽⁴⁾، قال ابن عباس: فروح أی راحة وريحان مستراحة.⁽⁵⁾

قال ابن جرير: الراحة من الدنيا⁽⁶⁾. وقال مجاهد وغيره: فروح وريحان جنة ورخاء⁽⁷⁾.

وعن مجاهد أيضاً: ريحان أی رزق والكل صحيح فإن من مات مقترباً حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة، والفرح والسرور والرزق

(1) ينظر: جامع البيان (375/22)، والنكت والعيون (466/5)، وتفسير ابن كثير (7/548).

(2) تفسير ابن كثير (7/548).

(3) ينظر: النكت والعيون (466/5)، ومدارك التنزيل (3/430).

(4) ينظر: النكت والعيون (467/5)، وتفسير ابن كثير (7/548)، والدر المنثور (14/243).

(5) جامع البيان (377/22)، والنكت والعيون (466/5)، وتفسير ابن كثير (7/548)، والدر المنثور (14/240).

(6) رواه ابن جرير في تفسيره (22/377)، وتفسير القرطبي (20/231).

(7) النكت والعيون (466/5)، وتفسير القرطبي (20/231)، وتفسير ابن كثير (7/549).

الحسن وجنة نعيم⁽¹⁾.

وقال أبوالعالية⁽²⁾، لا يفارق الدنيا أحد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمها فيقبض روحه فيه.⁽³⁾ وقد سبق الكلام في ذلك مع الأحاديث في سورة إبراهيم عند قوله ﴿يُئْتِيْتُ اللَّهُ اَلَّذِيْنَ اَمَّنُوا بِالْقَوْلِ اَلْقَاتِٰتِ﴾⁽⁴⁾.

وعن عائشة - رضي الله عنها - أنها سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «يقرأ ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ يرفع الراء» رواه أحمد وأبوداود والترمذى⁽⁵⁾ وهي قراءة يعقوب وحده، قال الحسن: معناه يخرج روحه في الريحان وخالفه الباقيون فقرؤا⁽⁶⁾ ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ بفتح الراء فله روح وفرح كما سبق.

وعن أم هاني⁽⁷⁾ أنها سالت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أنتزاور إذا متنا ونرى بعضنا بعضاً، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يكون النسم طيراً يعلق بالشجر حتى إذا كانت يوم القيمة دخلت كل نفس في جسدها»⁽⁸⁾، وفي

(1) جامع البيان (377/22)، وتفسير مجاهد (646)، وتفسير السدي (450).

(2) أبو العالية رفيع بن مهران الإمام المقرئ الحافظ المفسر أبو العالية البصري أحد الأعلام، كان مولى لامرأة من بنى رياح أدرك زمان النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو شاب وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق حفظ القرآن وقرأه على أبي بن كعب وتصدر لإفادة العلم، وقيل: ت 93 هـ. سير أعلام النبلاء (4/207).

(3) أورد هذه الأقوال الطبرى في جامع البيان (378/22، 379) ثم قال مرجحاً: «أولى هذه الأقوال في ذلك والصواب عندي قول من قال: عني بالروح: الفرح والرحمة والمغفرة وأصله من قولهم وجدت روحًا: نسيماً يستريح إليه من كرب الحر، وأما الريحان فإنه عندي الريحان الذي يتلقى به عند الموت كما قال العالية والحسن: ومن قال في نحو قولهما؛ لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانيه»، معلم التنزيل (26/8)، تفسير ابن كثير (549/7).

(4) سورة إبراهيم الآية 27.

(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، باب القراءة متواترة، حديث رقم (24352)، وأبوداود في مسنده، باب الحروف والقراءات حديث رقم (3991)، والترمذى سنته، كتاب القراءات، باب أبواب القراءات حديث رقم (3119)، وصححه الترمذى، ووافقه الألبانى في صحيح سنن الترمذى حديث رقم (2340).

(6) روح المعانى (160/27).

(7) أم هاني الانصارية: لم أقف على نسبها وقد اختلف في اسمها فقيل: أم قيس وقيل: أم هاني وفي الحديث عن در بنت معاد عن أم هاني الانصارية أنها سالت النبي - صلى الله عليه وسلم - ((أنتزاور إذا متنا، ويرى بعضنا بعضاً فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «النسم طيراً يعلق بالشجر حتى إذا كان يوم القيمة دخلت كل نفس في مكانها»). أسد الغابة (392/7).

(8) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (424/6)، وصححه الألبانى في صحيح الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (2989).

هذا بشاره لكل مؤمن ومعنى يعلق يأكل ويشهد له بالصحة.

ما رواه كعب بن مالك عن رسول الله - صلی الله علیه وسلم - أنه قال: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه إلى جسده يوم يبعثه» رواه أحمد بإسناد قوي⁽¹⁾.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى⁽²⁾، قال: حدثي فلان بن فلان يسمع رسول الله - صلی الله علیه وسلم - يقول: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» فأكب القوم يبكون قال: «ما يبكيكم» فقالوا إنا نكره الموت قال: «ليس ذلك ولكنه إذا احضر ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله والله تعالى للقاء أحب ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الظَّالِمِينَ فَنَزَّلْ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيهُ جَحِيمٍ﴾ فإذا بشر بذلك كره الله والله للقاء أكرهه» رواه أحمد⁽³⁾.

وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - شاهد لمعناه قوله: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ أي: المحتضر ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي: تبشرهم الملائكة بذلك تقول لأحدهم: سلام لك؛ أي: لا بأس عليك أنت إلى سلامة أنت من أصحاب اليمين⁽⁴⁾.

كما قال عكرمة: تسلم الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين ويكون ذلك قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ آسْتَقْلُوا تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَخْرَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلَيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (65/25)، حديث رقم (15787)، وحققه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (4138).

(2) عبد الرحمن بن أبي ليلي، الإمام العالمة الحافظ أبو عيسى الأنباري الكوفي الفقيه ويقال أبو محمد من أبناء الأنصار ولد في خلافة الصديق، وحدث عن عمر، وعلي، وأبي ذر، وابن مسعود، وكان عبد الرحمن من كبار الذين خرجوا مع عبد الرحمن بن الأشعث من العلماء والصلحاء ت 82 هـ سير أعلام النبلاء 4/267.

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (216/30)، حديث رقم (18283)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب من أحب الله لقاءه حديث رقم (2684).

(4) ينظر: جامع البيان (381/22)، وتفسير ابن كثير (550/7)، والدر المنثور (244/14).

الآخرة ولَكُمْ فِيهَا مَا تَشَهَّدُونَ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَعُونَ ﴿٢﴾ نُزِّلَ مِنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣﴾⁽¹⁾، وقال قتادة: سلم من عذاب الله وسلمت عليه ملائكة الله⁽³⁾. وقال البخاري: ﴿فَسَلَّمَ لَكَ﴾ أي فسلام لك أراك ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْتَّيِّمِ﴾.

وقوله: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ أي: المحترض ﴿مِنْ الْمُكَذِّبِينَ الظَّالِّمِينَ﴾ فَنُزِّلَ مِنْ حَمِيمٍ ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ أي: من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى ﴿فَنُزِّلَ﴾ أي: ضيافة ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ وهو المذاب الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ أي: وتقرير له في النار تغمره من جميع جهاته.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ أي: إن هذا الخبر له الحق اليقين الذي لا مرية فيه ولا مفر لأحد عنه ﴿فَسَيِّخَ بِإِسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

عن عقبة بن عامر⁽⁴⁾ قال: لما نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ﴿فَسَيِّخَ بِإِسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ قال: «اجعلوها في ركوعكم» ولما نزلت ﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾⁽⁵⁾، قال: «اجعلوها في سجودكم» رواه أحمد وأبو داود⁽⁶⁾.

وعن جابر قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرس لها نخلة في الجنة» رواه الترمذى والنمسائى⁽⁷⁾.

(1) سورة فصلت الآيات/ 30 - 32.

(2) رواه ابن جرير (381/22)، والدر المنشور (244/14)، وتفسير ابن كثير (550/7).

(3) جامع البيان (380/22)، والدر المنشور (244/14).

(4) عقبة بن عامر بن عيسى بن عدي بن قيس بن الجهنى يكنى أبا حماد وقيل: أبو لبيد روى عنه أبو عشافة أنه قال: قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا في غنم لي أرعاها فتركتها ثم ذهبت إليه وكان من أصحاب معاوية بن أبي سفيان وولي مصر وسكنها وتوفي بها. ت 58 هـ، أسد الغابة في معرفة الصحابة، (275/2).

(5) سورة الأعلى الآية/ 1.

(6) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (155/4)، وأبي داود في سننه، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه، حديث رقم (869)، وابن ماجة في سننه، باب التسبيح في الركوع والجود، حديث رقم (887)، وضعفه الألبانى في ضعيف سنن ابن ماجة.

(7) أخرجه الترمذى في سننه، كتاب الدعوات، باب فضل سبحان الله، حديث رقم (3460)، والنمسائى في السنن الكبرى، باب عمل اليوم والليلة، حديث رقم (10663)، وصححه الترمذى، ووافقه الألبانى في صحيح سنن الترمذى حديث رقم (2757).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 كلمتان خفيتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيتان إلى الرحمن: سبحان الله
 وبحمده سبحان الله العظيم⁽¹⁾.

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التوحيد، باب «وَنَصَعُ الْمَوْزِينُ لِقْسِطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ» حديث رقم (7563)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث رقم (2694).

تفسير سورة الحديد

وهي مكية

عن العرياض بن سارية^(١) أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد وقال: (إن فيهن آية أفضل من ألف آية) هكذا رواه أبو داود والترمذى وحسنه والنمسائى^(٢) والأية المشار إليها في الحديث هي والله أعلم.

قوله: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ① ﴾ كما سيأتي بيانه قريبا إن شاء الله تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① لَهُ وَمُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ② هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ③ ﴾.

أخبر تعالى أنه يسبح له ما في السموات والأرض؛ أي: من الحيوانات والنبات كما قال في آية أخرى ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ④ ﴾^(٣).

وقوله: ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ أي: الذي خضع له كل شيء ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في خلقه وأمره وشرعه ﴿ لَهُ وَمُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ أي: هو المالك المتصرف في خلقه فيحيي ويميت ويعطي من يشاء ما يشاء ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي:

(١) العرياض بن سارية السلمى، من أعيان أهل الصفة سكن حمص وروى أحاديث، وروى عنه جابر بن نفير وحبيب بن عبيد، وهو من نزل فيه قوله تعالى ((ولا على الذين إذا ما أتواك لتحملهم)) الآية توفي العرياض سنة. (ت 75 هـ) سير أعلام النبلاء (419/3)، وشذرات الذهب (313/1).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم، حديث رقم (5057)، والترمذى في سننه، كتاب ثواب القرآن، باب رقم 21، حديث رقم (2921)، والنمسائى في السنن الكبرى، باب عمل اليوم والليلة، حديث رقم (10549)، وضعفه الألبانى في ضعيف سنن أبي داود، حديث رقم (1073).

(٣) سورة الإسراء الآية/44.

ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وقوله: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣) هذه الآية المشار إليها في حديث عرباض بن سارية أنها أفضل من ألف آية.

قال أبو زميل^(١): سألت ابن عباس فقلت: ما شيء أجد في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: والله لا أتكلم به. فقال لي: أشيء من شك وضحك؟

قال: ما نجا من ذلك أحد، حتى أنزل الله ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسُئِلُ الْأَذْيَنَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحُكْمُ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (٤)، وقال لي: إذا وجدت في نفسك شيء فقل: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ رواه أبو داود^(٥).

وقد اختلفت عبارات المفسرين وأقوالهم في هذه الآية نحوً من بضعة عشر قولًا، قال البخاري: قال يحيى: يعني ابن زياد الفراء^(٦) (الظاهر على كل شيء علمًا، والباطن على كل شيء علمًا)^(٧).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يدعو عند النوم «اللهم رب السموات السبع رب العرش العظيم، ربنا رب كل شيء، منزّل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحب والنوى لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعده شيء، وأنت الظاهر ليس فوقك شيء، وأنت الباطن ليس دونك شيء، اقض عنّا الدين واغتنا من الفقر» رواه مسلم والسياق لأحمد^(٨).

(١) هو سماك بن الوليد أبو زميل الحنفي المشهور باسمه وكتبه روى عن ابن عباس وابن عمر ومالك بن مرثد روى عنه شعبة وعكرمة وعروة بن الزبير وغيرهم. تهذيب الكمال (127/12).

(٢) سورة يونس الآية 94.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في رد الوسوسة، حديث رقم (5110)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود حديث رقم (4262).

(٤) سليمان بن زياد الفراء مصري مولىبني سعد بن بكر من قيس عيلان أبو أيوب يروى عن ابن وهب وحجاج بن محمد الأعور حديث عنه غلان بن الصقيل توفي سنة خمسين ومائتين. الإكمال في رفع الإرتياح (35/7).

(٥) أخرجه البخاري في فتح الباري، كتاب الإيمان، باب تفسير سورة الحديد (361/13)، حديث رقم (4881).

(٦) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، حديث رقم (2713)، والإمام أحمد في مسنده (140/15)، حديث رقم (9247).

وقال كعب الأحبار عمله بالأول كعمله بالأخر، وعمله بالظاهر كعمله بالباطن. ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ لَهُ وَمُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾⁽¹⁾.

أخبر - تعالى - عن خلقه السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم أخبر باستواءه على العرش بعد خلقهن، وقد سبق الكلام في هذه الآية في سورة الأعراف⁽¹⁾ بما أغني عن إعادته هنا.

وقوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: يعلم ما يدخل فيها من حب و قطر ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ من زرع ونبات وثمار كما قال: ﴿ وَعِنْدَهُ مَقَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾⁽²⁾.

وقوله: ﴿ وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ أي: من الأمطار، والثلوج والبرد والأقدار، والأحكام مع الملائكة الكرام، وقد سبق في سورة البقرة أن ما ينزل قطرة من السماء إلاً ومعها ملك يقررها في المكان الذي يأمر الله به حيث يشاء تعالى.

وقوله: ﴿ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ أي: من الملائكة والأعمال.

كما جاء في الصحيح: «يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل»⁽³⁾.

وقوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ أي: رقيب عليكم، شهيد على أعمالكم، حيث كنتم، وأين ما كنتم من برٍ وبحرٍ وليلٍ أو نهارٍ، في البيوت أو القفار⁽⁴⁾، الجميع في علمه على سواء، وتحت بصره وسمعه ويسمع

(1) في الآية/54.

(2) سورة الأنعام الآية/59.

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب في قوله - صلى الله عليه وسلم - (إن الله لا ينام) حديث رقم (179).

(4) القفار: القفر مفازة لا نبات فيها ولا ماء والجمع قفار، يقال أرض قفر ومفازة قفر وقفرة ومقار، والقفار بالفتح الخبز بلا أدم يقال أكل خبزه قفارات، وأفترت الدار أي خلت، وأفتر الرجل لم يبق عنده أدم، مختار الصحاح (560/1).

كلامكم ويري مكانكم، ويعلم سركم ونجوакم كما قال تعالى ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلَمُونَ إِنَّهُ وَعَلِيمٌ بِذَاتِ الْصُّدُورِ﴾⁽¹⁾.

وثبت في الصحيح أنه - عليه الصلاة والسلام - قال لجبريل: لما سأله عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»⁽²⁾. وكان الإمام أحمد ينشد هذين البيتين:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقلْ * خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة * ولا أن ما تخفي عليه يغيب⁽³⁾
وقوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو المالك للدنيا كما قال: ﴿وَإِنَّ
لَنَالَّا خِرَّةَ وَالْأُولَى﴾⁽⁴⁾.

وهو المحمود على ذلك كما قال: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحَكْمُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾⁽⁵⁾.

فجميع ما في السموات والأرض وأهلها عبيد أرقاء أذلاء بين يديه.

ولهذا قال: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ أي: إليه المرجع يوم القيمة، فحكم في خلقه بما يشاء وقوله: ﴿يُولِجُ الْيَوْلَ فِي النَّهَارِ﴾ أي: هو المتصرف في الخلق يقلب الليل والنهر ويقدرهما بحكمته ما يشاء، فتارة يطول الليل والنهر وتارة بالعكس وتارة يتربهما معتدين، وتارة يكون الفصل شتاءً ثم صيفاً، ثم خريفاً ثم ربيعماً، وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريد بخلقـه ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الْصُّدُورِ﴾ أي: يعلم السرائر وإن دقت وخفيت.

﴿عَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ عَامِنُوا مِنْكُمْ

(1) سورة هود الآية/5.

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب سورة ﴿الْمَّوْلَى غُبَّتِ الرُّؤْمُ﴾ حديث رقم (4499).

(3) ديوان أبي العناية (10/1) البحر طويل.

(4) سورة الليل الآية/13.

(5) سورة القصص الآية/70.

وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ⑦ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ
وَقَدْ أَخَذَ مِيَثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ⑧ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ مَا يَرِيدُ
إِلَيْهِ خِرَاجُكُمْ مِّنَ الظُّلْمِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ⑨ وَمَا لَكُمْ أَلَا تُنْفِقُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ
أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقْتِلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ⑩ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِّفُهُ وَلَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ⑪ ॥

لقد أخبر الله - تعالى - بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل، والدوس والثبات على ذلك، وحثّ على الإنفاق مما جعلكم مستخلفين فيه؛ أي: مما هو معكم على سبيل العارية، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم، فأرشد تعالى إلى إنفاق المال في طاعته، وإن لو يفعلوا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه قوله: ﴿مَمَّا جَعَلَكُمْ مُّسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾ إشارة إلى أنه سيكون مخلفاً عنك، فعلل وارثك أن يطيع الله فيه فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك، أو يعصي الله به فيكون قد سعيت في معاونته على الإثم والعدوان. وعن عبد الله بن الشخير⁽¹⁾ قال: انتهيت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول: «ألهاكم التكاثر، يقول ابن آدم مالي مالي فهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبللت، أو تصدقت فأمضيت؟» رواه أحمد ومسلم⁽²⁾، «وزاد وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس»⁽³⁾.

وقوله: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ترغيب في الإيمان والإنفاق في الطاعة ثم قال: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ يعني: وأي شيء يمنعكم من الإيمان والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك، ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به .

(1) عبد الله بن الشخير بن عوف بن كعب بن واقد بن الحريش، واسمه معاوية بن كعب بن ربيعة العامري، له صحبة سكن البصرة، أسد الغابة (123).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (244/26)، حديث رقم (16322)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب الزهد والرقائق، حديث رقم (2958).

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، باب الزهد والرقائق، حديث رقم (2959).

وقوله: ﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيقَاتَكُمْ ﴾ يعني: بيعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وزعم ابن جرير⁽¹⁾ أن المراد بذلك الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم وبه قال مجاهد⁽²⁾.

وقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ أي: حججاً واضحاً وبراهين قاطعات⁽³⁾.

﴿ لَيُخْرِجَكُم مِّن الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ أي: من ظلمات الختل والكفر والأراء المتصادة إلى نور الهدى واليقين والإيمان ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي: في إِنزاله الكتب وإِرساله الرسل لهداية الناس، وإِزاحة العلل وإِزالة الشبه.

ولما أمرهم أولاً بالإيمان والإإنفاق، ثم حثهم على الإيمان، وبين أنه قد أزال عنهم موانعه حرّضهم أيضاً على الإنفاق فقال: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِلَهُكُمْ مِّيراثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: أنفقوا ولا تخشوا فقراً وإقلالاً، فإن الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السموات والأرض، وببيده مقابلتها، وعنه خزانتها.

وقد قال: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ حَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾⁽⁴⁾، فمن توكل على الله أنفق ولم يخش الفقر وعلم أنه سيخلفه.

وقوله: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتَلَ ﴾ أي: لا يستوي من أنفق ماله وقاتل العدو مع الرسول - عليه الصلاة والسلام - قبل فتح مكة في الفضل والدرجة مع من أنفق وقاتل بعده فإن قبله كان الحال شديداً فلم يكن حينئذ إلا الصديقون، وأماماً بعد الفتح فقد ظهر الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجاً⁽⁵⁾ ولهذا

(1) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبراني صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، وكانت ولادته سنة أربع وعشرين ومائتين، وكانت وفاته يوم السبت ودفن يوم الأحد في داره في السادس والعشرين من شوال سنة (310 هـ) ببغداد. تذكرة الحفاظ (2/310).

(2) هو: مجاهد بن جبر أبو الحاج المكي القرشي المخزومي، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي أحد أئمة التابعين والمفسرين وهو من أخصاء أصحاب ابن عباس، كان أعلم أهل زمانه بالتفسير توفي سنة 103 هـ. تهذيب التهذيب (10/42).

(3) تفسير ابن كثير (11/11)، ومعالم التنزيل (8/33).

(4) سورة سبا الآية/39.

(5) النكت والعيون (5/471)، وتفسير ابن كثير (8/12).

قال: ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْقَلُوا مِنْ بَعْدٍ وَقَتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي: وكلاً من الفريقين وعدهم الله الجنة بحسب درجاتهم، والجمهور على أن المراد بالفتح هنا فتح مكة⁽¹⁾، وعن الشعبي⁽²⁾ وغيره أنه صلح الحدبية⁽³⁾.

وفي الصحيحين عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه» وهكذا في الحديث الصحيح⁽⁴⁾: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»⁽⁵⁾ فعطف بمدح الآخر والثاء عليه مع تفضيل الأول عليه.

ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ حَبِير﴾ أي: فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق قبل الفتح وقاتل، ومن فعل ذلك بعده وما ذاك إلا بعلمه بفضل الأول وإخلاصه التام وإنفاقه في حال الجهد والضيق ولاشك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا بكر - رضي الله عنه - له الحظ الأوفر من هذه الآية، فإنه سيد من عمل بها من سائر الأمم فإنه أنفق ماله كله ابتغا وجه الله .

وقد روى ابن عمر قال: كنت عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعنه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وعليه عباءة قد خلّها في صدره بخلال، فنزل جبريل - عليه السلام - فقال: مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلّها في صدره بخلال؟ فقال: «أنفق ماله على قبْل الفتح» قال: إن الله يقول: اقرأ عليه السلام وقل

(1) فيه قولان: أحدهما لا ينتهي من قبل فتح مكة وقاتل، ومن أسلم بعد فتحها وقاتل، قاله ابن عباس ومجاهد. الثاني: من أنفق ماله في الجهاد وقاتل قاله قتادة. تفسير الماوردي (471/5).

(2) هو عامر بن شراحيل بن عبد الله، ويقال: هو عامر بن عبد الله، مولده في إمرة عمر بن الخطاب لست سنين خلت منها، حدث عن علقة، والأسود، والحارث وغيرهم، توفي سنة 104هـ تذكره الحافظ (79/1).

(3) صلح الحدبية كان قتالان كان أحدهما أفضل من الآخر، وكانت نفقتان إحداهما أفضل من الأخرى، كان القتال والنفقة قبل فتح مكة أفضل من القتال والنفقة بعد ذلك. تفسير الماوردي (471/5).

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - (لو كنت متخدًا خليلاً) حديث رقم (3673)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب الصحابة - رضي الله عنه - حديث رقم (2541).

(5) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، حديث رقم (2664).

له: أراضٌ أنت عنِي في فَرْكٍ هَذَا أَمْ سَاخْطٌ؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «يَا أَبَابَكَرَ إِنَّ اللَّهَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ: أَرَاضٌ أَنْتَ عَنِي فِي فَرْكٍ هَذَا أَمْ سَاخْطٌ» فَقَالَ: أَبُوبَكَرٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَسْخَطَ عَلَيَّ رَبِّي؟ إِنِّي عَنْ رَبِّي رَاضٌ» رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادٍ فِي الْمُعَالَمٍ⁽¹⁾، مَعَ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ ضَعِيفُ الْإِسْنَادِ .

وَقُولُهُ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - (هُوَ الْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،⁽²⁾ وَقِيلَ هُوَ النَّفَقَةُ عَلَى الْعِيَالِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ أَعْمَّ مِنْ ذَلِكَ، فَكُلُّ مَنْ أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بُنْيَةً خَالِصَةً، وَعَزِيمَةً صَادِقَةً دَخْلٌ فِي عُمُومِ هَذِهِ الْآيَةِ .

وَلَهُذَا قَالَ: ﴿فَيُضَاعِفُهُ اللَّهُ﴾ كَمَا قَالَ: فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى، ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾⁽³⁾ ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾⁽⁴⁾ أَيِّ: جَمِيلٌ وَرِزْقٌ جَزِيلٌ وَهُوَ الْجَنَّةُ .

عَنْ أَبْنَى مُسَعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: لَمَّا نَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ اللَّهُ﴾ قَالَ أَبُو الدَّحَادِحُ الْأَنْصَارِيُّ⁽⁴⁾: يَارَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَرِيدُ مَنْ قَرْضَ؟ قَالَ: «نَعَمْ يَأْبَا الدَّحَادِحِ» قَالَ: أَرَنِي يَدْكُ يَارَسُولُ اللَّهِ . قَالَ: فَنَاؤْلُهُ يَدَهُ . قَالَ: إِنِّي أَفْرَضْتُ رَبِّي حَائِطَيْ، وَهُوَ حَائِطٌ فِيهِ سَتْمَائَةٌ نَخْلَةٌ، وَأَمْ الدَّحَادِحَ فِيهَا وَعِيَالَهَا، قَالَ فَجَاءَ أَبُو الدَّحَادِحَ فَنَادَاهَا يَأْمَ الدَّحَادِحَ قَالَتْ: لَيْكَ قَالَ: «أَخْرَجِي فَقَدْ أَفْرَضْتُ رَبِّي» .

وَفِي رِوَايَةِ إِنَّهَا قَالَتْ لَهُ: «رِيحٌ بَيْعُكَ يَأْبَا الدَّحَادِحِ». وَنَقَلَتْ مِنْهُ مَتَاعَهَا وَصَبِيَانَهَا . وَأَنَّ الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «كُمْ مَنْ عَذَقَ رِدَاحَ فِي الْجَنَّةِ

(1) رواه البغوي في تفسيره، (34/8)، وضعفه الذهبي في الميزان (103/3).

(2) جامع البيان (396/22)، وفي عموم هذه الآية اختلف المفسرون على أقوال. منها أن القرض الحسن هو أن يقول: سبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله والله أكبر، ومنها: أنه النفقه على الأهل قاله زيد بن أسلم، ومنها: التطوع بالعبادات قاله الحسن، ومنها: النفقه في سبيل الله قالها بن حيان تفسير الماوردي (472/5).

(3) سورة البقرة الآية 245.

(4) أبو الدحداح الأنصاري له صحبة وأمرأته أم الدحداح هو أبو الدحداح أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يحيى بن يزيد التميمي الدمشقي، روى عن أبي عامر موسى بن عامر ومحمد بن هشام، روى عنه الطبراني ومن بعده. الإكمال في رفع الإرتياح (317/3).

لأبي الدجاج»⁽¹⁾ وفي لفظ «رب نخلة مدلاة عروقها درّ وياقوت لأبي الدجاج في الجنة» رواه ابن أبي حاتم⁽²⁾.

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَى كُمْ أَلْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا ذَلِكُ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾٦٧﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَفِّقُونَ وَالْمُنَفِّقَاتُ لِلَّذِينَ عَامَنُوا أَنْظُرُوْنَا نَقْتِيسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ أَرْجِعُوْا وَرَاءَكُمْ فَالْتَّمِسُوا نُورًا فَضَرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ وَفِيهِ الْرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ وَمِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾٦٨﴿ يُنَادِوْنَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلْ وَلَا كِنَّكُمْ فَتَنَّنُمْ أَنْفَسَكُمْ وَتَرَبَّصُمْ وَأَرْتَبُثُمْ وَغَرَّتُكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾٦٩﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا وَلَكُمُ الْئَارِضُ هِيَ مَوْلَدُكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾١٥﴾

أُخبر تعالى عن المؤمنين المصدقين أنهم يوم القيمة يسعى نورهم بين أيديهم في العرصات بحسب أعمالهم.

قال ابن مسعود: (على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل و منهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدنىهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرّة ويطفأ مرّة أخرى) رواه ابن أبي حاتم⁽³⁾. وابن جرير،⁽⁴⁾

وقال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: «من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء⁽⁵⁾ فدون ذلك حتى أن المؤمنين يضيء نوره من موضع قدميه»⁽⁶⁾.

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب ركوب المصلي على الجنازة، حديث رقم (2283).

(2) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3339/10).

(3) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3336/10).

(4) تفسير ابن كثير (15/15)، والدر المنشور (267/14).

(5) صناع: موضعان أحدهما باليمن، والآخر بالغوطة من دمشق وذكر أولاً باليمنية فإنها اسم صناع في القديم أزال، فلما وافتها الحبشة قالوا نعم فسمى الجبل بنعيم أي انظر فلما رأوا مدينتها وجدوها مبنية بالحجارة حصينة فقالوا هذه صنعة ومعناه حصينة فسميت صناع بذلك وبين صناع وعدن ثمانية وستون ميلاً. معجم البلدان (426/3).

(6) الحديث لم أقف عليه في كتب الحديث، وذكره الطبراني في تفسيره عن قتادة (178/23).

وعن جنادة بن أبي أمية⁽¹⁾ قال: إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسيماكم وحالكم ونجواكم ومجالسكم، فإذا كان يوم القيمة، قيل: يا فلان هذا نورك، يا فلان لا نور لك.

وقرأ: ﴿يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِم﴾ يعني: على الصراط وعن أبي ذر وأبي الدرداء يخربان عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أنا أول من يؤذن له يوم القيمة بالسجود، وأول من يؤذن له برفع رأسه فانظر من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي فاعرف أمتى من بين الأمم» فقال له رجل: يا نبي الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم ما بين نوح إلى أمتك قال: «أعرفهم محجلون من أثر الوضوء ولا يكون أحد من الأمم غيرهم، أعرفهم يؤمنون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم ووجوههم وأعرفهم بنورهم بين أيديهم وذرتهم»⁽²⁾ رواه ابن أبي حاتم⁽³⁾.

وقوله ﴿وَبِأَيْمَانِهِم﴾ أي: وبأيمانهم كتبهم كما قال: ﴿فَمَنْ أُوتَى كِتَابًا وَبِيَمِينِهِ﴾⁽⁴⁾ قاله الضحاك⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿بُشِّرَ لَكُمُ الْيَوْمَ﴾ أي: يقال لهم بشر لكم اليوم جنات أي: لكم البشرة ﴿جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ﴾ أي: ماكثين فيهما ﴿أَبْدًا﴾ ذلِك هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَفِّقُونَ وَالْمُنَفِّقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظُرُونَا نَقْتَبِسُ مِنْ نُورِكُمْ﴾ وهذا إخبار عما يقع يوم القيمة في العرصات من الأهوال المزعجة،

(1) جنادة بن أبي أمية الأزدي، ويقال الدوسي أبو عبد الله الشامي روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أحاديث شهد فتح مصر وولي لمعاوية وهو من كبار التابعين وحدث عن معاد بن حبل وأبي الدرداء روى عنه ولده سليمان ت 75 هـ تهذيب الكمال (134/5)، سير أعلام النبلاء (63/4).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، والهيثمي في مجمع الزوائد (250/2) حديث رقم (5665) والحاكم في المستدرك (478/2)، والإمام أحمد في مسنده (199/5) حديث رقم (21788)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم (180).

(3) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ص (3336).

(4) سورة الإسراء الآية/71.

(5) ينظر: تفسير الضحاك ص (843).

والزلزال العظيمة، والأمور الفظيعة، وأنه لا ينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله، وعمل بما أمره وترك ما عنه زجره.

وعن أبي أمامة⁽¹⁾ قال: (يبعث الله ظمة يوم القيمة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفّه حتى يبعث الله بالنور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم فتبعهم المنافقون فيقولون انظرونا أي: أمهلونا أو انتظرونا نقتبس أي: نستضيء من نوركم فلا يضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير)⁽²⁾، ﴿قَيْلَ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَّمِسُوا نُورًا﴾ وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال: ﴿يُخَدِّغُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ﴾⁽³⁾ فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئاً فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم ﴿بُسُورٍ لَهُ وَبَابٌ بَاطِنُهُ وَفِيهِ الْرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ وَمِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ﴾ الآية رواه ابن أبي حاتم⁽⁴⁾.

وقال ابن عباس: بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نوراً، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه وكان النور لهم دليلاً من الله إلى الجنة، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقو اتبعوهم فأظلم الله على المنافقين⁽⁵⁾.

قالوا حينئذ ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتِيسُ مِنْ نُورِكُمْ﴾ فإنّا كنّا معكم في الدنيا قال المؤمنون: أرجعوا من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور.

وعن ابن عباس أيضاً قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّ اللَّهَ يَدْعُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِهِمْ سَرِّاً مِنْهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَأَمَّا عِنْدَ الصِّرَاطِ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْطِي كُلَّ مُؤْمِنٍ نُوراً وَكُلَّ مُنَافِقٍ نُوراً، فَإِذَا اسْتَوْدُوا عَلَى الصِّرَاطِ سُلِّبَ اللَّهُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ»، فقال المنافقون: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتِيسُ مِنْ نُورِكُمْ﴾ وقال المؤمنون:

(1) أبو أمامة الباهلي وأسمه صدي بن عجلان، سكن مصر ثم انتقل منها فسكن حمص من الشام وكان من المكرثين في الرواية وأكثر حديثه عند الشاميين، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - في قول بعضهم. (ت 81هـ) أسد الغابة (15/6).

(2) ينظر: معلم التنزيل (35/8)، وتفسير ابن كثير (16/8).

(3) سورة النساء الآية/142.

(4) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3338/10).

(5) جامع البيان (40/22)، والدر المتنور (269/14).

﴿رَبَّنَا أَتَيْمٌ لَنَا نُورٌنَا﴾⁽¹⁾ فلا يذكر عند ذلك أحد أحداً» رواه الطبراني⁽²⁾.

وقوله: ﴿فَضَرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾ قال الحسن وقتادة: هو حائط بين الجنة والنار،⁽³⁾ وقال ابن زيد⁽⁴⁾ وغير واحد.

هو الذي قال الله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًا
بِسِيمَتُهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةَ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَظْمَعُونَ﴾⁽⁵⁾ وهو الصحيح⁽⁶⁾ ﴿بَاطِئُهُ وَفِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ أي: النار قال ابن جرير: وقد قيل: إن ذلك سور بيت المقدس عند وادي جهنم، هكذا عن عبد الرحمن بن عمرو⁽⁷⁾، وعن عبادة بن الصامت⁽⁸⁾ وعلى بن الحسين زين العابدين⁽⁹⁾ وكعب الأحبار⁽¹⁰⁾ وهذا محمول عليهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى ومثالاً له لا أن هذا هو الذي

(1) سورة التحرير الآية/8.

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير (122/11)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (623/1)، حديث رقم (434).

(3) جامع البيان (402/22)، الدر المتنور (274/14).

(4) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوبي مولاهم المدني، روى عن أبيه وصفوان بن سليم وأبي حازم وأخرين، روى عنه مالك بن مغول ويونس بن عبيد وزهير بن محمد التيمي ومرحوم بن عبد العزيز العطار، مات سنة اثنين وثمانين ومائة. تهذيب التهذيب (177/6).

(5) سورة الأعراف الآية/46.

(6) جامع البيان (402/22)، الدر المتنور (273/14)، تفسير ابن كثير (17/14).

(7) هو الإمام الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان بن عمرو الشيفي الإمام الصادق، محدث الشام، روى عن أبي نعيم، ولد سنة (88 هـ)، وتوفي سنة (157 هـ)، سير أعلام النبلاء (314/25).

(8) عبادة بن الصامت بن قيس بن فهر بن ثعلبة الخزرجي الأننصاري شهد بدرًا وشهد فتح مصر كان أحد النقابة بالعقبة وروى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحاديث كثيرة وأنه من جمع القرآن في عهد رسول الله وذهب إلى الشام مع معاذا وأبا الدرداء ليعلمهم القرآن، ت 34 هـ الإصابة (28/4).

(9) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو الحسين ويقال أبو الحسن، ويقال أبو عبد الله المدني زين العابدين روى عن أبيه وعمه الحسن وروى عن ابن عباس وأبي هريرة، وروى عنه محمد وزيد، تابعي أهل المدينة وكان ثقة كثير الحديث، (ت 92 هـ)، تهذيب التهذيب (154/3).

(10) كعب بن ماتع الحميري اليمني العلامة، الذي كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائية ويزاً السنن عن الصحابة، وكان حسن الإسلام، حدث عن عمر وصهيب حدث عنه أبوهريرة ومعاوية وابن عباس توفي سنة (75 هـ) سير أعلام النبلاء (490/3)، وشذرات الذهب (200/1).

أريد من معنى القرآن فإن الجنة في أعلى عליين، والنار في أسفل السافلين، وقول كعب: إن باباً ظاهره فيه الرحمة هو أحد أبواب المسجد الأقصى فهو من الترهات الإسرائيلية، فإن المراد بذلك سور يضرب يوم القيمة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه، فإذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه من الحيرة والظلمة والعذاب، كما كانوا في الدنيا في كفر وجهل وشك⁽¹⁾ ﴿يُنَادِوْهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين إنا كنا معكم في الدنيا نشهد معكم الجماعات ونصلي معكم الجماعات ونقف معكم بعرفات ونحضر معكم الغزوات ﴿قَالُواْ بَلَى﴾ أي: فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين: بل ي قد كنتم معنا ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنَّتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: أهلكتموها بالنفاق واستعملتموها بالمعاصي والشهوات ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي: أخرتم التوبة من وقت إلى وقت ﴿وَأَرْتَبْتُمْ﴾ أي: شكتم في البعث بعد الموت ﴿وَغَرَّتُمُ الْأَمَانِي﴾ أي: قلت: سيعذر لنا وقيل: غرركم الدنيا، وما زلتكم كذلك ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ يعني الموت ﴿وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ أي: الشيطان قال قادة: (كانوا على خديعة من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار) والمعنى أنكم معنا بالأبدان لا نية معها ولا إخلاص وإنما كنتم في شك وحيرة⁽²⁾.

كما قال مجاهد: كانوا مع المؤمنين أحياناً ويغشونهم ويعاشرونهم، وكانوا معهم أمواتاً. وهذا القول من المؤمنين لا ينافي قولهم الذي أخبر تعالى عنهم⁽³⁾.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَصْحَبَ الْيَمِينَ ﴿٢٤﴾ فِي جَنَّتِ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٦﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٢٧﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٢٨﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعَمُ الْمِسْكِينَ ﴿٢٩﴾ وَكُنَّا تَخْوُضُ مَعَ الْخَابِضِينَ ﴿٣٠﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٣١﴾ حَتَّى آتَنَا الْيَقِينَ ﴿٣٢﴾﴾⁽⁴⁾.

فهذا إنما خرج منهم على وجه التقرير لهم والتوبیخ ثم قال تعالى: ﴿فَمَا

(1) ينظر: جامع البيان (403/22)، ومعالم التنزيل (36/8)، والنكت والعيون (475/5).

(2) جامع البيان (406/22)، والنكت والعيون (476/5)، والدر المنشور (275/14).

(3) تفسير الإمام مجاهد (648).

(4) سورة المدثر الآية/47.

تَنْفَعُهُمْ شَقَّةُ الْشَّفَاعَةِ ﴿٤٨﴾⁽¹⁾.

كما قال هنا ﴿فَالَّيْلَمَّا لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فَدِيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لو جاء أحدهم اليوم بملء الأرض ذهباً ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ما قبل منه قوله: ﴿مَا وَلَكُمْ أَنَّارُ﴾ أي: هي مصيركم ومنقلبكم.

وقوله: ﴿هِيَ مَوْلَانَكُمْ﴾ أي: هي أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتياحكم ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَطَ قُلُوبُهُمْ وَكَثُرَ مِنْهُمْ فَلَسِقُونَ ﴿٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَاهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧﴾﴾ يعني: أما آن للمؤمنين ﴿أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تخين وتختضع عند الذكر والموعظة، وسماع القرآن فتفهمه وتتقاد له وتسمعه وتطيعه.

قال ابن عباس: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعابتهم على رأس ثلاثة عشرة من نزول القرآن⁽²⁾ فقال لهم: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني: القرآن رواه ابن أبي حاتم⁽³⁾.

وعن ابن مسعود قال: (ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ إلا أربع سنين) رواه مسلم⁽⁴⁾. وقال قتادة: ذكر لنا أن شداد بن أوس⁽⁵⁾ روى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن

(1) سورة المدثر الآية/48.

(2) النكت والعيون (477/5)، ومعالم التنزيل (37/8).

(3) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3338/10).

(4) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب القصیر، باب في قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ حديث رقم (3027).

(5) شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر وهو ابن أخي حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي يكنى أبا يعلى وقيل: أبا عبد الرحمن، نزل بالبيت المقدس من الشام وقيل: إنه شهد بدرًا قال عبادة بن الصامت كان شداد من أوتي العلم والحلم وكان شداد كثير العبادة والورع والخوف من الله تعالى توفي شداد بن أوس ت 58 هـ أسد الغابة (613/2).

أول ما يرفع من الناس الخشوع»⁽¹⁾.

وقوله: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ نهى الله المؤمنين أن يتتبهوا بالذين حملوا الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى فلمّا تطاول عليهم الأمد بدّلوا كتاب الله بأيديهم واشتروا به ثمناً قليلاً، ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الأراء المختلفة والأقوال المؤتقة، وقلدوا رجالهم في دين الله واتخذوا أighbors ورهبانهم أرباباً من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم ولا يقبلون موعظة ولا ثلين قلوبهم بوعد ولا وعد. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ أي: في الأعمال فقلوبهم فاسدة وأعمالهم باطلة.

كما قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقْضُهُمْ مِّيَتَّقَهُمْ لَعْنَّهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَّةً يُحَرَّفُونَ﴾⁽²⁾.

وقال ابن مسعود (إنبني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم اخترعوا كتاباً من عند أنفسهم استهواه قلوبهم واستحلته ألسنتهم واستلذته).

وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم فقالوا: تعالوا ندع بني إسرائيل إلى كتابنا هذا، فمن تابعنا عليه تركناه ومن كره أن يتابعنا قتلناه، ففعلوا ذلك وكان بينهم رجل فقيه فلما رأى ما يصنعون عمد إلى ما يعرف من كتاب الله وكتبه في شيء لطيف ثم أدرجها، فجعلها في قرن.

ثم علق ذلك القرن في عنقه فلما أكثروا القتل قال بعضهم لبعض: يا هؤلاء إنكم قد أفشيتم القتل فيبني إسرائيل فادعوا فلاناً فاعرضوا عليه كتابكم فإنه إن تابعكم فسيتابعكم بقية الناس وإن أبي فاقتلوه، فدعوا فلاناً ذلك الفقيه فقالوا: له تؤمن بكتابنا هذا، قال: ما فيه أعرضوه على؟، فعرضوا عليه إلى آخره، قالوا: أؤمن بهذا قال: نعم آمنت بهذا وأشار بيده إلى القرن بما في هذا فتركوه فلما مات فتشوه فوجدوه متعلقاً بذلك القرن فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله فقال: بعضهم لبعض: يا هؤلاء

(1) رواه الطبرى فى تفسيره (131/27)، والطبرانى فى المعجم الكبير (295/7)، وصححه الألبانى فى صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (2576).

(2) سورة المائدة الآية/113.

ما كنّا نسمع هذا أصابه فتنة فافتقت بنو إسرائيل على اثنين وسبعين ملّة، وخير مللهم أصحاب ذي القرن⁽¹⁾.

قال ابن مسعود: (إِنَّكُمْ أَوْشَكُ بَكُمْ إِنْ بَقِيتُمْ أَوْ مِنْ بَقِيَّتِكُمْ أَنْ تَرَوْ أَمْوَارًا تَكْرُونَهَا فَلَا تَسْتَطِعُونَ لَهَا غَيْرًا، فَبِحَسْبِ الْمَرءِ مِنْكُمْ أَنْ يَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ لَهَا كَارِهٌ) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير⁽²⁾ مختصراً.

﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُتْحِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتَهَا﴾ فيه إشارة إلى أنه - تعالى - يلين القلوب بعد قسوتها، وبهدي الحيارى بعد ضلاتها، ويفرج الكروب بعد شدّتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة بالغيث الهتان الوابل، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن ويولج إليها النور بعد ما كانت مقلة ﴿قَدْ يَبَيَّنَ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ يعني الدلالات الواضحات ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: لكي تفهموا ذلك وتنتبهوا وتهتدوا.

﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعِّفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ ءامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيمَانِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

أخبر تعالى عمّا يثيب به المصدقين والمصدقات بأموالهم على أهل الحاجة والفاقة ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: دفعوه بنية خالصة ابتغاء وجه الله لا يريدون جزاء من أعطوه ولا شكوراً، ولهذا قال: ﴿يُضَعِّفُ لَهُمْ﴾ أي: يقابل لهم الحسنة عشر أمثالها، ويزاد ذلك إلى سبعمائه ضعف، وفوق ذلك ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي: ثواب جزيل حسن ومرجع صالح ومأب [كريم]⁽³⁾.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ ءامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ﴾ هذا تمام الجملة وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون ثم قال: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ استئنافاً للكلام قاله ابن عباس وغير واحد، وعن ابن مسعود أن الشهداء عطف على

(1) جامع البيان (410/22)، والدر المنثور (278/14).

(2) ينظر: تفسير ابن جرير (410/22)، وتفسير ابن أبي حاتم (3340).

(3) ما بين المعقوفين ساقطة من الأصل ومتثبتة من تفسير ابن كثير.

الصديقون كما في قوله: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾⁽¹⁾.

فرق بين الصديقين والشهداء فدلّ على أنّهما صنفان ولا شاك أن الصديق أعلى مقاماً من الشهيد.

كما روى أبو سعيد الخدري في الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن أهل الجنة ليتراعون أهل الغرف من فوقهم كما يتراعن الكوكب الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتقابل ما بينهم» قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»⁽²⁾.

وقيل: المراد أنه أخبر عن المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون وشهداء قاله مجاهد⁽³⁾ كما روى البراء عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «مؤمنو أمتي شهداء»⁽⁴⁾ ثم تلا هذه الآية رواه ابن جرير⁽⁵⁾.

وقال عمرو بن ميمون⁽⁶⁾: يجيئون يوم القيمة معاً كالأشبعين⁽⁷⁾ قوله: ﴿ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: في جنات النعيم.

كما في الصحيحين: «أن أرواح الشهداء في حوصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت»⁽⁸⁾ الحديث قوله: ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ أي: لهم عند الله أجرٌ حزيل ونورٌ عظيم يسعى بين أيديهم، وهم في ذلك متفاوتون بحسب ما كانوا في دار

(1) سورة النساء الآية/69.

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حديث رقم (3256)، ومسلم في الجامع الصحيح، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف، حديث رقم (28319).

(3) أي: يشهدون على أنفسهم بالإيمان بالله عزوجل، تفسير الإمام مجاهد، ص (649).

(4) رواه ابن جرير من طريق إسماعيل بن يحيى عن البراء بن عازب وقال: هذا الحديث ضعيف جداً ونكره بن جرير في تفسيره (414/22)، وعبد الرزاق في تفسيره (276/2)، والسيوطى في تفسيره (14/281).

(5) رواه ابن جرير في تفسيره (415/22).

(6) عمرو بن ميمون الأودي المدحجي الكوفي، الإمام الحجة أبو عبدالله، أدرك الجاهلية وأسلم في الأيام النبوية، وقدم الشام مع معاذ بن جبل، ثم سكن الكوفة، حدث عن عمر، وعلى، وابن مسعود، وروى عنه الشعبي، أبو إسحاق، توفي سنة (150 هـ)، سير أعلام النبلاء (7/174).

(7) (الإصبغ) الآخر الحسن. يقال: فلان من الله عليه إصبغ حسنة أي: أثر نعمة حسنة وعليه منك إصبغ حسنة أي: أثر حسن وإنما قيل للأثر الحسن إصبغ لإشارة الناس إليه بالإصبغ. لسان العرب (8/192).

(8) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، باب أن أرواح الشهداء في الجنة، حديث رقم (1887).

الدنيا من الأعمال.

كما قال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «الشهداء أربعة: رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله فقتل، فذاك الذي ينظر الناس إليه هكذا» ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقلنسوة عمر، والثاني: مؤمن لقي العدو فكانما يضرب ظهره بشوك الطلح جاءه سهم غرب فقتلته فذاك في الدرجة الثانية، والثالث: مؤمن خلط عملاً صالحاً وأخر سيئاً لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الثالثة، والرابعة رجل مؤمن أسرف على نفسه إسرافاً كثيراً لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الرابعة) رواه الترمذى وحسنـه⁽¹⁾.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِمَا يَتَبَيَّنَ﴾ لما تبين حال السعداء وما لهم عطف ذكر الأشقياء وحالهم وقال: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾.

﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخْرٌ يَتَنَاهُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ وَثُمَّ يَهිجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَّلًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَهَتِهِ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

لقد أهان الله أمر الحياة الدنيا وحررها فقال: ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ أَيْ: إنما حصل أمرها عند أهلها هكذا.

كما قال: ﴿رُزِّيْنَ لِلنَّاسِ حُبُ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقْنَطَرَةِ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمْ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُو حُسْنُ الْمَقَابِ﴾⁽²⁾.

ثم ضرب - تعالى - مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية زائلة فقال ﴿كَمَثَلِ

(1) أخرجه الترمذى في سننه، كتاب فضائل الجهاد، باب فضل الشهداء عند الله، حديث رقم (1644)، حسنـه الترمذى، وضعفه الألبانى في الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (3446).

(2) سورة آل عمران الآية/14.

غَيْثٌ ﴿١﴾ وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس كما قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾⁽¹⁾.

وقوله: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاثُهُ﴾ أي: يعجب الزراع نبات ذلك الزرع التي نبت بالغيث، وكما يعجب الزراعة ذلك، كذلك تعجب الحياة الدنيا للكفار فإنهم أحقر شيء عليها وأميل الناس إليها.

﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ أي: ثم يكمل ذلك الزرع فتراءه مصفرًا بعد ما كان أخضرًا نضر ثم يكون بعد ذلك كله إلى أن يصير بيساً منكسرًا متحطماً، هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة ثم تكتهل ثم تكون عجوزاً شوهاء، والإنسان يكون كذلك في أول عمره وعنوان شبابه غضاً طرياً لين الأعطاف، بهي المنظر.

ثم إنه شرع في الكهولة فتغير طباعه ويفقد بعض قواه ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى قليل الحركة يعجزه الشيء اليسير.

كما قال تعالى: ﴿الَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾⁽³⁾

ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة بلا شكٍ حذراً من أمرها ورغبة في ما فيها من الخير.

فقال: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ أي: ليس في الآخرة إلا هذا وأما ذاك، إما عذاب شديد وإما مغفرة من الله ورضوان.

وقوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعُ الْغُرُورِ﴾ أي: هي متاعٌ فانٌ غارٌ⁽⁴⁾ لمن رکن إليها، فإنه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد بأنه لا دار سواها، ولا معاد وراءها.

(1) سورة الشورى الآية/28.

(2) والصحيح كما جاء في تفسير ابن كثير (الذي).

(3) سورة الروم الآية/54.

(4) (غار) (الغرر) الخطر نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن بيع الغرر (غررته) الدنيا (غروراً) من باب قعد خدعته بزيتها فهي غرور، غر الشخص من باب ضرب (غاردة) بالفتح فهو غار. المصباح المنير (445/2).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، اقرؤوا ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعُ الْغُرُورِ﴾» رواه ابن جرير⁽¹⁾ وهو ثابت في الصحيح إلى قوله اقرؤوا.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «للجنة أقرب إلى أحكم من شراك نعله والنار مثل ذلك» رواه البخاري⁽²⁾.

ففي الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان فلهذا حثه، - تعالى - على المبادرة إلى الخيرات والتبعاد عن المحرمات والاشتغال بما يكفر عنه الذنوب والزلات، ويحصل له التواب والدرجات.

قال: ﴿سَاقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ والمراد جنسهما كما في آية أخرى ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾⁽³⁾.

وقال هنا ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ظَاهَرَتْ إِيمَانُهُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: هذا الذي أهلهم الله له هو من فضله ومنه عليهم وإحسانه إليهم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ينفضل على من يشاء بما يشاء من فضله وكرامته.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ قَبْلِ أَنْ تَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾⁽⁴⁾ لِكِنَّا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا أَتَكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ⁽⁵⁾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

(1) رواه ابن جرير في تفسيره (417/22)، والبخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حديث رقم (3078)، وابن ماجه في سننه، كتاب صفة الجنة، باب صفة الجنة، حديث رقم (4473) والإمام أحمد في مسنده (336/24)، حديث رقم (15564).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب الجنـة أقرب إلى أحـكم من شراك نـعلـة، حـديث رقم (6123).

(3) سورة آل عمران الآية/ 133 .

أَخْبَرَ - تَعَالَى - عَنْ قَدْرِهِ السَّابِقِ فِي خَلْقِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْبَرِّيَّةَ فَقَالَ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ أي: في الآفاق وفي أنفسكم، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ تَبْرَأُوهَا﴾ أي: من قبل: أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة. وقيل: ضمير نبرأها عائد إلى أنفسكم، وقيل: إلى المصيبة والحسن عوده إلى الخليقة والبرية لدلالة الكلام عليها.

كما قال: الحسن في جواب السائل عن ذلك كل مصيبة بين السماء والأرض في كتاب الله من قبل أن يبرأ النسمة⁽¹⁾.

قال قتادة: (مصلحة الأرض السنون) يعني: الجدب⁽²⁾.

﴿وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ الأوجاع والأمراض قال: وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم ولا خلجان عرق إلا بذنب وما يغفو الله عنه أكثر. وهذه الآية من أدل دليل على القدرة نفاة العلم السابق.

وعن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعرشه على الماء» رواه مسلم⁽³⁾.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: إن علمه تعالى للأشياء قبل كونها وكتابته لها على طبق ما يوجد في أحيانها سهل هين، لأنه يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

وقوله: ﴿لَكَيْلًا تَأْسُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَاٰءَاتَنَكُمْ﴾ أي: أعلمكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم، فلا تأسوا أي: فلا تحزنوا على ما فاتكم لأنّه لو قدر شيء لكان ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَاٰءَاتَنَكُمْ﴾ أي:

(1) ينظر: تفسير ابن كثير (26/8).

(2) ينظر: جامع البيان (419/22)، والدر المنثور (14/286).

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، باب حاج آدم وموسى - عليهما السلام - حديث رقم (2553).

جاءكم وأعطاكـم يعني: ولا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليـكم فإنـ ذلك ليس بسعـيـكم ولا كـدـكم، وإنـما هو من قـدر الله، ورـزـقه لكم فلا تـتـخـذـوا نـعـمة الله أـشـراً وبـطـراً تـفـخـرون بها علىـ الناس.

ولهـذا قال: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: متـكـبرـ علىـ نفسه فـخـورـ علىـ غيرـه.

وقـالـ عـكرـمةـ: ليسـ أحدـ إـلاـ هوـ يـفـرـحـ وـيـحـزـنـ وـلـكـنـ اـجـعـلـواـ الـفـرـحـ شـكـراـ وـالـحـزـنـ صـبـراـ، ثمـ قالـ: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ﴾ أيـ: يـفـعـلـونـ الـمـنـكـرـ وـيـحـرـضـونـ النـاسـ عـلـيـهـ ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ أيـ: عنـ أـمـرـ اللهـ وـطـاعـتـهـ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ هوـ كـمـاـ قـالـ مـوسـىـ: ﴿إِنْ تَكُفُّرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فـي الـأـرـضـ جـمـيعـاـ فـإـنَّ اللـهـ لـغـنـيـ حـمـيدـ﴾⁽¹⁾.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْبِنَتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحُدْيَدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُلُهُ وَبِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ يعنيـ لـقـدـ أـرـسـلـناـ رسـلـناـ بـالـمـعـجزـاتـ الـبـاهـرـاتـ، وـالـدـلـائـلـ الـقـاطـعـاتـ ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمَا الْكِتَابَ﴾ وهوـ النـقـلـ الصـدـقـ والمـيزـانـ وهوـ العـدـلـ.

وقـيلـ: هوـ الـحـقـ الـذـيـ تـشـهـدـ بـهـ الـعـقـولـ الصـحـيـحةـ الـمـخـالـفةـ لـلـآـرـاءـ السـقـيمـةـ كـمـاـ قـالـ: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾⁽²⁾.

وقـالـ: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾⁽³⁾ ولـهـذاـ قـالـ هـنـاـ: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أيـ: بـالـحـقـ وـالـعـدـلـ، وـهـوـ اـتـبـاعـ الرـسـلـ فـيـماـ أـخـبـرـواـ بـهـ، وـطـاعـتـهـمـ فـيـماـ أـمـرـواـ بـهـ فـإـنـ الـذـيـ جـاءـواـ بـهـ هوـ الـذـيـ لـيـسـ وـرـاءـ حـقـ.

كـمـاـ قـالـ تـعـالـىـ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾⁽⁴⁾ وـقولـهـ ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحُدْيَدَ﴾ أيـ: وـجـعـلـناـ الـحـدـيدـ رـادـعاـ لـمـنـ أـبـىـ عـنـ الـحـقـ وـعـانـدـهـ بـعـدـ قـيـامـ الـحـجـةـ عـلـيـهـ

(1) سورة إبراهيم الآية/8.

(2) سورة الروم الآية/30.

(3) سورة الرحمن الآية/7.

(4) سورة الأنعام الآية/115.

ولهذا أقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة بعد النبوة ثلاثة عشر سنة يوحى إليه بالسور المكية وكلها جدال مع المشركين، وبيان وإيضاح للتوحيد وبينات ودلائل، فلما قامت الحجة على من تخلف، شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف، وضرب الرقاب لمن خالف القرآن وعانده.

كما روى ابن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحيء وجعل الذلة والصغر على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم» رواه أحمد وأبوداود⁽¹⁾.

ولهذا قال تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني: السلاح كالسيوف والحراب والسنان والنصال والدروع ونحوها ﴿وَمَنَفِعٌ لِلنَّاسِ﴾ أي: في معاشهم كالسكين والفأس والقدوم والمنشار والأزميل والمجربة، وسائل الآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياة والطبخ والخبز، وما لا قوام للناس بدونه وغير ذلك. قال ابن عباس: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم السندان⁽²⁾ والكلبتان⁽³⁾ والميقيعة⁽⁴⁾، يعني: المطرقة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُلُهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي: ليرى الله من نبيه في حمل السلاح نصرة الله ورسوله ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌ﴾ أي: في أمره ﴿عَزِيزٌ﴾ أي: في ملكه ينصر من نصر دينه من غير احتياج منه إلى الناس ن وإنما شرع الجهاد ليبلو بعضكم ببعض.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذِرَيْتَهُمَا الْتُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ شَدِيدٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ⑥ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ عَائِرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى أُبْنَ مَرْيَمَ وَعَائِيْنَاهُ

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (9/126)، وأبو داود في سننه، باب الرجل يخطب على قوس حديث رقم (9901)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة، حديث رقم (1694).

(2) السندان: ما يطرق الحداد عليه الحديد (الوسيط (س ن د)).

(3) الكلبتان: التي تكون مع الحداد يأخذ بها الحديد المحمى، يقال: حديدة ذات كلبتين وحديدتان ذات كلبتين وحداد ذات كلبتين. اللسان (ك ل ن).

(4) الميقيعة: المطرقة، يقال: الميقيعة المسن الطويل. (و ق ع).

(5) رواه ابن جرير في نقسيره (22/425).

إِلَّا نُجِيلُ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ أَتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً أَبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَبْتَغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَقَاتَنَا الَّذِينَ ءامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَلَسِقُونَ ﴿٧﴾ .

أَخْبَرَ - تَعَالَى - أَنَّهُ مِنْذَ بَعْثَ نُوحًا لَمْ يَرْسُلْ بَعْدَهُ نَبِيًّا وَلَا رَسُولًا إِلَّا مِنْ ذَرِيْتِهِ، وَكَذَلِكَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، لَمْ يَنْزِلْ مِنَ السَّمَاءِ كِتَابًا وَلَا أَرْسَلَ رَسُولًا وَلَا أُوحِيَ إِلَى بَشَرٍ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا وَهُوَ مِنْ سَلَالَتِهِ كَمَا قَالَ فِي آيَةِ أُخْرَى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ حَتَّى كَانَ آخرُ الْأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الَّذِي بَشَرَ مِنْ بَعْدِهِ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ إِلَّا نُجِيلَ ﴾ وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ أَتَّبَعُوهُ ﴾ وَهُمُ الْحَوَارِيُّونَ ﴿ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ رَقَّةٌ وَهِيَ الْخُشْبَةُ ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ بِالْخَلْقِ وَقَوْلُهُ: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً أَبْتَدَعُوهَا ﴾ أَيِّ: ابْتَدَعُهَا أُمَّةُ النَّصَارَى ﴿ مَا كَتَبْنَاهَا ﴾ أَيِّ: مَا فَرَضْنَا هَا عَلَيْهِمْ وَمَا شَرَعْنَا هَا لَهُمْ، وَإِنَّمَا هُمُ التَّزَمُوْهَا مِنْ تَلَقَّاءِ أَنفُسِهِمْ .

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِلَّا أَبْتَغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾ فِيهِ قُولَانٌ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ قَصَدُوا بِذَلِكَ رِضْوَانَ اللَّهِ، قَالَهُ ابْنُ جَبَّارٍ⁽¹⁾ وَغَيْرُ وَاحِدٍ. وَالثَّانِي: مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ ذَلِكَ إِنَّمَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ ابْتَغَاءَ رِضْوَانَ اللَّهِ .

وَقَوْلُهُ: ﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ أَيِّ: فَمَا قَامُوا بِمَا التَّزَمُوا حَقَ الْقِيَامِ وَهَذَا ذَمٌ لَهُمْ مِنْ وَجْهَيْنِ، أَحَدُهُمَا: فِي الْابْتِدَاعِ فِي دِينِ اللَّهِ مَا لَمْ يَأْمُرْ بِهِ اللَّهُ. وَالثَّانِي: فِي عَدَمِ قِيَامِهِمْ بِمَا التَّزَمُوهُ مَا زَعَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ يَقْرِبُهُمْ إِلَى اللَّهِ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «يَا ابْنَ مَسْعُودٍ» قَلْتُ لِبِيَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقُوا عَلَىٰ اثْتَنِيْنِ وَسَبْعَيْنِ فَرْقَةً؟ لَمْ تَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا ثَلَاثَ فَرَقٍ، قَامَتْ بَيْنِ يَدِيِّ الْمُلُوكِ وَالْجَابِرَةِ بَعْدِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فَدَعَتْ طَائِفَةً إِلَى دِينِ اللَّهِ وَدِينِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَقَاتَلَتِ الْجَابِرَةُ

(1) ينظر: تفسير ابن كثير (29/8)، وهو قول سعيد بن جبير وقتادة.

فقتلات فصبرت ونجت.

ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال فقامت بين يدي الملوك والجبابرة فدعوا إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم فقتلات وقطعت بالمناشير وحرقت بالنيران فصبرت ونجت، ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تطق القيام بالقسط، فلحقت بالجبار فتعبدت وترهبت وهم الذين ذكر الله ﷺ ورَهْبَانِيَّةً أُبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴿٤﴾ رواه ابن أبي حاتم في سنن النسائي⁽¹⁾.

عن ابن عباس قال (كانت ملوك بعد عيسى - عليه السلام - بدللت التوراة والإنجيل وكان فيهم مؤمنون يقرأون التوراة والإنجيل، فقيل لملوكهم ما نجد شيئاً أشد [علينا]⁽²⁾ من شتم يشتمونا هؤلاء، إنهم يقرأون ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَفِرُونَ ﴾⁽³⁾ .

هذه الآيات مع ما يعيبوننا فيه من أعمالنا في قرائتهم فادعوهم فليقرروا كما نقرأ وليرءونا كما آمنا فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها فقالوا: ما تريدون إلى ذلك دعونا، فقالت طائفة منهم: ابنا لنا اسطوانة ثم أرفعونا إليها ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم.

وقالت طائفة: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا، وقالت طائفة: ابنا لنا دوراً في الفيافي ونحتفر الآبار ونحرث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم وليس لهم من القبائل إلا له مهم فيه فعلوا ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً أُبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا أُبْتِغَاءَ رِضْوَانَ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾.

والآخرون بعدهم من قد غير الكتاب قالوا: نتعبد كما تعبد فلان ونسبح كما ساح فلان ونتخذ دوراً كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا

(1) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره بلفظ مغاير (10/3341)، رواه الطبراني في الأوسط بلفظ قریب (4/377) ن ورواه ابن كثیر (8/29).

(2) ما بين المعقوقتين لم تذكر في تفسير ابن كثیر.

(3) سورة المائدۃ الآیة 44.

به، فلما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يبق منهم إلا القليل انحطّ منهم رجل في صومعته، وجاء سائحٌ من سياحته، وصاحب الدّير من ديره فآمنوا به وصدقوه، فقال الله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوْا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾⁽¹⁾.

وعن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «كان يقول لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلوك بقاياهم في الصوامع والديار رهانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم» رواه أبو داود⁽²⁾.

وعن أبي سعيد الخدري⁽³⁾ أن رجلاً جاءه فقال: أوصني، سألت عما سألت عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قبلك، «أوصيك بتنقى الله فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض» تفرد به أحمد⁽⁴⁾.

وقال أنس: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «لكل نبي رهانية ورهانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله» رواه أحمد⁽⁵⁾.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوْا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِر لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦﴾ لَئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦﴾﴾.

(1) ينظر: الطبرى (204/23)، وابن كثير (30/8).

(2) أخرجه أبو داود، كتاب السنن، باب في الحسد، حديث رقم (4904)، وضعفه الألبانى في السلسلة الضعيفة، حديث رقم (3468).

(3) أبو سعيد الخدري، سعد بن مالك ابن سنان الأنصاري الخزرجي المدنى كان من علماء الصحابة ومن شهد بيته الشجرة روى حديثاً كثيرة وأبوه من شهداء أحد حدث عنه ابن عمر وجابر وغيرهما من الصحابة له أحاديث في الصحيحين انفرد البخاري بستة عشر حديثاً وانفرد مسلم باثنين وخمسين حديثاً ت 74 هـ تذكرة الحفاظ (1/44).

(4) أخرجه الإمام أحمد، كتاب المسند (82/3)، تحقيق الألبانى (صحيح) في السلسلة الصحيحة الكاملة، حديث رقم (555).

(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (266/3)، وضعفه الألبانى في الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (4739).

قد سبق فيما روى ابن عباس أن هذه الآية في شأن مؤمني أهل الكتاب وأنهم يؤتون أجرهم مرتين⁽¹⁾.

كما في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري⁽²⁾ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: الرجل تكون له الأمة فيعلمها فیحسن تعليمها ویؤدبها فیحسن أدبها ثم يعتقها فیتزوجها فله أجران، ورجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران، وعبد مملوك أدى حقَّ الله وحقَّ مواليه فله أجران»⁽³⁾.

وقال سعيد بن جبير: لما افخر مؤمنوا أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله هذه الآية في حقَّ هذه الأمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ أي ضعفين ﴿مِن رَّحْمَتِهِ﴾ وزادهم ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يعني: هديٌ يتبصر به من العمى والجهالة ﴿وَيَغْفِرُ لَكُمْ﴾ فضلهم بالنور والمغفرة) رواه ابن حجر⁽⁴⁾.

وسائل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حبراً من أخبار اليهود ما أفضل ما ضعف لكم حسنة؟ قال: كفل ثلثمائة وخمسين حسنة قال: فحمد الله عمر على أته أعطانا كفلين⁽⁵⁾.

وفي مسنده لأحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عملاً فقال: من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ ألا فعملت اليهود ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟

(1) ينظر: تفسير القرطبي (20/276)، وتفسير ابن كثير (31/8).

(2) أبو موسى الأشعري هو عبد الله بن قيس ابن سليم بن حرب صحابي جليل الإمام الكبير صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حدث عنه بريدة بن الحصيب وأبو أمامة الباهلي، وأنس بن مالك وقد أرسله النبي إلى عدن وولي امرأة الكوفة لعمرن وغزا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - سير أعلام النبلاء (3/337).

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجهاد، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم (2849)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -، حديث (404).

(4) رواه ابن حجر في تفسيره (22/442).

(5) جامع البيان (22/238).

ألا فعملت النصارى ثم قال: من ي عمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين عملتم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملاً وأقل عطاء قال: هل ظلمتكم من أجركم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فإنما هو فضلي أو تيه من أشاء» رواه البخاري⁽¹⁾.

وعن أبي موسى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «مثل المسلمين والميهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عملاً يوماً إلى الليل إلى أجر معلوم فعملوا إلى نصف النهار فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل، فقال لهم: لا تفعلوا أكملوا بقية يومكم وخذوا أجركم كاماً، فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال: أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا: ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه فقال: أكملوا بقية يومكم فإئمباً بقي من النهار شيء يسير فأبوا. فاستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، فاستكملوا أجرة الفريقين كليهما، فذلك مثلهم مثل ما قبلوا من هذا النور» تفرد به البخاري⁽²⁾.

ولهذا قال تعالى: ﴿لَئِنْ لَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: ليتحقق أنهم لا يقدرون على رد ما أعطاهم الله ولا أعطاء ما منع الله. ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁽³⁾.

قال ابن جرير: ﴿لَئِنْ لَا يَعْلَمَ﴾ أي: ليعلم⁽³⁾ وقد ذكر عن ابن مسعود أنه قرأ (لكي يعلم) ووافقه ابن جبير وغيره لأن العرب يجعلون (لا) صلة في كل الكلام دخل في أوله وآخره جدد غير مصرح⁽⁴⁾ فالسابق كقوله: ﴿مَنَعَكَ أَلَا تَسْجُدَ﴾⁽⁵⁾. ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَهْمًا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽⁶⁾.

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الإجارة، باب الإجارة إلى نصف النهار ، حديث رقم (2268).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الإجارة، باب الإجارة من العصر إلى الليل، حديث رقم (2271).

(3) رواه ابن جرير في تفسيره (444/22).

(4) جامع البيان (444/22)، والنكت والعيون (486/5).

(5) سورة الأعراف الآية/12.

(6) سورة الأنعام الآية/109.

تفسير سورة المجادلة

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلًا لِّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَخَاوْرًا كُمَاً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾⁽¹⁾ عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلًا لِّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَخَاوْرًا كُمَاً ﴾⁽¹⁾ هكذا رواه البخاري.

وفي رواية لابن أبي حاتم عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، إني لا أسمع كلام خولة بنت ثعلبة⁽²⁾ ويفنى على بعضه، وهي تشتكى زوجها إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سنتي، وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إنيأشكو إليك فاقتي، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلًا لِّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ وهو أوس بن الصامت⁽³⁾ وكان امرأءاً به لمم، وكان إذا أخذه لمم واشتد به يظاهر من أمراته، وإذا ذهب لم يقل شيئاً فانت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تستفيه في ذلك وتشتكى إلى الله.

فأنزل الله هذه الآية، ومعنى تجادلك تخاصمك وتراجعك في شأن زوجها⁽⁴⁾،

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب سورة المجادلة، حديث رقم (339).

(2) خولة بنت ثعلبة، قيل خولة بنت حكيم، كانت تحت أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت وفيها نزلت أول آية من سورة المجادلة، وقال عمر بن الخطاب: وهي المرأة التي سمع الله شكوكها من سبع سموات. الاستيعاب (513/2).

(3) أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن الخزرج الأنصاري، شهد بدرًا وأحدًا وسائل المشاهد مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبقي إلى زمن عثمان بن عفان وهو الذي ظاهر من أمراته فوطئها قبل أن يكفر، ت (34هـ)، الاستيعاب (78/1).

(4) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ص (3342/10)، وهي من طريق الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة، حديث رقم (18840).

والتحاور المراجعة في الكلام، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ أي: لما تناجيه وتصرع إليه ﴿بَصِيرٌ﴾ من يشكو إليه.

﴿الَّذِينَ يُظْهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَأَلَهُمْ مَا هُنَّ أُمَّهَتِهِمْ إِنَّ أُمَّهَتِهِمْ إِلَّا الَّتِي
وَلَدُنَّهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَرُزُرًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ عَفُورٌ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ يُظْهِرُونَ
مِنْ نَسَاءِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقْبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَآسَّا ذَلِكُمْ ثُوعَظُونَ بِهِ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٧﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرِيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَآسَّا
فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيَّنًا ذَلِكَ لِثُؤْمُنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨﴾﴾.

وفي مسند أحمد عن يوسف بن عبد الله بن سلام⁽¹⁾، عن خويلة بنت ثعلبة قالت: في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عندك و كان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه، قالت: فدخل علي يوماً فراجعته بشيء، فغضب فقال: أنت علي كظهر أمي. قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل علي فإذا هو يريني عن نفسي قالت: قلت: كلاً، والذي نفسي بيده لا تخلص إلي، وقد قلت ما قلت، حتى يحكم الله ورسوله فيما بحكمه، قالت: فواثبني، فامتنعت منه فغلبته بما تغلب المرأة الشيخ الضعيف فألقيته على، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثياباً، ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «يا خولة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه». قالت: فو الله ما بحرت حتى نزل في القرآن، فتغشى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما يتغشاه ثم سري عنه فقال لي: «يا خولة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآنًا».

ثم قرأ علي ﴿فَدَسَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ
تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ إلى قوله: ﴿أَلِيمٌ﴾. قالت: قال لي رسول الله - صلى

(1) يوسف بن عبد الله بن سلام، صحابي جليل، كنيته يوسف أبو يعقوب، وهو مدنى مجلسه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حجره ووضع يده على رأسه وسماه يوسف، وروى عن عثمان وعلي وأبي الدرداء، روى عنه يزيد بن أبي أميه وابن أبي الهيثم وغيرهم، (ت 43هـ)، تهذيب الأسماء واللغات (728/1).

الله عليه وسلم - : «مرىه فليعتق رقبة» قالت: فقلت يارسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما عنده ما يعتقد، قال: «فليصم شهرين متتابعين» قالت: فقلت والله إنه لشيخ كبير ما به من صيام قال: «فليصدق ستين مسكيناً وسقا من تمر» قالت: فقلت يارسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما ذاك عندك، قال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «فإنا سنعينه بعرق من تمر» قالت: فقلت يارسول الله سأعينه بعرق آخر قال: «قد أصبت وأحسنت فاذبهي فتصدقني به عنه ثم استوصي بابن عمك خيراً» قالت: ففعلت رواه أبو داود⁽¹⁾.

وفي روايته خولة من غير تصغير ولا منافاة بينهما هذا هو الصحيح في سبب نزول صدر هذه السورة، وبه قال ابن عباس والأكثر من: وأما قضية سلمة بن صخر البياضي⁽²⁾ فكانت بعد ذلك والله أعلم.

فقوله: ﴿الَّذِينَ يُظْهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَاءِهِمْ﴾ أصل الظهار مشتق من الظهر، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا ظاهروا أحدهم من امرأته قال لها: أنت على كظهر أمي، ثم في الشرع كان الظهار فيسائر الأعضاء قياساً على الظهر وكان في الجاهلية طلاقاً فأرخص الله - تعالى - لهذه الأمة وجعل فيه كفارة ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتمدونه في الجاهلية، قال سعيد بن جبير: كان الإيلاء⁽³⁾، والظهور من طلاق الجاهلية، فوقت الله الإيلاء أربعة أشهر وجعل في الظهور الكفار، وقد استدل مالك على أن الكافر لا يدخل في هذه الآية بقوله ﴿مِنْكُمْ﴾ فالخطاب للمؤمنين.

وأجاب الجمهور بأن هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له، واستدلوا عليه بقوله: ﴿مِنْ نِسَاءِهِمْ﴾ على أن الأمة لا ظهار منها ولا تدخل في هذا الخطاب.

وقوله: ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَتِهِمْ إِنْ أُمَّهَتُهُمْ إِلَّا أُمَّتُهُمْ وَلَدُنَّهُمْ﴾ أي: لا تصير المرأة بقول الرجل أنت على كأمي، أو مثل أمري، أو كظهر أمري، ونحوه أنه بذلك، إنما

(1) أخرجه أبو داود في سنته، كتاب الطلاق، باب في الظهور، حديث رقم (2214)، وحسن البخاري في صحيح سنن أبي داود حديث رقم (1934).

(2) سلمة بن صخر البياضي بن سلمة بن حaritha بن الخزرجي سكن المدينة، وروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أحاديث كثيرة، وهو أحد البكائين الذين أتو رسول الله، معجم الصحابة (117/3).

(3) الإيلاء: مصدر آلى يؤلو إذا حلف وهي الألية وظاهر الآية يدل على أن إيلاء إلا يجتمعها لم يكن طلاقاً وأنه جعل له انتظار تمام أربعة أشهر لا يطالب فيها بالفيء، الظاهر في غريب ألفاظ الشافعي (3331/1).

أمه التي ولدته، ولهذا ذمهم الله وقال: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكِرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ أي: كلاماً فاحشاً باطلًا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ﴾ أي: عما كان منكم في حال الجاهلية وهكذا أيضاً عما خرج من سبق اللسان، ولم يقصد إليه المتكلم.

كما رواه أبو داود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمع رجلاً يقول لا مرأته يا أختي، فقال: «أختك هي؟»⁽¹⁾ فهذا إنكار، ولكن لم يحرمنها عليه لمجرد ذلك؛ لأنه لم يقصد، ولو قصده لحرمت عليه؛ لأنه لا فرق على الصحيح بين الأم وغيرها من المحارم من أخت، وعمة، وخالة، وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ فَسَادِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ اختلفوا في المراد بقوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾ فقال بعضهم: العود هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره وهذا قول باطل وهو اختيار ابن حزم⁽²⁾.

وقال الشافعي: هو أن يمسكها بعد الظهار زماناً يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق⁽³⁾.

وقال مالك وأحمد: هو العزم على الجماع والإمساك، وأنه الجماع، فلا تحل له حتى يكفر⁽⁴⁾.

وقال أبو حنيفة هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريمها ورفع ما كان عليه في الجاهلية، فمتى ظهر الرجل من امرأته فقد حرمتها تحريماً لا يرفعه إلا الكفارة، وإليه

(1) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطلاق، باب في الرجل يقول لأمرأته يا أختي، حديث رقم (2212)، ضعفه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود، حديث رقم (2210).

(2) القول بأنه العود إلى لفظ الظهار فهو باطل قطعاً لا يصح وإنما يشبه أن يكون من جهةلة ولأن الله تعالى وصفه منكر من القول وزور فكيف يقال له إذا أعدت القول المحرم والسبب المحظور وجبت عليك الكفارة، أحكام لابن العربي (192/4).

(3) مذهب الشافعي أن الظهار هو أن يقول الرجل لأمرأته أنت على كظهر أمي، فإن قال أنت مني أو أنت معندي كظهر أمي وما أشبه ذلك فهو ظهار، وإن قال لا نية لي فليس بظهار، ولو قال إذا نكحتك فأنت على كظهر أمي فننكحها لم يكن متظاهراً، لأن التحريم إنما يقع من النساء، ولو قال أنت طالق كظهر أمي يريد الظهار فهي طالق لأن صرح بالطلاق.الأم لشافعي (203/1).

(4) قول علماء المالكية في العود يوجب أن يحدث منهم شيء والمظاهر لم يطلق في حال ظهاره ولا قبل ذلك فإذا ظاهرا ثم لم يطلق بعد الظهار فهو كما كان لم يحدث منه شيء في الطلاق فيستحيل معنى ثم يعود لأن العائد إنما يعود إلى شيء قد كان فارقه والمظاهر لم يفارق زوجته في حال الظهار ولا قبله ولا بعده وإنما فارق المensis فهو يريد أن يعود فقد وجبت عليه الكفارة في حال انفصل اللفظ في الظهار، أحكام القرآن لأبي إسحاق المالكي (181/1).

ذهب الصحابة⁽¹⁾.

وقال بن جبير: يعني يريدون أن يعودوا إلى الجماع الذي حرموه على أنفسهم. وقال الحسن: يعني غشيان الفرج، وكان لا يرى بأساً أن يغشى فيما دون الفرج قبل أن يكفر⁽²⁾.

وقال ابن عباس: المس: النكاح، يعني: الوطء. وقال الزهري: ليس له أن يقبلها ولا أن يمسها حتى يكفر.

وعن ابن عباس أن رجلاً ظاهر من أمراته فغشيتها قبل أن يكفر فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكر ذلك له فقال: «ما حملك على ذلك» قال يا رسول الله: رأيت بياض حجلها في القمر فلم أملك نفسي أن وقعت عليها فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «وأمره أن لا يقربها حتى يكفر» رواه ابن ماجه وأبوداود والنسائي نحوه وكذا الترمذى وحسنه وصححه⁽³⁾.

فقوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقْبَةٍ﴾ أي: إعناق رقبة كاملة من قبل أن يتماساً فالرقبة هنا مطلقة غير مقيدة بالإيمان وفي كفارة القتل مقيدة به. فالشافعى حمل ما أطلق هنا على ما قيد هناك لا تحاد الموجب وهو عتق الرقبة⁽⁴⁾.

واعتضد في ذلك بما رواه عن مالك بسنته عن معاوية بن الحكم السلمي⁽⁵⁾

(1) الظهار عند الأحناف: وهو أن يتباهي امرأته أو عضواً يعبر به عن بدنها أو جزءاً شائعاً منها لا يحل النظر إليه على التأييد، وحكمه حرمة الجماع ودعويه حتى يكفر فإن جامع قبل التكfer استغفر الله تعالى، والعود الذي يجب به الكفارة أن يعزم على وطئها وبينبغي لها أن تمنع نفسها منه وتطالبه بالكفارة ويجبه القاضي عليها ولو قال أنت على مثل أمي أو كامي فإن أراد الظهار فظهور وإن أراد الطلاق فواحدة باثنة والكفارة عتق رقيق تجزيء، الاختيار لتعليق المختار (37/1).

(2) ولا يحل له أن يطأ حتى يكفر، فإن وطء قبل الكفارة لم تعدد عليه الكفارة. ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (193/4).

(3) أخرجه ابن ماجة في سنته، كتاب الطلاق، باب المجامع يظاهر قبل أن يكفر، حديث رقم (2065)، وأبو داود سنته، كتاب الطلاق، باب في الظهار، حديث رقم (2223)، والنسائي السنن الكبرى، كتاب الطلاق، باب الظهار، (167/6)، والترمذى في سنته، كتاب الطلاق، باب في المظاهر، حديث رقم (1199)، وصححه الترمذى، ووافقه الحاكم في المستدرك (657/1)، حديث رقم (1777).

(4) قول الشافعى (بتحرير الرقبة) دلالة الكلام عليه أي فعليهم تحرير رقبة والمجمع عليه عند العلماء أن قول أنت علىي كظهر أمي منكر من القول وزور فمن قال هذا القول حرم عليه وطء امرأته فمن عاد لما قال لزمه كفارة الظهار، المجموع شرح المهدى (358/17).

(5) معاوية بن الحكم السلمي صحابي جليل نزل المدينة وسكن فيها وروى أحاديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وله صحبة في أهل الحجاز ثم نزل البصرة وقيل مات بخرسان وقد روى معاوية السلمي ثلاثة عشر حديثاً وقد روى الإمام مسلم بعض هذه الأحاديث، الإصابة (102/3)، وتهذيب الأسماء واللغات (636/1).

في قصة الجارية السوداء، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (أعتقها فإنها مؤمنة) رواه مسلم^(١).

وقوله: ﴿ذَلِكُمْ شُوَاعْظُونَ بِهِ﴾ أي: تزجرون وتؤمرنون به ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ حَبِير﴾ أي: خبير بما يصلحكم عليم بأحوالكم قوله: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصَيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ الآية مفسراً بما سبق في الحديث ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: شرعننا هذا قوله: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: محارمه فلا تنتهكونها.

وقوله: ﴿وَلِلْكُفَّارِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: الذين لم يؤمنوا ولم يلتزموا بأحكام هذه الشريعة، لا تعتقدوا أنهم ناجون من البلاء بل لهم عذاب أليم؛ في الدنيا والآخرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِّشُوا كَمَا كُبِّشَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْتُمْ بَيْنَنَتِ وَلِلْكُفَّارِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يوم يبعثهم الله جميعاً فينبعثهم بما عملوا أحصنهه الله ونسوه والله على كل شئ شهيد^(٢) ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكعون من تجوى ثلاثة إلا هو ربهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا آدنى من ذلك ولا أكتر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبعثهم بما عملوا يوم القيمة إن الله يكيل شئ علىهم^(٣).

أخبر - تعالى - عمن شاقوا الله ورسوله وعاندوا شرعه أنهم ﴿كُبِّشُوا﴾ أي: أهينوا ولعنوا وأخذوا كما فعل بأشيائهم من كان قبلهم ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْتُمْ بَيْنَنَتِ﴾ أي واضحات لا مخالفات ولا يعاندها إلا كافر فاجر مكابر ﴿وَلِلْكُفَّارِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: في قبالة ما استكبروا من اتباع شرع الله والانقياد له والخضوع لديه.

ثم قال: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ وذلك يوم القيمة يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: فيخبرهم بما صنعوا من خير وشر.

﴿أَحْصَنَهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ أي: ضبطه الله وحفظه عليهم وهم قد نسوا بما كانوا

(1) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب العتق واللواء، باب ما يجوز من العتق في الرقبة الواجبة، (595/2) حديث رقم (8) ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إياحته، حديث رقم (537).

عملوا ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: لا يغيب عنه شيء ولا يخفى ولا ينسى شيئاً ثم قال - تعالى - مخبراً عن إحاطة علمه، واطلاعه عليهم وسماعه كلامهم، ورؤيه مكانهم حيث كانوا وأين كانوا فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادُسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَئِنَّ مَا كَانُوا﴾ أي: مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرّهم ونجواهم ورسله أيضاً مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له كما قال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَنَّهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾⁽¹⁾.

وقال: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَنَّهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾⁽²⁾، قال: ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه - تعالى - ولا شك في إرادة ذلك، ولكن سمعه أيضاً مع علمه بهم وبصره نافذ فيهم فهو مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمرهم شيء.

ثم قال: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ قال الإمام أحمد: افتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَجُونَ بِالْإِلَهِمْ وَالْعُدُوِّنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحِيطَكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيُنَسِّ الْمَصِيرُ﴾⁽³⁾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَجُوا بِالْإِلَهِمْ وَالْعُدُوِّنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجِجُوا بِالْبَرِّ وَالْقَوْمِ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُخَشِّرُونَ⁽⁴⁾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْرُنَ الَّذِينَ ءامَنُوا وَلَيُسَارِعُهُمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

قال مجاهد: هم اليهود⁽³⁾، وذلك أنه كان بين النبي - صلى الله عليه وسلم - وبين اليهود موادعة، وكانوا إذا مرّ بهم رجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه

(1) سورة التوبة الآية/78.

(2) سورة الزخرف الآية/80.

(3) جامع البيان (470/22)، وتفسير ابن كثير (42/8).

وسلم - يتاجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتاجون بقتله أو بما يكره المؤمن، فإذا رأى المؤمن ذلك خشיהם فترك طريقه عليهم، فنهاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - عن النجوى فلم ينتهو وعادوا إلى النجوى، فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ الْمَجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ وعن أبي سعيد الخدري قال: كنا نتائب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نبيت عنده يطرقه من الليل أمر وتبدو له حاجة.

فلما كانت ذات ليلة كثُر أهل النواب والمحتسبون حتى كنا أندية نتحدث، فخرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: «ما هذه النجوى؟ ألم تنتهو عن النجوى» فقلنا تبنا إلى الله رسول الله، إنّا كنا في ذكر المسيح فرقاً منه، فقال: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه؟» قلنا: بلّى يا رسول الله! قال: «الشرك الخفي أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل» حديث ضعيف رواه ابن أبي حاتم⁽¹⁾.

وقوله: ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِلَّاثِ وَالْعُدُوَانِ﴾ أي: يتحدثون فيما بينهم ﴿بِالْإِلَّاثِ﴾ وهو ما يختص بهم ﴿وَالْعُدُوَانِ﴾ وهي ما يتعلق بغيرهم، ومنه معصية الرسول - عليه السلام - ومخالفته يصرؤون عليها ويتراءون بها.

وقوله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحِيطَكَ بِهِ اللَّهُ﴾ عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقالت عائشة: وعليكم السام قالت: فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (يا عائشة إنَّ الله لا يحب الفحش ولا التفاح) قلت: ألا تسمعهم يقولون السام عليك؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أو ما سمعت أقول وعليكم) فأنزل الله ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحِيطَكَ بِهِ اللَّهُ﴾ رواه ابن أبي حاتم⁽²⁾.

وفي الصحيح عن عائشة - رضي الله عنها - نحوه وفي رواية فيه أنها قالت لهم: عليكم السام والذام واللعنة، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إنه

(1) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3343/10)، والإمام أحمد في مسنده (355/17)، حديث رقم (11252)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن بن ما جه (204/9) حديث رقم (4204).

(2) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3343/10)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، حديث رقم (1265).

يستجاب لنا فيهم، ولا يستجاب لهم فينا)⁽¹⁾.

وقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ أي: يفعلون هذا ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السلام، وإنما هو شتم في الباطن، ومع هذا يقولون في أنفسهم لو كاننبياً لعذبنا الله بما نقول له في الباطن بالعقوبة في الدنيا لأن الله يعلم تفسيره فقال تعالى: ﴿ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ أي: جهنّم كفایتهم في الآخرة ﴿ يَصْلُوْنَهَا قَيْئَسَ الْمَصِيرُ ﴾ أي: جهنّم لهم.

وقال ابن عباس: كان المنافقون إذا حيوا يقولون: السام عليك⁽²⁾. قال: الله حسبهم، ثم قال الله: مؤدياً عباده المؤمنين أن لا تكونوا مثل الكفرة والمنافقين: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدُوْنِ ﴾ أي: كما يتاجا به الكفرة من أهل الكتاب، ومن مالاهم على ضلالهم من المنافقين ﴿ وَتَنَجَّوْا بِالْبَرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أي: فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي قد أحصاها عليكم وسيجزيكم بها.

في الصحيحين عن صفوان بن محرز⁽³⁾ قال: كنت آخذًا بيد بن عمر إذ عرض له رجل قال: كيف سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول في النجوى يوم القيمة؟

قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إِنَّ اللَّهَ لِي دُنْيَا الْمُؤْمِنِ فِي ضُعْفٍ كَنْفَهُ وَيُسْتَرِهُ مِنَ النَّاسِ وَيُقْرِرُهُ بِذُنُوبِهِ وَيَقُولُ لَهُ: أَتَعْرَفُ ذَنْبَكَ ذَذْنَبَكَ؟ أَتَعْرَفُ ذَنْبَكَ ذَذْنَبَكَ؟ حَتَّىٰ إِذَا قَرَرَهُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ قَالَ: فَإِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ يُعْطِي كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُقُولُ

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين، حديث رقم (6395)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، حديث رقم (1264).

(2) ينظر: جامع البيان (470/22)، ومعالم التنزيل (55/8).

(3) صفوان بن محرز المازني البصري العابد أحد الأعلام، حدث عن أبي موسى الأشعري وعمران بن حصين وحكيم بن حزم، روى عنه جامع شرار وبكر المزنبي وقتادة وثبت، كان واعظاً فانتا الله، وكان كثير الصيام والقيام وكان زاهداً في الدنيا، (ت 74هـ)، سير أعلام النبلاء (286/4).

الأشهاد»: ﴿ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾⁽¹⁾.

ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْتَّجَوَى مِنَ الشَّيْطَنِ ﴾ أي: إنما النجوى وهي المسارة حيث يتوهم مؤمن بها سوءاً ﴿ مِنَ الشَّيْطَنِ لِيَحْرُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يعني: إنما يصدر هذا من المتجاجين عن تسوييل الشيطان وتربيته ﴿ لِيَحْرُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أي: ليسوا هم وليس ذلك بضارتهم شيئاً إلا بإذن الله، ومن أحسن من ذلك شيئاً فليستعد بالله ولি�توكل على الله فإنه لا يضره شيء إلا بإذن الله، وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتاجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه»⁽³⁾.

وعن ابن عمر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتاجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه فإن ذلك يحزنه» انفرد به مسلم⁽⁴⁾.

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَlis فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴾⁽⁵⁾.

قال - تعالى - مؤدياً عبادة المؤمنين أمراً لهم أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا ﴾ أي: توسعوا ﴿ فِي الْمَجَlis فَأَفْسَحُوا ﴾ أي: أوسعوا فقال: فسح يفسح فسحاً إذا أوسع في المجلس ﴿ يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ أي: يوسع الله لكم في مجالس الجنة، وذلك أن الجزء من جنس العمل كما جاء في الحديث الصحيح «من بنى الله مسجداً بنى الله له بيته في الجنة»⁽⁵⁾ ولهذا أشباه

(1) سورة هود الآية/18.

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب «وَيَقُولُ الْأَشْهُدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا» حديث رقم (4685)، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبه، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، حديث رقم (2768).

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة، حديث رقم (6290)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الإثنين دون الثالث بغير رضاه، حديث رقم (2184).

(4) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الإثنين دون الثالث بغير رضاه، حديث رقم (2183).

(5) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب من بنى الله مسجداً، حديث رقم (450) ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب فضل بنا المساجد والحمد عليها، حديث رقم (533).

كثيرة، وقال قتادة: نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً ضئلاً بمحالسهم عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض⁽¹⁾ قال مقاتل ابن حيّان⁽²⁾: نزلت هذه الآية ل يوم الجمعة وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذ في الصفة وفي المكان ضيق، فجاء ناسٌ من أهل بدر وكانوا مكرمين.

وقد سبقوا في المجلس فقاموا حيال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: السلام عليك، فرد عليهم النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم سلموا على القوم فرددوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشقاً على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: لمن حوله «قم يا فلان وأنت يا فلان فأقام من المجلس بقدر النفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي - صلى الله عليه وسلم - الكراهة في وجوههم»⁽³⁾ فأنزل الله هذه الآية يوم الجمعة، وفي الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن افسحوا وتوسعوا»⁽⁴⁾ وفي رواية أحمد «ولكن افسحوا يفسح الله لكم»⁽⁵⁾.

وفي جواز القيام للوارد إذا جاء أقوال أحدها أنه يجوز لحديث: «قوموا إلى سيدكم»⁽⁶⁾ والثاني لا يجوز لحديث: «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوا مقعده

(1) جامع البيان (22/477)، وتفسير مجاهد (650)، وتفسير ابن كثير (45/8).

(2) مقاتل بن حيان بن رواي الإمام العالم المحدث الثقة حدث عن الشعبي ومجاده والضحاك وعكرمة، روى عنه شيخه عقمة بن مرثد وإبراهيم بن أدهم وعبد الله بن المبارك هرب من خرسان بن أبي مسلم صاحب الدولة توفي في سنة (150هـ). سير أعلام النبلاء (341/6).

(3) رواه قطب في ظلال القرآن (1/294) رقم الحديث (833).

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، باب «إذا قيل لكم تَقَسَّحُوا فِي الْمَجَlis فَافْسَحُوا»⁽¹⁾ حديث رقم (6270)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه، حديث رقم (2177).

(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (2/483)، حديث رقم (10271)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها (216/6).

(6) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب إذا نزل العدو على حكم رجل، حديث رقم (3043)، ومسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب جواز قتال من نقض العهد، حديث رقم (1768).

من النار»⁽¹⁾ والثالث التفصيل وهو أنه يجوز لمن قدم من سفر للحاكم في محل ولايته كما دل عليه قصة سعد بن معاذ حين حكمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيبني قريظة فطلبها فلما رأه مقبلاً قال للمسلمين: «قوموا إلى سيدكم» وما ذاك إلا ليكون أنفذ حكمه، وأمّا اتخاذه عادة فإنه شعار العجم، وكانوا يومئذ غير مسلمين فمخالفتهم أولى وقد جاء في السنن أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان إذا جاؤه لا يقومون له لما يعلمون من كراحته لذلك»⁽²⁾.

وفي السنن أنه - عليه الصلاة والسلام - كان يجلس حيث انتهى به المجلس ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس، وكان الصحابة يجلسون منه على مراتبهم، كالصديق يجلس عن يمينه وعمر عن يساره، وبين يديه غالباً عثمان وعلى لأنهما كانا يكتبان الوحي، وكانا يأمرهما بذلك.

كما روى ابن مسعود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: «ليليوني منكم أولوا الأحلام والنهي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» رواه مسلم⁽³⁾ وما ذاك إلا ليعلموا عنه ما ي قوله من أحكام الشرع، وآدابه و دقائقه، وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا يحل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما» رواه أحمد وأبوداود والترمذى وحسنه⁽⁴⁾.

قال ابن عباس وغيره أي: فافسحوا في مجالس الحرب⁽⁵⁾ ومعنى: ﴿وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَادْشُرُوا﴾ إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا .

وقال ابن زيد: كانوا يكثرون عند النبي - صلى الله عليه وسلم - في بيته

(1) أخرجه أبو داود في سننه، باب في قيام الرجل للرجل، حديث رقم (5229)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4357).

(2) أخرجه الترمذى في سننه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في كراهة قيام الرجل للرجل، حديث رقم (2756) وصححه الألبانى في صحيح سنن الترمذى، حديث رقم (2211).

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها، حديث رقم (432).

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (576/1)، وأبو داود في سننه، كتاب الآداب، باب في تنزيل الناس منازلهم، حديث رقم (4845) والترمذى في سننه، كتاب الآداب، باب ما جاء في كراهة الجلوس بين رجلين بغير إذنهما، حديث رقم (5753)، وصححه الترمذى، ووافقه الألبانى في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4054).

(5) ينظر: جامع البيان (478/22)، والنكت والعيون (492/5)، وتفسير ابن كثير (48/8).

ويحبون أن يلبثوا طويلاً، فربما يشق ذلك عليه فأمروا أنهم إذا أمروا بالانصراف أن ينصرفوا بلا مكث ك قوله: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ أَرْجِعُوكُمْ هُوَ أَرْبَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيهِ﴾⁽¹⁾.

وقوله: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْكُمْ﴾ أي: لا تعتقدوا أنه إذا تفسح منكم أحدٌ لأخيه إذا قبل أو أمر بالخروج والانصراف فخرج، أن يكون ذلك نقصاً في حقه بل هو رفعة ورتبة عند الله، والله لا يضيع ذلك له، بل يجزيه بها في الدارين فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكره، ولهذا قال: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ أي: بمن يستحق ذلك ممن لا يستحقه وقد ذكرنا فضل العلم وأهله في شرح صحيح البخاري في كتاب العلم والله أعلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ظَاهَرُوا إِذَا نَجَحْيُتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَنَّكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَظْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾⁽²⁾ ﴿أَشْفَقْتُمُ أَنْ تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَنَّكُمْ صَدَقَتِ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الْزَّكُوَةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

أمر - تعالى - عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن ينادي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أي: يساره فيما بينه وبينه، أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهيره وتزكيته وتؤهله؛ لأن يصلح لهذا المقام، ولهذا قال ذلك: أي تقديم الصدقة ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ﴿وَأَظْهَرُ﴾، ثم قال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا﴾ أي: فمن عجز عن ذلك لفقره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فإن ما أمر بها إلا من قدر عليها .

ثم قال: ﴿أَشْفَقْتُمُ أَنْ تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَنَّكُمْ صَدَقَتِ﴾ أي: أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول. ﴿فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا﴾ أي: ما أمرتم ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: تجاوز عنكم وخفف ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: المفروضة ﴿وَءَاتُوا الْزَّكُوَةَ﴾ الواجبة.

(1) سورة النور الآية/28.

﴿وَأَطِيعُوا أَللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَأَللّٰهُ حَبِّرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فنسخ وجوب ذلك عنهم، وقد قيل: إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- قدم ديناراً صدقة فتصدق بها، ثم ناجى النبي - صلى الله عليه وسلم-، فسأله عن عشر خصال ثم أنزلت الرخصة، وعن مجاهد قال: قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه-: آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد بعدي، كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم، فكنت إذا ناجيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- تصدقت بدرهم، فنسخت لم يعمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي، ثم تلا هذه الآية⁽¹⁾.

وعن علي - رضي الله عنه- قال: لما نزلت هذه الآية قال النبي - صلى الله عليه وسلم-: «ما ترى ديناراً؟» قال: لا تطيقونه، قال: «نصف دينار» قال: لا تطيقونه، قال: «ما ترى»؟ قال: شعيرة. فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم-: «إنك الزهيد» رواه بن جرير والترمذى مثله⁽²⁾، قال علي: فبقي خفف الله عن هذه الأمة. ومعنى قوله شعيرة: وزن شعيرة من ذهب.

وقال ابن عباس: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عنه فلما قال ذلك جبن كثيرون من المسلمين وكفوا عن المسألة⁽³⁾.

فأنزل الله بعده: ﴿عَاشَفَقْتُمْ أَنْ تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَلَكُمْ صَدَقَتِيْ قَإِذَ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ أَللّٰهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاثُوا الْزَّكُوَةَ﴾ فوسّع الله عليهم ولم يضيق، قال قتادة: ما كانت إلا ساعة من نهار فنسخت⁽⁴⁾.

﴿أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ تَوَلُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءُ مَا كَانُوا

(1) ينظر: تفسير ابن كثير (50/8).

(2) رواه ابن جرير في تفسيره (22)، والترمذى في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة المجادلة، حديث رقم (3300) وضعفه الألبانى في ضعيف سنن الترمذى، حديث رقم (652).

(3) جامع البيان (484/22)، وتفسير ابن كثير (50/8).

(4) ينظر: معلم التنزيل (61/8)، والدر المنثور (337/14).

يَعْمَلُونَ ﴿٥﴾ أَتَخْدُو أَيْمَنَهُمْ جُنَاحَةً فَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أُولَدُهُمْ مِنْ أَنَّ اللَّهَ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ ﴿٧﴾ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿٨﴾ أَسْتَحْوِذُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَدْسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ .

أنكر - تعالى - على المنافقين وموالاتهم الكفار في الباطن وهم في نفس الأمر لا معهم ولا مع المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿مَذَبَّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾⁽¹⁾.

قال: ﴿أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ يعني: اليهود الذين كان المنافقون يمالونهم ويوالونهم في الباطن.

ثمَّ قال: ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ هؤلاء المنافقون ليسوا في الحقيقة منكم أيُّها المؤمنون، ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود، ثمَّ قال: ﴿وَيَحْلِفُونَ﴾ أي: المنافقون ﴿عَلَى الْكَذِبِ﴾ وهم عالمون أنَّهم كانوا ينفون فيما حلفوا به وهي اليمين الغموس، لا سيما في مثل حالهم لأنَّهم لا يعتقدون صدق ما قالوه وإنْ كان في نفس الأمر مطابقاً، ولهذا شهد الله بكذبهم في إيمانهم وشهادتهم لذلك، ثمَّ قال: ﴿أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ رصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الأليم على أعمالهم السيئة وهي موالة الكافرين ومعاداة المؤمنين، وغشُّهم، ولهذا قال: ﴿أَتَخْدُو أَيْمَنَهُمْ جُنَاحَةً فَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: أظهروا الأيمان وأبطنوا الكفر واتقوا بالأيمان الكاذبة، فيظن كثير من لا يعرف حقيقة أمرهم فاغترَّ بهم، فحصل بهذا صدٌّ عن سبيل الله لبعض الناس ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: في مقابلة ما امتهنوا من الحلف باسم الله العظيم في الإيمان الكاذبة الحانثة، ثمَّ قال: ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أُولَدُهُمْ مِنْ أَنَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ أي: لن يدفع ذلك عنهم بأيّاً إذا جاءهم ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ﴾.

(1) سورة النساء الآية/143.

ثم قال: ﴿يَوْمَ يَعْنَتُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: يحشرهم يوم القيمة جميعاً لا يغادر منهم أحداً ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ وَكَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: يحلرون بالله أنهم كانوا في الدنيا على الهدى والاستقامة كما كانوا يحلرون للناس في الدنيا؛ لأن من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه، ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما ينفعهم عند الناس، فيجررون عليهم الأحكام الظاهرة.

ولهذا قال: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: حلفهم ذلك لربهم، قال منكراً عليهم حسابهم ذلك: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَذِيبُونَ﴾ فأكذب الخبر عنهم بالكذب.

وعن ابن عباس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان في ظل حجرة من حجره وعنه نفر من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظل قال: «إِنَّه سِيَّاتِكُمْ إِنْسَانٌ يَنْظُرُ بَعْنَيْ شَيْطَانٍ فَإِذَا أَتَاكُمْ فَلَا تَكْلُمُوهُ» فجاء رجل أزرق فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكلمه فقال: «عَلَمْ تَشْتَمِنِي أَنْتُ وَفَلَانُ وَفَلَانُ وَفَلَانُ» نفر دعاهم فحلوا له واعتذروا إليه فأنزل الله ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ وَكَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ الآية رواه أحمد وابن أبي حاتم ولابن جرير نحوه⁽¹⁾ وحال هؤلاء كما أخبر - تعالى - عن المشركين حيث قال: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتَّنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾⁽²⁾ ثم قال: ﴿ أَسْتَحْوِذُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَلُنُ ﴾ أي: غالب واستولى على قلوبهم الشيطان حتى أنساهم أن يذكر الله وكذلك يصنع من استحوذ عليه.

كما روي أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «ما من ثلاثة في قرية ولا بدولا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية» رواه أبو داود⁽³⁾، يعني: الصلاة في الجماعة.

ثم قال: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَلِنَ﴾ يعني: الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله. ثم قال: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَلِنَ هُمُ الْخَلِسُرُونَ ﴾⁽⁴⁾ أي: في الدارين.

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (231/4)، حديث رقم (2407)، وابن أبي حاتم في تفسيره (10/10)، وابن جرير في تفسيره (489/22).

(2) سورة الأنعام الآية/23.

(3) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجماعة، حديث رقم (547) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود حديث رقم (511).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَاجِدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلِينَ ﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرَسُولِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ أَلِيمَنَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

أُخبر تعالى عن الكفار المعاندين المحاذين لله ورسوله؛ يعني: الذين هم في حد الشرع في حد، أي: مجانبون للحق مساقون له هم في ناحية والهدي في ناحية ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذْلِينَ﴾ أي: في الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الأذلين في الدارين.

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرَسُولِي﴾ أي: قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل، بأن النصرة له، ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدارين وأن العاقبة للمنقين ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: كتب القوي العزيز أنه الغالب على أعدائه، وهذا قدر محكم وأمر مبرم أن العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة، ثم قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: لا يوادون المحاذين ﴿وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ ولو كانوا من الأقربين.

كما قال ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَنَقُّوا مِنْهُمْ ثُقَّلَةٌ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾⁽¹⁾.

قال: بعضهم نزلت هذه الآية ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح⁽²⁾ حين قتل أبياه يوم بدر.

ولهذا قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين جعل أمر الخلافة شورى بعده في أولئك الستة، ولو كان ابن عبيدة حيًّا لاستخلفته.

(1) سورة آل عمران الآية/28.

(2) عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن الحارث بن فهر بن مالك أحد السابقين الأولين ومن عزم الصديق على توليه الخلافة يجتمع في النسب هو والنبي - صلى الله عليه وسلم - في فهر شهد له النبي بالجنة وسماته أمين الأمة روى أحاديث كثيرة، أسد الغابة (125/3).

وقيل في قوله: ﴿ وَلَوْ كَانُوا أَبَاءَهُمْ ﴾ نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر ﴿ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ في الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن ﴿ أَوْ إِخْوَانَهُمْ ﴾ في مصعب ابن عمير، قتل أخيه عبيد بن عمير⁽¹⁾ ﴿ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ في عمر قتل قريباً له يومئذ أيضاً، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ.

قال الشيخ: ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسلمين في أسرى بدر، فأشار الصديق بأن يفadوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة المسلمين، وهم بنو العム والعشيرة، ولعل الله أن يهدىهم.

قال عمر: لا أرى ما رأى، يارسول الله بل مكنتني من فلان قريب لعمر فاقتله وتمكن علياً من عقيل، وتمكن فلاناً من فلان ليعلم الله ليست في قلوبنا مودة للمشركين القصة بطولها⁽²⁾.

وقوله: ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ أي: من اتصف بأنه لا يوادّ من حاد الله ورسوله ولو كانوا أباً أو أخيه، فهو من كتب الله في قلبه الإيمان.

قال ابن عباس: ﴿ وَأَيَّدَهُمْ ﴾ أي: قواهم⁽³⁾ ﴿ بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ أي: بنصر منه. وقال الحسن: سمي نصره إياه روحًا لأن نصرهم يحيي به⁽⁴⁾.

وقيل أي: الإيمان بالقرآن وحججه وقيل عبر بمثل.

وقوله: ﴿ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَلْأَنَّهَا سُبْقُ تَفْسِيرِهَا غَيْرَ مَرَّةٍ. ﴾ الآية سبق تفسيرها

(1) عبيد بن عمير بن قتادة بن سعد بن عامر بن جندع بن كانانة الليبي يكنى أبا عاصم، قاضي أهل مكة وهو معروف في كتاب التأطيف، روى عن عمر وغيره، مكي ثقة، مات سنة (68هـ) الإصابة في تمييز الصحابة ..(60/5)

(2) أخرجه الإمام أحمد، كتاب المسند (335/1) حديث رقم (208)، وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (682/10) حديث رقم (29939).

(3) جامع البيان (22/494)، النكث والعيون (496/5).

(4) النكث والعيون (496/5).

وفي قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ لطيفة وهوانة لما سخطوا على القراء والشعائر في الله عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفضل العميم.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أي: هؤلاء عباد الله وأهل كرامته.

وفي قوله: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ تلميح بفلاتهم وسعادتهم ونصرتهم في الدارين في مقابلة ما أخبر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان.

ونقل أن أبي حازم الأعرج كتب إلى الزهري اعلم أن الجاه جahan: جاء يجريه الله على أيدي أوليائه لأوليائه، وأنهم الخامل ذكرهم الخفية شخوصهم.

ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَخْفِيَاءِ الْأَتْقِيَاءِ الْأَبْرِيَاءِ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يَفْقَدُوا، وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يَدْعُوا قُلُوبَهُم مَصَابِيحَ الْهُدَىٰ، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ فَتَةٍ سُودَاءَ مُظْلَمَةً» فهؤلاء أولياء الله الذين قال الله: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ رواه ابن أبي حاتم⁽¹⁾.

وعن الحسن قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الله لا يجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يداً ولا نعمة، فإني وجدت فيما أوحيته إلى) ⁽²⁾ ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤَدِّوْنَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قال سفيان: قيل: إنها نزلت في من يختلط السلطان.

(1) لم أقف عليه عند ابن أبي حاتم، ووقفت عليه في سنن ابن ماجه، باب من ترجى له السلام من الفتنة، حديث رقم (4124)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (484/1)، حديث رقم (4839).

(2) رواه الزياعي في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في تفسير الكشاف (432/3)، حديث رقم (1314).

تفسير سورة الحشر

وهي مدنية

عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس فبمن أنزلت سورة الحشر؟ قال: أنزلت في بني النضير⁽¹⁾ وفي رواية قلت لابن عباس سورة الحشر، قال: قل سورة بني النضير. رواه البخاري⁽²⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيْرِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوكُمْ وَظَنَنْتُمْ أَنَّهُمْ مَانِعُتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوكُمْ وَقَدَّفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَةُ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ يَأْتِيَهُمْ وَأَيْدِيَ الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَتَأْوِلُ الْأَبْصَرُ ﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أَصْوِلِهَا فَيَادِنُ اللَّهُ وَلِيُخْزِي الْفَسِيقِينَ ﴾ .

أخبر تعالى أن جميع ما في السموات وما في الأرض من شيء يسبح له ويمجد ويفدسه، ويصلبي له ويوحده.

كما قال: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّمِيعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنَ لَا تَفْقُهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِلَهٌ وَكَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾⁽³⁾ قوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: منيع الجناب ﴿الْحَكِيمُ﴾ في قدره وشرعه قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: يهود بني النضير⁽⁴⁾. قاله ابن عباس

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، حديث رقم (4029)، ومسلم في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، حديث رقم (3031).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الحشر، حديث رقم (4883).

(3) سورة الإسراء الآية/44.

(4) جامع البيان (496/22)، النكث والعيون (498/5).

وغير واحدٍ وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما قدم المدينة هادنهم، وأعطاهم عهداً وذمة على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلونه، فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه فأحل الله بهم بأسه الذي لا يردّ، وأنزل عليهم قضاءه الذي لا يصدُّ فأجلهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخرجهم من حصنهم الحصينة التي ما طمع فيها المسلمون، وظنَّ اليهود أنَّها ما نعترض لهم من بأس الله، فما أغنَى عنهم من الله شيئاًً وسيرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأجلهم من المدينة فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات⁽¹⁾ من أعلى الشام وهي أرض المحشر والمنشر، ومنهم طائفة ذهبوا إلى خير، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد أجلاهم عنها، على أن لهم ما حملت إبلهم، وكانت يقلعون ما في بيوتهم من المنقولات التي لا يمكن أن تحمل معهم، ولهذا قال: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِيَ الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَتَأْوِلُ الْأَبْصَرِ﴾ تفكروا في عاقبة من خالف أمر الله وأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - وكذب كتابه كيف يحلُّ به من بأسه المخزي له في الدنيا مع ما يذكره له في الآخرة من العذاب الأليم.

وملخص غزوة بنى النضير مما ذكره أصحاب المغازي والسير أنَّه لِمَا قُتل أصحاب بئر معونة - رضي الله عنهم - وكانت سبعين من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأفلت منهم عمرو بن أمية الضمري⁽²⁾، فلما كان في أثناء الطريق راجعاً إلى المدينة قُتل رجليْن من بنى عامر، وكان معهما عهداً من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمان لم يعلم به عمرو، فلما رجع أخبر بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «قتلت رجليْن لابد من ديتهم»⁽³⁾ بين بنى النضير وبين بنى عامر حلفٌ وعهْدٌ فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بنى النضير يستعينهم في

(1) أذرعات بالفتح ثم السكون وكسر الراء وعين مهملة وألف وتناء كأنه جمع أذرعة جمع قلة وهو بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان، وقال الحافظ أبو القاسم أذرعات مدينة بالبلقاء. معجم البلدان (1/130).

(2) عمرو بن أمية بن خوييل الضمري، ابن عبد الله بن إياس بن عبيد بن كعب بن كنانة بعثه النبي - صلى الله عليه وسلم - عينا إلى قريش فحمل حبيب، أسلم وهو من مهاجرة إلى الحبشة ثم هاجر إلى المدينة شهد بدرًا وأحدًا. أسد الغابة (4/181).

(3) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة، باب في خبر النضير، حديث رقم (3004)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (2595).

ديّة ذينك الرجلين وكانت منازل بني النضير بظاهر المدينة على أميال منها شرقها.

قال محمد ابن اسحاق: في كتابه السيرة ثم خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بني النضير يستعينهم في ديّة ذينك القتيلين من بني عامر الذين قتلهم عمرو بن أمية للجوار الذي كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عقد لهم.

فلما أتاهم وطلب إليهم قالوا نعم: يا أبا القاسم نعينك على ما أحبت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعضٍ وقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى جنب جدار يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرةٌ فيريحا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحش⁽¹⁾ بن كعب أحدهم فقال: أنا لذلك، فصعد ليقي عليه صخرةً وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في نفر من الصحابة فيهم أبو بكر وعمر وعليٍّ - رضي الله عنهم - فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة. من غير أن يعلم الصحابة فلما استتبوا⁽²⁾ قاموا في طلبه فلقوه رجلاً مقبلاً من المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيته داخلاً إلى المدينة.

فأقبل أصحابه حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت الغدر به، وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالتهيؤ لحربيهم والمسير إليهم.

ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقطع النخل والتحرق فيها، فنادوه أن يا محمد قد كنت تتهي عن الفساد وتعييه على من يصنعه، فما بال قطع النخل وتحريقه؟

وقد كان رهط من بني عوف من الخرج منهم عبد الله بن أبي ابن سلول، ووديعة⁽³⁾، ومالك بن أبي قوقل⁽¹⁾، وسويد، وداعس قد بعثوا إلى بني النضير أن

(1) الصواب كما ورد في تفسير ابن كثير (جحش) وليس كما في المخطوط (جاش).

(2) استتبوا: أي تلبثوا في الأمور والنظر والشيء وفيه تدبره وأعاد النظر فيه مرّة بعد أخرى ليستقيه، المعجم الوسيط (27/1).

(3) ودية بن عمرو بن جراد بن الجهنوي، وقال الكلبي: ودية بن عمرو بن يسار بن عوف بن جراد بن طحيل حليف لبني سواد بن مالك النجار. أسد الغابة (413/5).

اثبتو وتمنعوا، فإننا لن نسلمكم إن قاتلتم قاتلنا معكم، وإن خرجمت خرجنا معكم، فترصعوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقدف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يجليلهم ويكتف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلاقة يعني: السلاح ففعلوا فاحتملت من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل يهدم بيته عن إيجاف بابه فيضعه على ظهر عيده فينطلق به، فخرجوا إلى خير، ومنهم من سار إلى الشام وخلوا الأموال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكانت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلّا سهل بن حنيف⁽²⁾ وأبا دجابة⁽³⁾ - سمّاك بن خرشة - ذكرًا فقرأ فأعطاهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يُسلم من بني النضير إلّا رجلان: يامين بن عمر بن كعب⁽⁴⁾ ابن عم عمرو بن جحش، وأبو سعيد بن وهب⁽⁵⁾ أسلمَا على أموالهما فأحرزاها.

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليامين: «ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأنى»⁽⁶⁾ فجعل يامين بن عمير لرجل على أن يقتل عمرو بن حشاش فقتله، ونزل فيبني النضير سورة الحشر بأسرها، هكذا قال ابن إسحاق.

(1) هو النعمان بن ملك بن ثعلبة بن فهر بن ثعلبة بن قوقل واسمها غنم بن عوف وقوقل لقب لثعلبة بن أحمر نسب النعمان إلى جابر وأبو صالح أبو صالح عنه لم يدركه تهذيب الأسماء (166/2).

(2) سهيل بن حنيف بن وهب بن ثعلبة بن مجدة بن الحارث بن خنساء وهو أنصاري يكنى أبا سعيد شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو الذي ثبت مع رسول الله حين انهزم الناس ومات سهيل بالكوفة سنة ثمان وثلاثين، ت (38هـ) سير أعلام النبلاء (325/2)، وأسد الغابة (572/2).

(3) أبو دجابة الأنباري سمّاك بن خرشة بن لوزاً بن زيد الساعدي، كان يوم أحد عليه عصابة حمراء يقال: أخي النبي - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين عتبة بن غزوان ثبت بن دجابة يوم أحد مع النبي وبايده على الموت وهو من شارك في قتل مسلمة الكذاب واستشهد يومئذ، (ت 12هـ)، سير أعلام النبلاء (1/243).

(4) يامين بن عمير بن كعب بن عمر منبني النضير أسلم وحسن إسلامه وهو من كبار الصحابة ونزلت آية من سورة الحديد فأسلم ومن معه، أسد الغابة (434/5).

(5) أبو سعيد بن وهب القرطي نسب إلى قريظة، نزل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم قريظة فأسلم، وقال أبي سعيد بن وهب أن أباه قال شهدت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقضي في سبيل مهزور ورأه هاهنا قرظياً أو نضرياً وإنما نسبه في الأنصار بالحلف لأن قريظة والنضير حلفاء الأنصار، أسد الغابة (141/6).

(6) ينظر: السيرة النبوية لأبن هشام (192/2).

فقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ يعني: بني النضير ﴿ مِنْ دِيْرِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ قال ابن عباس: من شك أن أرض المحشر هنا؛ يعني: الشام فليقرأ هذه الآية رواه ابن أبي حاتم⁽¹⁾.

وقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أخرجوا» قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر»⁽²⁾.

وعن الحسن قال: لما أجلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بني النضير قال: «هذا أول الحشر وأنا على الأثر» رواه ابن جرير⁽³⁾.

وقوله: ﴿ مَا ظَلَّنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ﴾ أي: في مدة حصاركم لهم وقصرها وكانت ستة أيام مع شدة حصونهم ومنعها.

ولهذا قال: ﴿ وَظَلَّنُوا أَنَّهُمْ مَانِعُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ أي: جاءهم من أمر الله ما لم يكن في بال كما قال في آية أخرى: ﴿ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴽ ٦١﴾⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿ وَقَدَّافٌ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبُ ﴾ قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراد منهم، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم وأن يخرجهم من أرضهم إلى أرض أخرى، وروى أئمه عليه الصلاة والسلام - بعث محمد بن مسلمة⁽⁵⁾ إلى بني النضير، وأمرهم أن يؤجلهم في الجلاء ثلاثة ليالٍ.

(1) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3345/10)، حديث رقم (18850)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي (82/11).

(2) أخرجه البيهقي في سننه، باب دلائل النبوة (359/3)، وصححه الحاكم في المستدرك، (610/4) حديث رقم (8691).

(3) رواه الطبراني في تفسيره (499/22)، وابن سعد في الطبقات (59/2).

(4) سورة النحل الآية/26.

(5) محمد بن أبي مسلمة بن عبد الأسد المخزومي ولد على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإن أبو سلمة توفي في حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتزوج رسول الله امرأته أم سلمة فيكون لأولاده رؤية وإدراك وهم أرباؤه فمن أولى بالصحبة منهم، توفي سنة (43هـ)، أسد الغابة (88/5 - 89).

وقوله: ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: حتم لازم لا بد لهم منه. قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاءُوا إِلَهًا وَرَسُولًا﴾ أي: إنما فعل الله بهم ذلك سلط عليهم رسوله وعباده المؤمنين ؛ لأنهم خالفوا الله ورسوله وكذبوا بما أنزل الله على رسليه في البشرية محمد - صلى الله عليه وسلم - وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم.

ثم قال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

وقوله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ﴾ اللين وهو نوع من التمر وهو جيد. قال أبو عبيدة: وهو ما خالف العجوة والبرني⁽¹⁾ من التمر. وقال بعضهم: اللينةألوان التمر سوى العجوة.

قال ابن جرير: هو جميع النخل ونقله عن مجاهد وهو [البويرة] أيضاً⁽²⁾، وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم وإرعاياً وإذهاياً لقولهم يعني: ما قطعتم وما تركتم من الأشجار فالجميع بإذنه ومشيئته وقدره ورضاه، وفيه نهاية بالعدو وخزي لهم، وإرغاماً لأنوفهم.

وقال مجاهد: نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل، وقالوا: إنما هي مقام للمسلمين فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم، وإنما قطعه وتركه بإذنه⁽³⁾.

وعن جابر قال: رخص لهم في قطع النخل، ثم شدد عليهم فأتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: يا رسول الله علينا إثم فيما قطعنا أو علينا وزر فيما تركنا، فأنزل الله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أَصُولِهَا فَيَأْذِنِ اللَّهُ﴾ رواه الحافظ الموصلي⁽⁴⁾.

(1) العجوة: هي ضرب من التمر، ويقال: هو من غرسه النبي - صلى الله عليه وسلم - بيده ويقال: هو نوع من تمر المدينة أكبر من الصيحان يضرب إلى السواد، ويقال: العجوة ضرب من أجود التمر بالمدينة ونخلتها تسمى لينة، لسان العرب (29/5). والبرني: هو نوع جيد من التمر مدور أحمر شرب بصفة ويقال: نخل برني ونخل برنية.

(2) ينظر: جامع البيان (507/22)، وتفسير مجاهد (652).

(3) ينظر: مجاهد (652)، وتفسير ابن كثير (6/8).

(4) أخرجه أبو يعلى في مسنده (135/4)، ووضعقه الهيثمي في مجمع الزوائد (125/7).

وعن ابن عمر قال: «حاربت النضير وقريظة، فأجلى بنى النضير وأقرَّ قريظة ومنْ عليهم حتَّى حاربت قريظة، فقتل رجالهم وقسَّم نساءهم وأولادهم بين المسلمين إلَّا بعضهم لحقوا بالنبي - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فامْنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وأجلَّ يهود المدينة، كُلُّهم بني قينقاع، وهم رهط عبد الله بن سلام، وبهود بني حارثة، وكلُّ يهود بالمدينة» رواه البخاري ولمسلم نحوه⁽¹⁾.

وفي البخاري عن ابن عمر أن رسول الله - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حرَّق نخل بني النضير وقطع، وهي: البويرة ولها يقول حسان⁽²⁾:

وهان على سارة بني لؤي * حريق بالبويرة مستطير
فأجابه أبو سفيان بن الحارث⁽³⁾ يقول:

أدَمَ اللَّهُ ذَلِكَ مَنْ صَنَعَ * وَحَرَقَ فِي نَوَاحِي هَا السَّعِيرِ
سَتَعْلَمُ أَيُّنَا مِنْهَا بَنْزَهَ * وَتَعْلَمُ أَيِّ أَرْضِنَا نَضِيرِ
وقال كعب بن مالك⁽⁵⁾: يذكر إجلاء بني النضير وقتل بن الأشرف:

لَقَدْ خَرَّيْتَ بِغُدْرَتِهَا الْحَبُورَ * كَذَاكَ الدَّهْرَ ذُو صَرْفٍ يَدُورُ
وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ * عَظِيمٌ أَمْرُهُ أَمْرٌ كَبِيرٌ
وَقَدْ أَوْتَوْا مَعَا فَهْمًا وَعِلْمًا * وَجَاءُهُمْ مِنْ اللَّهِ الْنَّذِيرُ
نَذِيرٌ صَاقَ أَدِيْكَاتِبَا * وَآيَاتٌ مُبِينَةٌ تَنْذِيرٌ

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، حديث رقم (4029).

(2) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد منه بن عدي بن ثعلبة الخرجي الأنصاري ثم من بنى مالك النجار شاعر رسول الله - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وكان النبي - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ينصب له منبراً في المسجد يقوم عليه قائمًا وفضل حسان على الشعراء؛ لأنَّه شاعر النبي، (ت 54 هـ)، أسد الغابة (6/2)، وشذرات الذهب (1/253).

(3) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي الهاشمي ابن عم النبي، وكان أخا النبي - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من الرضاعة أرضعتهما حليمة بنت أبي دؤوب السعدية وأمه غزية بنت قيس بن طريف من ولد فهر بن مالك وكان أبو سفيان قد لقى النبي بشية العقب بین مكة والمدينة، (ت 20 هـ)، أسد الغابة (6/141)، وشذرات الذهب (1/171).

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، حديث رقم (4033).

(5) كعب بن مالك بن أبي كعب واسم أبي كعب عمرو بن القين بن سواد بن سلمة الأنصاري الخرجي يكنى أبا عبد الله أمه ليلى بنت بنى سلمة شهد العقبة في قول أخي رسول الله بينه وبين طلحة بن عبد الله لما قدم المدينة وهو أحد الذين نزل فيهم قرآن كريم، ت (50) هـ، أسد الغابة (4/461)، وشذرات الذهب (1/244).

فقالوا ما أتيت بأمر صدق * وانت بمنكر منا جدير
 فقال بالى لقد أديت حقا * يصدقني به الفهم الخبير
 فمن يتبعه يهدى لك كل رشد * ومن يكفر به يجز الكفور
 فلما أشرعوا غدرا وکفرا * وجذبهم عن الحق النفور
 أرى الله النبي برأي صدق * وكان الله يحكم لا يجوز
 فأيده وسلطه عليهم * فكان نصيره نعم النصير
 فغودر منهم كعب صريعا * فذلت بعد مصرعه النصير
 على الکفين ثم وقد علته * بأيدينا مشهورة ذكور⁽¹⁾
 بأمر محمد إذ دس ليلًا * إلى كعب أخا كعب يسير
 فما كره فأنزله بمکر * ومحمد وآخوه ثقة جسور
 فتاك بنو النصير بدار سوء * أبا إبراهيم بما اجترم المثير
 غداة أتهم في الزحف * زهوا رسول الله وهو بهم بصير
 وغضبان الحماة واذروا * على الأعداء وهو لهم وزير
 فقال السلام ويحكم فصدوا * وخالف أمرهم كذب وزور
 فذاقوا غبـ أمرهم وبالـ * لكل ثلاثة منهم بغير
 وأجلوا عـامدين لـينقـاع * وغودر منهم نخل دور⁽²⁾

قال ابن إسحاق: وقعة بنى النصير بعد واقعة أحد بئر معونة.

وفي البخاري عن عروة أَنَّه قال: كانت وقعة بنى النصير بعد بدر بستة أشهر⁽³⁾ والله أعلم.

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ وَعَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونُ

(1) أي: سيف مسلولة من أغمادها.

(2) ينظر: السيرة النبوية لأبن هشام (2/199)، وهي قصيدة لكتعب بن مالك يذكر فيها إجلاء بنى النصير.

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجهاد، باب ومن سورة الحشر (7/329) حديث رقم (330).

**دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَتَنَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**

في هذه الآية بيان مال الفيء وصفته وما حكمه، فالفيء: كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، كأموال بنى النضير هذه فإنها ممالة يجف عليه بخيل ولا ركاب ؛ أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فأفاءه على رسوله، فلهذا تصرف فيه كما يشاء فرده على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله تعالى: فقال ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ أي: من بنى النضير ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ أي: أسرعتم من خيل ولا ركاب، يقال له وجف الفرس والبعير إذا سار سريعاً وأوجهه صاحبه إذا حمله على السير السريع، والمراد بالركاب: الإبل الذي يركب عليه ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسْلِطُ رُسُلَهُ وَعَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: هو قادر لا يغالب ولا يمانع، بل هو القاهر لكل شيء.

ثم قال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقَرَى﴾ أي: جميع البلدان التي تفتح هكذا حكمها حكم أموال بنى النضير ولهذا قال: ﴿فَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ إلى آخرها، والتي بعدها، فهذه مصارف أموال الفيء ووجوهه.

في الصحيحين عن مالك بن أوس قال: قال عمر - رضي الله عنه - أن الله قد خص رسوله في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره ثم قرأ: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسْلِطُ رُسُلَهُ وَعَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وكانت هذه خالصة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - «ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال⁽¹⁾، ثم يأخذ ما بقي فيجعل مال الله، وفي رواية أخرى كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجد المسلمين عليه بخيل ولا ركاب، وكانت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجهاد، باب المجن ومن يترس بترس صاحبه، حديث رقم (2904)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب حكم الفيء، حديث رقم (1757).

خاصة ينفق على أهله نفقة سنتهم، ثم يجعل ما باقي في السلاح والكراع عدّة في سبيل الله»⁽¹⁾ وهذه هي المصارف المذكورة في خمس الغنيمة، وقد سبق بيانها في سورة الأنفال⁽²⁾، وعن مالك بن أوس قال: فما احتج به عمر أن قال: «كانت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلث صفايا بني النضير وخير و ندك، أما بني النضير فكانت حسناً لنوابه، وأمّا ندك فكانت لأبناء السبيل، وأمّا خير فجزأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة أجزاء جزئين بين المسلمين وجزءاً نفقة لأهله فما فضل عن نفقة أهله جعله بين فقراء المهاجرين» رواه أبو داود⁽³⁾.

وقوله: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ أي: جعلنا هذه المصارف لمال الفيء كيلا يبقى مأكلة يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والأراء، ولا يصرفون منه شيئاً إلى الفقراء.

وقوله: ﴿وَمَا أَتَيْكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ أي: مهما أمركم بشيء فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما أمر بخير وإنما ينهى عن شرّ.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله، فجاءته امرأة فقالت: إنه بلغني أتاك لعنة كيت وكيت، فقال: مالي لا ألعن من لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في كتاب الله، فقالت: لقد قرأت مابين اللوحين مما وجدت فيه ما تقول، قال: لئن كنت قرأتني لقد وجدتني أما قرأت ﴿وَمَا أَتَيْكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتُهُوا﴾ قال: بلـ. قال: فإنه قد نهى عنه⁽⁴⁾.

وقد ثبت في الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة قال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (25/1).

(2) وهي قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مَنْ شَيْءَ فَإِنَّ اللَّهَ خُمُسُهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنَ التَّبَّاعِ﴾ سورة الأنفال، الآية/ 41.

(3) أخرجه أبو داود في سننه، باب في صفايا رسول الله من الأموال، حديث رقم (2969)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود، حديث رقم (2967).

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا أَتَيْكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ حديث رقم (4886)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس، باب تحريم فعل الوالصلة والمستوصلة، حديث رقم (2125).

فاجتنبواه) ⁽¹⁾ قوله: ﴿ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾.

أي: لمن عصاه وخالف أمره وأباه وارتكب ما زجر عنه ونهاه.

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحِدُّونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَاصَّةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ ٦ ﴾ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا إِخْوَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلَّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قال تعالى مبينا حال الفقراء المستحقين لمال الفيء أنهم ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ أي: خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغا مرضاة الله ورضوانه، ﴿ وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ أي: هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم، وهؤلاء هم سادات المهاجرين

ثم قال تعالى: مادحًا للأنصار ومبيناً فضلهم وشرفهم وكرمه، وإيثارهم مع الحاجة ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي: الذين سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وأمنوا قبل كثير منهم.

قال عمر بن الخطاب: - رضي الله عنه - (أوصى الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقاً ويحفظ لهم ذمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوعوا الدار والإيمان من قبل أن يقبل من محسنهم وأن يغفو عن مسيئهم) رواه البخاري ⁽²⁾.

وقوله: ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ أي: من كرمهم وشرف أنفسهم أنهم يحبون

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الإعتصام، باب الاقداء بسنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم (7288)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب توقير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم (1337).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾ حديث رقم (4888).

المهاجرين، ويواسونهم بأموالهم.

عن أنس قال: قال المهاجرون: ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن موسامة في قليل ولا أحسن بذلًا في كثير، لقد كفونا المؤنة وأشركوا في المهنأ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كلّه، قال: «ألا ما أثنيتم عليهم ودعوتם الله لهم» رواه أحمد وللترمذى مثله وصححه⁽¹⁾.

وقوله: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ أي: لا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف، والتقديم في الذكر والرتبة.

قال ابن زيد: وقد تكلم بعض الأنصار في أموال بنى النمير طمعاً في قسمتها فعاتبهم الله في ذلك⁽²⁾

فقال: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسْلِطُ رُسُلَهُ وَعَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن خوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم» فقالوا: أموالنا بيننا قطائع، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أو غير ذلك» قالوا: وما ذاك يارسول الله؟ قال: «هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر»⁽³⁾ فقالوا: نعم يارسول الله.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قالت: الأنصار للنبي - صلى الله عليه وسلم - أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال «لا يكفوننا المؤنة ونشركم في الثمرة، قالوا سمعنا وأطعنا» رواه البخاري⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿وَرَيُؤُثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يعني: الفاقة والحاجة أي: يقدمون المحاويخ على حاجة أنفسهم ويدعون الناس قبلهم، وقد ثبت في

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (360/20)، حديث رقم (1375)، والترمذى في سننه، كتاب صفة القيمة، باب دعاء الله والثناء عليه، حديث رقم (2675) وصححه الترمذى، ووافقه الألبانى في السلسلة الصحيحة (610/2).

(2) معالم التنزيل (76/8)، وتفسير ابن كثير (70/8).

(3) رواه الطبرى فى تفسيره (526/22).

(4) أخرجه البخارى فى الجامع الصحيح، كتاب المزارعة، باب إذا قال: اكتفى مؤنة النخيل وغيره، حديث رقم (2200).

الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «أفضل الصدقة جهد المقل»⁽¹⁾ وهذا المقام أعلى من حال الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الظَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾⁽²⁾.

فإن هؤلاء تصدقوا وهو يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكونوا لهم حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء آثروا أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه، ومن هذا المقام تصدق الصديق - رضي الله عنه - بجميع ماله، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ما أبقيت لأهلك؟»⁽³⁾ فقال: أبقيت لهم الله ورسوله.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أتى رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «ألا رجل يضيف الليلة» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال: لامراته: ضيف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا تدخل عليه شيئاً، فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبيبة.

قال: فإذا أراد الصبيبة العشاء فنوميهم، وتعالي فأطفيء السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت ثم غدا الرجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «لقد عجب الله - أو ضحك - من فلان وفلانة»⁽⁴⁾ وأنزل الله - عز وجل - ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ حَصَاصَةٌ﴾.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ أي: من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح، وعن جابر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيمة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم

(1) أخرجه أبو داود في سنته، كتاب الصلاة، من حديث عبدالله بن حبشي الخثمي، حديث رقم (1449) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (1286).

(2) سورة الإنسان الآية/8.

(3) أخرجه الترمذى في سنته، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - حديث رقم (3939) وحسنه الألبانى في صحيح سنن الترمذى، باب ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ حديث رقم (2902).

(4) أخرجه البخارى في الجامع الصحيح، مناقب الأنصار، باب ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ حديث رقم (3798)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأشارة، باب إكرام الضيف وفضل وإيتاره، حديث رقم (2054).

واستحلوا محرّمهم» انفرد به مسلم وأحمد⁽¹⁾.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوْ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُوْنَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَاخْوَانَنَا الَّذِينَ سَبَقُوْنَا بِالْإِيمَنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلَّا لِلَّذِينَ ءامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ هؤلاء هم: القسم الثالث من يستحق فقراؤهم من مال الفيء وهم: المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لهم بإحسان كما قال في آية براءة.

﴿وَالسَّبِيقُوْنَ الْأَوَّلُوْنَ مِنَ الْمُهَاجِرِيْنَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوْهُمْ بِإِحْسَنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعْدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَحْتَهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِيْنَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ﴾⁽²⁾.

فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلنية، ولهذا قال في هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوْ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُوْنَ﴾ أي: قائلين ﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَاخْوَانَنَا الَّذِينَ سَبَقُوْنَا بِالْإِيمَنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلَّا لِلَّذِينَ ءامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ قالت: عائشة أمرت أن يستغفروا لهم فسبوهم ثم قرأ هذه الآية وعنها قالت: أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد - صلى الله علي وسلم - فسببتموه سمعت نبيكم - صلى الله عليه وسلم - يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها» رواه البغوي⁽³⁾.

وعن مالك بن أوس⁽⁴⁾ قال: قرأ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَمِلِيْنَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَفَةُ قُلُوبُهُمْ وَفِي الْرِّقَابِ وَالْغَرِيْمِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ الْسَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيْمٌ حَكِيمٌ﴾ حَتَّى بلغ ﴿عَلِيْمٌ حَكِيمٌ﴾⁽⁵⁾.

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، باب تحريم الظلم، حديث رقم (2578)، والإمام أحمد في مسنده (323/3).

(2) سورة التوبة الآية/100.

(3) رواه البغوي في معالم السنن (321/4).

(4) مالك بن أوس بن الحثاث بن الحارث بن عوف بن ربيعة بن نصر بن معاوية، أدرك النبي - صلى الله عليه وسلم - شهد مع عمر بن الخطاب فتح بيت المقدس، حدث عن عمر وعلي وعثمان وطلحة والزبير عبد الرحمن ابن عوف توفي بالمدينة سنة اثنين وتسعين، أسد الغابة (10/5)، وسير أعلام النبلاء (4/171).

(5) سورة التوبة الآية/60.

قال: هذه لهؤلاء ثم قرأ: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَئْنَ السَّبِيلُ ﴾⁽¹⁾.

قال: هذه لهؤلاء ثم قرأ: ﴿ مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَى فَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِذِي الْقُرْبَى ﴾ حتى بلغ ﴿ لِلْفُقَرَاءِ ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُ الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوْ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ ثم

قال: هذه استواعت المسلمين عامّة فلئن عشت فليأتين الراعي وهو بسرور حمير نصيبه منها مالم يعرف فيها جبينه⁽²⁾.

﴿ أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْرَوْنِيهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَيْنُ اخْرِجُتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيْكُمْ أَحَدًا إِنَّ قُوتِلُتُمْ لَتَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهُدُ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿ لَيْنُ اخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَيْنُ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَيْنُ نَصَرُوهُمْ لَيَوْلَنَ الْأَدْبَرَ لَمَّا لَا يُنْصَرُوْنَ ﴿ لَأَنَّمُّ أَشَدُ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُوْنَ ﴿ لَا يَقْتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بِأَسْهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُوْنَ ﴿ كَمَثَلُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ كَمَثَلُ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ أَكُفِرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَ الْعَالَمِينَ ﴿ فَكَانَ عَيْقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدُوْنَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَّاؤُ الظَّالِمِينَ ﴾⁽³⁾.

أخبر - تعالى - عن المنافقين كابن سلول وأضرابه حين بعثوا إلىبني النضير يعدونهم النصر من أنفسهم فقال: ﴿ أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْرَوْنِيهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَيْنُ اخْرِجُتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيْكُمْ أَحَدًا إِنَّ قُوتِلُتُمْ لَتَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهُدُ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴾ أي: فيما وعدوهم به إما لأنهم قالوا لهم قوله، ومن عادتهم أن لا يفوا بهم، وإما لأنهم لا يقع منهم الذي قالوه، ولهذا قال: ﴿ وَلَيْنُ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ ﴾ أي: لا يقاتلون معهم⁽⁴⁾ وَلَيْنُ

(1) سورة الأنفال الآية/41.

(2) ينظر: تفسير عبدالرازق (284/2)، ونفس القرطبي (360/20).

نَصَرُوهُمْ أي: قاتلوا معهم ﴿لَيَوْلَنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُنَصِّرُونَ﴾ وهذه بشارة مستقلة بنفسها.

ثم قال تعالى: ﴿لَأَنَّهُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ أَللَّهِ﴾ أي: يخافون منكم أشدّ من خوفهم من الله، ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

ثم قال: ﴿لَا يُقْتَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَىٰ حُمَّاصَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ يعني: أنهم من جبنهم وخلعهم لا يقدرون على مواجهة جيش الإسلام بالbarsa والمقالة بل إما في حصن أو من وراء جدر، محاصرون فيقاتلون ليدافعوا عنهم ضرورة ثم قال: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي: عدوا لهم فيما بينهم شديدة، كما قال: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾⁽¹⁾.

ولهذا قال: ﴿تَحَسَّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ أي: تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الإختلاف.

ثم قال: ﴿كَمَثْلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَّا أَمْرِهِمْ﴾ يعني: كمثل ما أصاب كفار قريش يوم بدر قاله مجاهد وغيره⁽²⁾، وقال ابن عباس: يعني: يهودبني قينقاع، كذا قال قتادة وغيره، وهو أشبه بالصواب فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أجلاهم قبل ذلك⁽³⁾.

وقوله: ﴿كَمَثْلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِنِ أَكُفُرُ﴾ يعني: مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين وقولهم لهم لئن قوتلت لننصرنكم، ثم لما حققت الحقائق وخذلهم الحصار والقتال، وأعرضوا عنهم وأسلموهم للمملكة، كمثل الشيطان إذ يقول للإنسان اكفر - والعياذ بالله - فإذا دخل فيما سوله له تبراً منه وتبعاد عنه، وقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ولهذا المثل قصة شبيه به روى ابن جرير أن علياً أو ابن مسعود - رضي الله عنهما - قال: إن راهباً تعبد ستين سنة

(1) سورة الأنعام الآية/65.

(2) جامع البيان (22/540)، والنكت والعيون (509/5)، وتفسير مجاهد (653).

(3) جامع البيان (22/539)، وتفسير ابن كثير (75/8).

أراده الشيطان فأعياه فعمد إلى امرأة فأجنبها، ولها إخوة فقال إخواتها: عليكم بهذا القسْ فيداويها.

قال: فجاووا بها إليه فدواها وكانت عنده فبينما هو يوماً عندها إذ أعجبته فأتاها فحملت، فعمد إليها فقتلها جاء إخواتها، فسألوه عنها فقال: قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه، فصدقوه فأتى الشيطان إليهم في المنام فقال لهم إن الراهب قد فجر بأختكم، فلما أحبلاها قتلها ثم دفناها في مكان كذا وكذا.

فلما أصبحوا قال رجل منهم: رأيت البارحة رؤيا أقصّها عليكم أم أترك؟ قالوا بل قصّها علينا. فقصّها فقال: كلُّ واحد منهم أنا رأيت البارحة مثل هذا، قالوا: فوالله ما هذا إلّا شيء، فانطلقوا واستعادوا ملكهم على ذلك الراهب، فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به فلقيه الشيطان، فقال: إنني أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري، فاسجد لي سجدة واحدة، وأنجيك من ذلك، فسجد له فلما أتوا به ملكهم تبرا منه⁽¹⁾ ﴿قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فقتله.

وكذا روي عن ابن عباس وكثير من السلف والمشهور أنّ الراهب هو برصيضاً⁽²⁾.

وهذه القصة مخالفة لقصة جريح الراهب كما هي مبسوطة في الصحيحين وقوله: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا آنَهُمَا فِي النَّارِ﴾ أي: عاقبة الأمر بالكفر والفاعل له ومصيرهما إلى جهنم خالدين فيها ﴿وَذَلِكَ جَرَأُوا الظَّلَمِيْنَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُولُوْا اللَّهُ وَلَتَنْظُرُ نَفْسُكُمْ مَا قَدَّمْتُ لِغَدِّ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيْقُونَ ﴿١٧﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَاغِرُونَ﴾.

(1) أخرجه البخاري، كتاب التاريخ الكبير (213/5) من طريق النضر بن شميل به وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره

(2) من طريق إسحاق البيهقي في الشعب، ينظر: الجرح والتعديل (185/5) وجامع البيان (22/541).

(2) كان الراهب في الفترة يقال له برصيضاً قد تعبد في صومعته سبعين سنة، لم يعصي الله فيها طرفة عين حتى أعيى إبليس فجمع إبليس مردة الشياطين، فقال: ألا أجد منكم من يكفيني أمر برصيضاً، الجامع لأحكام القرآن (18/37).

أمر الله - تعالى - بتقواه وهو يشمل فعل المأمورات وترك المنكرات.

وقوله: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِعَدِّ﴾ أي: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ تأكيد ثان ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: اعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم، ولا يخفى عليه منكم خافية ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ أي: لا تتسو ذكر الله فينسىكم العمل لصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم فإن الجزاء من جنس العمل، ولهذا قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيقُونَ﴾ أي: الخارجون عن طاعة الله الهالكون يوم القيمة الخاسرون يوم معادهم.

كما قال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أُولَئِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعُلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ﴾⁽¹⁾.

وعن بعض السلف قال: كان في خطبة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - (أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم، فمن استطاع أن يقضي الأجل وهو في عمل الله فليفعل، ولن يفعل ذلك إلا بالله، إن قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم). ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: من تعرفون من إخوانكم؟

قدموا على ما قدموا في أيام سلفهم، وخلوا بالشقة والسعادة، وأين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط؟

قد صاروا تحت الصخر والآبار، هذا كتاب الله لا تفني عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة، واستضيئوا بسنائه وبيانه، إن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَرِّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِفِينَ﴾⁽²⁾. لا خير في قول لا يراد به وجه الله، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله، ولا خير في مال

(1) سورة المنافقون الآية/9.

(2) سورة الأنبياء الآية/90.

يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم) رواه الطبراني بإسناد جيد⁽¹⁾.

وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ أي: لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في حكم الله يوم القيمة.

كما قال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْتَرُهُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ تَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾⁽²⁾ وغيرها من الآيات البينات وهذا دالٌ على أن الله يكرم الأبرار ويهين الفجار.

ولهذا قال هنا: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ أي: الناجون المسلمين من عذاب الله.

﴿لَوْ أَنَّرَلَنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتُهُ وَخَشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحانه الله عما يشركون هو الله الخلق أباري المصور له الأسماء الحسنى يسبح له وما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم.

عظم الله أمر القرآن وبين علو قدره، وأنه ينبغي أن تخشع القلوب وتتصدّع عند سماعه، لما فيه الوعد الحق والوعيد الأكيد

قال: ﴿لَوْ أَنَّرَلَنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتُهُ وَخَشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي: إذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو أفهم هذا القرآن فتدبر ما فيه تخشع وتتصدّع من خوف الله، فكيف يليق بكم يا أيها البشر أن لا تلين قلوبكم ولا تخشع ولا تتصدّع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه؟

ولهذا قال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: لكي ينتبهوا ويتعظوا.

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (39)، والميشني في مجمع الزوائد (3152).

(2) سورة الحجائية الآية/21.

قال ابن عباس: لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه تصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله، فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع⁽¹⁾.

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما عمل له المنبر، وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد، فلما وضع المنبر أول ما وضع وجاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لخطيب فجاوز الجذع إلى نحو المنبر، وجعل يئن كما يئن الصبي الذي يسكت لما كان يسمع الذكر والوحى عنده⁽²⁾.

ففي بعض روایات هذا الحديث قال الحسن البصري: فأنت أحق أن تستاقوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الجذع وهكذا هذه الآية الكريمة، إذا كانت الجبال لوسمعت كلام الله وفهمته لخشعـت وتصدـعت من خشيـته، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمـتم؟

كما قال: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُرِّيَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ مُلْكَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ﴾⁽³⁾ أي: لكان هذا القرآن، وقال: ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْمِطُ مِنْ خَشْيَةَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾⁽⁴⁾.

ثم قال: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أخبر تعالى أنه الذي لا إله إلا هو فلا رب غيره ولا إله موجود سواه، وكل ما يبعد من دونه فباطل، وأنه ﴿ عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةِ ﴾ أي: يعلم جميع الكائنات والمشاهدات لنا والغائبات عنا، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء من جليل ومحير حتى الدر في الظلمات.

وقوله: ﴿ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ سبق تفسيره في أول الكتاب، والمراد أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات، فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، وقد

(1) النكت والعيون (512/5)، والدر المنثور (396/14).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، حديث رقم (3585، 3583).

(3) سورة الرعد الآية 31.

(4) سورة البقرة الآية 74.

قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾⁽¹⁾.

وقال: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾⁽²⁾، ثم قال: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ ﴾ أي: المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة.

وقوله: ﴿ الْقُدُّوسُ ﴾ الطاهر المبارك تقدسه الملائكة ﴿ الْسَّلَامُ ﴾ أي: من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله.

وقوله: ﴿ الْمُؤْمِنُ ﴾ قال ابن عباس: أي من خلقه أن يظلمهم، وقيل: صدق عباده المؤمنين في إيمانهم به بما وعدهم من الثواب، وهو من الإيمان الذي هو ضد التخويف.

كما قال: ﴿ وَعَامَنَهُمْ مِنْ حَوْفٍ ﴾⁽³⁾ قوله: ﴿ الْمُهَمِّنُ ﴾ قال ابن عباس: وغير واحد أي: الشاهد على خلقه بأعمالهم⁽⁴⁾ أي: هو رقيب عليهم كما قال: ﴿ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ﴾⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ أي: الذي قد عز كل شيء فقهه، وغلب الأشياء فلا ينال جنابه بعزمته وعظمته وجبروته وكبرياته، ولهذا قال: ﴿ الْجَبَارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾ أي: الذي لا تليق الجبرية إلا له، ولا الكبراء إلا لعظمته.

كما تقدم في الصحيح: «العظمة إلهي، والكربلاء ردائی، فمن نازعني واحداً منها عذبته»⁽⁵⁾.

وقال قتادة: ﴿ الْجَبَارُ ﴾ الذي جبر عباده على ما يشاء⁽⁶⁾. وقال ابن جرير: ﴿ الْجَبَارُ ﴾ المصلح لأمور خلقه المتصرف لهم فيما فيه صلاحهم⁽⁷⁾.

(1) سورة الأعراف الآية/156.

(2) سورة الأنعام الآية/54.

(3) سورة قريش الآية/4.

(4) معالم التنزيل (655/8)، وتفسير ابن كثير (544/8).

(5) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، باب تحريم الكبر، حديث رقم (2620).

(6) جامع البيان (554/22)، النكت والعيون (514/5).

(7) جامع البيان (554/22)، ومعالم التنزيل (655/8)، والدر المنشور (401/14).

وقال قتادة: ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ يعني: عن كل سوء خلقه ثم قال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تشريفاً بها وتقديساً لها عما يقول الظالمون.

وقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ الخلق التقدير والبرء هو الفري، وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود وليس كل من قدر شيئاً ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله تعالى.

يعني: الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون على الصفة التي يريد، والصورة التي يختار ولهاذا قال: ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ أي: الذي ينفذ ما يريد إيجادها على الصفة التي يريدها.

وقوله: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ سبق تفسيره في سورة الأعراف⁽¹⁾.

والحديث الذي في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (إِنَّ اللَّهَ تَسْعَةٌ وَتَسْعِينَ اسْمًا، مائة إِلَّا وَاحِدَة، مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَهُوَ وَتَرْ يَحْبُّ الْوَتَرَ) ⁽²⁾.

وقوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ وَمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ الْسَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنَّ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ وَكَانَ حَلِيمًا عَفُورًا﴾ ⁽³⁾.

وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: فلا يرام جنابه.

﴿الْحَكِيمُ﴾ في شرعه وقدره. وعن معلم بن يسار⁽⁴⁾ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من قال حين يصبح ثلاث مرات أعود بالله السميع العليم من

(1) ﴿وَلَلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَدَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سِيَّرُوهُنَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التوحيد، باب إن الله مائة اسم إلا واحدة، حديث رقم (6957)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبية، باب في أسماء الله تعالى وفضل، حديث رقم (6986).

(3) سورة الإسراء الآية/ 44 .

(4) معلم بن يسار بن عبد الله بن معبير بن حراق بن كعب بن مضر المزنبي يكنى أبا يسار سكن البصرة وابتلى بها دار وإليه ينسب فهر بن معلم شهد بيعة الحديبية وتوفي بالبصرة في آخر خلافة معاوية الاستيعاب (255/2)

الشيطان الرجيم، ثم قرأً ثلاثة آيات من آخر سورة الحشر، وكل الله به سبعين ألف ملأ يصلون عليه حتى يمسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، ومن قال حين يمسي كان بذلك المنزلة» رواه أحمد والدارمي والترمذى وغريبه⁽¹⁾ والله أعلم .

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (36/5)، حديث رقم (20320)، والدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب حم الدخان والحواميم والمسبحات (233/1) باب الطهر كيف، حديث رقم (857)، والترمذى في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب قراءة ثلاثة آيات من سورة الحشر، حديث رقم (3172) ، وضعفه الألبانى في ضعيف الجامع الصغير وزيانته، حديث رقم (5732).

تفسير سورة المتحنة

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلَيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَةِ
وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن
كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلٍ وَأَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ
وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَن يَفْعَلُهُ مِنْكُمْ فَقَدْ صَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلُ ① إِن يَتَّقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ
أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ وَالْسِنَّتُمُ بِالسُّوءِ وَوَدُوا لَوْ تَكُفُرُونَ ② لَن تَنْفَعَكُمْ
أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

سبب نزول صدر هذه السورة قضية حاطب بن أبي بلتعة⁽¹⁾ وذلك أن حاطباً كان رجلاً من المهاجرين، من أهل بدر، وكان له بمكة أولاً وأموال ولم يكن من قريش، بل كان حليفاً لعثمان، فلما عزم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على فتح مكة لما نقض أهلها العهد، أمر المسلمين بالتجهيز لذلك.

وقال: (اللهم عِمْ عليهم خبرنا حتى نأخذهم بعثة)⁽²⁾ فعمد حاطب فكتب كتاباً وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة، يعلمهم بما عزم عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليتخذ بذلك عندهم يداً، فأطلع الله ذلك رسوله استجابة لدعائه، فبعث في إثر المرأة فأخذ الكتاب منها.

كما ثبت في الصحيحين عن علي - رضي الله عنه - قال: بعثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنا والزبير⁽³⁾ والمقداد⁽⁴⁾ فقال: (انطلقوا حتى تأتوا روضة

(1) حاطب بن أبي بلتعة واسم أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمى من بنى خالفة بن عدي حليف بنى أسد وكنيته أبو عبد الله وكان حليفاً للزبير بن العوام بن خويلد بن أسد وكان مولى عبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد شهد بدر، توفي حاطب سنة ثلاثين، أسد الغابة (1/659).

(2) ينظر: مجمع الزوائد، باب غزوة الفتح، حديث رقم (10233)، الطبراني في المعجم الكبير (23/435).

(3) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن كلاب القرشي الأسدى أبو عبد الله أمها صفية بنت عبد المطلب ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وابن أخي خديجة بنت خويلد أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان إسلامه بعد أبي بكر وكان رائعاً أو خامساً في الإسلام، هاجر إلى الحبشة، (ت 36هـ)، أسد الغابة (2/307).

(4) المقداد بن عمرو بن شعبة بن مالك بن ثمامة بن مطرود بن نهير المعروف بالمقداد بن الأسود وهذا الأسود الذي نسب إليه بن عبد يغوث الزهري ونسب إليه لأن المقداد حالفه فتبناه وهو الذي هاجر إلى الحبشة وشهد بدرًا وكانت وفاته في خلافة عثمان ومات بأرض له بالجرف، ت (33هـ)، أسد الغابة (5/243).

خاخ⁽¹⁾ فإن بها ظعينةً معها كتاب فخذوه منها فانطلقا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة قلنا: أخرجني الكتاب، قالت: ما معك كتاب، قلنا لترجئ الكتاب أو لتقلين الثياب، قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها، فأخذنا الكتاب فأتينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا فيه من حاطب بن أبي بلترة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يا حاطب ما هذا؟».

قال: لا تعجل على إني كنت امرأ ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قربات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ فيهم يدأ يحمون بها قرابتني، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إنه صدقكم» فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إنه قد شهد بدرأ، وما يدريك لعل الله أطلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غرفت لكم»⁽²⁾.

و زاد البخاري في كتاب المغازي: فأنزل الله السورة ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أُولَئِكَ﴾⁽³⁾ وفي رواية له فقد وجبت لكم الجنة ولهمذا الحديث روايات متعددة وعبارات متفاوتة.

فقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أُولَئِكَ﴾ يعني: المشركين والكافر الذين هم محاربون لله ورسوله وللمؤمنين، الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم، ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾⁽⁴⁾ وهذا تهديد شديد ووعيد

(1) ينظر: معجم البلدان (335/2).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجهاد، باب الجاسوس، حديث رقم (3007)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر، حديث رقم (2494).

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، حديث رقم (4274).

(4) سورة المائدة الآية/51.

أكيد، وغيرها من الآيات البينات؛ ولأن حاطباً فعل ذلك مصانعة لقريش حماية لحاله لا ارتداداً، قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عذرها.

وقوله: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُم﴾ هذا مع ما قبله من التهيج على عداوتهم، وعدم مواليتهم لأنهم يخرجون الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهةً لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العمل لله، ولهذا قال: ﴿أَن تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُم﴾ أي: لم يكن لكم عندهم ذنب إلا إيمانكم بالله.

قوله: ﴿وَمَا نَقْمُدُ مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾⁽¹⁾

وقوله: ﴿إِن كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلٍ﴾ أي: إن كنتم كذلك فلا تخذلهم أولياء، فإنهم أعدائي وأعداءكم، وقد أخرجوك من دياركم وأموالكم، حنقاً عليكم وسخطاً لدينكم.

وقوله: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ أي: يفعلون ذلك وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: أخطأ طريق الهدى، ثم قال: ﴿إِن يَتَقْفُوكُم﴾ أي: إن يظفروا بكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءٌ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ وَالسِّنَّتُمْ بِالسُّوءِ﴾ أي: لو قدروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمقابل والفعال ﴿وَوَدُوا لَوْ تَكُفُّرُونَ﴾ أي: ويحرصون على أن لا تتالوا خيراً، وعداوتهم لكم كامنة وظاهرةً فكيف توالون مثل هؤلاء؟ وهذا تحريض على عداوتهم أيضاً.

وقوله: ﴿لَن تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أُولَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: قراباتكم لا تنفعكم عند الله إذا أراد الله بكم سوءاً، ونفعهم لا يصل إليكم إذا رضيتموه بما يسخط الله.

ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر، ولا ينفعه عند الله قرباته من أحد، ولو كان قريباً إلى النبي من الأنبياء .

عن أنس أن رجلاً قال: يارسول الله أين أبي؟ قال: (في النار)، فلما قفى

(1) سورة البروج الآية/8.

دعاه فقال: (إن أبي وأباك في النار) رواه مسلم وأحمد⁽¹⁾.

﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ فيكون فريق في الجنة وفريق في السعير، ﴿وَاللَّهُ يَمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيحاسبكم بحسب أعمالكم.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ وَإِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاءُ وَمِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبُغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا سَتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۝ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۞ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَأَعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرُ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝﴾.

قال تعالى لعباده المؤمنين: الذين أمرهم بمصادمة الكافرين وعداوتهم ومحابيتهم والتبري منهم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾ أي: قدوة ﴿حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي: وأتباعه الذين آمنوا معه ﴿قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاءُ وَمِنْكُمْ﴾ أي: تبرأنا منكم ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي: بدينكم وطريقكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ﴾ أي: وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، ما دمتم على كفركم فنحن أبداً نتبرأ منكم ونبغضكم ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ يعني: إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتركتوا ما تعبدون معه من الأنداد والأصنام والأوثان.

وقوله: ﴿إِلَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا سَتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ أي: لكم في إبراهيم إسوة متابعة حسنة تمتدون بها إلا في الاستغفار لأبيه فإنه إنما كان عن موعدة.

﴿وَمَا كَانَ أَسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ وَعَدُّ اللَّهَ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَا وَهُوَ حَلِيمٌ ۞﴾⁽²⁾، وقال لأبيه ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ﴾ أي: لا

(1) أخرجه مسلم في الجامع، كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار، حديث رقم (347).

والإمام أحمد في مسنده (263/3).

(2) سورة هود الآية/ 114 .

أغنى ولا أدفع عنك عذاب الله إن أشركت به، وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لأبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم، قائلين إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه فأنزل الله ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَئِنَّى قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَضَحَّبُ الْجَحِيمِ﴾ وما كان أستغفاراً لإبراهيم لأنبياء إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه وعد لله تبرأ منه إن إبراهيم لا واه حليم ﴿١٦﴾⁽¹⁾، يعني: ليس لكم في إبراهيم إسوة في الاستغفار للمشركين قاله ابن عباس وغير واحد

ثم أخبر - تعالى - عن قول إبراهيم والذين معه حين فارقوا قومهم وتبرعوا منهم، فلجأوا إلى الله وجزعوا إليه فقالوا: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا﴾ أي: توكلنا عليك في جميع الأمور وسلمتنا أمورنا إليك وفوضناها ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ أي: المعاد في الدار الآخرة. ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا .

وقال قتادة: لا تظهرهم علينا فيفتونا بذلك يرون أنهم إنما ظهرروا علينا لحقهم على ذلك، واختاره ابن جرير⁽²⁾.

وقوله: ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: واستر ذنبنا واعف عنا فيما بيننا وبينك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يضام من لاذ بجنابك ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أقوالك وشرعك وقدرك ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوُ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ تأكيد لما تقدم، ومستثنى منه أيضاً ما تقدم لأن هذه الأسوة المثبتة هنا هي الأولى بعينها.

وقوله: ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ تهبيج إلى ذلك لكل مؤمن وبالمعاد. قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ أي: عما أمر الله به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ قوله: ﴿إِنْ تَكُفُّرُوا أَنَّهُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾⁽³⁾.

(1) سورة هود الآية/114 .

(2) جامع البيان (569/22)، وتفسير مجاهد (655).

(3) سورة إبراهيم الآية/8.

قال ابن عباس: الغني الذي قد كمل غناه وهو الله، وهذه صفتة لا تتبغى إلا
له ليس له كفء^(١)، وليس كمثله شيء والحمد المستحمد إلى خلقه؛ أي: هو
المحمود إلى جميع أفعاله وأقواله، لا إله غيره ولا ربُّ سواه.

﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِّنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ⑦ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يَقْتُلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَرِكُمْ
أَنْ تَبْرُوْهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ⑧ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ
قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّن دِيَرِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلُّهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ
فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . ۚ ﴾

قال تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْتَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِّنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ أي: محبة بعد البغض، وألفة بعد النفرة والفرق، ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ما يشاء من الجمع بين الأشياء المتغيرة والمتباعدة، فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة فتصبح مجتمعة متقة كما قال ممتننا على الأنصار: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾⁽²⁾ وكذلك قال لهم النبي - صلى الله عليه وسلم -: «ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وكنت متفرقين فألفكم الله بي؟»⁽³⁾.

قول الشاعر :

وقد يجمع الله الشّتّيّتين بعدهما * يُظنان كُل الظنّ أن لا تلاقياً⁽⁴⁾
وقوله: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأنابوا
إلى ربهم وأسلموا له، ويرحّمهم بتوبتهم أي: من ذنب كان.

(1) تفسیر ابن کثیر (88/8)

(2) سورة آل عمران الآية/103.

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، حديث رقم (4075)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب عطاء المؤلفة قلوبهم، حديث رقم (2493).

(4) ديوان قيس بن الملوح، البحر الطويل: ص 310

قال ابن شهاب⁽¹⁾: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استعمل أبا سفيان بن حرب⁽²⁾ على بعض اليمن، فلما قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقبل فاقي ذا الخمار مرتدًا فقاتلته، فكان أول من قاتل في الردة، وجاحد عن الدين وهو من أنزل الله فيه ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْتَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَةً﴾.

وقوله: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَرِكُمْ﴾ أي: لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرا الذين لم يقاتلونكم في الدين كالنساء والضعفة منهم ﴿أَنْ تَبْرُؤُوهُمْ﴾ أي: عن بريهم ﴿وَتُقْسِطُوا﴾ أي: تعدلوا وتحسنوا إليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ وسبق تفسيره في سورة الحجرات⁽³⁾.

وعن الزبير - رضي الله عنه - قال: (قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا ضباب وقرظ، وسمن وهي مشركة، فأبىت أسماء أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها. فسألت عائشة النبي - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَرِكُمْ﴾ فأمرتها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها) رواه أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم⁽⁴⁾.

وكان ذلك في المدة التي كانت بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبين قريش قوله: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَرِكُمْ وَظَاهَرُوا﴾ أي: تعالونا ﴿عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾ أي: إنما ينهاكم الله عن موalaة هؤلاء الذين عارضوكم بالعداوة وقاتلوكم وأخرجوكم وعاونوا على إخراجكم ويأمركم بمعاداتهم ثم أكد الوعيد على موالاتهم ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

(1) ابن شهاب الزهري اسمه محمد بن مسلم بن عبد الله الأصغر بن شهاب ابن عبد الله بن الحارث بن زهرة، توفي سنة (124هـ)، معجم الشعراء (107/1).

(2) أبوسفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، وهو والد يزيد ومعاوية ولد قبل الفيل بعشر سنين وكان من أشرف قريش وكان تاجرًا يجهز التجارة بماله وأموال قريش إلى الشام وهو الذي قاد قريشا كلها يوم أحد، أسلم ليلة الفتح، وشهد حنينا، (ت 31هـ). أسد الغابة (6/144).

(3) ينظر: الصفحة 38 من هذه الرسالة.

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (37/26) حديث رقم (16111)، وابن أبي حاتم في تفسير (10/3349)، وابن الفضل في جامع المسانيد والسنن (5/206).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ جِلْ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَجْلُونَ لَهُنَّ وَعَاثُوْهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَاءَانِتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا ثُمَسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسُئِلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبَتُمْ فَعَاوَنُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾

قد سبق في سورة الفتح ذكر صلح الحديبية بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبين كفار قريش، وكان فيه على أنه لا يأتيك منا أحد، وإن كان على دينك إلا ردته إلينا ، فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للسنة، وعلى طريق بعض السلف ناسخة، فإن الله أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهنَّ، ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾.

سئل ابن عباس كيف كان امتحان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال (يمتحنن بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت لدنيا، وبالله ما خرجت إلا حباً الله ولرسوله) رواه ابن جرير⁽¹⁾، وفي رواية البزار (أن الذي كان يخلفهن عن أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمر بن الخطاب).

وعن ابن عباس كان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، قال مجاهد: ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ أي: فاسألوهن ما جاء بهن فإن كان جاء بهن غضب على أزواجهن، أو سخطه أو غيره، ولم تؤمن فارجعوهن إلى أزواجهن.

وقال عكرمة وقتادة: امحانهن أن يستختلفن بالله ما أخرجكن النشوذ وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله، وحب الله ورسوله، فإذا قلن ذلك قبل منهن⁽²⁾.

وقوله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ وفيه دلالة على

(1) رواه ابن جرير في تفسيره (575/22)، والبزار في مسنده (112/2).

(2) جامع البيان (577/22)، والنكت والعيون (522/5).

أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقيناً.

وقوله: ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ هذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين، وقد كان جائزًا في ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة، ولهذا كان أبو العاص بن الربيع⁽¹⁾ زوج زينب بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد كانت مسلمة وهو على دين قومه، فلما وقع في الأسرى يوم بدر بعثت امرأته زينب في فدائه بقلادة لها كانت لأمها خديجة فلما رآها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رق لها رقة شديدة، وقال لل المسلمين: «أرأيتم إن تطلقوا أسيرها وتردوا عليها الذي لها فقالوا: نعم فعلوا» فأطلقه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أن يبعث ابنته إليه فوفى له بذلك وصدقه فيما وعده وبعثها إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع زيد بن حارثة فأقامت في المدينة بعد وقعة بدر.

وكانت سنة اثنتين إلى أن أسلم زوجها أبو العاص سنة ثمان فردها عليه بالنكاح الأول ولم يحدث لها صداقاً. كما قال ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «رَدَّ ابنته زينب إِلَى أَبِي العاص وَكَانَ إِسْلَامَهَا قَبْلَ إِسْلَامِهِ بِسَنِينٍ عَلَى النِّكَاحِ الْأَوَّلِ وَلَمْ يَحْدُثْ شَهَادَةً وَلَا صَدَاقَأً» رواه أحمد وأبوداود والترمذى⁽²⁾.

وهذا محمول على أن عدتها لم تنقض منه بعد؛ لأن الذي عليه الجمهور أنه متى انقضت العدة ولم يسلم انفسخ نكاحها منه.

وقوله: ﴿ وَعَانُوْهُمْ مَا أَنْفَقُوا ﴾ يعني: ادفعوا إلى أزواج المهاجرات من المشركين ما عزموا عليهم من الأصدقة والمهر قاله ابن عباس وغير واحد⁽³⁾.

وقوله: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾ أي: تزوجوهن بشرطه من

(1) أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي صهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زوج بنته زينب وقيل اسم ربيعة وهو ابن أخت أم المؤمنين خديجة وكان أبو العاص شهد بدرًا مع الكفار، (ت 12 هـ)، سير أعلام النبلاء (330/1)، وأسد الغابة (182/6).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (195/4)، حديث رقم (2366)، وأبو داود في سننه، كتاب الطلاق، باب إلى متى ترد عليه امرأته إذا أسلم بعدها، حديث رقم (2240)، والترمذى في سننه، كتاب النكاح، باب ما جاء في الزوجين المشركين يسلم أحدهما، حديث رقم (1143)، وصححه الألبانى في صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (1635).

(3) ينظر: جامع البيان (580/22)، وتفسير مجاهد (656).

انقضاء العدة وسائل المقدمات والمتهمات ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصْمِ الْكَوَافِرِ﴾ هذا تحريم من الله على عباده المؤمنين نكاح المشرفات والاستمرار معهنّ.

وفي الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية، جاءه نساء من المؤمنات.

فأنزل الله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصْمِ الْكَوَافِرِ﴾ فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين تزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان⁽¹⁾ والأخرى صفوان بن أمية⁽²⁾، وطلق أيضاً جماعة من الصحابة نساءهم المشرفات فزوجن بالمشركين⁽³⁾.

وقوله: ﴿وَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُتُمْ وَلَيْسَ عَلَوْا مَا أَنْفَقُوا﴾ أي: وطالبوها بما أنفقتم على أزواجكم اللاتي ذهبن إلى الكفار إن ذهبن، وليطالبوها بما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين.

وقوله: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أي: في الصلح واستثناء النساء منه والأمر بهذا كله هو حكم الله يحكم بين خلقه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يصلح عباده حكيم في ذلك ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَرْوَاحِهِمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَلَا هُنَّ الَّذِينَ ذَهَبُتْ أَرْوَاحُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾

قال مجاهد وقتادة: هذا في الكفار الذين لهم عهد إذا فرت إليهم امرأة، ولم يدفعوا إلى أزواجهم شيئاً، فإذا جاءت منهم امرأة لا يدفع إلى زوجها شيء حتى يدفع إلى زوج الذاهبة إليهم مثل نفقته عليها⁽⁴⁾.

(1) معاوية بن أبي سفيان، واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وقال أبو عمر معاوية وأبوه من المؤلفة قلوبهم وولاه عمر على الشام عند موت أخيه يزيد توقيع معاوية بدمشق سنة تسع وخمسين، الإستيعاب (243/2).

(2) صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة القرشي الجمحي، من ولد بن جمح بن كعب وقيل أبو أمية وهو ما كنيتان له مشهورتان وقتل أبوه أمية بن خلف بيدر كافراً وقتل رسول الله ابن عمه أبي بن خلف بأحد كافراً وأسلم بمكة بعد الفتح، (ت 41هـ)، الاستيعاب (432/1).

(3) أخرج البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، (974/2) حديث رقم (2581).

(4) معلم التنزيل (99/8)، ونفسيربن كثير (95/8).

وقال ابن عباس: يعني: إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكافار أمر له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الغنيمة، مثل ما أنفق وهكذا.

قال مجاهد⁽¹⁾: ﴿فَعَاقَبْتُم﴾ أي: أصبتم غنيمة من قريش أو غيرهم، فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا، يعني: مهر مثلاً، وهذا قريب من الأول؛ لأنّه إن أمكن ذلك فهو الأولى وإلاً فمن الغنائم الاتي يؤخذ من الكافار وهذا أوسع وهو اختيار ابن جرير.

﴿وَأَنْقُوا أَلَّهَ﴾ أي: فيما أمركم به ونهاكم عنه إن كنتم مؤمنين، واختلفوا في أن رد المهر كما سبق كان واجباً أو مندوباً بناءً على أن ذلك الصلح إن وقع على رد النساء والرجال جميعاً فنسخ في حق النساء كان واجباً وإن وقع على الرجال خاصةً كان مندوباً والله أعلم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكُ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَا يُشْرِكُنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَرْزِقْنَ وَلَا يَقْتُلْنَ أُولَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِنَ بِهُنَّ يَفْتَرِيَنَهُ وَبَيْنَ أَيْدِيهِنَ وَأَرْجُلِهِنَ وَلَا يَعْصِيَنَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَإِيمَانِهِنَ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُنَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكُ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (قد بايتك) كلاماً ولا والله ما مست يده يد امرأة قط في المبادعة، ما يباعهن إلا بقوله: (قد بايتك على ذلك) رواه البخاري⁽²⁾.

وعن أميمة بنت رقيقة⁽³⁾ قالت: أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في نساء لنباييعه، فأخذ علينا ما في القرآن أن لا نشرك بالله شيئاً، الآية.

(1) النكت والعيون (523/5)، وتفسير مجاهد (656).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير باب ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرٍ﴾ حديث رقم (4891).

(3) أميمة بنت رقيقة وأمها رقيقة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد، فأميماً ابنة خالة أولاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من خديجة روى عن أميمة محمد بن المنكدر، وقد بايعد النبي - صلى الله عليه وسلم - وروى حاج بن محمد عن أبي جريح عن أميمة بنت رقيقة أحاديث. أسد الغابة (25/7).

وقال: «فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطْقَنَّ» قلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، قلنا: يا رسول الله ألا تصافحنا؟ قال: «إِنِّي لَا أَصَافِحُ النِّسَاءَ، إِنَّمَا قَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ كَقَوْلِي لِمَائِةِ امْرَأَةٍ» رواه أحمد وأكثر أصحاب السنن وصححه الترمذى⁽¹⁾.

وعن عائشة بنت قدامة بن مظعون قالت: أنا مع أمي رابطة بنت سفيان الخزاعية والنبي - صلى الله عليه وسلم - يبایع النسوة ويقول: «أبایعکن على أن لا تشرکن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنبن ولا تقتلن أولادکن ولا تأتين ببهتان تفترینه بين أیدیکن وأرجلکن، ولا تعصینی في معروف - قلن: نعم - فيما استطعتن فکن يقلن وأقول معهن» رواه أحمد⁽²⁾.

وعن أم عطية⁽³⁾ قالت: بايعنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «فَقَرَا عَلَيْنَا لَا يُشْرِكُنَ بِاللَّهِ شَيْئًا» ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها قال: أسعدتني فلانة أريد أن أجزيها مما قال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئاً فانطلاقت فرجعت فبایعها» هكذا في الصحيحين⁽⁴⁾.

وفي رواية «فَمَا وَفَى مِنْهُنَّ امْرَأَةً غَيْرَهَا وَغَيْرُ أُمِّ سَلِيمٍ ابْنَةِ مَلْحَانٍ»⁽⁵⁾، وروى ابن جرير أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر عمر بن الخطاب وقال: «قل لهن إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يبایعکن على أن لا تشرکن بالله شيئاً»⁽⁶⁾، وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة⁽⁷⁾ التي شقت بطن حمزة متكرة في النساء

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (357/6)، والترمذى في سننه، كتاب السير، باب ما جاء في بيعة النساء، حديث رقم (1597)، والنمسائي في السنن الكبير، كتاب البيعة، باب بيعة النساء (7) وابن ماجة في سننه، كتاب الجهاد، باب بيعة النساء، حديث رقم (2874) وصححه الألبانى في صحيح سنن الترمذى، حديث رقم (1300).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (27062)، لم أقف على حكمه.

(3) أم عطية الأنصارية، اسمها نسيبة بنت الحارث، وقيل نسيبة بنت كعب، تعد أم عطية من أهل البصرة، وكانت من كبار نساء الصحابة، وكانت تخسل الموتى وتغزو مع النبي وكانت من قمنا بغسل إحدى بنات النبي - صلى الله عليه وسلم -، (ت 70 هـ)، أسد الغابة (7).

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب «إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ» حديث رقم (4892)، ومسلم في صحيحيه، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، حديث رقم (936).

(5) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب ما ينهى من النوح والبكاء، حديث رقم (1306).

(6) رواه ابن حجر في تفسيره (596/22).

(7) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية الهاشمية امرأة أبوسفيان بن حرب وهي أم معاوية أسلمت في الفتح بعد إسلام زوجها أبي سفيان، شهدت أحد وهي كافرة وهي التي مثلت بحمزة بعد موته وشهدت معركة اليرموك وحضرت على قتال الروم توفيت في خلافة عمر بن الخطاب. أسد الغابة (281/7).

قالت: إني إن أتكلم يعرفي وإن عرفني قتلني، وإنما تذكرت فرقاً من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسكت النساء اللاتي مع هند وأبين أن يتكلمن فقالت هند وهي متكرة: كيف تقبل من النساء شيئاً لم تقبله من الرجال؟ ففطن إليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقال لعمر: «قل لهنّ ولا يسرقن» قالت هند: والله إني لأصبت من مال أبي سفيان الهنات⁽¹⁾ فلا أدرى أیحلّ لي أم لا؟

قال أبو سفيان: ماأصبت من شيء فيما مضى وفيما غير فهو لك حلال، فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعرفها فدعاهما وأخذت بيده فعاذت به فقال: «أنت هند؟» قالت: عفا الله عما سلف، فصرف عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «ولا يزنين» قالت: يارسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهل تزني امرأة حرة؟ قال: «لا والله ما تزني الحرة، قال ولا يقتلن أولادهن» قالت هند: ربناهم صغراً وقتلتهم كباراً، فأنتن وهم أعلم، فضحك عمر حتى استلقى قال: ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهُنَّ يَفْتَرِيهِنَّ وَبَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ قال: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ أي: في كلّ أمر وافق طاعة الله وقيل: منعهنّ أن ينحرن، وكان أهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ويقطعن الشعور، ويدعون بالويل والثبور⁽²⁾.

قال الشعبي: بايع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - النساء وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه⁽³⁾، ثم قال: «ولا يقتلن أولادكن» قالت امرأة: تقتل آباءهم وتوصينا بأولادهم؟ قال: وكان بعد ذلك إذا جاء النساء ببايعنه جمعهنّ فعرض عليهنّ، فإذا أقررن رجعن.

فقوله: ﴿يَأْتِيهَا الْنِّيَّٰ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَأِعْنَكَ﴾ أي: من جاءك منهنّ تباعي على هذه الشروط فبایعنها ﴿عَلَىٰ أَن لَا يُشْرِكُنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقُنَ﴾ أي: أموال

(1) الهنات: أي المضللات واستعد لها واحتل والهنات الراهية كذا في النسخ والصواب أنها الهناء بالباء المربوطة، أي: يعني شديد وأمور عظام، تاج العرس (319/40).

(2) لم أقف عليه في كتب الحديث. وقد رواه ابن جرير الطبرى في تفسيره (596/22) والسيوطى في الدر المنشور (429/14).

(3) ينظر: الدر المنشور (428/14)، وتفسير ابن كثير (100/8).

الناس الأجانب، فأمّا إذا كان الزوج مقصراً في نفقتها فلها أن تأكل من ماله⁽¹⁾ بالمعروف على ما جرت به عادة أمثالها، وإن كان بغير علم عملاً بحديث هند كما في الصحيحين أنها قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيي ويكفيبني، فهل عليّ جناح أن أخذت من ماله بغير علمه؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنائك)⁽²⁾.

وقوله: ﴿وَلَا يَقْتُلُنَّ أُولَدَهُنَّ﴾ هذا يشمل قتل الولد بعدة وجوده كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية إملاقه وقتلها وهو جنين، بالإسقاط كما يفعله بعض الجهلة من النساء لئلا تحيل إمّا لغرض فاسد أو ما أشبهه.

وقوله: ﴿وَلَا يَأْتِنَ بِبُهْتَنٍ يَفْتَرِيهِنَّ وَبَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ قال ابن عباس: يعني: لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم⁽³⁾.

كما روى أبو هريرة أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول حين نزلت آية الملاعنة: «أيّما امرأة أدخلت على قوم ما ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله جنته، وأيّما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه الله على رؤوس الأولين والآخرين» رواه أبو داود⁽⁴⁾.

ومنه أن تلتقط المرأة مولوداً وتقول لزوجها هذا ولدي منك، وقوله: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ يعني: فيما أمرتهن به من معروف ونهيتهن عنه من منكر.

قال ابن عباس: إنّما هو شرط شرطه الله للنساء، وقال ابن زيد: أمر الله بطاعة رسوله وهو خيرة الله من خلقه في المعروف وهو العبادة.

وقالوا: ونهاهن يومئذ عن التوح، كما سبق في حديث أم عطية، وعن الحسن

(1) ورد في المخطوط (مالها) وال الصحيح كما في تفسير ابن كثير (ماله).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب البيوع، باب من أجرى أمر الأمصار على ما تعارفوه بينهم، حديث رقم (2211)، ومسلم صحيحه، كتاب الأقضية، باب قصة هند، حديث رقم (1714).

(3) ينظر: جامع البيان (594/22)، والنكت والعيون (525/5)، والدر المنشور (430/14).

(4) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطلاق، باب التغليظ في الانتقاء، حديث رقم، (2263) وضعفه الألباني في سنن ضعيف سنن أبي داود، حديث رقم (497).

قال: كان فيما أخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - عليهنّ «أن لا تحدثن الرجال إلا أن تكون محرّم، فإن الرجل لا يزال يحدّث المرأة حتّى يمذى بين فخديه»⁽¹⁾.

وعن امرأة من المبايعات قالت: (كان فيما أخذ علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن لا نعصيه في معروف أن لا نخمش وجهاً، ولا ننشر شعراً، ولا نشقّ جيّباً، ولا ندعوا ويلًا) رواه ابن أبي حاتم⁽²⁾.

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ليس منا من ضرب الخدود وشقّ الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»⁽³⁾.

وعن أبي سعيد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «لعن النائحة والمستمعة» رواه أبو داود⁽⁴⁾.

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِيبَ اللَّهَ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ نهى تعالى عن موالات الكافرين في آخر السورة⁽⁵⁾.

كما نهى عن أولئها والمراد بهم اليهود والنصارى وسائر الكفار من غضب الله عليه ولعنه واستحقّ من الله الطرد والإبعاد، فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاقاً ﴿ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾ أي: من ثواب الآخرة ونعمتها في حكم الله ﴿ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾، فيه أقوال أحدها: كما يئس الكفار الأحياء من قراباتهم الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك، لأنهم لا يعتقدون بعثاً ولا نشوراً، فقد انقطع رجاؤهم منهم.

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير، (168/25) حديث رقم (410)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (146/13).

(2) أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده (390/3)، وابن عبد البر في التمهيد (238/12).

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب ما ينهى عن الحلق عند المصيبة، حديث رقم (1296) ومسلم في صحيحه، الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود، حديث رقم (165).

(4) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب في النوح، حديث رقم (3128).

(5) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنُتُ يُبَارِعْنَكَ﴾ حديث رقم (4892)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، حديث رقم (936).

وقال ابن عباس: من مات من الکفّار فقد يئس الأحياء منهم أن يرجعوا إليهم أو يبعثهم الله⁽¹⁾.

وقال الحسن: الکفّار الأحياء قد يئسوا من الأموات. وقيل: معناه كما يئس الکفّار والذين هم في القبور من كل خير.

قال ابن مسعود وغيره: كما يئس غداً الکافر إذا مات وعاين جزاءه واطلع عليه⁽²⁾.

واختاره ابن جرير والله أعلم.

(1) ينظر: جامع البيان (602/22)، والنكت والعيون (526/5)، وتفسير ابن كثير (103/8).

(2) ينظر: جامع البيان (605/22)، وتفسير ابن كثير (103/8).

تفسير سورة الصاف

وهي مدنية

عن عبد الله بن سلام⁽¹⁾ - رضي الله عنه - أن أنساً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا: لو أرسلنا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نسألة عن أحب الأعمال إلى الله فلم يذهب إليه أحدٌ وقالوا هبنا أن نسألة عن ذلك فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أولئك النفر رجلاً رجلاً، ونزلت فيهم هذه السورة ﴿سَبَّحَ﴾ الصاف.

قال عبد الله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلُّها. رواه ابن أبي حاتم مسلسلاً. وروى الترمذى والدارمى مثله وأحمد نحوه⁽²⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُنَّ مَا لَا تَفْعَلُنَّ ﴿٢﴾ كَيْرَ مَقْتَنًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُنَّ مَا لَا تَفْعَلُنَّ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يَقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّا كَانُوكُمْ بُنَيَّنٌ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾.

سبق الكلام في تفسير قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الآية بما أغني عن إعادته.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ تَقُولُنَّ مَا لَا تَفْعَلُنَّ﴾ إنكار على من بعد وعداً ويقول قوله فلا يفي به، وبهذا استدل بعض أئمة السلف على أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً سواء ترتب عليه عزم الموعود أم لا.

(1) عبد الله بن سلام بن الحارث الأنباري كان حليفاً لهم من بني قينقاع وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام وكان اسمه في الجاهلية الحسين فسماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أسلم عبد الله وكان أسلامه لما قدم النبي المدينة مهاجراً روى عنه أبناءه، أسد الغابة (119/2).

(2) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3353/10)، والترمذى في سنته، باب ومن سورة الصاف، حديث رقم (3306)، والإمام أحمد، في مسنده (206/39)، حديث رقم (23789)، وصححه الألبانى في صحيح سنن الترمذى، حديث رقم (2636).

وفي الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»⁽¹⁾، ولهذا أكد - تعالى - هذا الإنكار عليهم بقوله: ﴿كُبَرَ مَقْتَلًا﴾ أي: عظم ذلك في المقت والبغض ﴿عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

وذهب مالك: إذا تعلق بالوعد عزم على الموعود وجب الوفاء به، كما لو قال لأحد تزوج ولك علي كل يوم كذا فتزوج، وجب عليه أن يعطيه ما دام كذلك⁽²⁾؛ وذهب الجمهور: إلى أنه لا يجب الوفاء به مطلقاً وحملوا الآية على أنها نزلت حين تموا فريضة الجهاد عليهم، فلما فرض نكل عنه بعضهم⁽³⁾، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَحْشِيَّةَ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ حَشِيَّةً وَقَالُوا رَبَّنَا لَمْ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخْرَجْنَا إِلَى الْأَجْلِ قَرِيبًا فُلْ مَتَعْ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلِمُونَ فَتَيْلًا﴾⁽⁴⁾، والمعنى كما قال ابن عباس: كان أناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله تعالى دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل بها، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إيمان بالله لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرروا به، فلما نزل الجهاد كره ذلك أناس من المؤمنين وشق عليهم أمره فقال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ وهو اختيار ابن جرير⁽⁵⁾، وقيل نزلت في شأن القتال، يقول الرجل: قاتلت ولم يقاتل، وطعنت ولم يطعن، وضررت ولم يضر، وصبرت ولم يصبر.

وقال ابن زيد: نزلت في قوم من المنافقين كانوا يدعون المسلمين النصر ولا يغون لهم بذلك⁽⁶⁾.

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حديث رقم (33)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، حديث رقم (220).

(2) ينظر: التوادر والزيادات لابن أبي زيد القير沃اني (18/4).

(3) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (242/4)، والشرح الكبير لابن قدامة (343/11)، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (324/10).

(4) سورة النساء الآية/77.

(5) ينظر: جامع البيان (608/22)، ومعالم التنزيل (107/8).

(6) النكت والعيون (527/5)، ومعالم التنزيل (108/8).

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ، صَفَّا﴾ أي: يصفون صفاً ولا يزالون عن أماكنهم ﴿كَأَنَّهُمْ بُنَيَّنٌ مَرْصُوصٌ﴾ أي: محكم مرصص بعضه ببعض

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ثلاثة يضحك الله إليهم: الرجل يقوم من الليل، والقوم إذا صفووا للصلوة، وال القوم إذا صفووا للقتال) رواه أحمد وابن ماجه⁽¹⁾.

وقال ابن جبير: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يقاتل العدو إلا أن يصافهم، وهذا تعليم من الله للمؤمنين.

وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ بُنَيَّنٌ مَرْصُوصٌ﴾ أي: ملتصق بعضه ببعض في الصفة،

قال قتادة: ألم تر إلى أصحاب البيان كيف لا يجرون أن يختلف بنائهم؟ فكذلك الله أن يختلف أمره، وإن الله يحب صفات المؤمنين في قتالهم، وصف في صلاتهم فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به). رواه ابن أبي حاتم⁽²⁾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُولُونَ لَمْ تُؤْذُنَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا رَأَغُوا أَرَأَغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ⑤ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْيَقِي إِسْرَاعِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ الْتَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ وَأَحَمَّدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾

أخبر - تعالى - عن رسوله وكلمه موسى بن عمران: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُولُونَ لَمْ تُؤْذُنَنِي﴾ أي: لأي شيء تواصلون الأذى إلى وقد تعلمون صدقني فيما جئتكم به من الرسالة. وفي هذا تسلية لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم، وأمر له بالصبر.

ولهذا قال: (رحم الله موسى: لقد أودي أكثر من هذا فصبر)⁽³⁾، وفيه نهي

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (284/14)، حديث رقم (11761)، وضعقه الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة (455/7)، حديث رقم (3453).

(2) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3354/10).

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءادُوا مُوسَى﴾ حديث رقم (4799).

للمؤمنين أن ينالوا من النبي - صلى الله عليه وسلم - أو يواصلوا به أذى، كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾⁽¹⁾.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَغُو﴾ أي: فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به ﴿أَرَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ أي: أمالها عن الحق والهدى، وأسكنها الشك والعمى.

كما قال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾⁽²⁾ ولهذا قال في هذه الآية ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ قال الزجاج: أي: لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق⁽³⁾.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى أَبْنُ مَرِيمَ يَبْنَي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ يعني: التوراة قد بشرت بي وأننا مصدق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد.

فعيسى هو خاتم الأنبياء بنى إسرائيل، وقد أقام في ملأ بنى إسرائيل مبشرًا بمحمد، وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة، ولقد أحسن البخاري فيما روى جبير بن مطعم⁽⁴⁾، قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحasher الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب) ولمسلم نحوه⁽⁵⁾.
وعن أبي موسى الأشعري قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(1) سورة الأحزاب الآية/69.

(2) سورة الأنعام الآية/110

(3) معالم التنزيل (108/8)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (475/3).

(4) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي أمه أم جميل بنت سعيد من بنى عامر وكان جبير من حملاء قريش وكان من أنساب قريش لقرיש وللعرab قاطبة، أسلم جبير بن مطعم يوم الفتح وقيل عام خير مات جبير سنة سبع وخمسين، الاستيعاب (143/1).

(5) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم (3532)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في أسمائه - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم (2354).

يسمى لنا نفسه أسماءً فقال: (أنا محمد وأنا أحمد والمقفي والحاشر، ونبي التوبة ونبي الرحمة) وفي رواية (ونبي الملحمة) رواه مسلم⁽¹⁾.

وعن العرياض بن سارية قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إني عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل⁽²⁾ في طينته وسانبكم بأول ذلك دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي حين وضعتي وقد خرج لها نور أضاء لها قصور الشام) رواه أحمد والبغوي في شرح السنة⁽³⁾، ثم إن الأنبياء - عليهم السلام - لم تزل تتعتّه وتصفه في كتبهم على أممهم وتأمرهم باتباعه ونصره وموازرته إذا بعث، وكان قد اشتهر هذا الأمر في أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل والأنبياء بعده حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم، وكذا على لسان عيسى ابن مريم، ولهذا رواية لأحمد وغيره قالوا: أخبرنا في بدء أمرك يعني في الأرض قال: (دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ابن مريم ورؤيا أمي التي رأت)⁽⁴⁾; أي: ظهر في أهل مكة أثر ذلك، فذكره - عليه الصلاة والسلام -.

وقوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ قال ابن حجر وابن حجر: ﴿ قَالُوا ﴾ الكفار والمعاندون⁽⁵⁾، ﴿ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ⑦ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِّمُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ⑧ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الْكِفَارِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الفضائل، باب في أسمائه - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم (2355).

(2) لمنجدل: أي وصرعته في الشمس، وحديث علي حين وقف على طحة وهو قتيل فقال: أعزز على أبي محمد أن أراك تحت نجوم السماء أي: ملقى على الأرض قتيلاً وفي حديث معاوية أنه قال: لصعصعه ما مر عليك جلتته، فجلده أي رماه في الأرض، لسان العرب (1/570).

(3) أخرجه الإمام أحمد، كتاب المسند، باب حديث العرياض بن سارية، حديث رقم (17190)، الحديث ضعيف، في السلسلة الضعيفة المختصرة

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (127/4)، حديث رقم (17150)، وصححه الألباني في المشكاة حديث رقم (5759).

(5) ينظر: جامع البيان (22/613).

المُشْرِكُونَ ① .

يعني: لا أحد أظلم ممن يفترى الكذب على الله و يجعل له أنداداً وشركاء وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهِيءِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ثم قال: ﴿يُرِيدُونَ لِيُظْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: يحاولون أن يرددوا الحق بالباطل، ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس بفيه، وكما أن هذا مستحيل كذا ذاك مستحيل، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ مُتِمٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَفِرُونَ﴾ ثم قال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُلَّهُمْ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ①﴾ وقد سبق الكلام على هاتين الآيتين في سورة براءة⁽¹⁾ بما فيه الكفاية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا هَلْ أَدُلُّ كُمْ عَلَى تِجَارَةٍ ثُنِجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ⑥﴾
 ثُوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ
 إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ⑦﴾ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنَهَرُ
 وَمَسَكِينٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ⑧﴾ وَآخَرَى تُحْبَونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ
 وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ⑨﴾.

قد سبق في ترجمة السورة من حديث عبد الله بن سلام أن الصحابة أرادوا أن يسألوا عن أحب الأعمال إلى الله ليفعلوه.

فأنزل الله هذه السورة⁽²⁾ ومن جملتها هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا هَلْ أَدُلُّ كُمْ عَلَى تِجَارَةٍ ثُنِجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ⑥﴾.

ثم فسر هذه التجارة العظيمة السابقة فقال: ﴿ثُوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي: من تجارة الدنيا ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ⑨﴾.

ثم قال: ﴿يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي: إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه،

(1) سورة براءة وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُلَّهُمْ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ①﴾.

(2) تقدم في بداية تفسير هذه السورة الكريمة الآية 1 ، 2.

غفرت لكم الزلات، وأدخلتكم الجنات والمساكن الطيبات والدرجات العاليات ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

ثم قال: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا﴾ أي: وأزيدكم على ذلك زيادة تحبونها وهي ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ أي: عاجل وهو فتح مكة وسائر الفتوحات بهذه الزيادة هي خير الدنيا موصولة بنعم الآخرة لمن أطاع الله ورسوله ونصر دينه، ولهذا قال: ﴿يَأَيُّهَا وَيَشِّرِ - الْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم حثّهم على نصرة الدين وجهاد المخالفين فقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيْكَنَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيْكَنَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَعَامَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدَنَا الَّذِينَ ءامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَضْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾.

أمر - تعالى - عباده المؤمنين أن يكونوا أنصاراً لله في جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم، وأن يستجيبوا الله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من معيني في الدعوة إلى الله ﴿قَالَ الْحَوَارِيْكَنَ﴾ وهم أتباع عيسى ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أي: نحن أنصارك على ما أرسلت به وموازروك على ذلك، ولهذا بعثهم دعاء الناس في بلاد الشام، هكذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول في أيام الحج: «من رجل يؤمنني حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريشاً قد منعني أن أبلغ رسالة ربي»⁽¹⁾ حتى قيض الله - تعالى - له الأوس والخزرج⁽²⁾ من أهل المدينة فبایعوه ووازروه، وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه، وفوا له بما عاهدوا الله عليه، ولهذا سماهم الله ورسوله الانصار.

وقوله: ﴿فَعَامَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ أي: لما بلغ عيسى

(1) أخرجه أبو داود في سننه، باب في القرآن، حديث رقم (4734) وصححه الحافظ ابن حجر (فتح الباري 7/63)، ووافقه الحاكم في المسترك (624/2) والألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (3960).

(2) مما قبيلتان مشهورتان من العرب في يثرب، وقد لقبهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالأنصار، وخزرج وأوس أخوان أبوهما حارثة بن ثعلبة والأوس والخزرج وهما أبناء حارثة بن ثعلبة وهو العنقاء ابن عمرو بن ثعلبة وهو ابن عامر فمن بطون الأوس والخزرج عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس وهم من بنى السمعية، العقد الفريد (3/342).

- عليه الصلاة والسلام - رسالة ربه إلى قومه ووازره من وزرائه من الحواريين اهتدت طائفة من بنى إسرائيل بما جاءهم به وضلت طائفة، فخرجت عمّا جاءهم به وجحدوا نبوته ورموه وأمه بالعظام، وهم اليهود وغلت طائفة من اتبّعه حتّى رفعوه فوق ما أعطاهم الله من النبوة، وافترقوا فرقاً وشيعاً فمن قائل منهم: إنه ابن الله، وقائل إنه ثالث ثلاثة: الأب والابن وروح القدس، ومن قائل إنه الله، كما سبق مفصلاً في سورة النساء.

وقوله: ﴿فَآتَيْدُنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: نصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى
 ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ أي: عليهم وذلك ببعثة محمد - صلى الله عليه وسلم -.

كما قال ابن عباس: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم اثنا عشر رجلاً في البيت من عينٍ ورأسه يقطر ماءً فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرّة بعد أن آمن بي، ثم قال: أيكم يلقى عليه شبيهي فيقتل مكانني ويكون معي في درجتي؟ قال: فقام شاب من أحدهم سنًا فقال له: اجلس. ثم عاد عليهم فقال الشاب أنا فقال: نعم أنت ذاك. قال: فألقى عليه شبهه عيسى ورفع عيسى - عليه السلام - من روزنة في البيت إلى السماء قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا شبيهه فقتلوا وصلبوه وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرّة بعد أن آمن به، ففترقوا ثلاث فرق، وقالت فرقة: كان الله فيما شاء ثم صعد إلى السماء وهو لاء اليعقوبية⁽¹⁾، وقالت فرقة: كان فيما ابن الله ما شاء ما رفعه إليه هو لاء النسطورية⁽²⁾.

وقالت فرقة: كان عبد الله رسوله ما شاء الله ثم رفعه إليه هو لاء المسلمين، فتظاهرة الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الإسلام طامساً حتّى بعث الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - ﴿فَعَامَنَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ في زمان عيسى ﴿وَكَفَرَتْ طَآئِفَةٌ﴾ يعني: التي كفرت في زمن عيسى ﴿فَآتَيْدُنَا الَّذِينَ

(1) اليعقوبية: هي فرقة من النصارى أتباع يعقوب البراذعي الذي عاش في الشام في القرن السادس الميلادي، يقولون باتحاد الالهوت والناسوت ويعرفون بأصحاب الطبيعة الواحدة (اليعقوبية) اليعاقبة ومن ألفاظها (المعاقب) من عاقب والمدرك بالثار و (المعاقب) هي المرأة التي من عادتها أن تلد ذكراً ثم أثني المعجم الوسيط (613/2).

(2) النسطورية: هم أصحاب نسخة الحكيم الذي ظهر في زمن أمير المؤمنين المأمون بالله العباس، تاج العروس (214/14).

﴿عَامَنُوا﴾ أي: منهم على عدوهم ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ رواه النسائي⁽¹⁾ أي: فأصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد - صلى الله عليه وسلم - أن عيسى عبد الله وكلمته وروحه بهذه الأمة الهادية لا يزالون قائمين بالحق ظاهرين على الخلق حتى يأتي الله أمرهم كذلك، وحتى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى ابن مريم كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح والله أعلم.

(1) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب ﴿فَامْتَطَّلَّبَةُ بْنَ بَغْتَ إِسْرَئِيلَ﴾ (489/6)، حديث رقم (11591).

تفسير سورة الجمعة

وهي مدنية

عن ابن عباس وأبي هريرة - رضي الله عنهم - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين) رواه مسلم⁽¹⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
 هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَّيَّنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتَلَوَّ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
 وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾١﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ذَلِكَ فَضْلُ الْهَنَّاءِ يُؤْتَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْقَضَى الْعَظِيمُ ﴾.

أخبر - تعالى - أنه يسبح له وينزهه جميع المخلوقات ناطقها وجامدها، كما قال: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ»⁽²⁾ ثم قال «الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ» أي: هو مالك السموات والأرض المتصرف فيها بحكمة، وهو المقدس المنزه عن الناقصوص الموصوف بصفات الكمال «الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» سبق تفسيره غير مرّة.

وقوله: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَّيَّنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتَلَوَّ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ» لاميون هم العرب كما قال تعالى: «وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمَّيَّنَ ءَأَسْلَمُتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا
 فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ»⁽³⁾ تخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم.

ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر في قوله تعالى: «وَإِنَّهُوَ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ
 وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ»⁽⁴⁾ وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به، وهذا وأمثاله لا ينافي قوله

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة، حديث رقم (879)، (880).

(2) سورة الإسراء الآية/44.

(3) سورة آل عمران الآية/20.

(4) سورة الزخرف الآية/44.

تعالى: ﴿ قُلْ يَتَأَّلِيْهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾⁽¹⁾.

وقوله: ﴿ لَا نَذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ عَالَهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِئٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾⁽²⁾.

وقوله إخباراً عن القرآن ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُو ﴾⁽³⁾
إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته - صلى الله عليه وسلم - إلى جميع
الخلق أحمرهم وأسودهم كما سبق في سورة الأنعام.

فقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ مصدق إجابة الله لخليله
إبراهيم حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة، فبعثه الله سبحانه على حين فترة من الرسل وطموس من
السبيل، وقد اشتت الحاجة إليه، وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا
من أهل الكتاب؛ أي نزراً يسيراً من تمسك بما بعث الله به عيسى، ولهذا قال:
﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ الآية وذلك أن العرب كانوا قد يماً متمسكين
بدين إبراهيم الخليل - عليه السلام -، فبدلوا وغيره وقلبوه وخالقوه واستبدلوا بالتوحيد
شركًا وباليقين شكًا، وابتدعوا أشياء لم يأذن الله بها، وكذلك أهل الكتابين قد بدلا
كتبهم وحرقوها وغيروها.

فبعث الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - بشرع كامل شامل لجميع الخلق
فيه هدایتهم وبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم، والدعوة لهم إلى ما
يقربهم إلى الجنة ويرضى الله عنهم، والنهي عما يقربهم إلى النار ويسلط الله عليهم
حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب في الأصول والفروع، وجمع له تعالى
وله الحمد جميع المحسن من كان قبله، وأعطاه ماله يعط أحداً من العالمين
الأولين، ولا يعطيه أحداً من الآخرين، فصلوات الله وسلمه عليه دائماً إلى يوم الدين

وقوله: ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يُلْحَقُوْهُ بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

(1) سورة الأعراف الآية/158.

(2) سورة الأنعام الآية/19.

(3) سورة هود الآية/17.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، قال: كنّا جلوساً عند النبي - صلى الله عليه وسلم - أنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وَإِخْرِيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قالوا: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعهم حتّى سئل ثلثاً، وفيما سلمان الفارسي - رضي الله عنه - فوضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يده على سلمان الفارسي ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال - أو رجل - من هؤلاء»⁽¹⁾، هكذا في الصحيحين.

ففي الحديث دليل أن هذه السورة مدنية وعلى عموم بعثته - صلى الله عليه وسلم - إلى جميع الناس؛ لأنّه فسر.

وقوله ﴿وَإِخْرِيْنَ مِنْهُمْ﴾ بفارس، ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم، يدعوهم إلى الله وإلى اتباع ما جاء به، ولهذا قال مجاهد وغير واحد: في هذه الآية هم الأعاجم وكل من صدق النبي - صلى الله عليه وسلم - من غير العرب⁽²⁾.

وعن سهل بن سعد⁽³⁾ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن في أصلاب أصلاب رجاء ونساء من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب» ثم قرأ ﴿وَإِخْرِيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾⁽⁴⁾ يعني: بقية من بقي من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -.

وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: ذو العزة والحكمة في شرعيه وقدره، وقوله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يعني: ما أعطاه الله محمداً - صلى الله عليه

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فارس، حديث رقم (2546).

(2) وفيه أربعة أقاويل: أحدها أنهم المسلمون بعد الصحابة، قاله ابن زيد. الثاني: أنهم العجم بعد العرب، قاله الضحاك. الثالث: أنهم الملوك أبناء الأعاجم، قاله مجاهد. الرابع: أنهم الأطفال بعد الرجال. ويحمل خامساً: أنهم النساء بعد الرجال. ينظر: النكت والعيون (7/6).

(3) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخرجي بن كعب الأنصاري الساعدي شهد قضاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المتلاعنين وأنه فرق بينهما وكان اسمه حزنا فسماه رسول الله سهلاً رأى سهل بن سعد النبي وسمع عاش سهل حتى أدرك الحاج بن يوسف. (ت 91هـ) أسد الغابة (2/575).

(4) رواه الطبراني في المعجم الكبير (248/6)، حديث رقم (848)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير (384/5) حديث رقم (1937)، وذلك في الجزء الأخير من هذا الحديث وهو قوله (من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب).

وسلم - من النبوة العظيمة، وما خصّ به أمته من بعثته إليهم فدعاهم إلى الإسلام والهداية ولهذا قال ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْقَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

﴿ مَثُلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثُلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا إِبَائِتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَأْتِيَهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أُولَيَاءُ اللَّهِ مِنْ دُونِ الْمَالِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْهُ وَأَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ وَمُلَاقِيْكُمْ ثُمَّ تُرْدُونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةِ فَيُنَيِّسُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ .

قال - تعالى - ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة، وحملوا العمل بها فلم يعملوا بها، مثلهم في ذلك كمثل الحمار إذا حمل كتاباً لا يدرى ما فيها، فهو يحملها حملاً حسياً ولا يدرى ما عليه.

وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظاً ولا يفهمونه ولا عملوا بمقتضاه، بل أولوه وحرفوه وبدلوا فهمأسوا حالاً من الحمير؛ لأن الحمار لا فهم له وإن هؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها.

ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿ أُولَئِكَ كَمَا لَأَنْعَمْتُ بْلَهُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَفِيلُونَ ﴽ١٧٩﴾ ، وقال هنا: ﴿ بِئْسَ مَثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا إِبَائِتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ أي: ظلموا على أنفسهم بتكذيب الأنبياء يعني: من سبق عليه أنه لا يهديهم.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهم - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً» رواه أحمد⁽²⁾.

ثم قال تعالى: ﴿ قُلْ يَأْتِيَهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أُولَيَاءُ اللَّهِ مِنْ دُونِ

(1) سورة الأعراف الآية/179.

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (475/3)، حديث رقم (2033)، وابن عبد البر في التمهيد شرح الموطأ (37/19)، والهيثمي في مجمع الزوائد، باب الإنصات والإمام يخطب، حديث رقم (3123)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب، حديث رقم (440).

أَنَّ النَّاسَ فَتَمَنُوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِينَ ﴿١﴾ أي: إن كنتم ترعمون أنكم على هدى، وأن محمداً وأصحابه على ضلاله، فادعوا بالموت على الضال من الفئتين ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِينَ﴾ فيما ترعمونه.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بما يعملون من الكفر والظلم والفجور ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ وقد سبق الكلام على هذه المعارضة لليهود حيث قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الْدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنُوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِينَ ﴾⁽¹⁾

والمراد أن يدعوا على الضلال من أنفسهم أو خصومهم كما تقدمت مباهلة النصارى في آل عمران ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَذْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِ فَنَجْعَلَ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَذِيبِينَ ﴾⁽²⁾_{٦١} مقابله المشركين في سورة مريم ﴿فُلْ مَنْ كَانَ فِي الْضَّلَالَةِ فَلِيَمْدُدْ لَهُ الْرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَعُفُ جُنَاحًا ﴾⁽³⁾_{٧٥}.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهم - قال: قال أبو جهل ⁽³⁾ إن رأيت محمداً عند الكعبة لاتينه حتى أطأ على عنقه، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لو فعل لأخته الملائكة عياناً، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً» رواه البخاري والنسائي والترمذني ⁽⁴⁾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ظَمِنُوا إِذَا نُودِي للصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَأَسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾

(1) سورة آل عمران الآية/61.

(2) سورة مريم الآية/75.

(3) أبو جهل عدو الله وفرعون هذه الأمة اسمه عمرو بن هشام كان أبو جهل يكنى في الجاهلية أبا الحكم، وكناه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبا جهل وكان أبو جهل وابنه عكرمة من أشد الناس عداوة لرسول الله، فقتل الله أبا جهل يوم بدر كافراً ويقي عكرمة فاسلم بعد الفتح بقليل. تهذيب الأسماء واللغات (1) 465.

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ حديث رقم (4958)، والترمذني في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ حديث رقم (3345)، والنسياني في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب سورة العلق، حديث رقم (11685).

وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ⑤ فَإِذَا قُضِيَتِ الْأَصْلَوَةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَإِذْ كُرُوا اللَّهُ كَثِيرًا لَّعْلَكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦﴾.

إنما سميت الجمعة جمعة؛ لأنها مشتقة من الجمع وإن أهل الإسلام يجتمعون فيه كل أسبوع مرةً في المعابد الكبار، وفيه كمل جميع الخالق فإنه اليوم السادس من السنة التي خلق الله فيها السموات والأرض، وفيه خلق آدم وفيه دخل الجنة، وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمنٌ يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه، كما ثبت بذلك الأحاديث الصاححة. وعن سلمان قال: قال أبو القاسم - صلى الله عليه وسلم -: «يا سلمان ما يوم الجمعة؟» قلت الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يوم الجمعة جمع الله فيه أبواكم أو أبووكم» رواه ابن أبي حاتم⁽¹⁾، ويقال في اللغة القديمة: يوم العروبة، وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فضلوا عنه، واختار اليهود يوم السبت التي لم يقع فيه خلق، واختار النصارى الأحد الذي ابتدئ فيه الخلق، واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذي أكمل الله فيه الخليقة.

كما في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «نحن الآخرون السابعون يوم القيمة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلقو فيه فهانا الله له، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غداً والنصارى بعد غد»⁽²⁾.

وفي لفظ لمسلم «أصل الله عن الجمعة ما كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، ف جاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد كذلك هم لنا تبع يوم القيمة نحن الآخرون في الدنيا الأولون يوم القيمة المقضي لهم قبل الخالق»⁽³⁾.

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير (237/6)، وابن أبي حاتم في تفسيره (3356)، وابن كثير في تفسيره (119/8)، والحاكم في المستدرك (277/1)، وصححه.

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التعبير، باب النفح في المنام، حديث رقم (7036)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، حديث رقم (855).

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، حديث رقم (856).

وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ عَامَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: فاقصدوا واعدوا واهتموا في سيركم إليها، وليس المراد بالسعى هنا المشي السريع وإنما هو الاهتمام بها قوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانُوا سَعْيَهُمْ مَشْكُورًا﴾⁽¹⁾.

وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود - رضي الله عنهم - يقرآنها (فامضوا إلى ذكر الله)⁽²⁾ قال الحسن: أما والله ما هو بالسعى على الأقدام، ولقد نهوا أن يأتوا الصلوة عليهم السكينة والوقار، وذلك بالقلوب والنية والخشوع⁽³⁾.

وعن قتادة نحوه وأمّا المشي السريع إلى الصلاة فقد نهي عنه⁽⁴⁾ لما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا سمعتم الإقامة فامشو إلى الصلاة وعليكم بالسكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا»⁽⁵⁾ هذا لفظ البخاري وفيهما.

عن قتادة قال: بينما نحن نصلي مع النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ سمع جلبة رجال فلما صلى ما شأنكم قالوا استعجلنا إلى الصلاة قال: «فلا تفعلوا إذا أتيتم الصلاة فعليكم السكينة فما فاتكم فصلوا وما فاتكم فأتموا»⁽⁶⁾.

ويستحب لمن جاء إلى الجمعة أن يغتسل قبل مجئه إليها، لما ثبت في

(1) سورة الاسراء الآية/19.

(2) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (157/2)، وابن حجر في فتح الباري (642/8).

(3) في السعي إليها أربعة أقوال: أحدها: النية بالقلوب قاله الحسن، الثاني: أنه العمل لها كما قال تعالى: (إن سعيكم لشئ) قاله ابن زيد، الثالث: أنه إجابة الداعي قاله السدي، الرابع: المشي على القدم من غير إسراع، وذكر أن عمر وابن مسعود كان يقرآن ((فامضوا إلى ذكر الله))، وفي ذكر الله ثلاثة أقوال، أحدها: أنها موعظة الإمام في الخطبة، قاله سعيد بن المسيب. الثاني: أنها الوقت، حكاه السدي. الثالث: أنه الصلاة، وهو قول الجمهور. ينظر: النكت والعيون (9/6).

(4) ينظر: معلم التنزيل (117/8)، وتفسير بن كثير (120/8).

(5) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الأذان، باب لا يسعى إلى الصلاة ولیات السكينة والوقار، حديث رقم

(636) ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب استحباب إثبات الصلاة بوقار وسکينة، حديث رقم (602).

(6) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الأذان، باب قول الرجل فانتتا الصلاة، حديث رقم (635)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب استحباب إثبات الصلاة بوقار وسکينة، حديث رقم (603).

الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل»⁽¹⁾ وفيهما أيضاً عن أبي سعيد قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتمل»⁽²⁾ وفيهما أيضاً أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»⁽³⁾ ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ويتطيب ويتسوّك ويتنظف ويتطهر.

لما روى أبو أيوب الأنصاري⁽⁴⁾ قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «من اغتسل يوم الجمعة ومسّ من طيب إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه، ثم خرج حتّى يأتي المسجد فيركع إن بدا له ولم يؤذ أحداً، ثم أنتصت إذا خرج إمامه حتّى يصلّي كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى» رواه أحمد ولأبي داود نحوه⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿إِذَا نُودِي لِلصَّلَاة﴾ المراد بهذا النداء الثاني الذي كان يؤذن بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا خرج فجلس على المنبر، (إنه كان حينئذ يؤذن فهذا هو المراد، فأمّا النداء الأول زاده على الزوراء، فإنما كان ذلك لكثرة الناس).

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجمعة، باب فضل الغسل يوم الجمعة، حديث رقم (877)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب فضل غسل يوم الجمعة، حديث رقم (844).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجمعة، باب فضل الغسل يوم الجمعة، حديث رقم (879)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال، حديث رقم (846).

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، حديث رقم (881)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة، حديث رقم (850).

(4) أبو أيوب الأنصاري الخزرجي البخاري البدري السيد الكبير الذي خصّه النبي - صلى الله عليه وسلم - بالنزول عليه في بنى النجار إلى أن بنيت له حجرة أم المؤمنين سودة، وبني المسجد الشريف، اسمه خالد بن زيد بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن النجار بن الخزرجي حدث عنه جابر بن سمرة، والمقداد بن معذ شهد المشاهد كلها مع رسول الله، (ت 51 هـ). سير أعلام النبلاء (402/2).

(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (23571)، وأبو داود في سنته، كتاب الصلاة، باب اللبس للجمعة، حديث رقم (1078)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (898).

كما روى السائب بن يزيد⁽¹⁾ قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر وعمر، فلما كان عثمان بعد زمن وكثير الناس زاد النداء الثالث على الزوارء) رواه البخاري⁽²⁾.

يعني: يؤذن على الدار التي تسمى بالزواراء، وكانت أرفع دار بالمدينة بقرب المسجد حتى يجتمع الناس.

وعن مكحول أن النداء كان في الجمعة مؤذن واحد، حين يخرج الإمام وذاك الذي يحرم البيع والشراء إذا نودي به، قوله ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أي: واتركوا البيع إذا نودي للصلاة، ولهذا اتفقوا على تحريمها بعد النداء الثاني.

وقوله: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم؛ في الدارين إن كنتم تعلمون.

وقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ أي: فرغ منها ﴿فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ وكان عراك بن مالك⁽³⁾ إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني وأنت خير الرزاقين) رواه ابن أبي حاتم⁽⁴⁾.

كما روى عن بعض السلف أنه قال: من باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرّة لقول الله ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ وقوله: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: في حال بيئكم وشرائكم وأخذكم بإعطائكم فاذكروا الله ذكراً كثيراً، ولا تشغلكم الدنيا عن

(1) السائب بن يزيد بن سعد بن ثامة بن الأسود وقيل غير ذلك السائب بن الحارث المعروف بابن أخت نمر يكنى أبايزيد قيل إنه كاناني ليثي وهو حليف أمية بن عبد شمس ولد في السنة الثانية من الهجرة وهو ترب ابن الزبير وحج والده مع رسول الله وهو عمره سبع سنين (ت 80هـ). أسد الغابة (417/1).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجمعة، باب الأذان يوم الجمعة، حديث رقم (912).

(3) عراك بن مالك الغفاري الكناني المدني روى عن بن عمر وأبي هريرة وعائشة روى عنه ابنه خثيم عبد الله وسليمان وهو من خيار التابعين وكان عراك من أشد أصحاب عمر بن عبد العزيز ومات عراك بن مالك بالمدينة في خلافة يزيد بن عبد الملك. تهذيب التهذيب (156/7).

(4) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3356)، وابن كثير في تفسيره (122/8).

الذي ينفعكم في الآخرة.

ولهذا جاء في الحديث «من دخل سوقاً من الأسواق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قادر كتب الله له ألف ألف حسنة ومحى عنه ألف ألف سيئة»⁽¹⁾.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَرَّةً أَوْ لَهُوا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ الْلَّهِ وَمِنَ الْتِجَرَّةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِيقَيْنَ﴾ عاتب تعالى على ما كان وقع من الإنصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ فقال تعالى: **﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَرَّةً أَوْ لَهُوا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ﴾** أي: على المنبر تخطب، هكذا ذكره غير واحد من التابعين، كأبي العالية والحسن وقتادة، وزعم مقاتل بن حيان⁽²⁾ أن التجارة كانت لدحية ابن خليفة⁽³⁾ قبل أن يسلم، وكان معها طبل فانصرفوا معها وتركوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المنبر إلا القليل منهم، وفي الصحيحين عن جابر قال: قدمت غير مرة المدينة ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخطب فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلاً فنزلت **﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَرَّةً أَوْ لَهُوا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾** وفي قوله: **﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾** دليل على أنه يجب أن يخطب الإمام قائماً والمراد بالله المذكور وقيل: كانت العير إذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق، وعن جابر بن سمرة⁽⁴⁾ قال: كان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - (خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس)، وفي رواية كنت أصلی مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وكانت صلاته

(1) أخرجه الترمذى فى سننه، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا دخل السوق، حديث رقم (3756)، وابن ماجه فى سننه، كتاب الدعوات، باب الأسواق ودخولها، حديث رقم (2226)، وصححه الترمذى، حديث رقم (2726)، ووافقه الألبانى فى صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، حديث رقم (2235).

(2) مقاتل بن حيان بن دوال دور أبو النبطى الإمام العالم المحدث أبو بسطام البلاخي الخراز طاف وجال، حدث عن الشعبي ومجاهد والضحاك روى عنه شيخه علقمة بن مرثد وبكير بن معروف وإبراهيم بن أدهم وله أحاديث في الصحاح وكان من العلماء العاملين ذا نسب وفضل. سير أعلام النبلاء (414/11).

(3) دحية بن خليفة، لم أقف على ترجمته بالتفصيل ووجت بعض الكلام عليه وهو أن هرقل قال لدحية بن خليفة الكلبي حين قدم عليه بكتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويحك والله إنني لأعلم أن صاحبكنبي مرسل وإنما كننا ننتظره ونجده في كتابنا، (ت 102 هـ). أسد الغابة (32/2).

(4) جابر بن سمرة بن جنادة بن جندة بن حبيب بن عامر بن صعصعة العابدي واختلف في كنيته فقيل: أبو خالد وقيل: أبو عبد الله وهو حليفبني زهرة وهو ابن أخت سعد بن أبي وقاص سكن الكوفة وابتلى بها داراً وتنوفى في أيام بشر بن مروان وقيل توفي سنة (66 هـ). أسد الغابة (488/1).

قصرًا وخطبته قصراً) رواهما مسلم⁽¹⁾.

والخطبة فريضة في صلاة الجمعة، ويجب أن يخطب قائماً خطبتي، وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلِّي على النبي - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ويوصي بتقوی الله هذه الثلاث فرض في الخطبتيين جمیعاً، ويجب أن يقرأ في الأولى والثانية آیةٌ من القرآن ويدعو للمؤمنین في الثانية فلو ترك واحدةً من هذه الخمس لا تصح جمعته عند الشافعی⁽²⁾، وذهب أبو حنیفة إلى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحمیدة أو تکبیرة أجزاء وردد بأن هذا القر لا يقع عليه اسم الخطبة وهو مأمور بالخطبة والله أعلم.

وقوله: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: الذي عند الله من الثواب على الصلاة والثبات مع النبي - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ﴿خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَمِنَ الْتِجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أي: لمن توكل عليه وطلب الرزق في وقته.

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الجمعة، باب ذكر الخطبتيين قبل الصلاة، حديث رقم (863).

(2) ينظر: الإقناع في الفقه الشافعی للماوردي (19/1).

تفسير سورة المنافقون

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهُدُ إِنَّا لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّا لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهُدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَذِبُونَ ﴾١﴿أَتَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَاحَةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾٢﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِّعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾٣﴿وَإِذَا رَأَيْتُهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَانُهُمْ حُشْبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَأَحْذَرُهُمْ قَتْلَهُمُ اللَّهُ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴾٤﴾.

أخبر - تعالى - عن المنافقين إنهم يتغهبون بالإسلام إذا جاءوا النبي - صلى الله عليه وسلم -، فأماما في باطن الأمر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهُدُ إِنَّا لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ أي: إذا حضروا عندك واجهوك بذلك، وأظهروا لك ليس كما يقولون، ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّا لَرَسُولُهُ﴾.

ثم قال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهُدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَذِبُونَ﴾ أي: فيما أخبروا به وإن كان مطابقاً للواقع؛ لأنهم لم يكونوا معتقدين صحة ما يقولون، ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم.

وقوله: ﴿أَتَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَاحَةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحاican الآثمة؛ ليصدقوا فيما يقولون، فاغترر بهم من لا يعرف جالية أمرهم، فاعتقدوا أنهم مسلمون، فيما اقتدى بهم فيما يفعلون، وصدقهم فيما يقولون، ومن شأنهم أنهم كانوا في الباطن بعيدين عن الإسلام، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس.

ولهذا قال: ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وكان الضحاك يقرؤها اتخاذ إيمانهم⁽¹⁾ بكسر الهمزة أي: تصديقهم الظاهر تقية يتقوّن به القتل،

(1) قراءة (إيمانهم) شادة تفسيرية، (أيمانهم) بالفتح أي: حلفهم الكاذب أو شهادتهم هذه. فإنها تجري مجرى الحلف في التوكيد، وقرئ إيمانهم أي: (جنة) وواقية من القتل والسببي، تفسير البيضاوي (198/8).

والجمهور يقرؤها ﴿أَيْمَنُهُمْ﴾ على الفتح جمع يمين.

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفر، واستبدالهم الضلال بالهدى، فطبع الله على قلوبهم فلا يصل إليها هدى ولا يخلص إليها خير، فلا تعي ولا تهتدي ولا يفقهون شيئاً ﴿وَإِذَا رَأَيْتُهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ أي: و كانوا أشكالاً حسنة وذوي فصاححة وألسنة، إذا سمعهم السامع يصفى إلى قلوبهم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في غاية الضعف والعجز والجبن، ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدٌ﴾ أي: أشباه بلا أرواح وأجسام بلا أحلام، ولهذا قال: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: كلما وقع أمر أو خوف أو صوت في الشكر يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم، وظنوا أنهم قد أتوا لما في قلوبهم من الرعب فهم جمادات وصور بلا معاني، ولهذا قال: ﴿هُمُ الْعَدُوُ فَاحْذَرُهُمْ قَاتَلُهُمُ اللَّهُ أَنَّ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال، عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إن للمنافقين علامات يعرفون بها: تحitem لعنة، وطعمتهم نهبة، وغنميتهم غلوى، ولا يقربون المسجد إلا هجراً، ولا يأتون الصلاة إلا دبراً، مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون، خسب بالليل، صحب بالنهار» وفي رواية «سحب بالنهار» رواه أحمد⁽¹⁾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتُهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكِبُرُونَ ⑤ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ⑥ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى لَا يَنْفَضُوا وَلَلَّهُ خَزَنَ الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ⑦ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجُنَّ الْأَعْزَزَ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلَلَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ⑧﴾.

أخبر - تعالى - عن المنافقين أنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْا رُءُوسَهُمْ﴾ أي: أعرضوا عما قيل لهم، وعطفوا عن ذلك استكباراً واحتقاراً لما

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (293/2)، حديث رقم (7913)، والبيهقي في مجمع الزوائد (باب في النفاق وعلاماته)، حديث رقم (411). وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (794/12) حديث رقم (5872).

قيل لهم، ولهذا قال: ﴿ وَرَأَيْتُهُمْ يَصُدُّونَ ﴾ أي: يعرضون عما دعوا إليه ﴿ وَهُمْ مُسْتَكِبُرُونَ ﴾ حول سفيان وجهه على يمينه ونظر بعينه شزاراً⁽¹⁾ هكذا، ثم جازهم على ذلك فقال: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَسِيقِينَ ﴾ الآية كما سبق في سورة براءة الكلام عليه⁽²⁾.

وقال غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل في عبد الله بن أبي سلول⁽³⁾ له مقام يقومه كل جمعة⁽⁴⁾، لا ينكر شرفاً له من نفسه ومن قومه وكان فيهم شريفاً، إذا جلس النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال: «أيها الناس، هذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزكم به فانصروه واعزره واسمعوا له وأطيعوه، ثم يجلس حتى إذ صنع يوم أحد ما صنع؛ يعني: برجوعه بثلث الجيش ورجع الناس، قام ليفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا: اجلس، أي: عدو الله لست بذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس غضبان فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا: ويلك مالك؟ قال: قمت أشدد أمره فمنعني بعض أصحابه وعندي، فقالوا ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي»⁽⁵⁾.

(1) شزر: (شزره) يشزره شزاراً، نظر المعادي وشرز إلى يشزره بالكسر شزاراً نظر منه في أحد شقيقه ولم يستقبله بوجهه. تاج العروس (12/164).

(2) إن شَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَسِيقِينَ سورة التوبة الآية/80، عندما نزلت هذه الآية قال النبي - صلى الله عليه وسلم - سوف أستغفر لهم زيادة على سبعين مرة، فأنزل الله آية المنافقون.

(3) عبد الله بن أبي بن سلول المنافق وسلول أم عبد الله ولهذا قال العلماء الصواب في ذلك أن يقال عبد الله بن أبي سلول بالرفع بتونين وكان عبد الله بن أبي رأس المنافقين ونزل في ذمه آيات كثير مشهورة وتوفي في زمن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكفنه في قميصه قيل النهي عن الصلاة على المنافقين وإنما صلى عليه لكرامة ابنه، (ت 9 هـ). تهذيب الأسماء واللغات (1/246).

(4) وفيما فعل عبد الله بن أبي حين لوى وجهه: أحدهما: أنه فعل ذلك استهزاء وامتناعاً من فعل ما دعا إليه من إثبات الرسول للاستغفار له، قاله قتادة، الثاني: أنه لوى رأسه بمعنى ماذا قلت. قاله مجاهد. النكث والعيون (8/127)، تفسير بن كثير (5/463).

(5) لم أقف عليه في كتب الحديث وإنما جاء في السيرة النبوية (6/223)، والبداية والنهاية (5/463).

وعن سعيد بن جبیر ⁽¹⁾ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ إِذَا نَزَّلَ مِنْزَلًا لَمْ يَرْتَحِ حَتَّى يَصْلِي فِيهِ فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةً تَبُوكَ بَلْغَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بْنِ سَلْوَلْ قَالَ: لِيُخْرِجَنَّ الْأَعْزَزَ مِنْهَا الْأَذْلَ، فَارْتَحَلَ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ آخِرَ النَّهَارِ، وَقَيْلَ: لَابْنِ سَلْوَلِ ائْتَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَسْتَغْفِرُ لَكُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُنَافِقُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْلَا رُءُوسَهُمْ﴾.

وفي قوله غزوة تبوك نظر بل سهو فإن ابن سلول لم يكن من خرج في غزوة تبوك، بل رجع بطائفة من الجيش، وإنما المشهور عند أصحاب المغازي أن ذلك في غزوة المرسيع وهي غزوة بني المصطلق.

في بينما رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُقِيمٌ هُنَاكَ اُقْتُلَ عَلَى الْمَاءِ جَهْجَاهُ بْنُ سَعِيدَ الْغَفارِي ⁽²⁾، وَكَانَ أَجِيرًا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَابِ وَسَنَانَ بْنَ زَيْدٍ ⁽³⁾.

قال ابن اسحاق ازدحاما على الماء فاقتلا، فقال سنان: يا عشر الأنصار وقال جهجاه: يا عشر المهاجرين، وزيد بن أرقم ⁽⁴⁾ ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبي، فلما سمعها قال: قد نافرنا وكاشروننا في بلادنا، والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلُكَ، وَاللَّهُ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعْزَزَ مِنْهَا الْأَذْلَ.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ عَنْهُ مِنْ قَوْمِهِ وَقَالَ: مَا صَنَعْتُمْ بِأَنفُسِكُمْ، أَحْلَلْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ، وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ، أَمَّا وَاللَّهُ لَوْ كَفَفْتُمْ عَنْهُمْ لَتَحْلُوا عَنْكُمْ مِنْ بِلَادِكُمْ إِلَى غَيْرِهَا،

(1) سعيد بن جبیر الأسدی الفقيه المحدث المفسر كان أحد علماء التابعين أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وقال بعضهم كان أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيب وبالتفسیر مجاهد وأجمعهم لذلك سعيد بن جبیر توفي في سنة خمس وسبعين، طبقات المفسرين للداودي (10/1).

(2) أبو سعيد الغفاری له صحبة شهد بيعة الرضوان وكان في غزوة المرسيع أجيرًا لعمر سکن المدينة كان مولى لبني ليث، حدث عن أبي هريرة روى عنه أبوهانی الخلواتی، فتح الباب في الکنية والألقاب (367/1).

(3) سنان بن زید أبو فروة الراہوی من التابعين أدرك على بن أبي طالب روى عنه ابنه أبو فروة بیزید بن سنان الجزری وسنان بن بیزید بیروی عن سفیان بن عینة وغيره (ت 155ھ). المؤتلف والمختلف للدارقطنی (1210/3).

(4) زید بن الأرقم بن زید بن قیس بن النعمان بن مالک بن ثعلبة بن کعب بن الخزرج الأنصاري، کنیته أبو عمر وقيل: أبو عامر، روى عنه ابن عباس وأنس بن مالک وابن أبي لیلی، غزا مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تسع عشر غزوة نزل الكوفة وكانت وفاته سنة ثمان وستين، الاستیعاب (159/1).

فسمعها زيد بن أرقم - رضي الله عنه - فذهب بها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو غلام وعنه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فأخبره الخبر، فقال عمر - رضي الله عنه -: يا رسول الله مر عباد بن بشر فليضرب عنقه، فقال - عليه الصلاة والسلام -: (فكيف إذا تحدث الناس يا عمر أن محمدًا يقتل أصحابه، ولكن ناد يا عمر بالرحيل) فلما بلغ عبد الله بن سلول أن ذلك بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتاه فاعتذر إليه، وحلف بالله ما قال عليه زيد بن أرقم وكان عند قومه بمكان فقالوا: يا رسول الله عسى أن يكون هذا الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قاله، وراح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مُهجرًا في ساعة كان لا يروح فيها.

فلاقيه أسيد بن الحضير - رضي الله عنه - فسلم عليه بتحية النبوة، ثم قال: والله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبي؟ زعم أنه إذا قدم المدينة أنه سيخرج الأعزر منها الأذل»⁽¹⁾ قال يا رسول الله أنت العزيز وهو الذليل. ثم قال يا رسول الله، ارفق به فو الله لقد جاء الله بك وإننا لننظم له الخرز⁽²⁾ لتنوجه، فإنه ليرى أنه قد أسلبه ملكه، فسار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالناس حتى أمسوا وليلته حتى أصبحوا، وصدر يومه حتى اشتد الضحى ثم نزل بالناس ليشغلهم عمًا كان من الحديث، فلم يأمن الناس أن وجدوا مس الأرض فناموا ونزلت سورة المنافقين⁽³⁾.

وعن جابر⁽⁴⁾ قال: كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة فكسع رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يالأنصار؟ وقال المهاجري يالله؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ما بال دعوى

(1) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (4/53)، من طريق ابن إسحاق، عن محمد بن يحيى.

(2) الخرز: أي بمعنى الخفَّ يخرُّ كتبه، والمخرز ما يخرز به، والخرزة حرفته، وخرز كفرح أحكم أمره والخرز فصوص من جيد الجوهر ورديئه والخرز خيطة الأدم وكل كتبة منه خرزة والمخرزمون الطير والحمام وخرزات الملك السنون المحيط في اللغة (350/1).

(3) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (112/4) حديث رقم (1403)، لم أقف على حكم الحديث.

(4) جابر بن عبد الله بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، شهد بدرًا وأحدًا والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو أول من أسلم من الأنصار قبل العقبة الأولى وله حديث عند الكلبي، (ت 78 هـ)، الإستيعاب (65/1).

الجاهلية؟ دعوها فإنها منتة»⁽¹⁾.

فقال عبد الله بن أبي بن سلول: وقد فعلوها، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منه الأذلّ.

قال جابر: وكانت الأنصار في المدينة أكثر من المهاجرين، حين قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم كثر المهاجرون بعد ذلك، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» رواه أحمد وفي الصحيحين نحوه⁽²⁾.

وعن زيد بن أرقم قال: كنت مع عمّي في غزوة فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول: لأصحابه لا تتفقوا على من عند رسول الله، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ، فذكرت ذلك لعمّي فذكره عمّي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأرسل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فحدثته.

فأرسل إلى عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه فلطفوا بالله ما قالوا، فكذبني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأصابني هم لم يصبني مثله قط وجلست في البيت فقال عمّي: ما أردت إلا أن كذبك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومقتاك! قال حتّى أنزل الله ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُنَافِقُونَ﴾ قال: فبعث إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقرأها ثم قال: «إن الله قد صدقك» رواه أحمد وفي البخاري نحوه⁽³⁾.

قال بن اسحاق: كما بلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال يا رسول الله: إنّه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه؟

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الدعوات، باب من دعوى الجاهلية، حديث رقم (3330)، ومسلم في صحيحه، كتاب الدعوات، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، حديث رقم (6748).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (53/4)، والبخاري في صحيحه، التفسير، باب سورة المنافقون، حديث رقم (4622)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب نصراً لأخ ظالماً أو مظلوماً، حديث رقم (6748).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (370/4)، حديث رقم (19510)، والبخاري في صحيحه، كتاب التفسير بباب سورة المنافقون، حديث رقم (4621)..

فإن كنت فاعلاً فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها رجلٌ أברأ بوالده مني، غير أنني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتلته فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «Bell نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا»⁽¹⁾.

ونذكر عكرمة⁽²⁾ وغير واحدٍ، أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله بن أبي على باب المدينة، واستئن سيفه، فجعل الناس يمرون عليه، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنه: وراءك ! فقال: مالك ويلك؟ فقال: والله لا تجوز من ه هنا حتّى يأذن لك فإنه العزيز وأنت الذليل⁽³⁾، فلما جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان إنما يسير ساقة فشكا إليه عبد الله بن أبي ، فقال ابنه عبد الله: والله يا رسول الله لا يدخلها حتّى تأذن له، فأذن له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: أما إذا أذن لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجز الآن . فدخل فلم يلبث إلا أياماً قللاً، بل حتّى اشتكي ومات، وفي رواية قال لأبيه والله لا يدخل المدينة أبداً حتّى يقول: رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (الأعز وأنا الأذل)⁽⁴⁾ .

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ظَاهَرُوا لَا تُلْهِمُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أُولَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ ⑤ وَانْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخْرَجْتَنِي إِلَى أَجَلِ قَرِيبٍ فَأَصَدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ⑥ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

أمر تعالى عباده المؤمنين بكثرة ذكره، ونهيهم أن يشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك وأخبرهم أنه من التّهـي بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عـما خلق له من طاعة ربه

(1) لم أقف عليه في كتب التخريج، ووقفت عليه في كتب السيرة النبوية لابن هشام (292/2).

(2) عكرمة أبو عبد الله القرشي مولاهم العلامة الحافظ المفسر أبو عبد الله مولاهم المدني البربرى قيل: كان لحسين ابن أبي الحر العنبرى فوهبه لابن عباس حدث عن ابن عباس، وعائشة، (ت 105هـ)، سير أعلام النبلاء (9/11).

(3) ينظر: جامع البيان (22/669، 670)، وتفسير ابن كثير (8/132).

(4) أخرجه ابن الحميدى فى مسنده (3/475) حديث رقم (1299)، والإمام أحمد فى مسنده (2/520) حديث رقم (1240).

وذكره، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهلיהם يوم القيمة، ثم حثهم على الإنفاق في طاعته.

وقال: ﴿وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخْرَجْتَنِي﴾ أي: هل أمهلتني يسأل الرجعة.

﴿إِلَيْ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: أزكي مالي وأكن من المؤمنين، والمراد بالصلاح هنا الحج، قاله بن عباس⁽¹⁾ وكل مفترط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ولو شيئاً يسيراً ليتدارك ما فاته وهيات هيات، وما فات ليس بآتٍ، وكل بحسب تفريطه، أما الكفار فكما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرُنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُحْبِطْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعْ الرُّسُلَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمَتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾⁽²⁾، وقال تعالى ﴿خَتَّإِذَا جَاءَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ أَرْجِعُونِ﴾⁽³⁾ لعله أعمل صلحاً فيما ترك كلاً إنها كلمة هو قابلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون⁽⁴⁾، ثم قال تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾.

ثم قال - تعالى - أي: لا ينظر الله ولا يمهل أحداً بعد حلول أجله، وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقاً في قوله وسؤاله من لو ردّ لعاد إلى شرّ مما كان عليه ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وعن أبي الدرداء⁽⁴⁾ قال: ذكرنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الزيادة في العمر فقال: (إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وإنما الزيادة في العمر أن يرزق الله العبد ذرية صالحة يدعون له فيلحقه دعاءهم في قبره) رواه ابن حاتم⁽⁵⁾.

(1) ينظر: جامع البيان (672/2)، والبغوي في معلم التنزيل (134/8).

(2) سورة إبراهيم الآية/44.

(3) سورة المؤمنون الآية/100.

(4) تقدمت ترجمته .

(5) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3174/10)، وضعفه الألباني، في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزياته، حديث رقم 1671.

تفسير سورة التغابن

وهي مدنية

عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهم - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما من مولود يولد إلا مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن) حديث ضعيف رواه ابن عساكر في تاريخه⁽¹⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْأَمْلَكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
 ① هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
 خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ الْحَقِّ وَصَوَرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ② يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرِعُونَ وَاللَّهُ عَلَيْمٌ بِذَاتِ الْأَصْدُورِ﴾.

هذه السورة هي المسبحات، وقد سبق الكلام على تسبيح المخلوقات لبارئها ومالكيها، ولهذا قال: ﴿لَهُ الْأَمْلَكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ أي: هو المتصرف في جميع الكائنات المحمود على جميع ما يخلق ويفعله، قوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: مهما أراد كان بلا ممانع ولا مدافع، وما لم يشاً لم يكن.

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ أي: هو الخالق لكم على هذه الصفة وأراد منكم ذلك فلا بد من وجود مؤمن وكافر، وهو البصير بمن يستحق الهدایة من يستحق الإضلal، وهو شهيد على أعمال عباده، وسيجزيهم بها أتم الجزاء. ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ثم قال: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالعدل والحكمة، ﴿وَصَوَرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ أي: أشكالكم.

قوله: ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع والمآب. ثم أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات السماوية والأرضية والنفسية فقال: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

(1) رواه ابن عساكر في تاريخيه (150/63)، والطبراني في المعجم الأوسط (119/4)، حديث رقم (1763)، وابن حبان في سننه (81/3).

وَيَعْلَمُ مَا تُشْرِونَ وَمَا تُعْلَمُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الْصَّدُورِ ﴿١﴾.

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبِيًّاً مِّنْ قَبْلِ فَدَافُوا وَبَالَّا أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾
 ⑤ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَّرْ - يَهْدُونَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا
 وَأَسْتَغْفِي اللَّهَ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾.

أَخْبَرَ - تَعَالَى - عَنِ الْأَمْمِ الْمَاضِيَّةِ، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ فِي
 مُخَالَفَةِ الرَّسُلِ وَالتَّكْذِيبِ بِالْحَقِّ فَقَالَ: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبِيًّا مِّنْ قَبْلِ ﴾ أَيْ:
 خَبْرُهُمْ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴿ فَدَافُوا وَبَالَّا أَمْرِهِمْ ﴾ أَيْ: وَخِيمَ تَكْذِيبِهِمْ وَرَدِيءَ أَفْعَالِهِمْ،
 وَهُوَ مَا حَلَّ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَقُوبَةِ وَالْخَزْيِ، وَلَهُمْ مَضَافًا إِلَى ذَلِكَ عَذَابُ الْيَمِّ فِي
 الْآخِرَةِ.

ثُمَّ عَلَلَ فَقَالَ: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ أَيْ: بِالْحَجَّ
 وَالدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَاتِ ﴿ فَقَالُوا أَبَشَّرْ يَهْدُونَا ﴾ أَيْ: اسْتَبِعُو أَنْ تَكُونَ الرِّسَالَةُ
 فِي الْبَشَرِ، وَأَنْ يَكُونَ هَادِهِمُ عَلَى بَشَرٍ مِّثْلِهِ ﴿ فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا ﴾ أَيْ: كَذَّبُوا بِالْحَقِّ
 وَنَكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ وَأَعْرَضُوا عَنِ الْإِنْقِيَادِ ﴿ وَأَسْتَغْفِي اللَّهَ ﴾ أَيْ: عَنْهُمْ وَعَنِ طَاعَتِهِمْ
 ﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ ﴾ أَيْ: عَنْ خَلْقِهِ ﴿ حَمِيدٌ ﴾ فِي أَفْعَالِهِ.

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ لَنْ يُبَعْثُرُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّ لَثْبَعَثَنَّ ثُمَّ لَثَبَّئُونَ بِمَا عَمِلْتُمْ
 وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ⑦ فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالثُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
 خَيْرٌ ⑧ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَلِحًا
 يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلُهُ جَنَّةً تَخْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ
 الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ⑨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيَّا يَنْتَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَلِيلِينَ فِيهَا
 وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾.

أَخْبَرَ - تَعَالَى - عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَالْكُفَّارِ وَالْمُلْحِدِينَ أَنَّهُمْ يَرْعَمُونَ أَنَّهُمْ لَا يَبْعَثُونَ
 وَلَا يَنْشِرُونَ: ﴿ قُلْ بَلَى وَرَبِّ لَثْبَعَثَنَّ ثُمَّ لَثَبَّئُونَ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ أَيْ: لِتَخْبِرُنَّ بِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ
 جَلِيلَهَا وَحَقِيرَهَا ﴿ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ أَيْ: بِعُنُوكُمْ وَمَجَازَاتِكُمْ عَلَى اللَّهِ هِيَنْ وَسِهْلٌ، وَهَذِهِ

الآية الثالثة التي أمر رسوله عليه - الصلاة والسلام - أن يقسم بريه على وقوع المعد ووجوده فال الأولى في سورة يونس: ﴿وَيَسْتَئْعُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِذِ وَرَيْتَ إِنَّهُ لَحَقٌ وَمَا أَنْثُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾⁽¹⁾ والثانية في سورة سباء: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَيْتَ لَقَاتِيَنَّكُمْ عَلَيْمَ الْغَيْبِ لَا يَعْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾⁽²⁾ والثالثة هي هذه: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ لَنْ يُبَعْثُوا قُلْ بَلَى وَرَيْتَ لَتُبَعَّثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّئُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

ثم قال: ﴿فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالثُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ يعني: القرآن ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: فلا يخفى عليه من أعمالكم خافية.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ وهو يوم القيمة سمى بذلك لأنه يجمع فيه الأولون والآخرون في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر.

كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾⁽³⁾.

وقوله: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ أَشْعَابُنِّ﴾ قال ابن عباس: هو من أسماء يوم القيمة، وذلك أن أهل الجنة يغبون أهل النار⁽⁴⁾، وكذلك قال قتادة ومجاهد. وقال مقاتل بن حيان⁽⁵⁾: لاغبن أعظم من أن يدخل هؤلاء إلى الجنة، وبذهب بأولئك إلى النار.

قال الشيخ - رحمه الله -: وقد فسر ذلك بقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَلِحًا يُكَفِّرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخَلُهُ جَنَّتِ تَحْجِرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽¹⁾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيمَانِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ سبق تفسير مثله غير مرّة.

(1) سورة يونس الآية/35.

(2) سورة سباء الآية/3.

(3) سورة هود الآية/103.

(4) فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه من أسماء يوم القيمة، الثاني: لأنه غبن فيه أهل الجنة أهل النار، الثالث: لأنه يوم غبن فيه المظلوم الظالم لأن المظلوم كان في الدنيا مغبوناً فصار في الآخرة غابناً، النكث والعيون (23/6).

(5) سبق ترجمته.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ يُكْلِلُ شَيْءَ عَلِيهِمْ ﴾ ١٦ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّمُ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ ١٧ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ١٨﴾

أخبر - تعالى - بما أخبر به في سورة الحديد ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ تَبَرَّأُهَا﴾⁽¹⁾ قال هنا: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: بأمر الله يعني: قدره ومشيئته وقضاءه⁽²⁾، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ يُكْلِلُ شَيْءَ عَلِيهِمْ﴾ وعوضه عما فاته في الدنيا هدى في قلبه وبقينا صادقاً، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيراً منه، وقال ابن عباس: أي: يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه⁽³⁾، وقيل: معناه يسترجع يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ وفي الحديث المتفق عليه: «عجب المؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أمر بطاعة الله ورسوله فيما شرع و فعل ما به أمر، وترك ما نهى عنه وجزر، ثم قال: ﴿فَإِنْ تَوَلَّمُ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: إن نكلتم عن العمل فإنما عليه ما حمل من البلاغ وعليكم ما حملتم من السمع والطاعة، قال الزهري: من الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، علينا التسليم⁽⁵⁾، ثم قال مخبراً أنه الأحد الصمد الذي لا إله غيره فقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فال الأول خبر عن التوحيد ومعناه الطلب أي: وحدوا الإلهية، له وأخلصوا العبادة لديه، وتوكلوا عليه، كما قال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا

(1) سورة الحديد الآية/22 .

(2) معالم التنزيل (142/8)، وتفسير ابن كثير (138/8) .

(3) فيه أربع تأويلات لأحدها: معناه يهدي قلبه الله تعالى، الثاني ك أنه يعلم أنه من عند الله ويرضى ويسلم، قاله بشير، الثالث: أن يسترجع فيقول: إن الله وإننا إليه راجعون، الرابع: هو إذا ابتلى صبر وإذا أنعم عليه شكر وإذا أظلم غفر، قاله الكلبي: ينظر: النكت والعيون(6/23) .

(4) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الزهد والرفاق، باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم (7692).

(5) جامع البيان (13/23)، وتفسير ابن كثير (138/8) .

إِلَهٌ إِلَّا هُوَ فَأَتَخْذِهُ وَكِيلًا ﴿١﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ظَاهَرُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ عَدُوًا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾١٤ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾١٥ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفَقُوا خَيْرًا لَا نَفْسٍ كُمْ وَمَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾١٦ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفُهُ لَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾١٧ عَلَيْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهِيدَةُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾١٨﴾.

أَخْبَرَ - تَعَالَى - عَنِ الْأَزْوَاجِ وَالْأُولَادِ أَنَّ مِنْهُمْ عَدُوُّ الزَّوْجِ وَالْوَالِدِ، بِمَعْنَى أَنْ يَشْتَغِلَ بِهِ عَنِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، كَقُولِهِ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ظَاهَرُوا لَا تُلْهِمُ أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَسِيرُونَ ﴾٢، وَلِهَذَا قَالَ هَذَا: ﴿ فَأَحْذَرُوهُمْ ﴾ أي: عَلَى دِينِكُمْ، قَالَ مَجَاهِدٌ: يَعْنِي: يَحْمِلُ الرَّجُلُ عَلَى قَطْيَعَةِ الرَّحْمِ أَوْ مُعْصِيَةِ رَبِّهِ فَلَا يَسْتَطِعُ مَعَ حَبَّهِ إِلَّا أَنْ يَطِيعَهُ⁽³⁾، وَعَنْ أَبْنَ عَبَاسٍ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ظَاهَرُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ عَدُوًا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ ﴾ قَالَ هُؤُلَاءِ أَسْلَمُوا بِمَكَةَ، فَأَرَادُوا أَنْ يَأْتُوا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَبَى أَوْلَادَهُمْ وَأَرْوَاجُهُمْ أَنْ يَدْعُوهُمْ.

فَلَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَأَوْا النَّاسَ قَدْ فَقَهُوا فِي الدِّينِ فَهَمُّوا أَنْ يَعَاقِبُوْا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ كَذَا رَوَاهُ التَّرمِذِيُّ وَصَحَّهُ⁽⁴⁾.

وَقُولُهُ: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ أي: اخْتِبَارٌ وَابْتِلَاءٌ مِّنَ اللَّهِ لِخَلْقِهِ لِيَعْلَمَ مَنْ يَطِيعُهُ مَنْ يَعْصِيهِ.

(1) سورة المزمل الآية/9.

(2) سورة المنافقون الآية/9.

(3) عَلَى وَجْهَتِيْنِ أَحَدَهُمَا: فَاحْذِرُوهُمْ عَلَى دِينِكُمْ، قَالَهُ أَبْنَ زِيدَ، وَالثَّانِي: عَلَى أَنْفُسِكُمْ: وَهُوَ مُحْتَمَلٌ، النَّكْتَ وَالْعَيْنُونَ (25/6)، وَتَفْسِيرُ الْإِمَامِ مَجَاهِدٍ (662).

(4) أَخْرَجَهُ التَّرمِذِيُّ فِي سَنَنِهِ، كِتَابُ التَّفْسِيرِ، بَابُ مَنْ مِنْ سُورَةِ التَّغَابِنِ، حَدِيثُ رَقْمِ (3634)، وَصَحَّهُ التَّرمِذِيُّ، وَوَافَقَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحٍ وَضَعَفَهُ سُنَنُ التَّرمِذِيِّ، حَدِيثُ رَقْمِ (3317).

وقوله: ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ كما قال: ﴿ رُّبِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنَّظَةِ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحُرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآءِ ﴾⁽¹⁾ وعن بُريدة قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخطب فجاء الحسن والحسين - رضي الله عنهما - وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعرثان، فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المنبر وحملهما فوضعهما بين يديه فقال: «صدق الله ورسوله ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ نظرت إلى هذين الصبيان يمشيان ويعرثان فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما» رواه أحمد وأهل السنن والترمذى⁽²⁾، وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «الولد ثمرة القلب، وإنهم مجننة مخلة محزنة» رواه الحافظ البزار⁽³⁾.

وقوله: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا أُسْتَطِعْتُمْ ﴾ أي: جهدهم وطاقتهم.

كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (إذا أمرتكم بأمر فأنتم منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه)⁽⁴⁾ قال بعضهم أن هذه الآية ناسخة للتي في آل عمران وهي قوله: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِلُهُ وَلَا تَمُؤْنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ فإذاً لما نزلت اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورموا عراقيبهم وتقرّحت جماهيرهم، فأنزل الله تخفيفاً على المسلمين ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا أُسْتَطِعْتُمْ ﴾ فنسخت تلك الآية⁽⁵⁾.

(1) سورة آل عمران الآية 14/1.

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (100/38)، حديث رقم (22996)، وأبوداود في سننه، كتاب الجمعة، باب الإمام يقطع الخطبة، حديث رقم (1109)، والترمذى في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين، حديث رقم (3774)، والنمسائي في السنن الكبرى، كتاب الجمعة، باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة، حديث رقم (1585)، وابن ماجة في سننه، كتاب اللباس، باب لبس الحمر للرجال، حديث رقم (3600). وصححه الترمذى، ووافقه الألبانى في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (7205).

(3) أخرجه البزار في مسنده (247/2)، حديث رقم (1797)، وصححه الألبانى في صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (13116).

(4) أخرجه البخارى في الجامع الصحيح، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم (7288)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب توقيره وترك إكثار سؤاله، حديث رقم (1337).

(5) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3358/10).

وعن أبي العالية⁽¹⁾ وغير واحد من السلف نحو ذلك، قوله: ﴿ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ أي: كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله، ولا تميلوا عنه يمنةً ولا يسرةً، ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا تختلفوا عما أمرتم، ولا ترتكبوا ما عنه زجرتم. قوله: ﴿ وَأَنِفَّقُوا خَيْرًا لَا نُفِسِّرُهُ ﴾ أي: وأبدلوا مما رزقكم الله على الأقارب وذوي الحاجات وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن إليكم، يكن خيراً لكم في الدارين، وإن لا نفعوا يكن شرّاً لكم في الدنيا والآخرة قوله: ﴿ وَمَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ سبق تفسيره في سورة الحشر⁽²⁾، مع الأحاديث المناسبة له بما يغني عن إعادته هنا.

قوله: ﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعِّفُهُ لَكُمْ ﴾ أي: مهما أنفقتم من شيء فهو يخلفه، ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاءه ونزل ذلك منزلة القرض كما ثبت في الصحيح أن الله - تعالى - يقول: «من يقرض غير ظلوم ولا عدوم»⁽³⁾ ولهذا قال: ﴿ يُضَعِّفُهُ لَكُمْ ﴾ كما سبق في سورة البقرة، ﴿ فَيُضَعِّفُهُ اللَّهُ أَضْعَافًا كَثِيرًا وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(٤).

قوله: ﴿ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ﴾ أي: ويغفر عنكم السيئات، ولهذا قال: ﴿ وَاللَّهُ شَكُورٌ ﴾ أي: مجاز على القليل بالكثير ﴿ حَلِيمٌ ﴾ أي: يصفح ويغفر ويستر ويتجاوز عن الذنوب، والزلات والخطايا والسيئات، ﴿ عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهِيدَةُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ سبق تفسيره غير مرّة والله أعلم.

(1) أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري، الإمام المقرب الحافظ المفسر، أبو العالية الرياحي، البصري أحد الأعلام كان مولى لأمرأة من بنى رياح بن بريوع، ثم من بنى تميم، أدرك زمان النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو شاب وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق ودخل عليه، وسمع من عمر (ت 90هـ). سير أعلام النبلاء (7/231).

(2) في الآية 9.

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر من آخر الليل، حديث رقم (1811).

تفسير سورة الطلاق

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ الْنِسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَاحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحِدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾.

خاطب النبي - عليه الصلاة والسلام - أولاً تشريفاً وتكريراً، ثم الأمة تبعاً، عن أنس طلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حصة فأنت إلى أهلها فأنزل الله: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ الْنِسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾** فقيل له: راجعها فإنها صوامة قوامة، وهي من أزواجك ونسائك في الجنة). رواه ابن جرير وابن أبي حاتم⁽¹⁾.

كما ورد من غير وجه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طلق حصة ثم راجعها.

وفي الصحيحين أن عبد الله بن عمر طلق امرأة له، وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتغيظ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منه ثم قال له: «ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسها، ف تلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء»⁽²⁾ قال ابن عمر: وقرأ النبي - صلى الله عليه وسلم -: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ الْنِسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾** قوله: **﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾** قال ابن مسعود: وغير واحد: أي: الطهر من غير جماع، وقال ابن عباس: أي: لا يطلقها وهي حائض، ولا في طهر قد جامعها فيه، ولكن يتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة⁽³⁾.

(1) رواه الطبرى فى تفسيره (30/23) ورواه ابن أبي حاتم فى تفسيره (3359)، حسن الألبانى فى صحيح وضعيف الجامع الصغير وزیادته (1/780) حديث رقم (7800).

(2) أخرجه البخارى فى الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب سورة الطلاق، حديث رقم (4625)، ومسلم فى صحيحه، كتاب الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها، حديث رقم (1471).

(3) ينظر: جامع البيان (22/23)، ومعالم التنزيل (147/8)، وتفسير ابن كثير (143/8).

وقال عكرمة: ﴿فَطَلِقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ العدة: الطهر، والقرء: الحيضة أن يطلقها حبلٌ مستيناً حملها ولا يطلقها وقد طاف عليها ولا يدرى حبلٌ أم لا⁽¹⁾، ومن هنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق، وقسّموه إلى طلاق سنة وطلاق بدعة، فطلاق السنة: أن يطلقها طاهراً من غير جماع، أو حاملاً قد استبان حملها، والبدعي: هو أن يطلقها في حال الحيض أو في طهر قد جامعها فيه ولا يدرى أحملت أم لا؟ وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة: وهو طلاق الصغيرة والآيسة وغير المدخل بها، وموضع بسطه كتب فقه الفروع والله أعلم.

وقوله: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةُ﴾ أي: احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها، لئلا تطول العدة على المرأة فتمتنع من الأزواج ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: في ذلك.

﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجُنَّ﴾ أي: مدة العدة لها حق السكنى على الزوج ما دامت معتمدة منه، فليس للزوج أن يخرجها ولا يجوز لها الخروج لأنها معنقة لحق الزوج أيضاً.

وقوله: ﴿إِلَّا أَن يَأْتِيَنَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ أي: لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة فتخرج من المنزل والفاحشة المبينة، يشمل الزنا.

كما قال ابن مسعود وابن عباس وكثير أئمة التابعين، أنها تخرج حينئذ لإقامة الحد ويشمل ما إذا نشرت أو بذلت على أهل الرجل وأنتهم في الكلام والفعل⁽²⁾، كما قال أبي بن كعب وغير واحد.

وقوله: ﴿قِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: شرائعه ومحارمه ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي: ومن يخرج عنها ويتتجاوزها إلى غيرها ولا يأمر بها، ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ أي: بفعل ذلك.

(1) يعني: في طهر من غير جماع، وهو طلاق السنة، وفي اعتبار العدد في طلاق السنة قولان: أحدهما أنه معتبر وإن من السنة أن يطلق في كل قراء واحدة فإن طلقها ثلاثة معاً في قراء كان طلاق بدعة، وهذا قول أبي حنيفة ومالك رحمهما الله، الثاني: أنه غير معتبر وأن السنة في زمان الطلاق لا في عدده وإن طلقها ثلاثة في قراء كان غير بدعة قاله الشافعي رحمه الله، وإن طلقها حائضاً أو في طهر جماع كان بدعة. النكاث والعيون (29/6).

(2) ينظر: الدر المنثور (534/14)، ومعالم التنزيل (150/8).

وقوله: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحِدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ أي: إنما أبقينا المطلقة في منزل الزوج في مدة العدة لعل الزوج يندم على طلاقها ويلقي الله في قلبه الميل إليها ومراجعتها فيكون ذلك أيسر وأسهل، قالت فاطمة بنت قيس⁽¹⁾: هو الرجعة وبه قال آخرون.

ومن هنا ذهب بعض السلف ومن تابعهم كالأمام أحمد إلى أنه لا يجب السكنى للمبتوة؛ وكذا للمتوفى عنها زوجها⁽²⁾، معتمدين على حديث فاطمة بنت قيس حين طلقها أبو عمر بن حفص آخر ثلاث تطليقات وكان غائباً عنها باليمن، فأعلمها بذلك فأرسل إليها وكيله بشعر يعنی: نفقة فسخطته، فقال: والله ليس لك علينا نفقة، فاتت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «ليس لك عليه نفقة ولا سكنى» وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك، ثم قال: «تلك امرأة يغشاها أصحابي اعتدي عند أم مكتوم، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك»⁽³⁾، الحديث وفي رواة لأحمد قالت: فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت إن فلانا طلقني ومنعني السكنى والنفقة.

قال له: «ما لك ولابنة آل قيس». قال: يارسول الله إن أخي طلقها ثلاثة جمياً. قال: فقل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «انظري يا بنت آل قيس إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها رجعة، فإذا لم يكن عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنى اخرجي فانزلي على فلانة» ثم قال: «إنه يتحدث إليها انزلي على ابن أم مكتوم فإنه أعمى لا يراك»⁽⁴⁾ وذكرت تمام الحديث، وروى النسائي نحوه.

(1) فاطمة بنت قيس بن خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن فهر القرشية الفهرية أخت الضحاك بن قيس كانت من المهاجرات الأوائل وهي التي طلقها أبو حفص بن المغيرة فأمرها رسول الله: أن تعتد في بيت أم مكتوم وتزوجها أسماء بن زيد. أسد الغابة (3/400).

(2) ينظر: جامع البيان (23/38).

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثة لا نفقة لها، حديث رقم (1480)، والإمام مالك في الموطأ، كتاب الطلاق، باب ماجاء في نفقة المطلقة، حديث رقم (1210) والإمام أحمد في مسنده، (73/6) حديث رقم (27145).

(4) سبق تحريره.

﴿فَإِذَا بَلَغُنَ أَجْلَهُنَ فَأَمْسِكُوهُنَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيَ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ وَخْرَجًا ﴿٥﴾ وَيَرِزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وَإِنَّ اللَّهَ بِإِلْيَامِ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٦﴾﴾.

﴿فَإِذَا بَلَغُنَ أَجْلَهُنَ﴾ أي: شارفن على انقضاء عدتهن وقاربن ذلك ولكن لم تفرغ العدة بالكلية، فحينئذ إما أن يعزم الزوج على إمساكها وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه والإستمرار بها على ما كانت عليه عنده معروف؛ أي: محسنا إليها في صحبتها، وإما أن يعزم على مفارقتها معروف، أي: بلا مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف بل يطلقها على وجه جميل وسيبل حسن.

وقوله: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيَ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ أي: على الرجعة إذا عزتم عليها قال عطاء: لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاع إلا شاهد عدل كما قال تعالى: (إلا أن يكون من عذر).

وقوله: ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: هذا الذي أمرناكم به من الإشهاد وإقامة الشهادة إنما يأمر به من يؤمن بالله.

ومن ههنا ذهب الشافعي في أحد قوله إلى وجوب الإشهاد في الرجعة كما يجب عنده في ابتداء النكاح⁽¹⁾، وبه قال طائفة من العلماء فلا يصح الرجعة إلا بالقول والإشهاد عليها، وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ وَخْرَجًا﴾ أي: ومن يتقد الله فيما أمره به وترك ما نهى عنه يجعل له من أمره مخرجاً ﴿وَيَرِزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: من جهة لا يخطر على باله.

وعن أبي ذر قال: جعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتلو على هذه الآية ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ وَخْرَجًا ﴿٥﴾ وَيَرِزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ حتى فرغ من الآية قال (يا أبا ذر لو أن الناس أخذوا بها كفتهم فعل يتلوها ويرددوها على حتى نعست)، رواه أحمد⁽²⁾.

(1) جامع البيان (23/42)، تفسير بن كثير (146/8).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (436/35)، حديث رقم (21551)، وضعفه الألباني في الترغيب والترهيب، حديث رقم (1056).

وعن ابن مسعود قال: إن أجمع آية في القرآن فرجاً، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ وَخْرَجَا﴾ وقال ابن عباس: أي: ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة⁽¹⁾، وقال الريبع: أي: من كل شيء ضاق على الناس⁽²⁾، وقال قتادة: أي: من شبّهات الأمور والكرب عند الموت، ويرزقه من حيث لا يرجو ولا يأمل.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من أكثر من الاستغفار يجعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) رواه أحمد⁽³⁾.

قال ابن إسحاق: جاء مالك الأشجعي⁽⁴⁾ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له: أسر ابني عوف، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أرسل إليه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمرك أن تكثر من قول لا حول ولا قوّة إلا بالله)⁽⁵⁾ وكانوا قد شدّوه بالقدّ فسقط القدّ عنه فخرج فإذا هو بناقة لهم فركبها وأقبل، فإذا بسرج القوم الذين شدّوه فصاح بها فاتبع أولها آخرها فلم يفجأ أبوه إلا وهو ينادي بالباب فقال أبوه: عوف وربّ الكعبة ! فقالت أمه: واسوأاته وعوف كيف يقدم علينا لما هو فيه من القدّ؟ فاستبقا الباب والخدم فإذا هو عوف قد ملا الفناء إبلًا، فقصّ على أبيه أمره وأمر الإبل، قال أبوه: قِفَا حتّى آتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأسئلته عنها فأتاه فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «اصنع بها ما أحببت، وما كنت صانعاً بمالك ونزل ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ وَخْرَجَا﴾ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» رواه ابن أبي حاتم⁽⁶⁾.

(1) فيه أقوالن أحدها: أي: ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس الثاني: أن المخرج من علمه بأنه من قبل الله، فإن الله هو الذي يعطي وينعم قاله مسروق. الثالث: مخرجاً من الباطل إلى الحق، ومن الضيق إلى السعة. قاله ابن جريج.النكت والعيون (6).

(2) ينظر: معلم التنزيل (1519/8)، والدر المنثور (537/14).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (104/4)، حيث رقم (2234)، والنمسائي في السنن الكبرى، باب ثواب ذلك، حيث رقم (19290)، وضيقه الألباني في صحيح وضييف الجامع الصغير، حيث رقم (12249).

(4) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، صاحبي جليل، يكنى أبا عبد الرحمن، ويقال أبو حماد، أول مشاهده خير، وكان معه راية أشجع يوم الفتح، سكن الشام، روى عنه من الصحابة أبو أيوب الأنصاري، وأبو هريرة، توفي بدمشق سنة (73هـ)، أسد الغابة (381/2).

(5) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3360)، وضيقه الألباني في ضييف الترغيب والترهيب، حيث رقم (972).

(6) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3360)، وابن كثير في تفسيره (147/8).

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسِيبُهُ﴾ عن ابن عباس أنه ركب يوماً خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعن فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه أحمد والترمذى وصححه⁽¹⁾.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من نزل به حاجة فأنزلها الناس كان قمنا أن لا تسهل حاجته، ومن أنزلها بالله تعالى آتاه الله برق عاجل أو بموت آجل» رواه أحمد⁽²⁾.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِغَ أَمْرِهِ﴾ أي: منفذ قضياته وأحكامه في خلقه بما يريد ويشاءه ﴿فَدَ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي: جعل من كل شيء من الشدة والرخاء أجلاً ينتهي إليه.

﴿وَالَّتِي يَئِسَّنَ مِنَ الْمَحِيطِ مِنْ تَسَاءِلِكُمْ إِنْ أَرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضُنْ وَأَوْلَكُ الْأَحْمَالَ أَجْلُهُنَّ أَنْيَضَعُنَ حَمْلُهُنَّ وَمَن يَتَقَّى اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ وَمِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ① ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَقَّى اللَّهَ يُكَفِّرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعَظِّمُ لَهُ أَجْرًا ②﴾.

بين الله عدّة الآيسة وهي التي انقطع عنها المحيض لكبرها أنها ثلاثة أشهر عوضاً عن الثلاثة قروء في حق من تحيض كما دلت عليه آية البقرة، وكذا الصغيرة التي لم تبلغ سن الحيض؛ لأن عدتها كعدّة الآيسة ثلاثة أشهر.

ولهذا قال: ﴿وَالَّتِي لَمْ يَحْضُنْ﴾ قوله: ﴿إِنْ أَرْتَبْتُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما:

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (4) حديث رقم (887/4)، والترمذى في سنته، باب النبي - صلى الله عليه وسلم - يا حنظلة ساعة وساعة، حديث رقم (2706)، وصححه الترمذى، ووافقه الألبانى فى صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (13917).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (6/2249)، حديث رقم (3693) إسناده (حسن) مسنون الصحابة في الكتب التسعة (26/26).

أي: إن رأين دماً وشككتم في كونه حيضاً واستحاضة وهو قول مجاهد والزهري، والثاني: شككتم في حكم عدتهنّ ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر يروى هذا عن ابن جبير⁽¹⁾ وهو اختيار ابن جرير، وهو أظهر في المعنى.

كما قال أبي بن كعب⁽²⁾ يارسول الله إن عدداً من عدد النساء لم تذكر في الكتاب الصغار والكبار وأولات الأحمال، قال فأنزل الله عزوجل ﴿وَاللَّئِي يَسْنُنُ مِنَ الْمَحِيطِ مِنْ نِسَاءِكُمْ إِنْ أَرْتُبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاللَّئِي لَمْ يَحْضُنْ وَأُولَئِكُنَّ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنَّ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ رواه ابن جرير قوله: ﴿وَأُولَئِكُنَّ الْأَحْمَالُ﴾ أي: ومن كانت حاملاً عدتها بوضعه، ولو كان بعد الطلاق أو يموت الزوج بفوق ناقه في قول الجمهور، كما هو نص هذه الآية، وكما وردت به السنة.

وقد روي عن علي وابن عباس - رضي الله عنهم - أنهما ذهبا في المتوفى عنها زوجها أنها تعتد بأبعد الأجلين من الوضع والأشهر عملاً بهذه الآية والتي في سورة البقرة. وقد روى أبو سلمة⁽³⁾ قال: جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس فقال: أفتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة، فقال ابن عباس: من آخر الأجلين، قلت أنا: ﴿وَأُولَئِكُنَّ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي يعني: أبي سلمة، فأرسل ابن عباس غلامه كريباً⁽⁴⁾ إلى عائشة يسألها فقالت: قتل زوج سُبيعة الأسلمية وهي حبل فوضعت بعد موته بأربعين ليلة، فخطبت فأنكرها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان أبو السنابل⁽⁵⁾ فيمن خطبها، هكذا في

(1) جامع البيان (49/23)، النكت والعيون (32/6)، وتفسير الإمام مجاهد (663).

(2) أبي بن كعب بن قيس بن عبد بن زيد بن معاوية بن النجار واسمه تيم اللات، وقيل: تيم الله بن ثعلبة بن عمرو الخرج الأكبر الأننصاري وأم أبي صهيله بنت الأسود بن حرام بن عدي كنأه النبي - صلى الله عليه وسلم - بها شهد العقبة وبدراً روى عنه عبادة بن الصامت وابن عباس، (ت 21 هـ). أسد الغابة (30/1).

(3) أبو سلمة بن عبد الأسد هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، اسمه عبد الله بن عبد الأسد، أمه بنت بزّة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فهو بن عم النبي وهو أحد الذين هاجروا إلى الحبشة شهد بدراً وجرح بأحد جرحاً اندر مثنه في جمادى الآخر، (ت 3 هـ). أسد الغابة (190/3).

(4) كريب بن أبي مسلم والد رشدين بن كريب مولى ابن عباس مديني، روى عن ابن عباس ومعاوية وميمونة وأم سلمة (ت 98 هـ). الجرح والتعديل (168/7).

(5) أبو السنابل بن بعكك بن الحارث بن عبد الدار كذا نسبه عمرو، بن الكلبي، هو أبو السنابل بن بعكك بن الحارث بن عملية بن السنابل واسمه عمر وأمه بنت أوس العذريه أسلم في الفتح وهو من المؤلفة قلوبهم وكان شاعراً سكن الكوفة. أسد الغابة (192/3).

الصحيحين)⁽¹⁾. وفيهما عن المسور بن مخرمة⁽²⁾. أن سُبيعة الأسلمية توفى عنها زوجها فلم يمكث إلا ليالي حتى وضعت، فلما تعلّت من نفاسها خطبت، فاستأذنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في النكاح فأذن لها أن تتحف فنكت.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ أي: يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة، ثم قال: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ما ذكر من الأحكام، ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: حكمه وشرعه ﴿أَنَزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ بواسطة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعَظِّمُ لَهُ أَجْرًا﴾ أي: ويدهبه عنه المحذور ويجزل له الثواب على العمل اليسير.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا ثُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَئِي حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضْعَنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَإِنَّهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا بِيَنْتَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَسَّرُوكُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُنَّ أُخْرَى ⑤ لِيُنِفِقُ ذُو سَعْةٍ مِنْ سَعْيِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَلْيُنِفِقْ مِمَّا وَاتَّهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا وَاتَّهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾.

أمر - تعالى - عباده إذا طلق أحدهم امرأته أن يسكنها في منزل حتى تنقضي عدتها فقال: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ أي: عندكم من وجدكم، قال ابن عباس وغير واحد: يعني: سعكم. حتى قال قتادة: إن لم تجد جنب بيتك فأسكنها فيه⁽³⁾، قوله: ﴿وَلَا ثُضَارُوهُنَّ﴾ أي: لا تؤذنهن ﴿لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ قال

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَوْلَى الْأَحْمَالِ أَجَهْنَ أَنْ يَضْعَنَ حَمْلَهُنَّ﴾ حديث رقم (4909).

(2) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري أبو عبد الرحمن له صحبة وأمه عاتكة بنت عوف أخت عبد الرحمن بن عوف ولد بمكة بعد الهجرة بستين و كان فقيها من أهل العلم والدين وأقام بالمدينة إلى أن قتل عثمان ثم سار إلى مكة فلم يزل بها حتى قتل معاوية ثم قتل المسور بحجر منجنيق وهو يصلی في الحجر سنة أربع وستين. أسد الغابة (14/3).

(3) يعني: مطلقات نسانكم أي: أسكنوهن حيث سكنتم، وإذا كان موسراً يوسع عليهما في السكن والنفقة، وإن كان فقيراً فعلى قدر الطاقة. والمعندة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدة ونعني بالسكنى مؤنة السكنى، فإن كانت الدار التي طلقها فيها ملكاً للزوج يجب على الزوج أن يخرج ويترك لها مدة عدتها، معلم التزيل (154/8). وتفسير ابن كثير (152/8).

مقاتل بن حيان⁽¹⁾: يعني: لا تضاجرها لتفتدي بما لها أو تخرج من مسكنه⁽²⁾.

وقال الضحاك: هو أن يطلقها فإذا بقي يومان راجعها قوله: ﴿وَإِن كُنَّ أُولَئِكَ حَمْلٌ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: المرأة البائن إن كانت حاملاً أنفق عليها حتى تضع حملها⁽³⁾, بدليل أن الرجعيّة تجب نفقتها سواءً كانت حاملاً أو حائلاً, وقال آخرون: بل السياق كله في الرجعيّات وإنما نصّ على الإنفاق على الحامل، وإن كانت رجعيّة، لأن الحمل يطول مدته غالباً فاحتياج إلى النص على وجوب الإنفاق إلى الوضع لئلا يتوجه إنما يجب النفقة بمقدار هذه العدة، ثم اختلفوا هل النفقة لها بواسطة الحمل أو للحمل وحده؟ على قولين من صوّصين للشافعي.

وقوله: ﴿فَإِن أَرْضَعْنَ لَكُم﴾ أي: إذا وضعن حملهنّ وهن طوالق وانقضت عدّتهنّ فلها حينئذ أن ترضع الولد وأن تتمتع منه، ولكن بعد أن تغذيه باللبأ، وهو باكورة اللبن الذي لا قوام للولد غالباً إلا به، فإن أرضعت استحقّ أجرة مثلاها، ولها أن تعاقد أباها أو ولية على ما يتفقا عليه من أجرة، ولهذا قال ﴿فَإِن أَرْضَعْنَ لَكُم فَقَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾.

وقوله: ﴿وَأَتَمْرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: ول يكن أموركم فيما بينكم بالمعروف من غير إضرار ولا نقصان ولا مضاراة كما قال في سورة البقرة: ﴿لَا تُضَارَّ وَلِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿وَإِن تَعَاسِرُتُم﴾ أي: واحتفل الرجل والمرأة فإن طابت المرأة في أجرة الرضاع كثيراً ولم يجبها الرجل إلى ذلك أو بذل الرجل قليلاً ولم توافقه عليه فليستررضع له غيرها، فلو رضيت الأم بما استوجرت به الأجنبية فهي أحق بولدها⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿لِيُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعْتِهِ﴾ أي: لينفق على المولود والده أو ولية بحسب قدرته ﴿وَمَنْ قُدْرَ﴾ أي: ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَلِيُنْفِقُ مِمَّا عَاقَلَهُ اللَّهُ﴾ من المال

(1) سبق ترجمته.

(2) فيه قولان: أحدهما في المساكن، قاله مجاهد. الثاني: لتضيقوا عليهم في النفقة، قاله مقاتل. النكت والعيون (34/6)، جامع البيان (61/23)، قال الطبرى يعني: لتضيقوا عليهم في المسكن مع وجودكم السعة.

(3) ينظر: جامع البيان (62/23)، وتفسير ابن كثير (153/8).

(4) سورة البقرة الآية/233.

(5) ينظر: جامع البيان (76/23)، والنكت والعيون (35/6).

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا أَتَاهَا﴾ هو قوله ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾⁽¹⁾، وعن أبي مالك الأشعري، واسمـه الحارث قال: سـئـل رسول الله - صـلـى الله عـلـيـه وسلمـ ثلاثة نـفـرـ كان لأـحـدـهـمـ عـشـرـ دـنـانـيرـ فـتـصـدـقـ مـنـهـاـ بـدـيـنـارـ، وـكـانـ لـأـخـرـ عـشـرـ أـوـاقـ قد تـصـدـقـ مـنـهـاـ بـأـوـقـيـةـ، وـكـانـ لـأـخـرـ مـائـةـ أـوـقـيـةـ فـتـصـدـقـ مـنـهـاـ بـعـشـرـ أـوـاقـ، فـقـالـ: رـسـولـ اللهـ - صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وسلمـ «ـهـمـ فـيـ الـأـجـرـ سـوـاءـ كـلـ قـدـ تـصـدـقـ بـعـشـرـ مـالـهـ»ـ قـالـ اللهـ: ﴿يُنِفِّقُ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ﴾ـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ غـرـيـبـ رـوـاهـ الطـبـرـانـيـ⁽²⁾.

وقـولـهـ: ﴿سـيـجـعـلـ اللـهـ بـعـدـ عـسـرـ يـسـرـاـ﴾ـ وـعـدـ مـنـهـ تـعـالـىـ وـوـعـدـهـ حـقـ وـهـوـ لـاـ يـخـلـفـهـ أـيـ: بـعـدـ ضـيقـ وـشـدـدـةـ غـنـىـ وـسـعـةـ وـهـوـ كـوـلـهـ: ﴿فـإـنـ مـعـ الـعـسـرـ يـسـرـاـ﴾ـ إـنـ مـعـ الـعـسـرـ يـسـرـاـ⁽³⁾.

وعـنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ قـالـ: دـخـلـ رـجـلـ فـلـمـ رـأـيـ مـاـ بـهـمـ مـاـ رـأـيـ مـاـ بـهـمـ مـاـ رـأـيـ مـاـ بـهـمـ فـلـمـ رـأـيـ اـمـرـأـتـهـ ذـلـكـ قـامـتـ إـلـىـ الرـحـىـ فـوـضـعـتـهـ إـلـىـ التـنـورـ فـسـجـرـتـهـ، ثـمـ قـالـتـ: اللـهـمـ اـرـزـقـنـاـ، فـإـذـاـ الـجـفـنـةـ قـدـ اـمـتـلـأـتـ قـالـتـ: وـذـهـبـتـ إـلـىـ التـنـورـ فـوـجـدـتـهـ مـمـتـلـأـ قـالـ: فـرـجـعـ الـزـوـجـ وـقـالـ: أـصـبـتـ بـعـدـ شـيـئـاـ قـالـتـ اـمـرـأـتـهـ: نـعـمـ مـنـ رـبـنـاـ فـأـمـ إـلـىـ الرـحـىـ فـرـفـعـهـاـ وـاسـتـخـرـجـتـ الـمـرـأـةـ مـاـ فـيـ التـنـورـ فـذـكـرـ ذـلـكـ لـلـنـبـيـ - صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وسلمـ - قـالـ: «ـأـمـ إـنـ لـوـ لـمـ تـرـفـعـهـاـ لـمـ تـنـزلـ تـدـورـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ»ـ رـوـاهـ أـحـمـدـ⁽⁴⁾.

﴿وَكَأَيْنِ مِنْ قَرِيَةٍ عَتَّثْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبَنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبَنَهَا عَذَابًا نَّكِرًا﴾ـ فـذـاقـتـ وـبـأـلـ أـمـرـهـاـ وـكـانـ عـقـبـةـ أـمـرـهـاـ خـسـرـاـ⁽⁵⁾ـ أـعـدـ اللـهـ لـهـمـ عـذـابـاـ شـدـيـداـ فـاتـقـعـواـ اللـهـ يـتـأـوـلـىـ الـأـلـبـيـبـ الـذـيـنـ عـاـمـنـواـ قـدـ أـنـرـلـ اللـهـ إـلـيـكـمـ ذـكـرـاـ⁽⁶⁾ـ رـسـوـلـاـ يـتـلـوـ عـلـيـكـمـ ءـاـيـتـ اللـهـ مـبـيـتـ لـيـخـرـجـ الـذـيـنـ عـاـمـنـواـ وـعـمـلـواـ الـصـلـحـاتـ مـنـ الـظـلـمـاتـ إـلـىـ الـثـوـرـ وـمـنـ يـوـمـ ءـاـلـلـهـ وـيـعـمـلـ صـلـحـاـ يـدـخـلـ جـنـدـ تـجـرـىـ مـنـ تـحـتـهـاـ الـأـنـهـرـ

(1) سورة البقرة، الآية / 286.

(2) رـوـاهـ الطـبـرـانـيـ فـيـ الـمـعـجمـ الـكـبـيرـ (292/3)ـ حـدـيـثـ رـقـمـ (3440)، وـضـعـفـهـ الـأـلـبـانـيـ فـيـ سـلـسلـةـ الـأـحـادـيـثـ الـضـعـيفـةـ وـالـمـوـضـوـعـةـ (452/2)ـ حـدـيـثـ رـقـمـ (3449).

(3) سـوـرةـ الشـرـحـ الـآـيـةـ 6.

(4) أـخـرـجـهـ الـإـمـامـ أـحـمـدـ فـيـ مـسـنـدـهـ (513/2)ـ حـدـيـثـ رـقـمـ (10709)، وـضـعـفـهـ الـأـلـبـانـيـ فـيـ السـلـسلـةـ الـضـعـيفـةـ وـالـمـوـضـوـعـةـ، (11/680)، حـدـيـثـ رـقـمـ (5406).

خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ وَرِزْقًا .

توعد الله لمن خالف أمره وكذب رسle وسلك غير ما شرعه مخبراً عما حل بالآمم السالفة بسبب ذلك فقال: ﴿ وَكَأَيْنِ مِنْ قَرِيْةٍ عَنَّ امْرِ رَبِّهَا ﴾ أي: تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسle ﴿ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَابَنَاهَا عَذَابًا أَنْكَرًا ﴾ أي: منكراً فظيعاً ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ امْرِهَا ﴾ أي: جزاءه وثقل عاقبة أمرها وتبعته وندموا حيث لا ينفع الندم ﴿ وَكَانَ عَنِيقَةً امْرِهَا حُسْرًا ﴾ في الدارين ﴿ أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ أي: في الآخرة مع ما عجل لهم في الدنيا، ثم قال بعد ما قصّ من خبر هؤلاء: ﴿ فَأَتَقْوُا اللَّهُ يَتَأْوِي الْأَلْبَبِ ﴾ أي: الأفهام المستقيمة، لا تكونوا مثلهم فيصيّبكم ما أصابهم. ﴿ الَّذِينَ ظَاهَرُوا ﴾ أي: صدقوا الله ورسله ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾ يعني: القرآن قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرَلْنَا الذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾⁽¹⁾.

وقوله: ﴿ رَسُولًا يَتَلَوَّا عَلَيْكُمْ مَا يَأْتِي اللَّهُ مُبِينٌ ﴾ قال بعضهم رسول منصوب على أنه بدل اشتغال وملابة لأن الرسول هو الذي بلغ الذكر، وقال ابن حرير: الصواب أن رسول ترجمة عن الذكر؛ يعني: تفسيراً له⁽²⁾.

ولهذا قال: ﴿ رَسُولًا يَتَلَوَّا عَلَيْكُمْ مَا يَأْتِي اللَّهُ مُبِينٌ ﴾ أي: في حال كونها بيّنة واضحة جلية ﴿ لَيُخْرِجَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ أي: من الكفر إلى الإيمان.

وقوله: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنُ اللَّهُ وَيَعْمَلْ صَلِحًا يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنَهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ وَرِزْقًا ﴾ قد سبق تفسير مثل هذا غير مرة بما أغني عن إعادته ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بِيَنْهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾⁽³⁾.

أخبر - تعالى - عن قدرته التامة وسلطانه العظيم؛ ليكون ذلك باعثاً على تعظيم ما شرع من الدين القويم فقال: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ قوله إخباراً

(1) سورة الشرح الآية/6

(2) ينظر: جامع البيان (76/23).

عن نوح أنه قال لقومه: ﴿أَلَمْ ترَا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾⁽¹⁾.
وقوله: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي: سبعاً أيضاً.

كما ثبت في الصحيحين: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوّقه من سبع أراضين»⁽²⁾ أي: عدداً بطبقاتها ومن حمل على سبع أقاليم فقد أبعد النجعة، وخالف الكتاب والسنة، وقد سبق في تفسير سورة الحديد ذكر الأراضين السبع وبعد ما بينهن، وكثافة كل واحدة منها، هكذا عن ابن مسعود وغيره، وقال ابن عباس: لوحدتكم بتفسيرها لكرمتكم، وكفركم بتذليلكم بها. رواه ابن جرير⁽³⁾.

وقال ابن عباس أيضاً: سبع أراضين في كل أرض نبي كنبيكم، وأدم كآدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسي كعيسي)، رواه البيهقي⁽⁴⁾.

وفي كتاب الأسماء والصفات، وفي كتاب "التفكير والاعتبار" لأبي بكر بن أبي الدنيا مرسلاً أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انتهى إلى أصحابه وهم ساكتون لا يتكلمون فقال: «ما لكم لا تتكلمون؟» قالوا: نتفكر في خلق الله تعالى قال: «فكم ذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتقربوا فيه، فإن بهذا المغرب أرضاً بيضاء نورها بياضها - أو قال: بياضها نورها - مسيرة الشمس أربعين يوماً فيها خلق من خلق الله لم يعصوا الله طرفة عين أبداً قط». قالوا: فأين الشيطان منهم، قال: «لا يدرؤن خلق آدم أم لم يخلق»، قالوا من ولد آدم، قال: «ما تدرؤن خلق آدم أم لم يخلق» وهذا الحديث غريب جداً⁽⁵⁾ والله أعلم .

(1) سورة نوح الآية/15.

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المظالم، باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض، حديث رقم (2321)، ومسلم في صحيحه، كتاب البيوع، باب تحريم الظلم وغضب الأرض، حديث رقم (1612).

(3) ينظر: جامع البيان (79/23)، والنكت والعيون (36/6).

(4) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (370/2)، حديث رقم (799)، والحاكم في المستدرك (535/2) حديث رقم (3822)، وصححه الذهبي في التلخيص.

(5) رواه ابن كثير في تفسيره، وضعفه الحافظ ابن كثير، ووافقه الألباني، في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (6220).

تفسير سورة التحرير

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ① قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحْلِلَةً أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَانَكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ② وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيَّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَغْرَضَ عَنِ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ③ إِنْ تَشْوِبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَّثْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظْلَمُهُ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَانَهُ وَجَبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ④ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقْنَ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنِيتِ تَبِعَاتٍ عَلِيَّاتٍ سَتِيحَاتٍ ثَبِيَّاتٍ وَأَبْكَارًا ⑤ ﴾.

اختلفوا في سبب نزول هذه السورة فقيل: نزلت في شأن مارية⁽¹⁾، كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد حرّمها فنزل قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ كما قال أنس⁽²⁾: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت له أمة يطئها، فلم تزل عائشة وحفصة، فأنزل الله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكَ ﴾، وعن زيد بن أسلم⁽³⁾ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه فقالت: أي: رسول الله في بيتي وعلى فراشي؟ فجعلها عليه حراما، فقالت: تحريم عليك الحال؟ فحلف لها بالله لا يصيّبها

(1) مارية القبطية مولا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسرّ بيته وهي أم ولده إبراهيم بن النبي - صلى الله عليه وسلم - أهدتها له المقوقي صاحب الإسكندرية وأهدى معها أختها سيرين، (ت 16 هـ). أسد الغابة (411/3).

(2) أنس بن مالك بن النظر ابن ضمضم بن عدي بن النجار الخزرجي الأنصاري البصري، خادم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكنى أبا حمزة، شهد بدراً مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو غلام يخدمه، واختلف في سنة وفاته، قل مات سنة (93 هـ)، وهو ابن مائة سنة وثلاث سنين، الإستيعاب (35/1).

(3) زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة بن حزم حليف بني العجلان وهو ابن عم ثابت بن أقمر شهد بدراً وقيل: إنه من بني عمرو بن عوف بن الأوس. الإصابة (1/389).

فأنزل الله ﷺ **﴿يَتَأْمِنُهَا الَّذِي لَمْ تُحِرِّمْ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكَ﴾** رواه ابن جرير⁽¹⁾.

وعن ابن عمر قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لحفصة: «لاتحدثي أحداً، إن أم إبراهيم علي حرام» فقالت: أحرم ما أحل الله لك؟ قال: «والله لا أفرها». قال: فلم يقربها حتى أخبرت عائشة، فأنزل الله: **﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحْلِلَةً أَيْمَانِكُمْ﴾** وكان ابن عباس يقول: في الحرام يمين يكرهها.

وقال: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾**⁽²⁾ والخبران دالان على وجوب الكفارة على من حرم زوجته أو جاريته مطلقاً بلا نية طلاق فلو نوى به الطلاق وقع ما نوى⁽³⁾.

وعند أحمد: عام في كل شيء من المباحات⁽⁴⁾، وقيل: نزلت في شأن شرب العسل عند زينب بنت جحش⁽⁵⁾، كما في البخاري عند هذه الآية.

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكت عندها فتوطأت أنا وحفصة⁽⁶⁾ على أيتنا دخل عليها فليقل له: أكلت مغافير⁽⁷⁾ إني أجد منك ريح مغافير، قال: «لا

(1) رواه ابن جرير في تفسيره (23/83).

(2) سورة الأحزاب الآية/21.

(3) فيه وجهان: أحدهما قد بين الله لكم المخرج من إيمانكم، الثاني: قد قدر الله لكم الكفارة في الحنث في إيمانكم. النكث والعيون (40/6).

(4) ومن هاهنا ذهب من الفقهاء من قال بوجوب الكفارة على من حرم جاريته أو زوجته أو طعاماً أو شراباً أو ملباً أو شيئاً من المباحات وهو مذهب الإمام أحمد. وذهب الإمام الشافعي إلى أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية، حرم عينيهما أو أخلف التحريم فيهما .تفسير ابن كثير (160/8).

(5) زينب بنت جحش زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - أخت عبد الله بن جحش وهي أسدية من أسدبني خزيمة وأمها بنت عبد المطلب عمّة النبي - صلى الله عليه وسلم - ونكّي أم الحكم وكانت قديمة الإسلام ومن المهاجرات، وكانت قد تزوجها زيد بن حارثة مولى النبي - صلى الله عليه وسلم -، (ت 20هـ)، أسد الغابة (3/357).

(6) حفصة بنت عمر بن الخطاب زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - وهي أخت عبد الله بن عمر لأبيه وأمه وأمهما زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح كانت من المهاجرات وكانت قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحت خنيس بن حذافة بن قيس وكانت صوامة قوامة، (ت 41هـ). الاستيعاب (1/584).

(7) مغافير: (الغفر) نبات ينبت في السهول والرى كأنه عصافير خضر ومن الكلاء صغاره (المغفار) ضمخ حلو يسيل من شجر العرفط يؤكل أو يوضع في ثوب ثم ينضح بالماء فيشرب. المعجم الوسيط (2/656).

ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبرني بذلك أحداً⁽¹⁾ ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾.

وفي كتاب الایمان والندور، فيه أنها قالت: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً فتوطأ ثم أداهها وإن أتيتنا دخل عليها النبي - صلى الله عليه وسلم - فلتفق: إني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير؟ فدخل على إداحهما النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت ذلك له فقال: «بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له»⁽²⁾.

فنزلت ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى: ﴿إِن تَنْوِي إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَّتْ قُلُوبُكُمْ﴾ لعائشة وحصة ﴿وَإِذْ أَسَرَ النَّبِيَّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ لقوله: بل شرب عسلاً، وفيه المغافير شبيه بالصمغ يكون في الرمت فيه حلاوة. «واحدها مغفور ويقال: مغافير، وهو ينضح من شجر العرفط» وقد رواه مسلم أيضاً⁽³⁾.

وفي البخاري أيضاً في كتاب الطلاق حديث مبسوط صريح في أن ساقية العسل كانت حفصة والتواتي كان بين عائشة وسودة وصفية وهكذا أيضاً رواه مسلم. وقد يقال: إنها وقعتان ولا بعد من ذلك، ولا شك أن عائشة وحصة كانتا هما المتظاهرتين، والدليل على ذلك ما في الصحيحين.

وأكثر السنن والروايات وطرق عن ابن عباس قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية، فما أستطيع أن أسأل هيبة له، حتى خرج حاجاً فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له قال: وقف له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت: يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي - صلى الله عليه وسلم -؟ من أزواجه فقال: مالك؟ حفصة وعائشة، قال: فقلت: والله إن كنت

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكَ﴾ حديث رقم (4912).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الطلاق، باب ﴿لَمْ تُحَرِّمْ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكَ﴾ حديث رقم (4966)، ومسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته، حديث رقم (3751).

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينبو الطلاق، حديث رقم (1474).

لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنةٍ فما أستطيع هيبةً لك .

قال فلا تفعل ما ظننت أن عندي من علم فاسألكي فإن كان لي علمٌ أخبرتك
به قال: ثم قال: عمر والله كذا في الجاهلية ما نعْدُ النساء أمراً حتى أنزل الله فيهنَّ ما
أنزل، وقسم لهنَّ ما قسم .

قال في بينما أنا في أمرِ أتأمره إذ قالت: أمراني لو وضعتك كذا وكذا قال: فقلت
لوك ما لك وما ه هنا فيما يكفيك في أمرِ أريد، فقالت: لي عجباً لك يا ابن الخطاب
ما ت يريد أن تراجع أنت وأن ابنتك لتراجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتَّى
يظلَّ يومه غضبان .

فقام عمر فأخذ رداءه مكانه حتَّى دخل على حفصة فقال: لها يا بنية إنك
لتراجعين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتَّى يظلَّ يومه غضبان، قالت
حفصة: والله إنا لنراجعه فقلت: تعلمين إني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله، يابنيَّة
لا تغرنَّك هذه التي أعجبها حسنها حبَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أيُّها
يريد عائشة قال: ثم خرجت حتَّى دخلت على أم سلمة لقربتي منها فكلمتها، فقالت أم
سلمة عجاً لك يا ابن الخطاب دخلت في كلِّ شيء حتَّى تتبعي أن تدخل بين رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - وأزواجه فأخذتني والله أخذًا كسرتني عن بعض ما كنت
أجد، فخرجت من عندها وكان لي صاحب من الأنصار إذا غبت أتاني بالخبر وإذا
غاب كنت أنا آتيه بالخبر، ونحن نتَّخوَّف ملِكًا من ملوك غسان ذكر لنا أنه يريد أن
يسير إلينا، فقد امتلأت صدورنا منه، فإذا صاحبي الأنصاري يدقُّ الباب فقال: افتح
افتح، فقالت جاعني الغساني، فقال: أشدَّ من ذلك اعتزل رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - أزواجه فقالت: رغم أنف حفصة وعائشة وأخذت ثوبي فأخرج حتَّى جئت فإذا
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مشربة له ترفاً عليها بنحيلة .

وغلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسود على رأس الدرجة فقلت له
قل هذا عمر بن الخطاب فأذن لي قال: عمر فقصصت على رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - هذا الحديث فلما بلغت حدث أُم سلمة تبسم رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - وإنَّه لعلى حصير ما بينه وبينها شيء وتحت رأسه وسادة من أدم

خشوها ليف وإن عند رجليه قرظاً مصبراً، وعند رأسه أهب معلقة فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكى فقلت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله فقال: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولني الآخرة»⁽¹⁾، قوله: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُم﴾ أي: بين وأوجب أن يكفروا إذا حنثتم كما ذكر في سورة المائدة ﴿وَاللَّهُ مَوْلَانَا﴾ أي: ولهم وناصركم ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

قوله: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ الَّذِي إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيشًا﴾ هو تحريم مارية على نفسه وقوله لحصة لا تخبرني بذلك أحداً ﴿فَلَمَّا نَبَأَتْ﴾ أي: أخبرت به حصة عائشة، ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: اطلع الله نبيه على أنها أبأت به ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ﴾ أي: بعض الفعل الذي فعلته من إفشاء سره ﴿وَأَغْرَضَ عَنْ بَعْضِهِ﴾ أي: ولم يعلمها ببعض آخر لئلا ينشر ذلك في الناس أي: وغضب من ذلك عليها وجازها بمساق في الحديث.

﴿فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ﴾ أي: أخبر حصة بما أظهر الله عليه، قالت: حصة ﴿مَنْ أَنْبَأَكَ﴾ أي: من أخبرك بأني أفشلت سرك ﴿قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ إن تَشْوِبَاً إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من التعاون على النبي - صلى الله عليه وسلم - بما مضى، والخطاب لعائشة وحصة، ﴿فَقَدْ صَغَتْ﴾ أي: زاغت ومالت عن الحق ﴿فُلُوبُكُمَا﴾ أي حكمها التوبة، وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - قال: (لما اعتزل النبي الله نساءه دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون: طلق النبي - صلى الله عليه وسلم - نساءه وذلك قبل أن يؤمر بالحجاب، فقلت: لا أعلم ذلك اليوم فذكر الحديث في دخوله على عائشة وحصة ووعظه إياهما إلى أن قال: فدخلت فإذا أنا برياح غلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أسكتة المشربة فناديت فقلت: يا رياح استاذن لي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدخل ثم خرج).

قال: قد ذكرت له فصمت؟ حتى ردّ ماراً فأذن، قال: فدخلت فقلت: يا

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (349/1)، حديث رقم (222)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (4317).

رسول الله ما يشق عليك من أمر النساء فإن كنت طلقهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبوبكر والمؤمنون معك، وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي، فنزلت هذه الآية آية التخيير ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْوَاجًا حَيْرًا مِنْكُنَّ﴾.

﴿وَإِنْ تَظَاهِرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ فقلت: أطلقتهن؟ فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق نساءه) رواه مسلم⁽¹⁾.

قوله: ﴿وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الخلفاء الراشدون و قوله: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنَّ﴾ أي: واجب من الله إن طلقهن رسوله ﴿أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْوَاجًا حَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ﴾ أي: خاضعات الله بالطاعة ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ أي: مصدقات بتوحيد الله ﴿قَنِيتَنِتٍ﴾ أي: طائعات داعيات ﴿تَتَبَيَّنَتِ عَلِيَّاتٍ سَتَّاحَاتٍ﴾ أي: صائمات قاله غير واحد⁽²⁾، وقال زيد بن أسلم: أي: مهاجرات، والأول أقرب، ﴿ثَيَّبَتِ وَأَبْكَارًا﴾ أي: منهن ثبات ومنهن أبكارات، ليكون أنشط للنفس وهذا في الإخبار عن القدرة لا عن الكون، لأنه قال إن طلقهن، وقد علم الله أنه لا يطلقهن فيكون من قبيل.

﴿وَإِنْ تَتَوَلُوا يَسْتَبَدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾⁽³⁾، وعن بريدة⁽⁴⁾ في قوله: ﴿ثَيَّبَتِ وَأَبْكَارًا﴾ قال (وعد الله نبيه في هذه الآية أن يزوجه الثبات والأبكار، فالثبات آسية امرأة فرعون والبكر مريم بنت عمران) رواه الطبراني⁽⁵⁾.

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء، حديث رقم (3764).

(2) ﴿ثَيَّبَتِ﴾ فيه وجهان أحدهما من الذنوب قاله السدي. الثاني: راجعات لأمر الرسول تاركات لمحاب أنفسهن ﴿عَلِيَّاتٍ﴾ فيه وجهان أحدهما: عابدات الله قاله السدي الثاني: مذلات للرسول بالطاعة ﴿سَتَّاحَاتٍ﴾ فيه وجهان أحدهما: صائمات قاله ابن عباس، سمى السائح سائحة لأنه كالسائح في السفر بغير زاد، الثاني: مهاجرات لأنهن بسفر الهجرة قاله زيد بن أسلم. النكت والعيون (42/6).

(3) سورة محمد الآية 38.

(4) بريدة الأسلمي هو بريدة الحبيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن عدي يكنى أبا عبد الله وقيل: يكنى أبا سهل أسلم قبل بدر ولم يشهدها وشهد الحبيبية فكان من بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان من ساكنى المدينة ثم تحول إلى البصرة ثم إلى خرسان فمات بها. الإستيعاب (56/1).

(5) لم أقف عليه عند الطبراني.

كما روى أبو أمامة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أعلمت إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وكلم أخت موسى، وأسيمة امرأة فرعون»، فقلت: هنئاً لك يا رسول الله) رواه أبو يعلى⁽¹⁾ والحديث ضعيفان والله أعلم.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيَّكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا أَكَاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَتِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ ﴿٦﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ يَوْمًا لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَنُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتَمْ لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

قال علي - رضي الله عنه - في قوله تعالى ﴿قُوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيَّكُمْ نَارًا﴾ أي: أدبوهم وعلموهم، وقال ابن عباس: اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاشي الله، وأمرروا أهلكم بذلك ينجيكم الله من النار⁽²⁾.

وقال الضحاك ومقاتل: حق المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعيده ما فرض الله عنهم وما نهاهم عنه⁽³⁾. وعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «مرروا الصبي بالصلاوة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها» رواه أحمد وأبو داود والترمذى وحسنه⁽⁴⁾.

قال الفقهاء: هكذا في الصوم ليكون ذلك تمرينا لهم على العبادة لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة، والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر والله أعلم. قوله:

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير (258/8)، حديث رقم (8006)، وابن الهيثمي في مجمع الزوائد، باب ما جاء من الفضل لمريم وأسيمة، حديث رقم (15246)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزیادته، حديث رقم (3160).

(2) ينظر: جامع البيان (103/23)، ومعالم التنزيل (169/8).

(3) ينظر: تفسير الضحاك (880).

(4) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاحة، حديث رقم (494)، والترمذى في سننه، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاحة، حديث رقم (407)، وصححه الترمذى، ووافقه الألبانى في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزیادته (10806).

﴿وَقُوْدُهَا﴾ أي: حطبهما الذي يلقى فيها أجسادبني آدم ﴿وَالْجَاهَةُ﴾ التي كانت تعبد قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾⁽¹⁾ وقال ابن مسعود ومحمد الباقر⁽²⁾ هي حجارة من كبريت، وزاد مجاهد: أنتن من الجيفة⁽³⁾.

وقوله: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ﴾ طبائعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكفار ﴿شَدَادٌ﴾ أي: تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين ألفاً في النار وهم الزيانة لم يخلق الله فيهم الرحمة وقوله: ﴿لَا يَعْصُوْنَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَقْعُلُوْنَ مَا يُؤْمِرُوْنَ﴾ أي: مما أمرهم تعالى بشيء تبادروا إليه لا يتأخرون عنه طرفة لهم قادرون على فعله وليس بهم عجز عنه، وهولاء كما مرّ هم الزيانة.

وقوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوْا أَلَيْوَمٌ﴾ أي: فيقال للكفرا يوم القيمة لا تعتذرنا فإنه لا يقبل منكم وإنما تحزنون بأعمالكم ثم قال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا ثُوَبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوْحًا﴾ أي: توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات،

قال عمر بن الخطاب (التوبة النصوح أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه) رواه أحمد⁽⁴⁾.

وموقفاً صحيحاً لهذا قال العلماء: التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف منه في الماضي، ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل، ثم إن كان الحق لأدمي يرده إليه.

وعن ابن مسعود قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «الندم

(1) سورة الأنبياء الآية/98..

(2) محمد بن جعفر الصادق محمد الباقر العلوي بن زين العابدين على بن الحسين العلوي الحسيني المدنى أبو جعفر سيد بنى هاشم في زمانه يلقب بالبياج وهو أخو موسى الكاظم لم يكن في الفضل والجلالة بدون أخيه حدث عن أبيه وهشام بن عروة وكان سيداً مهياً توفي سنة ثلاثة ومائتين. سير أعلام النبلاء (19/86).

(3) ينظر: جامع البيان (105/23)، والنكت والعيون (6/44).

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (299/7)، حديث رقم (4264)، وصححه الحكم المستدرك (2/495)، ووافقه الذهبي في التلخيص.

نوبة؟» رواه أحمد وابن ماجه⁽¹⁾.

وعن زر بن حبيش قال: قلت لأبي بن كعب ما التوبة النصوح؟ قال: سأله النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: «هو الندم على الذنب حين يفرط منه فتستغفر الله بندامتك ثم لا تعود إليه أبداً». رواه ابن أبي حاتم⁽²⁾.

وقال الحسن: هي أن تتغضّض الذنب كما أحبتته، وتستغفر منه إذا ذكرته، فأمّا إذا جزم بالتوبة وصمّ عليها فإنّها تجب ما قبلها من الخطّيئات كما ثبت في الصحيح: «الإسلام يجُبُ ما قبله، والتوبة تجُبُ ما قبلها»⁽³⁾.

وقوله: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ عسى من الله واجبٌ محقٌ ﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ يَوْمًا لَا يُخْزِي اللَّهُ الَّذِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ أي: ولا يخزيمهم معه يوم القيمة ولا يدخلهم النار ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ كما سبق في سورة الحديد⁽⁴⁾.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتَيْمَ لَنَا نُورَنَا وَأَعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال مجاهد وغير واحد: بقوله: المؤمنون حين يرون نور المنافقين قد طفأ⁽⁵⁾.

وعن رجل من بني كنانة قال: صليت خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح فسمعته يقول: «اللهم لا تخذنني يوم القيمة» رواه أحمد⁽⁶⁾.

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (37/6) حدث رقم (3568)، وابن ماجه في سنته، باب ذكر التوبة، حديث رقم (4252)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (11748).

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، (374/4)، حدث رقم (5457)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة، حديث رقم (2250).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (205/2) من طريق يحيى بن إسحاق، وهذا إسناد على شرط مسلم ورجاله ثقات، إرواء الغليل في تحرير أحاديث منار السبيل (121/5).

(4) سورة الحديد، الآية 12.

(5) ينظر: تفسير الإمام مجاهد (666)، ومعالم التنزيل (70/8).

(6) أخرجه الإمام أحمد في المسنده (234/4)، حدث رقم (18085)، والطبراني في المعجم الكبير (120/3)، حديث رقم (2524).

وعن أبي ذر ⁽¹⁾ وأبي الدرداء ⁽²⁾ قالا: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيمة، وأول من يؤذن له برفع رأسه، فأنظر بين يدي فأعرف أمتي من بين الأمم وأنظر إلى شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم» فقال رجل: يا رسول الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم؟

قال: «غُرّ محجون من آثار الطهور، ولا يكون أحد من الأمم كذلك غيرهم، وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من آثر السجود، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم» رواه محمد بن نصر المروزي ⁽³⁾.

﴿ يَأَيُّهَا أَلَّئِي جَهِدَ الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعْلَظُ عَلَيْهِمْ وَمَا أَوْلَهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ① ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا أُمْرَأَتْ نُوحَ وَأُمْرَأَتْ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَلَّحَيْنِ فَخَاتَاهُمَا قَلْمَنْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنْ أَلَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ أَدْخِلَا الْثَّارَ مَعَ الْدَّخِلِينَ ② ﴾.

أمر - تعالى - رسوله بجهاد الكفار والمنافقين هؤلاء بالسلاح والقتال، وهؤلاء بإقامة الحدود عليهما.

وقوله: ﴿ وَأَعْلَظُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ وَمَا أَوْلَهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ أي: في العقبى **وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** هو المرجع، ثم قال: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم أن ذلك لا يدفع عنهم شيئاً ولا ينفعهم عند الله إن لم يكن الإيمان حاصلاً في قلوبهم ثم ذكر المثل فقال: ﴿ أُمْرَأَتْ نُوحَ وَأُمْرَأَتْ لُوطٍ ﴾

(1) أبو ذر الغفارى صاحبى جليل اختلف فى اسمه اختلافاً كثيراً فقيل: جندب بن جنادة وهو أكثر وأصح ما قيل فيه وقيل: برير بن عبد الله وبرير بن جنادة المشهور جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن كانة بن مدركة الغفارى وكان أبو ذر من كبار الصحابة وفضلائهم توفي سنة إحدى وثلاثين. أسد الغابة (170/3).

(2) أبو الدرداء صاحبى جليل واسمه عوير بن عامر بن مالك بن زيد بن قيس بن أمية بن عامر بن عدي وقيل: اسمه عامر بن مالك تأخر إسلامه قليلاً كان آخر أهل داره إسلاماً وكان فقيها عاقلاً حكيمًا شهد ما بعد أحد من المشاهد واختلف في شهوده أحدها، (ت 62هـ)، أسد الغابة (168/3).

(3) أخرجه ابن المبارك في مسنده (106/1)، حديث رقم (105)، والإمام أحمد في مسنده (66/36)، حديث رقم (21740)، وابن الهيثم في مجمع الزوائد (622/10) حديث رقم (18361)، وابن ماجه في سنته، باب ثواب الطهور، (351/1)، حديث رقم (297)، وصححه الألبانى في صحيح الترغيب والترهيب، (42/1). حديث رقم (178).

كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادَتِنَا صَلِحَيْنِ ﴿١﴾ أي: نبيين رسولين عندهما في صحبتهما ليلاً ونهاراً يؤاكلانهما ويصاجعنهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط.

﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أي: في الإيمان فلم يوافقاهم على الطاعة ولا صدقاهما على الرسالة، فلم يجد ذلك كله شيئاً ولا دفع عنهم محدوداً.

ولهذا قال: ﴿فَلَمْ يُعْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لكرههما ﴿وَقِيلَ﴾ أي: للمرأتين ﴿أَذْخُلَا الثَّارَ مَعَ الظَّالِمِينَ﴾.

وليس المراد بقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في فاحشة بل في الدين فإن نساء الأنبياء مغضومات عن الواقع في الفاحشة لحرمة الأنبياء كما سبق في سورة النور.

قال ابن عباس: ما زنتا قط، وأمّا خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وأمّا امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيفافه.

وعنه أيضاً أنها كانت على غير دينهما فكانت امرأة نوح تطلع على سرّ نوح، فإذا آمن مع قوم نوح أحد أخبرت الجبارية من قومه به، وأمّا امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحداً أخبرت به أهل البلدة ومن يعملسوء وهذا.

وعن عكرمة وغير واحد واستدل بهذه الآية بعض العلماء على أن الحديث الذي يأثره كثير من الناس: (من أكل مع مغفور له غفر له) ليس بصحيح ولا أصل له، وإنما يروى عن بعض الصالحين أنه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - في المنام فقال: يا رسول الله أنت قلت: (من أكل مع مغفور له غفر له؟) قال: لا ولكنني الآن أقوله⁽¹⁾.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا أُمَرَّاتٍ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّيْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجَّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِيهِ وَنَجَّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢﴾ وَمَرِيمَمْ أُبْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوْحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْأَقْنَتِينَ﴾.

(1) رواه ابن القيم في المنار المنيف ص(140)، وضيقه الألباني في السلسلة الضعيفة (326/1)، حديث رقم (315).

هذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا يضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم كما قال: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ أَكْفَارِينَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعُلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْلَةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾⁽¹⁾.

قال قتادة: كان فرعون أعتى أهل الأرض وأكفره، فوالله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها ليعلموا أن الله حكم عدل لا يؤاخذ أحدا إلا بذنبه⁽²⁾.

وعن سليمان التيمي⁽³⁾ قال: (كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنتها، وكانت ترى بيتها في الجنة) رواه ابن جرير⁽⁴⁾.

وروى عن القاسم بن بزّة⁽⁵⁾ قال: كانت امرأة فرعون تسأل من غالب فقال: غالب موسى وهارون فتقول آمنت برب موسى وهارون، فأرسل إليها فرعون فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأته فلما أتواها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيته في الجنة فمضت على قولها وانترعّت روحها وألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه، فاختارت بقولها ﴿رَبِّ أَبْنِ لِي عَنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ الجار ثم الدار وقد ورد بعض هذا في حديث مرفوع.

﴿وَنَجَّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِيهِ﴾ أي: خلّصني منه، فإني أبراً إليك من عمله.
 ﴿وَنَجَّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّلَمِينَ﴾ أي: الكافرين وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم⁽⁶⁾

(1) سورة آل عمران الآية/28.

(2) ينظر: جامع البيان (116/23)، وتفسير ابن كثير (72/8).

(3) سليمان بن سفيان القرشي التيمي أبو سفيان المدنى ولـي آل طلحة بن عبد الله روى عن بلاط بن يحيى بن طلحة بن عبد الله وبعد الله بن دينار روى عنه سليمان التيمي وابنه وأبو داود الطیالسي وأبو عامر، (ت 32هـ). تهذيب الكمال (1/436).

(4) أخرجه الحاكم في المستدرك (496/2)، حديث رقم (3835)، والبيهقي في شعب الإيمان (244/2)، حديث رقم (701)، وصححه الحاكم.

(5) القاسم بن أبي بزّة وهو بن نافع عن مجاهد وسعيد بن حبیر روى عنه عمرو بن دينار وعبد الملك بن أبي سليمان وهو مولى أبي الأحسن التقي، كنيته أبو عاصم وقد قيل: أبو عبد الله من أهل مكة واسم أبي بزّة يسار، (ت 124هـ)، التاريخ الكبير (233/5).

(6) آسية هي آسية بنت مزاحم امرأة فرعون كانت مؤمنة تخفي إيمانها أنزل الله عليها في كتاب بقوله: (إذ قالت رب نجي من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين). وكانت من خيار النساء وبنات الأنبياء وقيل كانت من بنى إسرائيل وقيل: كانت عمّة موسى - عليه السلام - حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله من النسوة (174/1).

- رضي الله عنها - وعن أبي العالية كان إيمان امرأة فرعون من جهة إيمان خازن فرعون، وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون فوق المشط من يدها فقالت: تعس من كفر بالله فقالت لها ابنة فرعون: ولِكَ رَبٌّ غَيْرُ أَبِي؟

قالت: نعم رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكَ وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ اللَّهُ، فلطمتهما ابنة فرعون وضررتها وأخبرت أباها، فأرسل إليها فرعون فقال: تعبدين رَبًّا غيري؟ قالت: نعم رَبِّي وَرَبُّكَ وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ اللَّهُ وَإِيَاهُ أَعْبُدُ، فعذبها فرعون فأوتد لها أوتاداً فشدّ يديها ورجليها وأرسل إليها الحياة، فكانت كذلك، فأتى عليها يوماً فقال: ما أنت منتهية؟ قالت له: رَبِّي وَرَبُّكَ وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ اللَّهُ.

فقال لها: إني ذابح ابنك في فيك، إن لم تفعلي. قالت له: اقض ما أنت قاضٍ، فذبح ابنتها في فيها وإن روح ابنتها بشرها قال لها: أبشرني يا أمّه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا، فصبرت ثم أتى عليها فرعون يوماً آخر قال لها مثل ذلك قالت: له مثل ذلك، فذبح ابنتها الآخر في فيها فبشرها روحه أيضاً، وقال لها: أصبري يا أمّه فإن لك من الثواب عند الله كذا كذا.

وسمعت امرأة فرعون كلام روح ابنتها الأكبر ثم الأصغر فآمنت امرأة فرعون وبغض الله روح امرأة الخازن وكشف الغطاء عن ثوابها ومنزالتها وكرامتها في الجنة لامرأة فرعون حتى رأت فارزدادت إيماناً ويقيناً وتصديقاً، فأطلع الله فرعون على إيمانها فقال للملائكة: ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأثروا عليها .قال لهم: إنها تعبد غيري ! فقالوا له: اقتلها فأوتد لها أوتاداً فشدّ يديها ورجليها فدعت آسية ربّها قالت: ﴿رَبِّ أَبْنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فوافق ذلك أن حضرها فرعون فضحت حين رأت بيتها في الجنة قال فرعون: ألا تعجبون من جنونها إننا نعذبها وهي تضحك، فقبض الله روحها.

وقوله: ﴿وَمَرِيمَمْ أَبْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْسَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي: حفظته وصانته والإحسان هو العفاف والحرية ﴿فَنَقْحَنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: بواسطة الملك وهو جبريل فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي وأمره الله تعالى أن ينفح بفمه في جيب درها، ونزلت النفحة فولجت في فرجها فكان فيه الحمل بعيسي - عليه السلام - ولهذا قال: ﴿فَنَقْحَنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتُ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُثُرَتْهُ﴾ أي:

بقدر وشرعه والمراد ما نزل على الأنبياء من الكتب والصحف.

﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَلْمَنِينَ ﴾ أي: من القوم المطيعين لربها لدينه عن ابن عباس قال: خط رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الأرض أربعة خطوط، وقال: «أتدرون ما هذا؟» قالوا الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وأسيبة بنت مزاحم امرأة فرعون» رواه أحمد⁽¹⁾.

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري⁽²⁾ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «كمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران⁽³⁾، وخديجة بنت خويلد⁽⁴⁾، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»⁽⁵⁾.

وقد ورد في الحديث المعتمد أنَّ مريم بنت عمران، وأسيبة بنت مزاحم، من أزواج نبئنا - عليه الصلاة والسلام - في الجنة، كما سبق في السورة السابقة في تفسير قوله: **﴿نَّبِيَّتٍ وَأَبْكَارًا ﴾**⁽⁶⁾.

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (409/4)، حديث رقم (2668)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب المناقب، باب مناقب مريم بنت عمران، حديث رقم (8355)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (2015).

(2) أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب الإمام الكبير، صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التيميقي المقرئ، حدث عنه بُريدة بن الحصيب وأبو أمامة الباهلي وهو معود فيمن قرأ على النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو قارئ أهل البصرة وفقههم في الدين وولي إمارة الكوفة لعمر وإمارة البصرة وغزا وجاحد مع النبي. سير أعلام النبلاء (336/3).

(3) مريم بنت عمران الصديقة أم عيسى - عليه السلام - أنها من أولاد سليمان بن داود، بينها وبينه أربعة وعشرون أباً، واسم أم مريم حَّة بفتح الحاء. كانت مريم تصلِّي حتى ترمي قدماها، حيث بقيت مريم بعد رفع عيسى خمس سنين وكان عمرها ثلاث وخمسين سنة، وكان قبرها بالنيرب، وفي الحديث الصحيح كُمل من النساء أربع مريم ابنة عمران. تهذيب الأسماء (619/2).

(4) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت تدعى الطاهرة أمها فاطمة بنت الأصم والأصم اسمه جذب بن هرم كانت خديجة تحت أبي هالة بن زرارة بن النباش وتزوجها النبي وهي بنت أربعين سنة وتوفيت وهي بنت أربع وستين سنة وولدت أربع بنات كلهن أدركن الإسلام، زينب، وفاطمة، ورقية، أم كلثوم، الإستيعاب (86/2).

(5) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى **﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ظَمَّأُوا أُمَّرَاتَ فِرْعَوْنَ﴾** (3230) حديث رقم (1252/3) ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل خديجة أم المؤمنين (79/16) حديث رقم (6425).

(6) سورة التحريم، الآية 5.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن علينا بجوده ويسّر تمام هذا البحث دراسةً وتحقيقاً وإنني أرجو من الله أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، وأخلص منه بالآتي:

1. حرص المؤلف على أن يصدر تفسيره بالبيان القرآني، وهو منهج مثالي وجعله البيان الأول من أنواع البيان.
2. الرسم القرآني الذي كتب به المفسر هو رسم حفص عن عاصم.
3. هذا الكتاب من كتب التفسير بالتأثر حيث التزم في نقله واستشهاده بالأيات والأحاديث وأقوال الصحابة وأقوال التابعين وأقوال الأئمة.
4. اعتمد المؤلف في تفسيره على النقل من كتب التفسير، كتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، وجامع البيان للطبراني، ومعالم التنزيل للبغوي، وتفسير الإمام مجاهد.
5. اعتمد المؤلف على أقوال ابن عباس في كثير من الآثار المروية عن الصحابة.
6. أكثر الأحاديث التي استدل بها المؤلف في تفسيره صحيحة ويأتي بالضعيف والغريب في بعض الأحيان.
7. من أكثر مصادره في الأحاديث التي اعتمد عليها هو مسند الإمام أحمد والكتب الستة.
8. يستشهد المؤلف في تفسيره في بعض الآيات القرآنية بالأبيات الشعرية.
9. تميز المفسر بالسير على مذهب السلف في كثير من المسائل وترجيحه للأقوال الفقهية تترجم عنده دون النظر إلى مذهب محدد ولا نص لإمام معين.
10. كثيراً ما يسرد بعض الكلمات مثل قوله: غيره، بعضهم، كثيرون، وغير واحد، وأخرون.
11. اعتمد المؤلف على كثير من أقوال الصحابة؛ لأن لها حكم الرفع.
12. المؤلف قد سار على طريقة شيوخه وهي تفسير القرآن بالرأي والنقل والسماع، فالمؤلف لا يهتم بالإعراب ولغة كاهتمامه بالرواية، وقد أخذ بهذه الرواية

لأنها هي أساس التفسير وتحت لوائها ينضوي علم أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ والتفسير النبوي، وتقاسير الصحابة والتابعين.

وفي ختام هذا البحث أقول إن كان صواباً فمن الله وحده، وإن أخطأ فمني ومن الشيطان.

والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس العامة

فهـ رـسـ الـدـيـث

فهـ رـسـ الـآـثـار

فهـ رـسـ الـأـبـيـاتـ الشـعـرـيـة

فـهـرـسـ الـكـتـبـ الـوارـدـةـ فـيـ النـصـ الـمـحـقـقـ

فـهـرـسـ الـمـصـادـرـ وـالـمـرـاجـعـ

فـهـرـسـ الـمـوـضـوعـاتـ

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
117	(ابن آدم ارکع لي أربع رکعات من أول النهار)	1
169	(﴿إِنَّا أَنْشَأْنُّهُ إِنْشَاءً﴾ قال عجائز كن في الدنيا عمساً)	2
267	(أبى يعکن على أن لا تشرکن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادکن)	3
160	(أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيمة؟)	4
108	(أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى)	5
184	(اجعلوها في سجودكم)	6
157	(أجلوا الله يغفر لكم)	7
155	(أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنان)	8
305	(إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم)	9
112	(إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى، فإنه لا يدرى)	10
288	(إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل)	11
91	(إذا دخل المؤمن الجنة سأله أبويه وزوجته وولده)	12
116	(إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب)	13
287	(إذا سمعتم الإقامة فامشو إلى الصلاة وعليكم بالسكينة)	14
223	(إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجي اثنان دون الثالث إلا بإذنه)	15
223	(إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجي اثنان دون صاحبهما فإن ذلك)	16
92	(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلات: صدقة جارية)	17
118	(إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلات: من ولد)	18

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
169	(ارتفاعها كما بين السماء والأرض)	19
110	(ارجع فإنك لم تصنع شيئاً)	20
84	(استطعمتك فلم تطعني)	21
125	(اشهدوا)	22
180	(أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال:)	23
286	(أضل الله عن الجمعة ما كانا قبلنا، فكان لليهود يوم)	24
77	(أطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وافشوا السلام)	25
219	(أعتقها فإنها مؤمنة)	26
195	(أعرفهم محجلون من أثر الموضوع ولا يكون أحد من الأمم غيرهم)	27
244	(أفضل الصدقة جهد المقل)	28
332	(أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد)	29
71	(أفلأ أعلمكم شيئاً إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم)	30
102	(اكتب فهو الذي نفسي بيده ما خرج مني إلاّ حق)	31
221	(لا أخبركم بما هو أخو福 عليكم عندي منه؟)	32
117	(لا أخبركم لم سمي الله إبراهيم خليلاً الذي وفّي؟ إنه)	33
41	(الإسلام علانية والإيمان في القلب)	34
327	(الإسلام يجُبُ ما قبله، والتوبية تجُبُ ما قبلها)	35
41	(الثاني من الله والجهلة من الشيطان)	36
151	(الجن ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون في)	37
33	(الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله)	38
113	(الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها)	39

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
203	(الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو)	40
157	(أظوا بيا ذا الجلال والإكرام) وفي روایة بذی الجلال	41
253	(العظمة إزاری والکبریاء ردائی فمن نازعني واحدً منهما	42
45	(الكبر بطر الحق، وغمط الناس ويروي - وغمض)	43
157	(اللهم أنت السلام ومنك السلام تبارك ياذا الجلال)	44
132	(اللهم أنشدك عهداً ووعدك اللهم إن شئت لم)	45
42	(اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر)	46
187	(اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ربنا)	47
256	(اللهم عمّ عليهم خبرنا)	48
232	(اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يداً ولا نعمة)	49
327	(اللهم لا تخزني يوم القيمة)	50
93	(اللهم من علينا وقنا عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم).	51
261	(ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم)	52
44	(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشته)	53
177	(المسلمين شركاء في ثلاثة: النار والكلا والماء)	54
44	(المقطيون عند الله يوم القيمة على منابر من نور)	55
192	(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)	56
44	(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه ببعض)	57
54	(المؤمنون في الدنيا على أجزاء)	58
326	(الندم توبة؟)	59
190	(ألهاكم التكاثر، يقول ابن آدم مالي مالي فهل)	60

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
305	(الولد ثمرة القلب، وإنهم مجبنة منجلة محزنة)	61
43	(إليك عني فوالله لقد آذاني ريح حمارك)	62
70	(أما إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا)	63
316	(أما إنه لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيمة)	64
37	(أما ترضى أن تعيش حمیداً وتقتل شهیداً وتدخل الجنة؟)	65
323	(أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولی الآخرة)	66
72	(أنا أول من تنشق عنه الأرض)	67
43	(إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فتنين)	68
259	(إن أبي وأباك في النار)	69
202	(أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في)	70
118	(إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه)	71
171	(إن الحور العين ليغبن في الجنة يقلن: نحن خيرات)	72
165	(إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادة مكانها أخرى)	73
61	(إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن)	74
90	(إن الرجل ليتكلّم المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول)	75
60	(إن الله تجاوز لأمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به)	76
297	(إن الله قد صدّقك)	77
299	(إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وإنما الزيادة في)	78
222	(إن الله ليذني المؤمن فيضع كتفه ويستره من الناس)	79
91	(إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول)	80
196	(إن الله يدعو الناس يوم القيمة بأسمائهم ستراً منه على)	81
152	(إن المرأة من أهل الجنة ليري بياض ساقها بين وراء)	82

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
44	(إن المقطفين في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي)	83
97	(إن المنافق إذا مرض وعوفي مثله في ذلك كمثل البعير)	84
91	(إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين)	85
170	(إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكارات)	86
202	(إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما)	87
152	(أن أول زمرة يدخل الجنة على صورة القمر ليلة)	88
199	(إن أول ما يرفع من الناس الخشوع)	89
189	(أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)	90
115	(إن تغفر اللهم يغفر جماً وأيّ عبد لك ماؤلمما)	91
172	(إن تكونوا من السبعين فكونوا وإن عجزتم وقصرتم)	92
165	(إن طير الجنة كأمثال البخت نزعى في شجرة الجنة)	93
55	(إن فقههم قليل والشيطان ينطق على ألسنتهم)	94
283	(إن في أصلاب أصلاب رجال ونساء من أمتي)	95
155	(إن في الجنة خيمة من لؤلؤ مجوفة عرضها ستون ميلاً)	96
168	(إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضرم)	97
167	(إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام)	98
170	(إن في الجنة مجتمعاً للحور العين رفعن)	99
186	(إن فيهن آية أفضل من ألف آية)	100
270	(أن لا نعصيه في معروف أن لا نخمش وجهاً، ولا ننشر)	101
179	(أن لا يمس القرآن إلاّ ظاهر)	102
293	(إن للمنافقين علامات يعرفون بها: تحبيتهم لعنة وطعامهم)	103

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
254	(إنَّ اللَّهَ تَسْعَةٌ وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدَةٌ)	104
275	(إِنَّ لِي أَسْمَاءً أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدٌ، وَأَنَا الْمَاحِي)	105
128	(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ)	106
181	(أَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَةَ تَقُولُ أَيْتَهَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ مِنَ الْجَسَدِ)	107
157	(إِنَّ مَنْ إِجْلَالَ اللَّهَ إِكْرَامٌ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ)	108
176	(إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِّنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِّنْ نَارِ جَهَنَّمِ)	109
144	(أَنَّ يَغْفِرَ ذَنْبًا، وَيَفْرُجَ كُربَاءً، وَيَرْفَعَ قَوْمًا وَيَضْعُ آخْرِينَ)	110
124	(أَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي)	111
328	(أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ فِي السُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)	112
195	(أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالسُّجُودِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ)	113
276	(أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدٌ، وَالْمَقْفُونُ، وَالْحَاشِرُ)	114
52	(أَنْسَابُكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِمُسْبَبَةٍ عَلَى أَحَدٍ كُلُّكُمْ بْنُو آدَمَ طَفُّ)	115
51	(انظُرْ فِإِنَّكَ لَيْسَ بِخَيْرٍ مِّنْ أَحْمَرِ وَلَا أَسْوَدِ)	116
309	(انظُرْ يَا بَنْتَ آلِ قَيْسٍ إِنَّمَا النَّفَقَةُ وَالسُّكْنَى لِلْمَرْأَةِ عَلَى)	117
116	(أَنْفَقَ بَلَلٌ وَلَا تَخْشُ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا)	118
47	(إِنَّكَ إِذَا اتَّبَعْتَ عُورَاتَ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كَدْتَ)	119
68	(إِنَّكَ لَتَشْتَهِي الطَّيْرَ فِي الْجَنَّةِ فَيَخْرُجُ بَيْنَ يَدِيكَ مَشْوِيًّا)	120
182	(إِنَّمَا نَسْمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلَقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَهُ)	121
106	(أَنَّهُ رَأَهُ بِفُؤَادِهِ مَرْتَيْنِ)	122
105	(أَنَّهُ رَأَى فِي مَنَامِهِ جَبَرِيلَ بِأَجْيَادِ)	123
257	(إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بِدَرًا، وَمَا يَدْرِيكَ لِعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ)	124
221	(إِنَّهُ يَسْتَجِبُ لَنَا فِيهِمْ، وَلَا يَسْتَجِبُ لَهُمْ فِينَا)	125

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
134	(أنها نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان)	126
84	(إني أنا الرزاق ذو القوة المتين)	127
168	(إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتم)	128
276	(إني عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل)	129
267	(إني لا أصافح النساء، إنما قولي لامرأة واحدة كقولي)	130
102	(إني لا أقول إلا حقاً)	131
161	(إني لأرجوا أن تكونوا ربع أهل الجنة ثلث أهل الجنة)	132
53	(أني لأعطي الرجل وغيره أحب إلى منه خشية)	133
221	(أو ما سمعت أقول وعليكم)	134
211	(أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء)	135
171	(أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة القدر)	136
100	(أول سورة أنزلت فيها السجدة والنجم فسجد فيها)	137
272	(أولئك النفر رجالاً ونزلت فيهم هذه السورة ﴿سبَّح﴾)	138
245	(إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيمة)	139
47	(إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)	140
273	(آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)	141
48	(ائذنا له بئس أخو العشيرة!)	142
269	(أيما امرأة أدخلت على قوم ما ليس منهم فليست)	143
122	(بالنجم وسجد له المسلمون والمشركون والجن والإنس)	144
124	(بعثت أنا والساعة كهاتين)	145

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
208	(بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده)	146
124	(بعثت في نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه وأشار)	147
321	(بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له)	148
298	(بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا)	149
36	(بل هو من أهل الجنة)	150
66	(تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين)	151
119	(تعلمون أن المعاد إلى الله إلى الجنة أو إلى النار)	152
51	(تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم)	153
120	(تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الخالق فإنه لا تحيط)	154
56	(ثلاث وخمس وسبعين وسبعين وإحدى عشرة وثلاثة عشرة)	155
242	(ثلاثة أجزاء جزئين بين المسلمين، وجزءٌ نفقه لأهله)	156
274	(ثلاثة يضحك الله إليهم: الرجل يقوم من الليل)	157
212	(ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل)	158
104	(ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين)	159
87	(ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم)	160
106	(جبريل في حلقة من رفرف قد ملأ ما بين السماء)	161
103	(جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح)	162
149	(جنتان من فضة آنيتها وما فيها، وجنتان من ذهب)	163
125	(حتى رأيت الجبل من بين فرج القمر)	164
269	(خذى من ماله بالمعرف ما يكفيك ويكفى بنائك)	165
290	(خطبتان يقرأ بينهما القرآن فيذكر الناس)	166
141	(خليق الملائكة من نور، وخلق الجن من مارج من نار)	167

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
162	(خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)	168
297	(دعه لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه)	169
276	(دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بن مريم ورؤيا أمي)	170
38	(ذاك الله عزوجل)	171
48	(ذكر أخاك بما يكره)	172
105	(رأى جبريل - عليه السلام - له ستمائة جناح)	173
104	(رأى محمد ربّه بفؤاده مرتين فجعل هذه إداحهما)	174
108	(رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتشر من ريشه التهاويل)	175
194	(رب نخلة مدلاة عروقها درٌ وياقوت لأبي الدجاج في الجنة)	176
274	(رحم الله موسى: لقد أُوذى أكثر من هذا فصبر)	177
264	(رد ابنته زينب إلى أبي العاص وكان اسلامها قبل إسلامه)	178
99	(ركعتا الفجر خير من الدنيا و ما فيها)	179
62	(سبحان الله إن للموت لسكرات)	180
134	(سيكون في هذه الأمة أقوام يكذبون بالقدر)	181
134	(سيكون في هذه الأمة مسخ ألا و ذلك في المكذبين بالقدر)	182
305	(صدق الله ورسوله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ نظرت إلى هذين)	183
303	(عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له)	184
172	(عرضت على الأنبياء الليلة بأتبعها حتى أتى على)	185
172	(عرضت على الأمم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي)	186
229	(علام تشنمني أنت وفلان وفلان وفلان)	187

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
216	(إِنَّا سَنُعِينُهُ بِعَرْقٍ مِّنْ تَمْرٍ)	188
267	(فَقَرَا عَلَيْنَا ﴿لَا يُشْرِكُنَّ بِاللَّهِ شَيْءٌ﴾ وَنَهَا)	189
318	(فَكُذَّلَكُمْ فَافْعَلُوا تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِهِ وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي الْمَغْرِبِ أَرْضًا)	190
287	(فَلَا تَفْعَلُوا إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَعَلِيهِمُ السَّكِينَةُ فَمَا أَدْرِكُتُمْ)	191
156	(قَلْمَأْ أَوْ عَبْرِيْ يَفْرِيْ فَرِيْهِ)	192
267	(فَمَا وَفَتَ مِنْهُنَّ امْرَأً غَيْرَهَا وَغَيْرُ أُمِّ سَلِيمٍ ابْنَةُ مَلْحَانٍ)	193
78	(قَاتَلَ اللَّهُ ابْنَ آدَمَ تَفْرُغًا لِعَبَادَتِيْ أَمْلَأَ صَدْرَكَ غَنِيًّا وَأَسْدًا)	194
84	(قَالَ اللَّهُ ابْنَ آدَمَ تَفْرُغًا لِعَبَادَتِيْ أَمْلَأَ صَدْرَكَ غَنِيًّا وَأَسْدًا)	195
234	(قَتَلْتُ رَجُلَيْنِ لَابِدَ مِنْ دِيَّهُمَا)	196
266	(قَدْ بَاعْتَكَ عَلَى ذَلِكَ)	197
290	(قَدَّمْتُ غَيْرَ مَرَّةٍ الْمَدِينَةَ وَرَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَخْطُبُ فَخْرَجَ النَّاسَ)	198
149	(قَرَا يَوْمًا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾)	199
164	(قَصِيَ رَوْيَاكَ فَقْصَتْهَا)	200
233	(قَلْتُ لِأَبْنَ عَبَاسَ سُورَةَ الْحَشْرَ قَالَ: قَلْ سُورَةَ النَّضِيرِ)	201
224	(قَمْ يَا فَلَانَ وَأَنْتَ يَا فَلَانَ فَأَقَامَ مِنَ الْمَجْلِسِ بِقَدْرِ النَّفْرِ)	202
176	(كَانَ إِذَا شَرَبَ قَالَ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَقَانَا عَذْبًا فَرَاتًا)	203
289	(كَانَ النَّدَاءُ يَوْمَ الْجَمْعَةِ أَوْلَهُ إِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ عَلَى الْمِنْبَرِ)	204
123	(كَانَ يَقْرَأُ فِي الْعِيدِ بِقَافِ وَاقْتَرَبَتِ السَّاعَةِ)	205
56	(كَانَ يَقْرَأُ فِي الْعِيدِ بِقَافِ وَاقْتَرَبَتِ)	206
281	(كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْجَمْعَةِ بِسُورَةِ الْجَمْعَةِ وَالْمَنَافِقِينَ)	207

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
211	(كان يقول لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم)	208
135	(كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض)	209
206	(كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق)	210
180	(كذبت بل هو رزق الله)	211
48	(كل المسلم على المسلم حرم دمه وماليه وعرضه بحسب)	212
51	(كلهم بنو آدم وأدم خلق من تراب ولينتهين قوم)	213
185	(كلمتان خفيتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن)	214
193	(كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدجاج)	215
332	(كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسيبة امرأة فرعون)	216
63	(كيف أنعم وصاحب الصور قد انتقم)	217
98	(لا تدعوهما وإن طردتم الخيل)	218
246	(لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها)	219
162	(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم)	220
192	(لا تسبووا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل)	221
175	(لا تقولن: زرعت ولكن قل حرثت)	222
250	(لا خير في قول لا يراد به وجه الله، ولا خير في مال)	223
244	(لا ما أشئتكم عليهم ودعوتكم الله - عز وجل - لهم)	224
178	(لا والله ما مسست يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يد امرأة قط)	225
321	(لا ولكنني كنت أشرب عسلًا عند زينب)	226
225	(لا يحل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما)	227
66	(لا يزال لجهنم يلقي فيها وهي تقول هل من مزيد)	228

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
224	(لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن)	229
244	(لا يكفوننا المؤنة ونشركم في الثمرة)	230
135	(لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله)	231
320	(لاتحدثي أحداً، إنْ أُمَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَى حِرَامٍ)	232
270	(لعن النائحة والمستمعة)	233
39	(لقد صدق الله قوله يا زيد)	234
245	(لقد عجب الله - أو ضحك - من فلان وفلانة)	235
137	(لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً)	236
134	(لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الذين يقولون)	237
211	(لكلنبي رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد)	238
205	(للجنة أقرب إلى أحدهم من شراك نعله والنار مثل ذلك)	239
152	(للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين)	240
77	(للسائل حق وإن جاء على فرس)	241
103	(لم ير جبريل في صورته إلا مرتين: أما واحدة فإنه)	242
285	(لو فعل لأنخته الملائكة عياناً، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا)	243
283	(لو كان الإيمان عند الشريا لناله رجال - أو رجال -)	244
101	(ليدخل الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحسين)	245
307	(ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيسن فتطهر)	246
309	(ليس لك عليه نفقة ولا سكنى)	247
88	(ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلات مرات)	248
270	(ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا)	249

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
225	(ليليني منكم أولوا الأرحام والنهي ثم الذين)	250
47	(ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك)	251
296	(ما بال دعوى الجاهلية؟ دعوها فإنها منتة)	252
227	(ما ترى ديناراً؟)	253
218	(ما حملك على ذلك)	254
168	(ما في الجنة شجرة إلا وساقتها من ذهب)	255
50	(ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً ينتهك فيه حرمته)	256
229	(ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام)	257
300	(ما من مولود يولد إلا مكتوب في تشبيك رأسه خمس)	258
245	(مأبقيت لأهلك؟)	259
212	(مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عملاً)	260
162	(مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره)	261
212	(مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً)	262
121	(مثلي ومثل الساعة كهاتين)	263
107	(مرّة عند سدرة المنتهى، ومرة في أجياد وله ستمائة)	264
224	(من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبواً)	265
183	(من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء)	266
288	(من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة)	267
288	(من اغتسل يوم الجمعة، ومس من طيب إن كان عنده)	268
311	(من أكثر من الإستغفار يجعل الله له من كل هم فرجاً ومن)	269
194	(من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء)	270

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
223	(من بنى الله مسجداً بنى الله له بيّنا في الجنة)	271
98	(من تعاًز من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له)	272
284	(من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار)	273
50	(من حمى مؤمنا من منافق بغيبة بعث الله ملكا يحمي لحمه)	274
149	(من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل)	275
290	(من دخل سوقاً من الأسواق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له)	276
118	(من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه)	277
278	(من رجل يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريشاً)	278
42	(من سرته حسنة وساءته سيئة فهو مؤمن)	279
318	(من ظلم قيد شبر من الأرض طوقة من سبع أراضين)	280
184	(من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة)	281
158	(من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقحة أبداً)	282
312	(من نزل به حاجة فأنزلها الناس كان قمناً أن لا تسهل)	283
306	(من يفرض غير ظلوم ولا عدوم)	284
40	(منعت الزكاة وأردت قتل رسولي)	285
202	(مؤمنو أمتي شهداء)	286
177	(ناركم التي توقد ابن آدم وفيها عليها وكلها بدل)	287
177	(ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، قيل)	288
286	(نحن الآخرون السابعون يوم القيمة بيد أنهم أوتوا الكتاب)	289
133	(نزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - بمكة وإني لجارية ألعب . بـ ﴿السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾)	290

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
165	(نهر أعطانيه ربى في الجنة أشد بياضاً من)	291
179	(نهى أن يسافر القرآن إلى أرض العدو)	292
237	(هذا أول الحشر وأنا على الأثر)	293
97	(هذا في ابتداء الصلاة)	294
77	(هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له)	295
172	(هم الذين لا يتظرون ولا يستردون ولا يكتون)	296
244	(هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسموهم الثمر)	297
171	(هما جميعا من أمتي)	298
67	(ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)	299
134	(واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك)	300
117	(وفي عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار)	301
224	(ولكن افسحوا يفسح الله لكم)	302
107	(ويحك ذاك إذا تجلى بنوره، الذي هو نوره وقد رأى ربها)	303
115	(ويلك قطعت عنق صاحبك - مراراً - إذا كان أحدكم)	304
310	(يا أبا ذر لَوْ أَنَّ النَّاسَ أَخْذُوا بِهَا كَفْتَهُمْ فَجَعَلُوا يَتَّلَوُهَا)	305
169	(يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز)	306
68	(يا جبريل وما يوم المزيد؟)	307
136	(يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً)	308
312	(يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ)	309
55	(يا معاشر الأنصار ألم نجدكم ضلا لا فهداكم الله)	310
49	(يا معاشر من آمن ببساته ولم يدخل الإيمان قلبه)	311

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
164	(ياعراش هذا الوضوء مما غيرت النار)	312
146	(يبعث الناس يوم القيمة والسماء يطيش عليهم)	313
134	(يخاصمه في القر فنزلت ﴿يَوْمَ يُسَبِّحُونَ فِي الْنَّارِ عَلَىٰ﴾)	314
65	(يخرج عنق من النار يتكلم يقول وكلت اليوم بثلاثة)	315
171	(يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاء جعاً مكحلين)	316
188	(يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل)	317
149	(يسير في ظل الفن منها الراكب مائة سنة - أو)	318
158	(يصلى الصلوات كنحو من صلواتكم التي تصلون اليوم)	319
86	(يصلى إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور .)	320
71	(يصلى على أثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلا الفجر)	321
170	(يعطى المؤمن قوة كذا وكذا في النساء ، قلت : يا رسول)	322
167	(يفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما فيها)	323
182	(يقرأ ﴿فَرْقُحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ يرفع الراء)	324
128	(يقرأ : ﴿فَهَلْ مِنْ مُذَكَّرٍ ۖ﴾ دالاً أي : متذكر متعظ خائف)	325
153	(يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة)	326
182	(يكون النسم طيراً يعلق بالشجر حتى إذا كانت يوم القيمة)	327
66	(يلقى في النار وهي تقول : هل من مزيد حتى)	328
263	(يمتحنهم الله ما خرجت من بعض زوج ، وبالله ما)	329
241	(ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال)	330
60	(يؤذيني ابن آدم يقول لن يعيدي كمابدأني)	331
286	(يوم الجمعة جمع الله فيه أبواكم أو أبوكم)	332

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
99	(على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي)	333
288	(غسل يوم الجمعة واجب على كل محتم)	334
51	(فخياراتكم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا في)	335
115	(لا تزكوا أنفسكم إن الله أعلم بأهل البر منكم)	336
123	(ما أعماركم في أعمارمن مضى إلا كما بقي من النهار)	337
199	(ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية)	338
325	(مرروا الصبي بالصلوة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها)	339
98	(من جلس في مجلسه فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم)	340
254	(من قال حين يصبح ثلث مرات أَعُوذ بالله السميع العظيم من الشيطان الرجيم)	341
81	(نصرت الصبا وأهلكت عاد بالدبور)	342
327	(هو الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك ثم لا تعود إليه أبداً)	343

فهرس الأثار

الصفحة	الأثر	ت
250	(أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم)	1
245	(أبقيت لهم الله ورسوله)	2
38	(إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها)	3
326	التبعة النصوحة أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه)	4
230	(حين جعل أمر الخلافة شوري بعده) .	5
304	(رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهمّوا أن يعاقبوا، فأنزل الله)	6
159	(الساعة خضت أعداء الله إلى النار ورفعت فأسمعت البعيد)	7
212	(حمد الله عمر على أنه أعطانا كفين) .	8
262	(فأمرها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها)	9
267	(قل لهن إن رسول الله يبأي肯 على أن لا تشركن بالله)	10
113	(اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا)	11
35	(لا أكلمك إلا أخي السرائر)	12
46	(لا تظنن بكلمة خرجت من المؤمن على محل سوء وأنت تجد لها في الخير حلاً)	13
323	(لمّا اعتزل نبي الله نساءه دخلت المسجد فإذا الناس ينكثون بالحصى)	14
88	(ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلث مرات)	15
87	(مسجد في السماء يقال له الضراح بجبل الكعبة)	16
193	(هو الإنفاق في سبيل الله)	17
243	(وأوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف)	18

فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	البيت
قافية الألف	
64	فإن تزجراني يا ابن عفاف أنسجر ** وإن تتركاني أحـم عـرضاً مـمنعاً
136	لاتـحـقرـنـ منـ الذـنـوبـ صـغـيرـاً ** إنـ الصـغـيرـ غـداً يـعـودـ كـبـيراً
136	إنـ الصـغـيرـ وـلـوـ تـقادـمـ عـهـدـه ** عـنـدـ الإـلـهـ مـسـطـراً تـسـطـيـراً
136	فـازـجـرـ هوـاـكـ عـلـىـ الـبـطـالـةـ لـاتـكـنـ ** صـعـبـ الـقـيـادـ وـشـمـرـنـ تـشـمـيـراً
136	إـنـ المـحـبـ إـذـ أـحـبـ إـلـهـهـ ** طـارـ الفـؤـادـ وـأـلـهـمـ التـفـكـيرـ
136	فـاسـأـلـ هـدـايـتـكـ إـلـهـ بـنـيـةـ ** فـكـفـيـ بـرـبـكـ هـادـيـاـ وـنـصـيـراً
قافية الباء	
69	لـقـدـ نـقـبـتـ فـيـ الـآـفـاقـ حـتـىـ ** رـضـيـتـ مـنـ الـغـنـيمـةـ بـالـإـيـابـ
189	إـذـ مـاـخـلـوتـ الـدـهـرـ يـوـمـاـ فـلـاـ تـقـلـ ** خـلـوـتـ وـلـكـ قـلـ عـلـيـ رـقـبـ
189	وـلـاتـ سـبـنـ اللهـ يـغـلـ سـاعـةـ ** وـلـاـنـ مـاـتـخـفـيـ عـلـيـهـ يـغـيـبـ
قافية الراء	
239	أـدـامـ اللهـ ذـلـكـ مـنـ صـنـيـعـ ** وـحـرـقـ فـيـ نـوـاحـيـهاـ السـعـيرـ
239	سـيـعـلـمـ أـيـنـاـمـنـهاـ بـنـزـهـ ** وـيـعـلـمـ أـيـ أـرـضـيـنـاـ نـاضـيـرـ
239	وـهـانـ عـلـىـ سـارـةـ بـنـيـ لـوـيـ ** حـرـيقـ بـالـبـوـيـرـةـ مـسـطـيـراـ
239	لـقـدـ خـزـيـتـ بـغـدـرـتـهاـ الـبـحـورـ ** كـذـاكـ الـدـهـرـ ذـوـ صـرـفـ يـدـورـ
239	وـذـلـكـ أـنـهـ مـكـفـرـ وـبـرـبـ ** عـظـيـمـ أـمـرـهـ أـمـرـكـبـيـرـ
239	وـقـدـ أـوـتـواـ مـعـافـهـمـاـ وـعـلـمـاـ ** وـجـاءـهـمـ مـنـ اللهـ النـذـيرـ
62	لـعـمرـكـ مـاـ يـغـنـيـ الـثـرـاءـ عـنـ الـفـتـىـ ** إـذـ حـشـرـجـتـ يـوـمـاـ وـضـاقـ بـهـ الـصـدرـ
قافية السين	
145	يـضـيـءـ كـضـوءـ سـرـاجـ السـلـيـطـ ** لـمـ يـجـعـلـ اللهـ فـيـهـ نـحـاسـاـ

فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	البـيت
قافية الضاء	
146	ألا من مبالغ حسان عنِي ** مغاغلة تدب إلى عكاظ
146	أليس أبوك فينا كان قينا ** إلى القينات فسلا في الحفاظ
146	يمانيا يظل تشب كبيرا ** وتنفح ذا يباله ب الشواط
قافية القاف	
62	من لا يزال دمعه مقنعا ** فإنه لا بد مدرة مدفوق
قافية الهاء	
109	رأى جنة المأوى وما فوقها ولو ** رأى غيره ما قد رأه لتها
قافية الياء	
140	وقولا له من ينبت الحب في الثرى ** فيصبح منه البقل يهتز رابيا
140	ويخرج منه حبه في رؤوسه ** في ذاك آيات لمن هو واعيا
261	وقد يجمع الله الشّتتين بعدما ** يظنان كل الظن أن لا تلقيا

فهرس الكتب المذكورة

الصفحة	اسم الكتاب	ت
318	الأسماء والصفات للبيهقي أحمد بن الحسين أبو يكر.	1
318	التفكير والإعتبار لأبي ابن أبي الدنيا الفرشي.	2
210	سنن النسائي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخرساني النسائي.	3
157	شعب الإيمان للبيهقي	4
97	صحيح مسلم	5
43	صحيح البخاري	6
53	كتاب الإيمان في شرح صحيح البخاري	7
234	كتاب المغازى للبخاري في صحيح البخاري	8
276	كتاب شرح السنن للبغوي	9
68	كتاب الأم للشافعى	10
179	الموطأ للإمام مالك	11
39	مسند الإمام أحمد	12

فهرس المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم بن أبي النجود .
2. سيرة ابن إسحاق المسمى بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، تأليف: محمد ابن إسحاق ابن يسار (ت، 50 هـ).
3. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، المؤلف: محمد عبد الرحمن بن عبدالرحيم أبوالعلاء، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء عشرة.
4. العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 1420 هـ - 1999 م.
5. معالم السنن شرح سنن أبي داود، أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي، الطبعة الأولى، المطبعة العلمية، حلب، 1351 هـ - 1932 م.
6. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت، 360 هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، عدد الأجزاء 25، مكتبة الزهراء، الموصل، 1404 هـ - 1983 م.
7. صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، عدد الأجزاء 1، محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية.
8. الاستيعاب في معرفة الأصحاب المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت، 463 هـ)، تحقيق: علي محمد الباوى، الناشر: دار الجيل بيروت، الطبعة: الأولى 1412 هـ 1992 م
9. أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، الناشر دار إحياء التراث العربي، سنة النشر 1417 هـ، 1996 م مكان النشر بيروت / لبنان.
10. إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، المؤلف: سالم السبابي .
11. الإصابة في تميز الصحابة المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى - 1415 هـ.

12. الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي
الدمشقي (ت 1396هـ) الناشر: دار العلم للملاتين. الطبعة الخامسة عشر- مايو
2002 م.
13. الأغاني، المؤلف: أبو الفرج الأصفهاني (ت 356هـ) تحقيق علي مهنا
وسمير جابر، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، مكان النشر لبنان.
14. الأم، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان
بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلي القرشي (ت 204هـ) الناشر:
دار المعرفة - بيروت- بدون طبعة، سنة النشر: 1410 هـ، 1990 م.
15. أنساب الأشراف، المؤلف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري،
تحقيق: سهيل زكار، ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر - بيروت- الطبعة
الأولى.
16. الأنساب، المؤلف: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني
المروزي، أبو سعد (ت 562هـ) تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني،
الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيد آباد، الطبعة الأولى، 1382هـ.
17. أنوار التزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن
محمد الشيرازي البيضاوي (ت 685هـ) تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي،
الناشر: دار - إحياء التراث العربي- بيروت الطبعة الأولى، 1418 هـ.
18. البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري
ثم الدمشقي (ت 774هـ) تحقيق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث
العربي، الطبعة الأولى 1408 هـ، 1988 م.
19. تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق
الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين
الناشر: دار الهدایة .
20. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن
عثمان الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار النشر:
الكتاب العربي، مكان النشر: لبنان، سنة النشر: 1407هـ- 1987 م.

21. التاريخ الكبير، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي، (ت 256هـ) تحقيق: السيد هاشم الندوى، الناشر: دار الفكر، تاريخ النشر: 1986م .
22. تاريخ دمشق لابن القلنسى، المؤلف: حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي المعروف بابن القلنسى (ت 555هـ) تحقيق سهيل زكار، الناشر: دار حسان للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1403هـ، 1983م.
23. تذكرة الحفاظ، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايمار بن الذهبي (ت 748هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى، 1419هـ، 1998م .
24. الترغيب والترهيب، المؤلف: عبد الله بن أسعد اليافعي، (ت 768هـ) تحقيق: محمد فارس، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1417هـ، 1996م.
25. تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد الشنقيطي (ت 1393هـ) إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد.الناشر: دار علم الفوائد للنشر والتوزيع .
26. تفسير البحر المحيط، المؤلف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسى (ت 745هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1413هـ، 1993م .
27. تفسير البيضاوى، المسماة عنایة القاضى وكفاية الراضى على حاشية الشهاب، المؤلف: أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجى المصرى الحنفى، الناشر: دار صادر - بيروت-.
28. تفسير التحرير والتتوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر.
29. تفسير التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبى، (ت 741هـ) ضبطه أك: محمد سالم هاشم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1415هـ، 1995م.
30. تفسير السدى الكبير، المؤلف: أبي محمد إسماعيل بن عبد الرحمن السدى

- الكبير (ت 128هـ) جمع دراسة: محمد عطا يوسف، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1414هـ، 1993م .
31. تفسير الضحاك، (ت 105هـ) تحقيق: محمد شكري أحمد الزوبتي، الناشر: دار السلام لطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1419هـ، 1999م .
32. تفسير الطبرى، المسمى جامع البيان فى تفسير القرآن، لابن جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت 310هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الثالثة 1420هـ، 1999 .
33. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي، الرazi ابن أبي حاتم (ت 327هـ) تحقيق أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية - الطبعة الثالثة 1419هـ.
34. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى البصري الدمشقى (ت 774هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1419هـ.
35. تفسير الماوردي المسمى النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت 450هـ) علق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم.الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان.-
36. تفسير النسفي المسمى مدارك التزيل وحقائق التأويل، المؤلف: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت 710هـ) تحقيق: يوسف علي بدبوى، الناشر: دار الكلم الطيب - بيروت-.
37. تفسير روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبعين المثانى، المؤلف: شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى (ت 127هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت لبنان.-
38. تفسير مجاهد، بن جبر المخزومي التابعى أبو الحجاج، (102هـ) تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة الطبعة

- الأولى 1410هـ، 1989م .
39. تقريب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ) تحقيق: محمد عوّامة، الناشر: دار الرشيد - سوريا - الطبعة الأولى 1406هـ، 1986م .
40. تهذيب الأسماء واللغات، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي، تحقيق: مكتب البحث والدراسات، الناشر: دار الفكر - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، (1996م).
41. تهذيب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ) الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند الطبعة الأولى 1326هـ.
42. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحاج، جمال الدين ابن الزركلي أبي محمد القضاوي الكلبي المزي (ت 724هـ) تحقيق: بشار عوّاد، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1400هـ، 1980م .
43. جامع الأحاديث المسمى الجامع الصغير وزيادته، المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911هـ) جمع وترتيب: عباس أحمد صقر، أحمد عبد الجواب، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
44. صحيح مسلم المسمى الجامع الصحيح ، مسلم بن الحاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الأولى 1427هـ.
45. جامع المسانيد والسنن، المؤلف: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي (774هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1415هـ، 1994م .
46. الجامع المسند الصحيح المختصر، المؤلف: محمد إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، الناشر: دار طوق النجاة الطبعة الأولى 1422هـ.

47. الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة.
48. جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد، محمد بن سليمان المغربي (1094هـ) تحقيق: أبي علي سليمان بن دريع، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1418هـ، 1998م .
49. جمهرة اللغة، المؤلف: ابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملاتين، سنة النشر: 1987م. مكان النشر: - بيروت لبنان-.
50. جمهرة أنساب العرب، المؤلف: محمد بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت 456هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار المعارف، الطبعة الخامسة .
51. حسن الإسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق بن حسن بن علي الحسيني البخاري القنوجي، (ت 1307هـ)، تحقيق: مصطفى الخن، ومحى الدين مستو، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان، الطبعة: الثانية (1401هـ / 1981م).
52. الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت لبنان-.
53. الدر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ) تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر أباد الهند- الطبعة الثانية 1392هـ، 1972م .
54. دلائل النبوة، المؤلف: أبو نعيم الأصبهاني (ت 430هـ) تحقيق: محمد روّاس عبد البر عباس، الناشر: دار النفائس، الطبعة الثانية 1406هـ، 1986م.
55. ديوان أبي العتاھيہ، المؤلف: إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كبسان مولى عنزة، كنيته أبو العتاھيہ، الناشر: دار بيروت للطباعة والنشر، 1406هـ، 1986م .

56. ديوان النابغة الجعدي، قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب، تحقيق: واضح الصمد، الناشر: دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى 1998م.
57. ديوان أمية بن أبي الصلات بن عوف بن عقدة بن عنزة، تحقيق: سجع جميل الجبيلي، الناشر: دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى 1998م .
58. ديوان حاتم الطائي، المؤلف: حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، شرحه وقدمه أحمد رساد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى 1406هـ، 1986م.
59. سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت 273هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي - .
60. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت 275هـ) تحقيق: محمد محبي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة المصرية، صيدا - بيروت لبنان - .
61. سنن الترمذى، المؤلف: محمد بن عيسى سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذى أبو عيسى (ت 279هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) إبراهيم عطوة عوض (جـ 4، 5) الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - الطبعة الثانية 1395هـ، 1975 .
62. السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخرساني النسائي (ت 303هـ) تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1421هـ، 2001 .
63. السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخرساني، أبو بكر البهقي (ت 458هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الثالثة 1424هـ، 2003 م .
64. سنن النسائي الكبرى، المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، (ت 203هـ) تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1411هـ، 1991 .

65. سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت 748هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1405هـ، 1985م.
66. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحمري المعافري أبو محمد (ت 213هـ) تحقيق طه عبد الرءوف سعد، الناشر: دار الجبل، سنة النشر 1411هـ مكان النشر - بيروت لبنان -.
67. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد، المؤلف: الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنفيي الدمشقي (ت 1089هـ) تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير - دمشق، بيروت - الطبعة الأولى 1406هـ، 1986م .
68. شرح السنة، المؤلف: محيي الدين أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت 516هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاوش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق - بيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ 1983م.
69. شرح صحيح البخاري، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت 449هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الناشر: مكتبة الرشد - السعودية - الرياض، الطبعة الثانية 1423هـ، 2003م .
70. شعب الإيمان، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1410هـ تحقيق: محمد السعيد .
71. صحيح ابن حبان، المؤلف: أبي حاتم بن حبان البتي (ت 354هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة.الطبعة الأولى 140 هـ 1988 م .
72. صحيح البخاري المسمى الجامع الصحيح المسند المختصر، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت 256هـ) تحقيق: مصطفى ديب، الناشر: دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - الطبعة الثالثة، 1407هـ، 1987م.
73. ضعيف الترغيب والترهيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1421هـ، 2000م.

74. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت 902هـ) الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت لبنان -.
75. طبقات الحنابلة، المؤلف: أبو الحسين بن أبي يعلى محمد بن محمد (ت 526هـ) تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت -.
76. طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقى الدين السبكي (ت 771هـ) تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1413هـ.
77. طبقات الفقهاء، المؤلف: إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق (ت 476هـ) تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي - بيروت لبنان - تاريخ النشر 1970م، الطبعة الأولى .
78. طبقات المفسرين، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر: مكتبة وهبة - القاهرة - تحقيق: علي محمد عمر، الطبعة الأولى (1396هـ).
79. عقد الدرر في أخبار المنتظر، المؤلف: يوسف بن يحيى بن علي الشافعي.
80. غاية النهاية في طبقات القراء، المؤلف: شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن علي بن الجوزي الدمشقي الشافعي (833هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى، سنة الطباعة 2006م .
81. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي السيوطي، تحقيق: يوسف النبهاني، الناشر: دار الفكر - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، (1423هـ - 2003م).
82. القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت 817هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقاوي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان - الطبعة الثامنة 1426هـ، 2005م .
83. كتاب الثقات، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حاتم التميمي البستي (ت 354هـ) الناشر: دار المعارف، الطبعة الأولى 1393هـ، 1973م.

84. كشف الظنون عن أسمى الكتب والفنون، المؤلف: مصطفى بن عبد الله الشهير بحاج خليفة (ت 1067هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت لبنان -.
85. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المؤلف: أبو الحسن علاء الدين علي المتقى بن حسام الدين بن القاضي عبد الملك (ت 975هـ) الناشر: دار بيت الأفكار الدولية.
86. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى.
87. مختار الصحاح محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازى، تحقيق محمود خاطر، الناشر: مكتبة لبنان، سنة النشر 1415هـ، 1995م. مكان النشر - بيروت -.
88. المستدرک على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدویة بن نعیم بن الحكم الضبی الطھمانی النیسابوری المعروف بابن البیع (ت 405هـ) تحقيق: مصطفی عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى 1411هـ، 1990م .
89. مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي (ت 307هـ) تحقيق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق - الطبعة الأولى 1404هـ، 1984 م .
90. مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1421هـ 2001م .
91. مسند البزار، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العنكبي المعروف بالبزار (ت 292هـ) تحقيق: محفوظ عبد الرحمن زین الله (حق الأجزاء من 1-9) وعادل بن سعيد (حق الأجزاء من 10، 17) وصبری عبد الخالق الشافعی (حق الجزء 18) الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - الطبعة الأولى 1988هـ، 2009م .
92. مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي التميمي السمرقندی (ت

255. تحقيق: حسين سليم الداراني، الناشر: دار المغني - الرياض -، دار ابن حزم - بيروت - الطبعة الأولى 2000 م.
93. مسند الشاميين، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت 360 هـ) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: موسوعة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى 1405 هـ، 1984 م.
94. مسند الفردوس، المؤلف: أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي، (ت 445 هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1406 هـ، 1986 م.
95. مشكل القرآن الكريم، المؤلف: عبد الله بن حمد المنصوري، الناشر: دار بن الجوزي، الطبعة الأولى 1426 هـ.
96. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي المقرب الفيومي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت - الحسين بن مسعود البغوي (ت 50 هـ) تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرة، سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الرابعة 1417 هـ، 1997 م.
97. المعجم الأوسط، المؤلف: أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (ت 360 هـ) تحقيق: طارق بن عوض الله بن عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة - 1415 هـ.
98. معجم البلدان، المؤلف: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، الناشر: دار الفكر - بيروت -.
99. معجم المؤلفين، المؤلف: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (ت 1408 هـ) الناشر: مكتبة المثلث - بيروت -، دار إحياء التراث العربي بيروت .
100. المعجم الوسيط، المؤلف: إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات، حامد عبد القادر، ومحمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
101. موطن الإمام مالك، المؤلف: مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبхи (ت 179 هـ) تحقيق: تقى الدين الندوى، الناشر: دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى

1413هـ، 1991م.

102. ميزان الاعتدال، المؤلف: أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت 806هـ) تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - سنة النشر: 1416هـ، 1995م .
103. الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي (ت 764هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت - سنة النشر: 1420هـ، 2000م .
104. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي (ت 681هـ) تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت - .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	ر.م
أ	الآية القرآنية	1
ب	الإلإهاء	2
ج	الشكر والتقدير	3
1	المقدمة	4
2	أهمية الموضوع	5
2	أسباب اختيار الموضوع	6
2	هيكلية الرسالة	7
3	منهجي في التحقيق	8

القسم الأول: نبذة عن ابن كثير ودراسة لحياة المؤلف

7	نبذة مختصرة عن الحافظ ابن كثير - رحمه الله -	9
7	ولادته ونشأته وعائلته	10
7	طلبه للعلم	11
9	دراسة لحياة المؤلف	12
9	اسمها	13
9	مولده	14
10	شيخه	15
11	تلاميذه	16
11	مصنفاته	17
12	وفاته	18

دراسة المؤلف

14	اسم الكتاب	19
14	نسبة الكتاب للمؤلف	20

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	ر.م
14	سبب تأليف الكتاب	21
14	منهجه في كتابه	22
15	أولاً: الاستدلال على تفسيره بالقرآن	23
18	ثانياً: الأحاديث الشريفة	24
22	ثالثاً: تفسير الصحابة - رضي الله عنهم -	25
23	رابعاً: تفسير التابعين	26
24	خامساً: التفسير اللغوي	27
24	سادساً: المصادر التي اعتمد عليها	28
26	وصف المخطوط	29
26	المؤلف	30
26	نوع الخط	31
26	الناشر	32
26	تاريخ النسخ	33
26	عدد الأسطر في كل صفحة والكلمات	34
26	عدد اللوحات المراد تحقيقها	35
26	حالة المخطوط	36
القسم الثاني: تحقيق الجزء المختار من المخطوط		
33	تفسير سورة الحجرات	37
56	تفسير سورة ق	38
73	تفسير سورة الذاريات	39
86	تفسير سورة الطور	40
100	تفسير سورة النجم	41
123	تفسير سورة افتريت	42

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	ر.م
137	تفسير سورة الرحمن	43
158	تفسير سورة الواقعة	44
186	تفسير سورة الحديد	45
214	تفسير سورة المجادلة	46
233	تفسير سورة الحشر	47
256	تفسير سورة الممتحنة	48
272	تفسير سورة الصاف	49
281	تفسير سورة الجمعة	50
292	تفسير سورة المنافقون	51
300	تفسير سورة التغابن	52
307	تفسير سورة الطلاق	53
319	تفسير سورة التحريم	54
333	الخاتمة	55

الفهارس العامة

336	فهرس الأحاديث	56
353	فهرس الآثار	57
354	فهرس الأبيات الشعرية	58
356	فهرس الكتب المذكورة	59
357	فهرس المصادر والمراجع	60
369	فهرس الموضوعات	61